قصة

الامير حمزة البهلوان

المعروف

بحمزة العرب

المجلد الثالث

بيروت

مكتبة صادر

طبع بمطبعة « مكتبة صادر » في بيروت * سنة ١٩٢٧

قصة

الامير حمزة البهلوان

المعروف

بحمزة العرب

المجلد الثالث

بيروت

مكتبة صادر

طبع بمطبعة « مكتبة صادر » في بيرت * سنة ١٩٢٧

الجزء الثالث

من قصة الامير حمزة البهلوان

ولما وصل الامير حمزة الى بلاد الملك هندام انتشر خبره في كل البلاد فجفل الاهالي وهرب الكبير والصغير الى جهة المدينة وهم يتعجبون من كثرة العساكر وعظم ذاك الموكب الجسيم مع اختلاف اجناسه ووصل الخبر الى الملك هندام فجفل وارتاع وخاف على بلاده من الخراب وجمع اليه قومه واستشارهم في ماذا يفعل فاشاروا عليه بالطاعة فلم تقبل حسانة وقالت لابيها سوف ترى ما افعل لك بالامير حمزة وفرسان العرب ولا بد ان اقيدهم الى بين يديك واحداً فواحداً . فقال لها اني اخاف عليك في هذه المرة لان فرسان العرب كثيرون . قالت لا تخف وقد امتحنتني في غير هذه المرة وعلمت بسالتي وسوف اريك ما يكون من حمزة ولا بد ان ارمي رأسه امامك في هذا المحل فيشهد جميع العالم ببسالتي . قال افعلي ما بدالك وها ان فرساني بين يديك فخذيهم وقاومي العرب واذا رأيت العجز فاخبريني لاذهب بنفسي . قالت لا يلزم هــذا الامر فاني سأباشر الحرب بنفسي واطلب براز فرسان العرب وابطالهم واصطادهم كالعصافير واحداً بعد واحد

وبعد ذلك اخذت مائة بنت والبستهن ملابس الجنود وخرجت من المدينة قاصدة معسكر العرب وكان نازلاً بالقرب من هناك ولمــا وصلت اليه نزلت وضربت لها خيمة في تلك النواحي مع جماعتها وقد رأى ذلك العرب وفرسانهم فتعجبوا واخذوا يضحكون من هذا العمل وقد قال سيار لحمزة ان هذا الفارس الذي اسر سيدي رستم فعزم على مبارزته . ولما كان الصباح نهضت حسانة ولبست ثيابها وتقلدت بسلاحها وبرزت الى ساحــة القتال وصالت وجالت من اليمين والشمال . ثم وقفت في الوسط وطلبت مبارزة الامير حمزة البهلوان وفي الحال صار

الامير حمزة امامها وهو كانه الاسد الكاسر وبدون سؤال ولا جواب حمل الاثنان على بعضهما البعض واخذا في الضراب والطعان . وقد احدقت اليهما الفرسان تنظر ما يكون بينهما من هذا الشان ومضى عليهما مقدار ساعة وقد رأى الامير حسانة ضعيفة الثبات فاحتار في امره وتعجب كيف تمكنت من رستم وهو اشد فرسان العرب بسالة واقداماً وثباتاً واخذ في ان يزيد عليها ويضايقها من كل مكان حتى تأكدت انها هالكة لا محالة ولذلك صاحت بالامير مستجيرة وعولت على الحيلة فتوقف عن القتال فقالت له اصبر عليّ قليلًا وانصفني فانا بين يديك لا اهرب قط . فاجاب طلبها وهو لا يعلم انها بنت الى ان نزعت الخوذة عن رأسها وارسلت بشعرها الحالك على اكتافها فغطى ظهر الجواد وازاحت اللثام عن وجهها الوضاح فبان كانه البدر بتمامه وقد زاد التعب وضيق النفس في احمرار خديها والعرق يسيل الى ذقنها ويسقط من هناك كحبات من اللؤلؤ الصافي. ومن ثم فكت ازرارها وارخت نهودها الى الهواء واخرجت منديلًا لتمسحهما من العرق ونظر اليهما الامير حمزة وهما كحقق من الفضة يأخذان بعقل الشيوخ فضلًا عن الشباب وحينئذٍ خطر في ذهنه انها ما اخذت ابنه اسيرًا الا بمثل هذه الحيلة ومع انه كان يميل الى جمال النساء جدًا لكن نفسه كانت شبعت منهنّ واصبح لا يؤخذ بحبائلهن ولو كان في اول امره للحق ما لحق بولده لكنه ثبت جاشه وقاوم امياله ولم يرسل بافكاره الى التمعن بما يراه من حسنها وجمالها بل صاح بها صيحات الاسود وقال لها لقد صار من العار عليّ ان اشهر عليك حساماً ولا بد لي من اسرك . ثم رفس جوادها برجله فالقاها الى الارض طريحة فانقض عليها عمر العيار واخذها اسيرة وهي على تلك الحالة . وحينئذٍ رجع البنات الى المدينة فلم يلحق بهنّ الامير ولا قاومهنّ بل رجع الى الخيام وهو يقول لا بد زواجها برستم لانها اخذته اسيرًا واضاعت عقله وهي جميلة للغاية وهو شاب يلعب برأسه الجهل من اوله

قال ولما وصل البنات الى الملك هندام واخبرنه بما جرى على بنته وقع الرعب

في قلبه وعول ان ينهض لمحاربة العرب فاوقفه الوزير وقال له لا ترم بنفسك في بحر الجهالة فتهلك انت وقومك ولو كانوا بعدد رمل البحار وما منعتكم عن قتل رستم الا خوفا من هذا الامر الا تعلم ما جرى على الملك الاكبر كسرى انو شروان منهم وكم بددوا له جيشاً وكم اهلكوا فرساناً صناديداً وقد جمع لهم الرجال من مشرق الارض الى مغربها فانظر موضع النظر وع الى نفسك قال ماذا افعل هل اترك بنتي في قبضة الاعداء واتقاعد عن خلاصها . قال لا تقدر على خلاصها بقوة السلاح وعندي ان تستدعي اليك رستم ابن الامير حمزة وتعرض عليه امر الصلح وتعتذر اليه وتزوجه ببنتك وهو يجهل ما بينك وبين العرب فيعدك بالامان واذ ذاك تطلعه على امرك وامر ابيه . فاستصوب هذا الرأي ودعا اليه رستم وامر بحله واجلسه بالقرب منه واكرمه مزيد الاكرام واعتذر وقال له هل تسمح لي بذنبي في اسرك وانا لا اعرف قدرك ولما عرفت من انت اردت ان ازوجك من بنتي واتخذك عوناً لي وتسامحني على ما سبق مني . قال اني تركت لك حقي بذلك وقبلت ان اتزوج بنتك ولا لوم عليها في اسري لانها جاهلة وما قصدت قتلي الا بغضاً منها ولكن متى صارت زوجتي تلتزم الى محبتي . فاين هي الان . قال ان جهلها دفعها الى قبضة ابيك ولذلك اريد منك صرف هذا الامر ومراضاته وانا اسامحك بدم وزيري الذي قتلته . ثم قال الوزير اني اعرف يا سيدي رستم انكم من القوم الكرام لا تأخذون المذنب بجريمته ولا تصرون على الانتقام . ولذلك ارجوك ان تجيب الملك هندام الى طلبه وتتزوج من بنته ولك بذلك الفضل والجميل . قال اني اجبت الى ذلك ووعدت ولا بد من ارجاع ابي عن غايته اكراماً لك وللملك هندام لانك فعلت معي الجميل من الاول واحييتني بعد ان كانت حسانة ترغب في قتلي

واذ ذاك نهض الوزير فقبله وفعل مثل ذلك الملك هندام فقبل يديه وشكر منه وفيما هم على تلك الحال واذا برسول الامير حمزة قد دخل على الملك هندام واعطاه رسالة منه يطلب اليه الخروج من المدينة للحرب والقتال وان يطلق سبيل

رستم في الحال . ولما قرأ رستم هذا الكتاب قال للرسول اذهب الى ابي وقل له اننا قد اصطلحنا ووقع بيننا الامان والسلام ولا بد لنا من الذهاب اليه في هذه الساعة فرجع الرسول الى الامير واخبره بانه رأى ابنه مطلق السراح في ديوان الملك هندام ففرح وحينئذٍ وصل رستم ومعه الملك والوزير واعيان المدينة فخرج الامير الى ملتقاهم خارج الصيوان وقبل ابنه وسلم عليه وهناه بالسلامة وترحب بالوزير وهندام وادخلهم جميعاً الى الصيوان واحسن مثواهم واطلق سبيل حسانة فجاءت الصيوان وقبلت يدي ابيها وبكت امام الامير حمزة واعتذرت عما وقع منها . ثم قال حمزة لهندام اريد ان اقوم بزفاف ابني على بنتك باقرب وقت . قال افعل ما بدا لك فهي جاريتكم منذ هذه الساعة ففرحت حسانة بذلك ولم يكن يخطر لها قبلًا ببال . وهيأت نفسها واصلحت شأنها ودارت الافراح بالمدينة وبين العرب مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن زف رستم على حسانة ودخل بهما وسرّ منها وسرت منه ووقع الحب بينهما بعد ان كانت ترغب في هلاكه . وهذه تحمل منه بغلام ذكر يدعى الخان هطان

واقام العرب في تلك النواحي . قدر شهرين تمام وهم على سرور وافراح وبسط وانشراح وقد ظن الامير حمزة ان ...ك هندام صافي السريرة حسن الطوية فاراد ان يودعه ويرحل الى بلاده فاظهر كدره من ذلك وقال له اني كنت احب ان تبقوا الزمان عندنا لابقى انظر الى بنتي لانها عزيزة جدًا عندي . قال ان شئت ابقيت بنتك عندك الى ان يسمح الزمان لنا بالراحة فنرسل ونأخذها فاستصوب هذا الرأي وكاد لا يصدقه وكذلك حسانة قبلت ان تبقى عند ابيها الى ان يأذن لها الزمان . وبعد ذلك تشاور العرب في بعضهم هل يذهبون الى مكة او يسيرون الى حلب او يرجعون الى المدائن فقال الامير حمزة لسلطان العرب اني ارغب في الرجوع الى المدائن لاعلم ماذا فعل كسرى وبختك قال لا نرجع الان الى هناك بل نرحل الى حلب ونقيم فيها اياماً نراقب ما تفعل الاعجام . وباتو تلك الليلة الى الصباح وفيه نهضوا وحملوا باحمالهم ورفعوا باموالهم واقلعوا عن تلك الارض

يقصدون حلب وقد ودعوا الملك هندام وسكان تلك الاراضي ورحلوا مدة ايام حتى جاءوا مدينة حلب ونصبوا خيامهم في ضواحيها وسرحوا بانعامهم وعرف نصير الحلبي بقدومهم فخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وكذلك رجال المدينة واهلها وكان اكثر نساء العرب في المدينة وقد جئن باولادهن الى آبائهن واجتمع المقيم بالغائب والغائب بالحاضر وهم فرحون بهذا الاجتماع

وسأل الامير حمزة صاحب حلب عن كسرى وعن اخباره هل سمع شيئاً جديداً قال جلّ ما سمعته في هذه الايام انه يجمع العساكر والرجال حول المدينة ويريد الحمل على العرب وغير ذلك لا اعرف . فقال حمزة لعمر العيار اذهب الى المدائن وانظر لنا في هذا الامر عساك تعرف غاية كسرى والى اي جهة يريد ان يسير فانظر لنا من الذي اجتمع عنده من الفرسان والابطال ومن الذي يعول عليه في هذه المرة . فاجاب عمر الى ذلك وسار الى المدائن بكل سرعة حتى وصلها ودخل الديوان وقد شاهد عساكر كثيرة حول المدينة ورأى كسرى بانهماك مع بختك فصبر الى المساء حتى انفض الديوان فتتبع بزرجمهر الى ان دخل خلفه القصر وهناك تقدم منه وقبل يديه وسلم عليه واخبره بكل ما كان من امرهم وسأله عن قصد كسرى اهل ينوي تجديد الحمل على العرب . قال ان هذا لا ينتهي ما زال بختك في قيد الحياة لانه ظن ان ذهابكم عن المدينة كان لسبب خوفكم وضعفكم في البداية ثم عرف بمسيركم الى حلب فتأكد له انكم لا ترجعون فاشعل قلب كسرى واوغر صدره حتى حمله على جمع العساكر والمسير خلفكم وقال له ان ترك العرب مضرّ بالعجم ولا بد من اخذ الثار ودوام الحرب الى ان تساعدهم النار ومن جملة من كتب اليهم في هذه المرة فارس صنديد مشهور في مدينة حكم صند اي في بلاد العجائب اسمه رعد المنقش ويقال عنه انه من الجبابرة العظام اصحاب البطش والاقدام وجاء الجواب بانه عن قريب يصل الى هذه الديار . قال هل ترى ان من اللازم الرجوع الى المدائن ومحاصرتها ام البقاء في حلب او المسير الى مكة . قال ان بقاءكم الان في حلب اوفق من الرجوع الى هنا وان كان هذا رعد المنقش

لا يقاس بفرسانكم العظام لكن الايام عليكم اخذت في ان تجور ولا بد من مرور نحوس وهموم لان الدهر لا يستقيم على حالة فاذا اضحكك اليوم ابكاك في الغد ومتى رأيته مقبلًا فتأكد انه سيدبر واذا شاهدته ادبر فتيقن انه سيقبل وحيث ان لا بد من وقوع الحرب بينكم وبين الاعجام فاذا قصدكم كسرى الى حلب افضل بكثير من انكم تقصدوه انتم الى هنا لان يوم المدائن لم يأت بعد

فمكث الامير عمر العيار في المدينة ثلاثة ايام وفي كل يوم يخرج الى ديوان الملك كسرى ويسمع ما يدار هناك من الكلام وفي المساء يأتي قصر بزرجمهر الى ان رأى الاعجام قد خرجت الى ملاقاة رعد المنقش فسرّ لذلك واختلط بينهم وخرج معهم حتى بعدوا عن البلد مقدار ثلاث ساعات والتقوا بالعساكر وكان عددهم نحو مائتي الف فارس وفي مقدمتهم رعد المنقش وهو قصير القامة عريض الاكتاف كبير الدماغ يكاد يستوي طوله بعرضه وسمكه ورسمة الشجاعة تلوح على وجهه وبالحقيقة انه كان يحب سفك الدماء كثيراً حتى انه اليوم الذي لا يهرق فيه دماً لا يلتذ بعيشه ولا ينام مرتاحاً فيلتزم في كل يوم وهو في بلاده ان يأتي بالاغنام والفصلان فينحرها ويهرق دمها على الارض ويتركها الى قومه فيفرح وتفرج كربته فسلم عليه بختك واعيان كسرى وترحبوا به ورجعوا جميعاً الى الايوان وبختك يزيد في تعظيمه وتكريمه ويمدح منه ومن شجاعته حتى دخل على كسرى فسلم عليه وقدم له احترامه فترحب به ببرود وقد امعن فيه النظر فلم يتصور فيه الثبات ولا حدثته نفسه بانه يقدر على مقاومة العرب وفرسانهم ولاحظ الوزير بختك ذلك فاراد ان ينزع من رأس كسرى هذا الفكر ويحمله على الاعتقاد بانه افرس فرسان هذا الزمان . قال له هذا يا سيدي رعد المنقش صاحب الغارات المشهورة في كل مكان والوقائع المشكورة المعروفة التي اكسبته الرفعة وعلو الشأن وسوف ترى بعينيك ما يفعل لك بالاعداء ولا يمكن ان يعرف الانسان بمجرد النظر الى وجهه لان الابطال مستترة تحت اثوابها ولا بد ان

تكشف لك الايام صدق قولي . فقال كسرى اني ارغب ذلك لكني اعرف ان لا فارس يقدر ان يقاوم فرسان العرب فاذا كان داهور الهندي هلك منهم فهل يقدر غيره على هلاكهم . قال لا بد لرعد هذا البطل العظيم ان يبيدهم عن آخرهم لان الشجاعة ليست بكبر الجثة وعظم الهيكل بل بقوة الذراع وثبات الجنان وعن قليل تقع الحرب فترى افعاله وتشاهد حملاته وتتأكد صدق قولي . فقال كسرى ان كان الامر كما تقول فاني افضله على ملوك دولتي واشاركه في نعمتي ومن هذه الساعة اشده بهلوان تختي وغفير مملكتي وامر ان يلبس ثوباً من الارجوان ويشد وسطه بمنطقة من الذهب مخصوصة بمن يكون غفير بلاد الفرس وبعد ان رأى الامير عمر العيار ما رأى وسمع كلام بختك ودع الوزير بزرجمهر وسار يقصد مدينة حلب ولما وصلها وجد الامير والعرب بانتظاره وسألوه عمّا رأى فاخبرهم بكل شيء وبما شاهد من رعد المنقش وسمع من بختك الوزير وقال له ايضاً ان من رأي بزرجمهر ان تبقوا في حلب الى ان يأذن الله بالفرج ولا تذهبوا الى المدائن ولا بد للملك كسرى ان يقصدكم الى هذه البلاد . فقال الامير لا بد من البقاء هنا واننا في هذه المرة لا نخالف امر الوزير وفي كل مرة خالفناه كان علينا وبالاً . واقام العربان بانتظار الاعجام

قال وكان بختك قد استخبر وعرف ان العرب مقيمين في حلب فاخبر كسرى به فامر بركوب العساكر والمسير الى تلك المدينة وهو متيقن كل التيقن انه لا بد من الانتصار في هذه المرة وعلى امر كسرى انهوا الاستعداد وفي الصباح خرج هو وجماعته والاعيان وعلوا ظهور خيولهم وساروا على طريق حلب كالجراد المنتشر وعددهم ١٧ كرة ولا زالوا في مسيرهم حتى اقبلوا على سهل حلب وشاهدوا معسكر العرب فضربوا المضارب والخيام تجاههم وسرحوا بانعامه خلفهم وقال رعد المنقش وقد استصغر جيش العرب ان الاعداء قليلو العدد ولا بد لنا من هلاكهم فلا يبلغون نصف عددنا . قال ان العدد لا يقوم مقام الشجاعة فكلهم ابطال وفرسان . قال اني اتكفل لك بهلاك فرسانهم جميعاً وسترى عن قريب .

فقال كسرى انه يخطر لي ان ارسل اليهم رسالة وادعوهم الى الطاعة وان يسلموني علم بيكار الاشتهار ويتفرقوا كل واحد الى بلاده عساهم يصغون ويسمعون وبذلك يهون علينا الامر كثيراً فقال بختك ان هـذا غير الاصابة كون العرب عصاة لا يعرفون مقامك ولا يصغون الى كلامك وكلما بعثت اليهم بكتاب زادوا وطمعوا وظنوا ان ذلك منك عن عجز وضعف ولا عن رحمة وكرامة وشفقة وارى من الصواب ان نفاجئهم في الصباح ونحمل عليهم حملة واحدة من الاربع جهات ولا نرجع عنهم حتى ندخلهم المدينة ومن بقي حياً منهم تركناه يموت جوعاً في داخل المدينة ولا نبارح هـذا المكان سنيناً واياماً حتى ننال الفوز الى الحد الاخير واتفقوا على هـذا الرأي وصبروا الى اليوم الثاني وفي الصباح نهض العربان بعد ان ضربت طبول الحرب والطعان وركبت الابطال والفرسان وتقدمت الى اطراف الميدان وقد خفقت الاعلام ولاح لكل فارس من فرسان ذلك المقام ان ذاك اليوم كثير الاهوال عظيم الاحوال وكان في مقدمة الاعجام رعد المتقش وفي مقدمة العربان الامير حمزة البهلوان وفي الجناح الايمن الامير رستم فرتم والاندهوق وجماعة من الفرسان وفي الجناح الايسر سعد اليوناني وابوه عمر والمعتدي وحالما وقعت العين على العين كثر الصياح من الطرفين وصاح الامير رستم وحمل كانه قضاء الله المنزل ومثله فعل الامير حمزة والاندهوق ابن سعدون والمعتدي حامي السواحل وعمر اليوناني وابنه سعد والملك النجاشي وعمر الاندلسي وقاهر الخيل وبشير ومباشر وملوك التركمان وامراء الاكراد واصفران الدربندي ومعقل البهلوان والامير عقيل وارتجت لحملاتهم جنبات تلك الارض بالطول والعرض . وباقل من نصف ساعة قامت القيامة وقلت السلامة ووقعت الندامة وقام سوق الحرب واختلف الطعن والضرب وكان يوماً عظيم الشأن لم يسمع بمثله في سالف الازمان فيه تدفقت الادمية كالغدران وبذل ملك الموت ما له من القوة والسلطان فطرحت الجثث الى بساط الصحصحان بعـد ان لاقت اشد العذاب والويل واندثرت تحت حوافر الخيل ولم يكن يسمع الا تألم وتوجع وتشك وانين

وهمهمة ودمدمة وتوعد وتهديد واصوات وقوع سيوف على دروع او اسنة على زرد ولم يكن يوم الحشر اشد هولاً من ذاك اليوم ولا رأت ولا سمعت اذن اعظم اضطراباً منه فلله در الامير حمزة صاحب هـذه السيرة فانه اباد الرجال واهلك الابطال واعظم من عمله كان عمل ابنه رستم فرتم فانه اخترق صفوف الاعجام وانزل عليهم ميازيب الغضب والانتقام ففرق الكتائب وبدد المواكب وترك القتول بين يديه كالتلول وكلما رأى جيشاً من الاعداء متجمعاً عليـه كانه قضاء الله المنزل يفرقه باسرع من لمح البصر ولم يكن اشد فرسان الاعجام قادراً ان يثبت بين يديه او يرضى ان يقف في وجهه بعد ان يرى عجائب حملاته وسرعة ضرباته وطعناته ويشاهد منه انه يحمل من اول العسكر وباقل من لمح البصر يصير في الآخر وصوته يرن في اذن كل من المتقاتلين . وكذلك كانت تفعل باقي الفرسان وعمل رعد المنقش اعمالاً عجيبة في ذلك اليوم ولولا محاولة فرسان العرب ودفعه لكان اهلك كثيراً منهم لانه كان اذا التقى بواحد لا يقدر ان يقتله الا بعد دفاع ونزال ومعاركة كثيرة ومع كل ذلك فانه قتل كثيراً من العرب وكانت فرسان الاعجام قد طرقتها كثرة الوقائع والحروب وعلمها التكرار والثبات في الدفاع والهجوم ففعلت فعلاً جسيماً ولا زالت الحرب قائمة على ساق وقدم ونفوس الرجال تقدم ضحايا على مذابح العدم الى ان اقبل الظلام واسرع النهار بالانهزام فضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلون الى الخيام وما منهم الا من صبغ بالدماء وتلطخت ثيابه واسود وجهه وما صدق ان ذهب النهار حتى رجع لاخذ الراحة ومناولة الطعام ورجع رعد المنقش وهو كانه شقيقة الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان . فسر كسرى من بسالته واقدامه وتأمل فيه النجاح والتوفيق وقال له اذا انتهى لي النصر على يديك كنت انت الحاكم في بلادي والسيد عليها ولا احد يعلو عليك . قال اني القيت الرعب في هذا اليوم في قلوب اعداك ولا بد انهم يتفرقون قريباً ويفرون من هذه الديار ولكن اقسم لك بالنار وبتربة اجدادك انهم لو ساروا داخل البحار لتأثرتهم واهلكت منهم

الكبير والصغير ليتأكدوا ان في خدمتك فرسان لا ينتج مثلهم الزمان ولا تأتي بنظيرهم الايام . وقال بختك اعلم يا سيدي اني نظرت موضع النظر ولو كان في جيوشنا اثنان مثل رعد المنقش لانتهت الحرب فيهذا النهار ووقع لنا النصر الذي نريده ومع كل هذا فاذا تعوقنا الى شهر او شهرين فلا بأس فانه يفنيهم فيالآخر ويجعلهم عبرة لمن اعتبر

فهذا ما كان منهم واما ما كان من العرب فانهم رجعوا كذلك فائزين من جهة ومتكدرين من اخرى وقد رأوا انه قد قتل من جيشهم جانب غير قليل ولذلك امر حمزة ان تتأخر العساكر ولا ينزل الى القتال الا ربعها فقط والباقون لا يحملون الا في آخر النهار بحيث تكون قد تعبت عساكر الاعجام . واختار منهم القواد والشجعان وقال اننا وحدنا مع مائة الف نفس نكتفي لرد الاعداء وفي اليوم الثاني تجدد القتال وعظمت الاهوال وزاد القيل والقال وقتل كثير من الفريقين الى ان جاء المساء فرجعوا الجميع وفي الصباح عادوا الى مثل ما كانوا عليه وداموا على هذه الحالة مدة خمسة عشر يوماً حتى وقع النقص في عساكر الاعجام لان الرأي الذي دبره الامير حمزة كان موافقاً لهم وكان لا يحارب الا بالابطال المعدودين ويترك الباقين الى قرب المساء فيحملون وهم براحة على الاعداء المتعبين فيقتلون كثيرين منهم . وفي اليوم الرابع رجع رعد المنقش الى صيوان كسرى وهو متعب جداً وقد التقى في ذاك اليوم بالامير سعد اليوناني فاشغله كل النهار ورجع دون ان يقتل احداً فتكدر وقال للملك كسرى ان رجالك جبناء ضعفاء فما منهم من يسد عوزاً وانا وحدي التزم ان ادفع اعظم فرسان القتال كفرسان العرب وارى ان عساكرنا على نقص متواصل ولا بد ان يفنوا بعد ايام اذا دامت الحال على مثل هذا المنوال ومن الرأي الحسن ان نكفهم في الغد عن القتال حتى اذا افنيت الاوائل هان علينا هؤلاء الاواخر . قال اني كنت ارغب في ذلك وعندي ان تقتل لي رستم والامير حمزة في الاول فاذا قتلت هذين الفارسين تفرق الجميع وخافوا واركنوا الى الفرار . قال اني سأقتل الاثنين بيوم واحد اذا

شاءت النار وكانت راضية علينا . وباتوا تلك الليلة على مثل تلك الحال الى ان كان اليوم الثاني نهض المعسكران وتقدموا الى ساحة الميدان وقبل ان يهجموا على بعضهم البعض برز رعد المنقش الى الوسط وصال وجال حتى حير عقول الرجال ثم وقف في الوسط ونادى يطلب الابطال والفرسان وصناديد الشجعان وحينئذ سقط اليه فرهود صاحب التكرور وهو كانه الغول وصدمه صدمة جبار صنديد وحمل الاثنان على بعضهما البعض واخذا في الطعن والضرب والكر والفر والمجاولة والمحاولة حتى سبح الجوادين بالعرق وضاقت منهما الانفاس وكانا بطلان عظيمان وفارسان جسيمان وقد احدقت بهما كل عين وهما تارة يفترقان وطوراً يجتمعان وما زال القتال واقعاً بينهما الى بعد الظهر وهناك صاح رعد المنقش وهجم على فرهود واختلف بينهما ضربتان فاصلتان وقعت ضربة فرهود على طارقة رعد فاضاعها بمعرفته ووقعت ضربة رعد على طارقة فرهود وسقطت على رقبة الجواد فابرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع على الارض لكنه جاء واقفاً وبقي الحسام في يده يدافع عن نفسه فهجم عليه رعد وطعنه برمحه فمال عنه وفضل الثبات على الهرب ورأى حمزة صعب الموقع الذي فيه فرهود فاراد خلاصه من بين يدي خصمه فهجم على رعد وصاح به وحينئذ كان قد لحق بكسرى الفرح الزائد وسر من عمل فارسه ولما رأى حمزة قد هجم عليه خاف ان يبطش به لانه تعبان فامر عساكره بالحمل فحملت دفعة واحدة على الامير فالتقاها بصدره وهجم عليه وباسرع من لمح البصر انطرح الامير رستم على الاعداء وانطرحت من بعده فرسان القبائل وملوك العربان من كل ناحية ومكان وقاتلوا قتال صناديد الابطال . وكان العيارون قد جاؤوا الى فرهود بجواد فركبه وعاد الى القتال والتقى برعد المنقش وفي نيته ان يأخذ لنفسه منه بالثار فلم يقدر بل انجرح من حسامه ولو لم يدركه الامير رستم في آخر النهار ويخلصه منه والا كان قتله واعدمه الحياة وحينئذ ضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلان عن ساحة القتال الى الخيام وكشف الامير حمزة على جرح فرهود فرآه غير بالغ فسلمه الى اسطون الطبيب

ليعالجه واوصاه ان يعتني به كل الاعتناء الى ان يشفى فاخذ في مداواته

ثم ان الامير جمع اليـــه السادات وقال لهم انه لا بد في الغد ان يبرز رعد المنقش الى ساحة الميدان واريد ان ابرز اليه انا ولا اريد ان يسبقني احد منكم واخاف ان تصابون منه بسوء فقال له الاندهوق اننا نخاف عليك نحن ولا نخاف على ارواحنا لانه اذا اصابك امر تفرقت الفرسان وانفرطت سبحة العرب واما اذا قتلنا كلنا فلا اسف علينا . قال اني خائف من مثل هذا ولذلك لا اسمح لاحد بالبراز فاني اقدر على قتله باقل من يوم . قالوا لا يمكن ابداً لان كل واحد منا يريد ان يجرب نفسه معه وما نحن من جبناء الرجال ولا اقامتنا عندك الا للحرب والقتال ولمثل هذا اليوم . وحينئذٍ قال الامير سعد اليوناني اني اقسمت بالله العظيم يا جداه لا ادع احداً منكم يبرز اليه سواي وقد سألتني امي في ذلك وحركتني اليه منذ ايام وهي تقول لي لا تدع احداً غيرك يبارزه غداً فاذا قتلته نلت الفخر العظيم . فزجره وقال لا اسمح لك ولا لغيرك بذلك فاني اختبرت رعداً وتأكدت ان لا احد يقتله سواي واخاف ان يلحق بكم ما لحق بفرهود . وجعل كل واحد يقول لا بد لي في الغد من مبارزته واشتدت المكالمة والخصام حتى وقف الامير رستم في الوسط وقال لو سألتموني في هذا الامر لتركت كل واحد منكم يبرز اليه دون ابي وما ذلك الا حفظاً لمقامه لا خوفاً عليه لانه ليس من رجاله ولا هو ممن يقف قباله وانا اقسم بالله العظيم وبالمسيح ابن مريم الذي احيي الاموات من العدم اني ابرز اليه بلا سلاح ولا عدة واكفل النصر والفوز عليه واسره بساعة من الزمان . وعند الصباح قفوا امام السلطان قباط واسألوه ان يأذن منكم الفرسان الى البراز فمن الهمته العناية امره بالبراز وما زال لنا ملك فهو الولي والحاكم يفعل ما يريد ويختار فاستصوب الجميع هـــذا الرأي وباتوا الى الصباح وفيه ركب رعد المنقش وبرز الى الميدان والملك كسرى يؤمل الفوز والنجاح على يديه وقد سرَّ من عمله بفرهود وصار يحتك يعده ويقول له في هذا اليوم لا بد لحمزة من البراز فاذا التقى به رعد قتله وضرب قومه

وفيما كان رعد في وسط الميدان يصول ويجول ويشتم فرسان العرب ويطلب اليهم النزال تقـدم الامراء والسادات بين يدي الملك وسألوه ان يأمر احدهم بالبراز وقبل ان اختار واحد منهم سمع صوتاً من بين الاعجام فمال بنظره الى هناك واذا به رأى جيش الاعجام قد انفتح وخرج منه غلام فوق جواد ادهم كانه الليل الحالك وعلى ذاك الغلام من العدد ما يبهر النظر وبين يديه غلام اخر احمر اللون سريع الجري كانه السهم الطيار يدور حول الجواد . ثم ان ذاك الفارس اطلق لجواده العنان فطار به من اول الميدان الى اخره ثم عاد في جريه من حيث اتى حتى حمي الجواد . ثم وقف في الوسط واشار الى عساكر العرب بالسلام وجميع الفرسان ناظرة اليه ومتعجبة من اعماله ولا يعلمون من هو ولا يدركون مقصده ومع انه خرج من بين الاعجام اشار بالسلام والتحية بسيفه اليهم وكان اكثر العجب من العيار الصغير الذي كان بركابه لانه كان يسبق الجواد في الجري فيفوته كثيراً ثم يدور حواليه ويضع يده على ركابه ويسري بحسب سير الجواد . وبعد ان حيي العرب هجم على رعد هجوم الاسود دون ان يبدي كلمة او يفوه بجواب او سؤال . ورأى الامير حمزة الى هذا الغلام فانعطف قلبه اليه ورآه ابيض الوجه لا نبات بعارضيه فخاف من ان يقتله رعد فتقدم الى اول الميدان والتفت الى عمر ليبعث به الى غلام الغلام وبسأله عنه فوجده قد صار في وسط الميدان وكان عمر قد رأى الغلام العيار وتعجب من اعماله واحتار من امر الفارس الذي معه فقصد ان يكتشف الخبر فدنا من المذكور وقال له من هذا الفارس والى من ينتسب من القبائل . فقال له دعك من هذا السؤال فلا اجيبك عليه ولا تشغلني عن سيدي ثم تركه وركض حول المتقاتلين فركض خلفه عمر وجعلا يدوران حولهما الواحد يطارد الاخر وعمر يركض خلفه ولا يقدر ان يمسكه وكلما اراد ان يعدل عنه ويقف منتظراً النهاية لا يطيعه قلبه فيدنو منه فيعود الى الجري حول الجوادين هذا والحرب شديدة بين الغلام ورعد المنقش وكل واحد منهما يبـذل جهده ويظهر من الشجاعة ما عنده وقد تقصفت في ايديهما الرماح وعمدا الى البيض

الصفاح وصحبهما الغبار وكاد يخفيهما عن الانظار . وهما تارة يفترقان وطوراً يجتمعان كانهما جبلان عظيان او اسدان درغامان وقد حيرا بقتالهما النواظر واشغلا الخواطر . وكان حمزة بالاول خاف على الغلام الا انه لما رآه يصول ويجول ويطعن طعنات الجبابرة الفحول علم انه فارس صنديد فاطمأن باله ولكنه مال شوقاً الى معرفة اصله وفصله وتقدم الى الامام ليقف قريباً منه وتقدمت معه فرسان العرب وعساكرها ورأى الاعجام الى ذلك فتقدموا هم ايضاً ولم يبق من المسافة بين الفريقين الا مقدار رمحين وكل واحد ينتظر نتيجة هذا البراز ويتمنى لفارسه النصر والانجاز . والفارسان في صدام وعراك . وقتال وانهماك . حتى سبح من تحتهما العرق كالبحور الزاخرة وتساقط من اعالي راسيهما كالغدران الماطرة . هذا وعمر العيار والغلام الاحمر في مشاحنة وجدال وعمر لا يقدر ان يأخذ منه لا حق ولا باطل ولا قدر ان يعرف من هو ولا من الفارس الذي كان يقاتل رعد المنقش . ولم يعد الامير حمزة ينظر الى اليمين او اليسار وحصر كل نظره بالغلام ولو لم يكن مع خصمه في القتال لرمى بنفسه اليه وقد اعجبه قتاله كثيراً وتحير من اعماله وبينما هو يحدق به وجميع فرسان العرب تنظر اليه ومنعطفة القلب والخاطر لنحوه ولا سيما الامير رستم فانه اسند برمحه الى الارض والتى برأسه عليه وجعل يمعن فيه ويتأمل في احواله . واذا بالغلام المذكور قد صاح بصوت عظيم ارتجت منه الجبال والوديان واضطرب له العسكران واشهر بيده الحسام حتى بان ما تحت ابطه وضايق خصمه كل المضايقة وارسل اليه بضربة قاضية قاطعة وقال باعلى صوته خذها ضربة فاصلة من يد سعد الطوقي ابن الامير حمزة البهلوان من لوعة القلوب جوهرة النسوان فوقع السيف على طارقة رعد المنقش فبراها كما يبري الكاتب القلم وسقط السيف على رقبة رعد فقطعها الى حد وسطه ومال الى الارض قتيلاً . ولما سمعت العرب هذا النداء وتأكدوا انه ابن الامير حمزة صفقوا من الفرح والسرور ولا سيا الامير فانه طار قلبه شعاعاً وسقطت الدموع من عينيه فرحاً بابنه وعند سماعه بذكر لوعة القلوب بنت الملك قاصيا زوجته التي فقدت

منه واراد ان يرتمي على ولده ليقبله فرآه قد خاض في عساكر الاعجام وحمل عليهم حملة الاسد الدرغام

واما الامير رستم فانه طرح بنفسه امام اخيه وجعل يقاتل حوله خوفاً عليه لانه تعبان فبدد المواكب وفرق الكتائب وهو ينـادي تمهل يا اخي سعد فقد جاءك اخوك رستم فرتم هذا والفرسان تطير بين يديه وهو يمددها على بساط الارض وكذلك العرب حملت باجمعهم وقصدت نهاية العمل في ذاك اليوم . واخذ العجم في القتال والتأخر الى الوراء منتظرة المساء وقد وقع كسرى في الارتباك وايقن بالهلاك وفيما هم على مثل ذلك واذ سمعوا اصوات جيوش مقبلة قد هجمت على مؤخرة الفرس وحملت عليها واشغلت ضرب الحسام وصاروا هم في الوسط وحينئذٍ لم يرَ كسرى بدّاً من الهرب فامر حراسه ان تطير به في جنبات الفلاة قبل ان يقع بيد الاعداء فحملوه وطاروا به في الافاق وبعدوا عن الخطر ولحقت به باقي الرجال والعساكر وقوم العرب تضرب في اقفيتهم من كل ناح وطاردوهم الى المساء حتى اهلكوا جانبـاً عظيماً وملأوا الارض من اجسادهم وبعد ذلك رجعوا مسرورين فرحين وقد التقى الامير بولده سعد الطوقي ابن لوعة القلوب فرمى نفسه عليه وجعل يقبله وسلم عليه وكذلك فعل اخوته وباقي العرب وحينئذٍ وصلت لوعة القلوب وجاريتها فانوس لانهما جاءتا مع العساكر التي حملت في مؤخرة الاعجام . وعرف عمر العيار ان الغلام الاحمر هو ابنه من فانوس واسمه الشاه ذئب فدنا منه وقبل وجناته وسلم عليه وقال له كيف لم تقل انك ابني وعذبتني كثيراً قال كنت لا اعرف انك ابي ولا اريد ان تعرفني العرب قبل ان تعرف سيدي سعداً . وكان اسم هذا الغلام شاه ذئب وبعد ذلك عادوا الى الخيام وهم يضربون بالدفوف وينشدون نشائد الافراح ويلعبون ويمرحون وقد حكت لوعة القلوب للامير قصتها وما جرى عليها وما لاقت بعد فرقته وقد اعد لها مكاناً بين نسائه وجاءت النساء فسلمن عليها وترحبن بها كما ان الامير رستم والامير عمر اليوناني وباقي الفرسان كانوا مسرورين من الامير سعد وهم يكثرون من

السلام عليه والثناء على شجاعته

قال وكان من قصة لوعة القلوب بعد ان كانت اسما بري خطفتها مع جاريتها فانوس ووضعتها بنتها قريشة قرب القرية كما تقدم معنا في محله فدخلتا القرية وهما لا يظهران امرهما وشعرت كل واحدة منهما بحملها ولم يكن معهما ما تقتاتان به فاخذت لوعة القلوب في ان تبيع مصاغها لتصرف الثمن على نفسها وجاريتها لبينما يكون الله سبحانه وتعالى قد جاءها بالفرج واكترت لنفسها بيتاً واقامت فيه الى ان ولدت ولداً ذكراً عليه سمة البسالة والاقدام والشجاعة سمته سعد الطوقي فدبرت امره والبسته ثياباً ووضعت في يده معضد وكتبت عليه اسمه واسم ابيه وكذلك جاريتها فانوس وضعت ذكراً ودعت اسمه شاه ذئب واعتنتا بتربية الولدين وهما صابرتين على حكم القضاء والقدر لا يمكنهما التظاهر ولا البعد عن ذاك المكان حتى مضى عليها نحو سنة من الزمان وصادف حينئذٍ ان احد الامراء المجاورين واسمه طوقاب عار بقومه على تلك القرى يقصد الكسب والنهب وقتل شيخ القرية واهلها ومن جملة من هرب لوعة القلوب وفانوس خوفاً من ان يسبيها الاعداء ولم تتمكنا من اخذ ولديهما وقد خطر لها انهما تعودان بعد جلاء الاعداء اذ انهم لا يمكن ان يضروا بالاطفال لكن كان بين قوم طوقاب رجل اسمه بيرم الحداد ولم يكن له قط اولاد فدخل البيت الذي كانت فيه لوعة القلوب فوجد الولدين يبكيان وما من احد يغيثهما فحن قلبه وحدثته نفسه بان يأخذهما معه ويذهب الى امرأته فتربيهما وبعد ان انتهى الامير طوقاب من نهب القرية وقتل شيخها عاد الى بلده بالمكاسب والغنائم ودخل بيرم الحداد على امرأته ودفع اليها الولدين واخبرها بقصتهما وقد رأى الى المعضدين اللذين بيد كل منهما فعرفهما . وقال لامرأته اعتني بهما واظهري امامهما انك امهما الى ان يكبرا فاذا قدرنا ان نصل الى الامير حمزة اعطيناه اياهما فينعم علينا ويكون لنا اعظم منة عليه فنحكم في احدى المدن والعواصم والا فانهما يبقيان عندنا كولدين لنا وعلى كل حال فاننا ننتفع منهما فهما سبب نجاحنا وتوفيقنا وسعادتنا كيف

كان الحال. ففرحت بذلك واخذتهما وجعلت ان تعتني بهما واحضرت لهما المراضع وهما يكبران ويترعرعان حتى صار عمر الواحد اربع سنوات وكان الامير سعد جميل الخلقة بديع المنظر حسن التركيب يظهر للرائي انه من اولاد الملوك ولا تخفى حالته على ذوي البصائر. في ذات يوم صادف ان الامير طوقاب كان مارًا في احدى الطرقات فنظر هذين الغلامين يلعبان فتعجب منهما وقال لا بد ان يكونا من اولاد الامراء او الملوك ومال الى الامير سعد كثيرًا وسأل عنهما فقيل له انهما اولاد ببرم الحداد فدعاه اليه وقال له اصحيح ان هذا الغلامين لك قال نعم هما ولداي قال لقد حان زمان تهذيبهما وتربيتهما واريد منك ان تسلمني اياهما لاضع لهما المعلمين وفي نيتي ان اجعل لهما شأنًا واعلم الابيض فنون الحرب والقتال لانه على ما يظهر عليه انه يخرج من الابطال الصناديد فسمة الشجاعة مرسومة بين عينيه. فلم يسع ببرم المخالفة ولا الامتناع وتمنى ذلك وقال ان علم الحرب ضروري لهما لانهما من اولاد امراء هذا الزمان وفرسانه

ومن تلك الساعة اخذهما الامير طوقاب وعين لهما الاساتذة ورتب لهما الرواتب اللازمة فصادفتهما العناية وصانتهما حتى كبرا وصارا في سن الثالثة عشر وكل واحد منهما قد تعلم العلم والتهذيب وفن الحرب على حسب مشتهاه وكان الشاه ذنب سريع الجري جدًا فمال الى العيارة مهنة ابيه. وفي تلك الايام كان ابن شيخ القرية التي اخذ منها الامير سعد قد كبر واشتد ساعده وخرج فارسا مجيدًا وعرف ان الامير طوقاب قد قتل اباه فجمع رجال قريته ورجال القرى المجاورة والف جيشا عظيماً وسار بهم قاصدًا اخذ الثار من طوقاب الى ان وصل الى بلده فحاربه وقتله وحاصر المدينة حصارًا كاد يفتحها به وخاف الاهالي من السلب والنهب وهم لا يجدون ملجأ لهم ولا مخلصاً. وحينئذٍ قال لهم الامير سعد هل اذا خلصتكم من الاعداء وافرجت عن المدينة تسلمون اليّ الحكم عوضاً عن الامير طوقاب فوعدوه بذلك واخذ عليهم العهود والمواثيق ومن ثم ركب وسار وفتح ابواب المدينة وانتخب له جماعة من اصحابه الذين كان يعرفهم ويعتمد عليهم. وبعد ان

بارز ابن شيخ القرية قتله واعدمه الحياة وهرب قومه ومن ذلك اليوم صار الحاكم على البلد واحبه الجميع وفرحوا به الفرح الزائد وتوسموا الخير بسببه وجعل يطيع البلاد العاصية ويقتل كل عات وخارج حتى خافته كل اهالي البلاد وصار له صيت عظيم ولم يعد احد يقدر على مقاومته وصار يحكم بالعدل والانصاف وينظر في مصالح الناس بنفسه ويكرم الفقير والارملة ويحسن معاملة الغرباء واصبح بيرم الحداد هو صاحب القول والكلام لانه ابو الامير سعد

فهذا ما كان من الامير سعد واما ما كان من لوعة القلوب فانها بعد ان كانت قد هربت مع جاريتها عادت الى القرية وفتشت على ابنها فلم تره فبكت كثيراً وحزنت كثيراً وكذلك فانوس وظنتا كل الظن ان الاعداء قد داستهما او القوهما في الازقة لعلمهم انهما من اولاد اعدائهم . ولبستا السواد وصرفتا اكثر الايام على البكاء والنواح وهما تبيعان من مصاغهما وتصرفان بحكمة وقد قطعت لوعة القلوب الرجاء من ملاقاة ولدها ومن ملاقاة زوجها واهلها ايضاً وثبت في عقلها انها ستموت غريبة فقنعت بالعيشة في تلك القرية تاركة كل اسباب التنعم والرفاهة صابرة على قضايا الله عالمة انه قدر عليها ذلك ولا بد من اتمام المقدر وصرفت عدة سنين الى ان ذهب ابن شيخ القرية الى الامير طوقاب وقتله وقتل هو من ابنها ورجع رجال القرية منهزمين مشتتين وصاروا يتكلمون بشأن الامير سعد ويصفونه بالشجاعة وكيف انه وهو كالاسد الكاسر قدر على قتل قائدهم ومعه غلام احمر الوجه لا يفارقه على الدوم فكانت تسمع من الناس مثل هذا الكلام وقلبها يتحرك الى النظر اليه وهي لا تعلم ان كان ابنها ام لا . ولكنها كانت تتذكر باعمال ابيه وكيف انه كسر عج الروم وفعل افعال الابطال . وفي ذات ليلة قالت لجاريتها ان قلبي يحدثني ان اسير الى مدينة طوقاب وانظر الى هـذا الفارس الذي اسمع عنه القصص فما هو الا من العرب لان هذه الاعمال اعمال العرب عساي اقدر ان اتوصل الى ولدي او زوجي فقد سئمت نفسي من الانتظار . فقالت لها يا سيدتاه واني انا كذلك وكلما سمعت بذكر الغلام الاحمر الذي يرافق

هـــذا الفارس تحت جوارحي واني من زمان اريد ان اعرض عليك السعي خلف الراحة واخاف عليك من العذاب واقول في نفسي ربما وقعت في مصاب جديد فاكون انا سببه وارى اننا براحة من ذلك فاصبري منتظرة الفرج . والان ارى من اللازم السعي خلف الهناء فاذا سعينا ربما ساعدتنا العناية الالهية القادرة على كل شيء ووصلنا العرب واجتمعنا بالامير حمزة وعمر العيار فنقيم عندهما الى ان نموت . ولا نعرف ما يكون منه تعالى

وفي الحال حملتا ما يلزمهما من الثياب لوقايتهما وسارتا من مكان الى مكان ومن قرية الى قرية حتى وصلتا الى المدينة فدارتا في اسواقها تفتشان على مكان للمبيت فصادفت العناية ان مرّ الامير سعد وبين يديه الشاه ذئب ورأته لوعة القلوب فلم تخفَ عليها حالته لانها ربته ابن سنة وثبتت هيئته في قلبها فضلًا عن ان كل قلبها وجوارحها قد حنت اليه ولم يسعها الصبر والسؤال بل صاحت من صميم قلبها صياح الفرح ووقعت الى الارض خائرة القوى والحيل وكذلك فانوس فانها تأكدت ولدها وعرفته فجعلت تصيح على غير وعي وتنادي وولداه قد عادك اليَّ الزمان . فارتاع لذلك الامير سعد واجتمع الناس حول المرأتين ووقف صاغياً ينظر اليهما وقد اندهش وامر ان ترش الماء على وجه والدته ليعلم ما سبب اغمائها واخذ في ان يلاطفها والناس افواجاً افواجاً حتى وعت الى نفسها ورأته امامهـــا كالاول ورمت بنفسها عليه فزاد حيرة واستحى من الحاضرين الا انه كان حكيماً رائق الفكر لا يعجل في الامور ولم يرد ان يكسر بخاطرها وكان في قلبه شعور من شعورها . واخيراً قال لها هدي روعك واحكي قصتك وقصة رفيقتك ومن انت لانك تنادين يا ابني وتزعمين اني ابنك واراك تغلطين في ذلك ولا بد لي ان افتش لكِ على ابنك وابن رفيقتك اين كانا وانا حاكم المدينة وابي بيدم الحداد وامي زوجته ولم اخرج قط من هذه المدينة . قالت من اين يكون لبيدم الحداد او لغيره ولد مثلك وانت ابني وانا لوعة القلوب بنت حاكم قماصيا وابوك هو فارس فرسان الزمان ومذل الجبابرة والشجعان وخصم كسرى انوشروان . الامير

حمزة البهلوان الذي شاع صيته في كل ناحية ومكان . وخافته طوائف الانس ومردة الجان

فلما سمع الحاضرون هذا الكلام . ما منهم الا من شكك وارتاب . وكان ذكر الامير حمزة قد ملأ الدنيا وعرف به البعيد والقريب ولم يبقَ تقريباً ولا رجل في الدنيا الا وعرف به وهابه وحكى بقصته وخافه وكذلك فانوس قالت للامير سعد ان هذا الغلام هو ابني ايضاً من زوجي عمر العيار عيار الامير حمزة . وكان بعض الحاضرين يظنون انهما مجنونتين غير ان سعداً اراد البحث في ذلك ولم يرَ في هيئتهما ما يدل على الارتياب ومع انه كان يتأكد من نفسه انه ابن بيرم الحداد اراد ان يمتحن لوعة القلوب فقال لها بتأنٍ واكرامٍ يا اماه اني ادرك قوة لوعة الوالدة على ولدها واريد ان اكون عونك فى الوصول الى ابنك اما انا فاني لا اعي على نفسي الا في هذه المدينة منذ ١٣ سنة وفي اين عرفت اني ابنك ولم تريني قط ولا رأيتكِ . قالت انك سلبت مني وانت ابن سنة وفي يدك معضد مكتوب به اسم ابيك . قال صدقت ان في يدي معضد ولكن ما قرأت قط ما عليه وترجح له بعض الفوز والنجاح وكشف على زنده ونظر الى المعضد فرأى مكتوباً عليه اسم الامير حمزة ابن الامير ابراهيم حاكم مكة المشرفة فطار صوابه من ذلك وتعجب من امره وصاح باحد خدمه الا فادع لي بيرم الحداد فجاء اليه . فقال له ان هذه الامرأة تدعي بانهــا والدتي وان والدي هو الامير حمزة قاهر كسرى انو شروان وانت تقول انك ابي . فقال له اني لست اباك عن حقٍ واني اخذتك من مهدك مع هذا الغلام واعاد عليه القصة بتمامها حتى تأكد الجميع ان الامير سعد هو ابن الامير حمزة وحينئذٍ زاد فرحهم وصاروا يصفقون من شدة الفرح وما منهم الا من قال من اين لبيرم ولد كهذا وهو رجل حداد فقد صح ان هــذا الشبل من ذاك الاسد . واما الامير سعد فانه رمى بنفسه على والدته وقال لها ثبت لي عن حق انك والدتي وجعل يقبل يديها وهي تقبله وتبكي وكذلك فانوس والشاه ذنب ثم سار بهما الى سرايته والاعيان يسيرون خلفهما

ولما دخل القصر هنأوه بذالك وبوالدته وطلب الى والدته ان تعيد عليه قصتها من الاول فاخبرته بكل شيء من البداية الى النهاية وهو والحاضرون يتعجبون من قصتها

وبعد ذلك قال الامير سعد حيث قد عرفت الان ابي وهو الامير حمزة سيد السادات واعلم من الناس انه على الدوام مع كسرى في حروب واهوال فلا بد لي من ان اذهب اليه واقيم مع قومه ولا اعلم اين هو الان . واذ ذاك تقدم اليه احد الحاضرين وقال ان اباك هو الان في حلب او في المدائن يحاصر كسرى وعنده من الفرسان كثيرون منهم الاندهوق بن سعدون صاحب سرنديب الهند ومعه ثلاثة ملوك التركمان وعنده ايضاً المعتدي حامي السواحل نادر المثال ومن ابطاله ايضاً فرهود صاحب التكرور وقاهر الخيل وبشير ومباشر واصفران الدربندي ومعقل البهلوان صاحب قلعة تيزان والامير الغضبان والصيصان وعمر الاندلسي امير الغرب والملك النجاشي سلطان الحبشة فضلاً عن ان اولاده كل واحد يلتقي جيشاً وحده فاخوك الاكبر اسمه عمر اليوناني وقد تزوج بطوربان بنت عم كسرى انو شروان وهي من اصحاب الشجاعة والبسالة وقد جاءه ولد منها اسمه سعد اليوناني آفة من الافات وبلوة من البلوات واعظم فارس في العرب هو اخوك رستم فرتم ابن بنت الملك قيصر وقد قتل داهور الهندي فهو اشد من بيك باساً واقداماً ولا يمكن ان يثبت بين يديه فارس في هذا الزمان لا من الانس ولا من الجان واما اخوك قباط من مهردكار فهو سلطان العرب وحاكمهم وسيدهم وصاحب الامر والنهي فيهم وفيهم عمر العيار الذي لا يصطلى له بنار فخر العرب وعلة نجاحهم وعدد جيش العرب يبلغ العشر كرات ومن الواجب ان تركب الآن بنا وتسير الى حاب تفتش على ابيك وتقيم عنده وبين يديه لتقاتل اعاديه والحمد لله الذي ظهر وثبت انك ابن اشرف رجل في عالم هذا الزمان لان جدك حاكم مكة المطهرة وهي بيت الله الحرام

فلما سمع كلام الرجل زاد ولوعاً الى رؤية ابيه واخوته وقومه وفي الحال

جمع من المدينة والقرى التي حواليها نحو ثلاثين الفاً من الابطال وحمل امه على هودج وفانوس على هودج وسار عن المدينة بعد ان اقام حاكماً عليها بيرم الحداد واوصاه بالعدل والانصاف ورفع على الاسوار راية العرب ولا زال يقطع البراري والقفار مدة ايام حتى وصل الى ضواحي حلب فسبق العساكر وسار بعياره الشاه ذئب حتى رأى العساكر قائمة للحرب والقتال وعرف الاعجام فاختلط بينهم لانه صادف وصوله من خلفهم ولا احد منهم يعرفه وتقدم الى وسط الميدان وشاهد رعد المنقش فسقط اليه في الحال وقتله ورجع الى قومه كما تقدم معنا الكلام وقد سلم على ابيه واخوته وفرحوا به كل الفرح واجتمع الامير حمزة بزوجته لوعة القلوب وطيب بخاطرها بعد ان سمع قصتها بتمامها وما لاقته من المصائب والاهول . وكذلك عمر العيار فقد اجتمع بفانوس واقام معهما على طيبة نفس وراحة

قال وبعد ذلك بايام اجتمع فرسان العرب عند السلطان قباط في صيوان اليرن شاه واخذوا يتشاورون في امر كسرى وماذا يفعلون به وهل يبقون في حلب او يذهبون الى المدائن فقرّ رأيهم على الذهاب الى المدائن ومحاصرة المدينة الى النهاية وركبوا في الحال من تلك النواحي وساروا يطلبون عدوهم حتى وصلوا الى المدائن فنزلوا وضربوا خيامهم مقابل المدينة وبعثوا برسالة الى كسرى إنو شروان يطلبون اليه ان يسلمهم بختك الوزير ومن ثم يعقد الصلح بينهم ويتركون عدوانه ويرجع كل واحد الى بلاده ولما وصلت الرسالة الى كسرى وقرأها له بزرجمهر التفت الى بختك وقال له انت تعلم ما جرى بيني وبين العرب من الاسباب والعدوان وقد قهروني واذلوني واخذوا بنتي رغماً عليّ ونزعوا مني علم بيكار الاشتهار وقتلوا ابن عمي افلنطوش واغتصبوا بنته ايضاً وقتلوا ولدي وحشاشة كبدي كل ذلك بسببك وبدسائسك ومساعيك وانا لا اقبل ان اسلم بك فتقع المدينة في رأسي وانا والآن حاصروا المدينة وربما نزعوا مني الملك واسقطوني عن العرش فاذا سلمت بك تنصرف العرب ويقع السلام بيننا . قال

اعلم يا سيدي اني اريد من كل قلبي ان اكون فدية عنك وعن البلاد لكن اخاف اذا سلمتني الى اعدائك وقتلوني تندم فيما بعد عليّ لان العرب بعد ان يقتلوني يعودون الى اعظم مما كانوا عليه ولا ريب انهم يقتلونك وينزلونك عن سلطانك وما طلبوا قتلي اولاً الا ليسهلوا لهم طريق نوال غايتهم ولا يعود في وجههم من يسعى في كبح مقاصدهم ولولا هذه الغاية لما طلبوا بالحاح تسليمي ومن انا عند العجم يا ترى هل انا ذو بطش واقتدار وصاحب سيف او هل انا الذي يخشون سطوتي كلا بل انا الذي ادبر على هلاكهم بعقلي وحكمتي واقف في طريق غايتهم وامنعهم من الوصول الى ثل عرش الاعجام ونقله الى العرب

قال كسرى انك لا تزال تدبر على هلاكهم فيعود تدبيرك علينا شرًّا ووبالاً فهل ترى الان في طريقة حسنة تخلصنا من العرب ونحفظ بها انفسنا من الهلاك وتمتنع تسليمك الى الاعداء فقال اعلم يا سيدي اني ارجوك ان تأمر وزيرك بزرجمهر ان يهادن لنا العرب مدة اربعين يوماً ومن بعد ذلك عليّ تدبير الامر وسوف تراني وقد دبرت في هذه المرة ما يسرك ويرضيك وقد خطر في خاطري امر كنت اود لو خطر لي من الاول لفزنا الفوز العظيم ونلنا الغاية القصوى . قال لا تزال تعد هذا العود ولا تفي . قال سوف ترى شيئاً عجيباً وتنظر في صحة امري فعند ذلك امر كسرى بزرجمهر ان يذهب الى سلطان العرب ويطلب اليه عقد الصلح ان امكن او المهادنة الى اربعين يوماً وقال له اني اعرف انك بحكمتك تقدر على اقناع العرب وارجاعهم فاذا لم يرضوا يكون ذلك منك . قال لا تظلمني يا سيدي واي علاقة بيني وبين العرب وانا بحسب امرك اخرج الى العرب واجهد النفس في مراضاتهم فاذا رضوا كان ذلك خيرًا لنا والا فما ذنبي يا ترى . نعم ان العرب يعرفون اني لست بعدوهم كوني ما سعيت لديك لا في الاول ولا في الاخر حتى تعمل على عداوتهم بل من قبل ان يلد حمزة اخبرتك به واجتهدت ان اجعله من رجالك ويكون طول عمره في خدمتك ويبقى امرك نافذًا فيه فتم الامر على حسب ارادتي وبقي بخدمتك سنيناً واعواماً وكنت ارغب في ان يتزوج بنتك

لعلمي انه رجل مسعود ولو تم ذلك برضاك وخاطرك لملكت به الدنيا برمتها ودخلت بلاد الافرنج وقهرت الانس والجان بسيفه . قال له كسرى لقد اصبت في ذلك غير ان ما مضي فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها . فاذهب الآن واجتهد في اقناع العرب ودبر بعنايتك ودرايتك ما شئت

فاجاب الوزير بزرجمهر وخرج الى بغلته فركبها وسار ومن حوله الخدم حتى وصل الى معسكر العرب وبلغه الخبر الامير حمزة فخرج الى الصيوان في الحال ومعه الابطال والفرسان ولاقاه على بعد وقبل يديه وترحب به مزيد الترحاب ورجع به الى الصيوان وقام باكرامه السلطان قباط ولما اجلسه الى جانبه وزاد في احترامه قال لقد جئت على الرحب والسعة فمر بكل ما تريد فما فينا من يخالف لك امراً . فاعاد عليهم القصة وما كان من امر كسرى وبختك وكيف انه ارسله للمصالحة والسلام مع انه لا يريد الا ان يقتلوا بختك جزاء خيانته لدين الله سبحانه وتعالى . فقال الامير حمزة اننا في قبضة يدك اذا امرتنا بالصلح صالحنا او اذنتنا بالرحيل رحلنا فكل ماتامرنا به فعلناه وهل ياترى اذا صالحنا ورحلنا الى مكة او حلب يعود فيجمع الفرسان علينا ثانية . قال هذا لا بد منه ولذلك اريد منك ان لا تقبل بالصلح ولو كنت اعلم ان في ذلك راحة لعبيد الله لما تاخرت بل لا بد لكسرى من تجديد العداوة . قال هل يليق بك ان تذهب الى كسرى وتقول له اني ما قدرت على اجراء امرك ولم يسمع العرب مني . قال هذا لا بد منه وجلّ ما اريد منك ان تامر اتباعك ان يسيروا خلفي الى ان اقرب من الايوان وبايديهم السيوف يطردونني ويهينونني فيصل الخبر الى كسرى ويعرف اني ما قدرت على اتمام المراد وربما لا يعود مرة تانية ان يرسلني اليكم . قال حمزة معاذ الله ان افعل هذا ولو خسرت جيشي برمته لانك علة نجاح العرب وسبب تقدمهم ولولا ذلك لما قامت لنا قائمة . قال هذا لا بد منه وفي ذلك راحتي وارادتي واذا امتنعت عنه يسبب لي التعب على الدوام ومن ياترى يعتب عليك او يلومك على عملك هذا والعرب اجمعهم يعرفون سرّ هذه الرابطة وانا لا اتكدر منها قط

بل امدح منك . ولما راى الامير حمزة ان لا بد للوزير من ذلك اراد في تنفيذ امره فعمل كما امر وعين اربعة فرسان من فرسانه لطرد الوزير . وبعد ان تناول الشراب والطعام نهض فودع العرب واحداً واحداً وسارَ في طريقه الى ان قرب من المدينة واذ سمع الذين على ابوابها الصياح فنظروا ورأوا الوزير بزرجمهر مطروداً من فرسان العرب وهم يعنفونه ويقولون له ان عدت الينا مرة ثانية قطعناك بسيوفنا وحرابنا فاخبر مولاك ان العرب لاتصالح ولا تقبل الا ببختك الوزير واذا امتنع كسرى عن ذلك وارسلك الينا مرة ثانية قتلناك وهو يتذلل بين ايديهم ويسالهم تركه . وحينئذ سار منهم جماعة الى كسرى واخبروه باهانة الوزير وان العرب تشتمه وتطرده فغضب الغضب الزائد وجعل يوبخ بختك ويلومه على رايه واذا بزرجمهر قد دخل وعليه اثار الذل والكآبة ودنا من كسرى وقال له انت تعلم ياسيدي اني لم اهن الزمان بطوله والعرب قوم لايعرفون مقام احد وهم يظنون ان كل الفرس اعدائهم وكان احب عليّ الموت من ان اذهب اليهم واهان مثل هذه الاهانة فقد تهددوني بالقتل فطيب بخاطره واعتذر اليه وقال له ما هذا الا من راي بختك الوخيم . فقال بختك ان كان العرب لا تقبل بالصلح فارجوك في شيء اخر لا بد ان يكون لنا الخير بواسطته . قال وما هو . قال اني اعرف ملكين عظيمين وفارسين صنديدين لامثيل لهما في هذا الزمان فاذا وافقانا وحضرا كان الخير السعيد لنا وفزنا على العرب بدون ريب فارسل وزيرك بزرجمهر الى الاول وهو هارون البطل المجنون صاحب مدينة البردع واصحبه بالهدايا النفيسة واسير انا الى بلاد التتار الى تركي طاووس التتري فاذا اجتمع عندنا هذان الفارسان اهلكنا العرب وبددناهم باقرب وقت واعظم آن . فلما سمع بزرجمهر هذا الكلام انفطرت مرارته واكمد قلبه وكادت روحه ان تزهق لعلمه انه اذا اجتمع هذان الملكان معاً انقرضت دولة العرب ووقع عليهم الهم والعذاب وتفرقوا كل مفرق غير انه اظهر الجلد واخفى الكمد وصبر على مضض ولم يقدر ان يضبط خفقان قلبه لشدة غمه وهمه . فلما سمع كسرى هذا الكلام شعر كان همَّاً

عظيماً سقط عن قلبه وقال له لقد اصبت يابختك فكيف لم يخطر في ذهنك من الاول ان نكتب الى هذين البطلين الجبارين العظيمين . قال لم يخطر في ذهني ذلك قبل الان وعندي ان نسرع الى ذلك في الحال . فقال اذهبا من هذه الساعة وخذا من الهدايا ما شئتما . فاجاباه في الحال وركب بختك ومعه من الهدايا ما يعجز القلم عن وصفه وسار الى بلاد التتار وكذلك بزرجمهر فانه حمل ما اعطاه اياه بختك من الهدايا الثمينة وسار الى بلاد البردع وهو منفطر القلب على العرب ويتمنى عدم نجاحه ونجاح بختك ويطلب ان يصل الخبر الى العرب ليكونوا على حذر وهو محير الافكار . ولاجل الصدف وتدبير العناية راى عمر العيار الوزير بزرجمهر قد خرج من المدينة ومعه الاحمال والتحف الغوال وسار في طريق طويل فتعجب كل العجب وسار منخطفاً اليه حتى وقف بين يديه وسلم عليه ففرح الوزير غاية الفرح وقال له لقد جئت بوقتك فاني كنت احب ان اوصل خبراً الى العرب به الخير والنجاح لكم . قال واي شيء تريد ايصاله ياسيدي فاعاد عليه القصة من اولها الى اخرها وقال له اعلم ياعمر ان الله قدر على العرب عذاباً وتشتتاً وهواناً واذا اجتمع هذان الملكان انقرضت دولة العرب ولم يعد يرجى لهم نجاح فاجهدوا النفس في عدم اجتماع هذين الملكين عسى ان العناية تساعدكم وتصلح شأنكم وتدفع عنكم الويلات فحكمة الله لا تدركها العقول البشرية فيفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير

فلما سمع عمر العيار من بزرجمهر هذا الكلام ارتبك واضطرب وودعه ورجع الى العرب بعد ان سار الوزير في طريقه قاصداً هارون البطل المجنون ودخل الى صيوان اليون شاه واعاد ما سمعه على اخيه وسلطان العرب وفرسانهم فقال الامير والله ان الخطب جسيم واذا اجتمع هذان الفارسان وقاتلونا بوقت واحد اتعبونا واني اسمع عنهما الاخبار المرهبة المرعبة فقال السلطان من اللازم ان نجتهد بان نفرق بين الاثنين فلا ندعهما يجتمعان قال عمر العيار اصبروا الى ان اعود اليكم فقد ازمعت ان اسافر انا الى بلاد البردع واری هارون البطل المجنون واحتال

الى ان لا ادعه يأتي الى كسرى واذا لم يتيسر لي ذلك اكون قد اختبرت غاياتهم وقواتهم وعرفت ماذا يريد ان يفعل هارون وفي اي طريق يأتي واعود اليكم فتدبرون امراً به الخير والنجاح فقال له افعـــل ما بدالك ولا تبطيء في غيابك علينا فان الوقت حرج . فوعدهم وسار الى بلاد هارون وهو لابس ملابس الدراويش ولما وصل المدينة دخلها وكان قد سبق الوزير بزرجمهر وجاء ديوان الملك هارون وطلب منه الاحسان فاعطاه وعمر ينظر اليه ويحدق في وجهه ويقدر شجاعته وقد قال في نفسه الله يخلص العرب منه وبعد ان تناول عطاياه خرج خارج البلد فوجد صومعة وقبل ان دخل اليها سأل عنها لمن هذه الصومعة فقيل له انها لرجل سطيح يقيم فيها وهو صاحب الرأي على هارون فمهما قال له يفعل ولا يخالفه في شيء وكذلك كل اهل المدينة يخرجون اليه على الدوام ويستمدون آراءه وما منهم من يقدر على مخالفته لعظم اعتباره عندهم

فلما سمع عمر هذا الكلام بان له وجه للفرج فذهب الى ناحية ونزع عنه لبس الدراويش ولبس ملابس الرهبان وتكحل وصار كل من يراه لا يظنه الا راهباً من نفس رومية وجاء الى جهة الصومعة فلم ير لها باباً فوقف وجعل ينادي فطل من بعض شبابيكها تلامذة السطيح فاشار اليهم ان يرفعوه الى فوق فسألوا السطيح بذلك فأمرهم ان يأتوه به فأدلوا له الحبال وسحبوه الى فوق فسلم عليهم وتقدم من السطيح وسلم عليه وابدى له كل احترام واعتبـــار ووفاء فسر من فصاحته وبلاغة حديثه . ثم اخرج من جيبه كتاباً كان قد زوره عن لسان البطريق الاكبر يقول له فيه اني سمعت بعظم تقاكم وحسن نياتكم وغزير كرامتكم فاردت ان اجعل علاقة بيني وبينك فارسلت اليك اعظم رهباني ليكون بخدمتك وينال بركتك وتأمره بما تريد وتختار فنقدمه اليك . فلما قرأ المكتوب فرح مزيد الفرح وقال اني احب هذا البطريق لانه يظهر انه عظيم المعرفة ولا بد اني اطلب اليه ارسال هدايا كثيرة لافرقها على اعيان المدينة وعلى تلاميذي الاثني عشر ومن ثم امر احد تلاميذه ان ياتي عمراً بالطعام ففعل وجعل عمر يكلمه

ويحادثه ويطيل معه المخابرة الى ان صار الليل وجاء وقت المنام وذهب كل من التلاميذ الى منامه فحينئذ قام الى السطيح وسطحه بضربة من خنجره القاه بها قتيلًا ونزع ثيابه ولفه وخبأه في بعض زوايا الصومعة بحيث لا يراه احد وجاء الى الغرفة فلبس ثيابة وتكحل فصار كانه السطيح فنام على سريره الى الصباح وعند الصباح جاء اليه التلاميذ وقدموا له الاكل والشرب وقبلوا يديه وسألوه عن الراهب فقال لهم بشراكم يا تلاميذي فقد عرفت شيئاً جديداً ولا بد ان اعلمكم اياه متى تعلمته تماماً لان هؤلاء الرهبان يعرفون مالا نعرفه نحن وذلك انه ودعني بعد نصف الليل فقلت له اين تقصد قال آن وقت الصلاة فاني اقصد بلادي فقلت له ان بلادك بعيدة قال اني اطير اليها واصل اسرع من لمح البصر فتعجبت كيف ان الرجل يقدر على الطيران نظير الطيور فسألته ان يعلمني ذلك فعلمني كلاماً وصلاة طويلة اقولها واستعملها ولا بد لي في الغد من التجربة فاذا حضرتم وما رايتموني اكون قد طرت الى رومية فاقيم هناك مدة ايام . ثم اعود اليكم فاعلمكم الطيران فتطيرون الى اية جهة اردتم وهذا من الامور التي احببناها في زماننا فاحفظوا ذلك في سركم الى ان تتعلموا الطيران ولا بد لي ان اعرف اموراً اخرى من الرهبان لان رهبان رومية يعرفون السحر وكل ابواب هذا الفن . فقالوا له اننا نتعجب منه اذا كان يقدر على الطيران وكيف لم يقدر على الدخول الى الصومعة قبل ان سحبناه . قال اني عرفت ذلك وسألته عنه في الاول فقال كيف ادخل عليك بلا استئذان ولو سقطت منذ الاول في داخل الصومعة لارهبك ذلك وكان قلة احترام واعتبار مني ولما طار صدقته وتأكدت اني بعد ان اواجه الملك حيث اني اعرف انه لا بد ان ياتيني لغرض في هذه الايام اطير الى هناك فصدقوا كلامه وهم فرحون به مزيد الفرح وصاروا ينتظرون اتمام وعده ان يطير ومن ثم يعود ويعلمهم الطيران

وفي تلك الاثناء كان قد حضر الوزير بزرجمهر الى ديوان هرون فأكرمه واقامه بارفع مقام وبعد ان اعطاه رسالة كسرى والهدايا التي صحبها معه وعرف

انه يطلب نجدته قال للوزير اعلم ايها الوزير اني اريد في معاونة كسرى وارغب في ان اذل له عدوه غير انه لا خفاك ان في بلادي سطيح له الرأي والمشورة فاذا اذن لي سرت والا لا مطمع باغاثة كسرى انوشروان . فقال بزرجمهر في نفسه ان شاء الله يمنعه السطيح ويصعب عليه امر القتال . ثم قال لهارون استشير تقيك هذا فعساه يشور عليك بالصواب . فارسل في الحال وزيره يسأله فسار اليه ورفعه التلاميذ الى داخل الصومعة فدنا منه وقبل يديه وعرض واقعة الحال عليه . قال اذهب الى الملك هارون واخبره اني احب ان اذهب اليه وافهمه امراً لان هذه المسألة خطرة جداً . فعاد الوزير بعد ان قبل يديه واعرض للملك ما سمع فبعث في الحال بالخدم ومعهم تخت من الحرير ليحملوه عليه فوق اكتافهم فجاءوا القصر وحملوه فوق ظهورهم ونزلوا المدينة والعالم تتقدم منه وتقبل يديه وتستمد رضاه وهو يبدي كل عظمة ويباركهم وهم يطيرون فرحاً من ذلك حتى وصل الديوان فقام الملك هارون اعتباراً له ودنا منه وقبل يديه الاثنتين وكذلك الامراء وفي الاخير تقدم بزرجمهر ليقبل يديه فاعطاه يده وضغط على كفه بالعلامة التي كانت بينهما فعرفه حق المعرفة وتأكده وكاد قلبه يطير فرحاً وبعد ان اظهر على نفسه انه قبل يده عاد فجلس وحينئذ وضع الخدم التخت في ناحية قريبة من الملك وجاؤوه بالشراب وهو يصلي ويتمتم ويلفظ بذكره تعالى . وفي تلك الساعة قال له هارون اعلم ايها الرجل التقي العظيم ان الملك كسرى ارسل الينا كتاباً مطولاً يستغيث بنا ويسألنا المسير اليه ليقاتل العرب وقد بعث الينا بالهدايا العظيمة الثمينة فأردت سؤالك واخذ رأيك فاذا امرتني بالمسير سرت الى المدائن وبددت جيوش العربان والا بقيت هنا وارجعت رسول كسرى . فقال السطيح اتعرف يا ولدي ماذا يعبد كسرى انوشروان . قال اعرف انه يعبد النار ذات الشرار . قال والعرب . قال يعبدون الله العزيز الجبار . قال كيف نقاتل عبدة الله ونساعد عبدة النار الا تعلم ان الله العزيز الجبار يغضب علينا ويجازينا بالهلاك والقلعان فلو كان العرب والعجم يعبدون الله لوجب علينا مصالحتهم على ان ما من امر يهمنا

من الاثنين فارجع رسول كسرى ولا تعاند العناية فتندم

قال اني لا اخاف لك امرًا ولكن اخجل من كسرى ومن وزيره الحاضر قال اما كسرى فاكتب اليه انك في هذا الوقت كثير الشغل لا يمكنك المسير اليه وبعد فراغك من الشغل تذهب بعساكرك. واما الوزير بزرجمهر فانه لايرغب في مسيرك وتبين لي من قلبه انه يعبد الله العزيز القهار فهو يوافق رايك ويتمنى عدم مسيرك اليس هكذا ايها الوزير . قال بلى اني احب الله ومن يحب الله وجب عليه محبة عباده الطائعين ومعاداة الكفرة المعاندين . قال هارون واما الهدايا ماذا افعل بها . قال اقسمها الى ثلاثة اقسام الاول للفقراء والثاني لك والثالث لبزرجمهر

فلما سمع هارون ذلك رآه عين الصواب فقسم الهدايا وكتب لكسرى بحسب قول عمر وودع الوزير فاخذ قسمه وسار في طريق المدائن واما عمر فانه رجع الى الصومعة وفي صباح اليوم الثاني قام التلاميذ فلم يجدوه فقالوا لا بد ان يكون قد طار في هذه الليلة وبعد مدة يعود الينا وهارون بانتظاره وكان عمر قبل الصباح اخذ ثيابه وتدلى من الصومعة بكل خفة وسار في الطريق التي ذهب فيها الوزير بزرجمهر حتى ادركه في وسطها فتقدم منه وقبل يديه فقبله بين عينيه وفرح به كثيرًا وقال له لقد احسنت العمل وفزت بالمطلوب فكيف قتلت السطيح فاعاد عليه القصة من الاول وقال له اني خوفاً من ان يعرف هارون بدسيستي قلت لتلاميذي اني ذاهب الى رومية وانا اطير في الفضاء فصدقوا ذلك وهم بانتظاري واذا سأل عني هارون يخبرونه بالامر فيتأكد اني في رومية ويبقى على انتظاري فضحك الوزير من عمله وقال له انت تعلم اني لا احتاج الى هدايا كسرى ولا يمكن ان ارجعها معي الى المدائن وكنت احب ان ارفضها ولكن ادركت غايتك فابقيتها عندي وحفظتها لك فهاكها . ثم وضع له نصيبه فشكره ورافقه اكثر الطريق وافترق عنه اخيرًا . وبقي الوزير سائرًا مدة ايام حتى دخل المدائن وجاء الديوان واخبر الملك كسرى واطلعه على امر هارون ودفع اليه كتابه فقال لا بد ان يأتي الينا لانه قبل الهدايا واقام على انتظار بختك مع تركي طاووس

حيث كان لم يعد بعد

فهذا ما كان من الوزير وكسرى واما ما كان من عمر العيار فانه جاء قبائل العرب ودخل صيوان اليون شاه وسلم على الجميع وجلس في مكانه وسأله السلطان عن هارون فاعاد عليه القصة من اولها الى اخرها والجميع يسمعون ويتعجبون وقد فرحوا بعدم اتيان هارون ثم ان الامير رستم سأله عنه وقال له هل ان هذا الرجل هو كما يقال عنه من الشجاعة حتى حسبتم له حساباً وماتركتموه ياتي لتراه وتحاربه . قال نعم انه بالحقيقة من الفرسان الصناديد وقد اختبرته بمعرفتي حق الاختبار فلو جاء الى حربكم لاتعبكم كثيراً وربما اذلك وجعل يزيد بمدح هارون حتى لعب الغضب برأس الامير حمزة فصاح بعمر وقال له كفاك تهذر وتشقشق في لسانك فمن هو هذا هارون واني اقسم بالله العظيم اني سأسير اليه وحدي واقاتله بلا سلاح فتعرف الناس اجمع انه ليس كما يقال فلما سمع عمر هذا الكلام حنق وحرد وخرج من الديوان متكدراً من اخيه منفعلاً من كلامه وجاء صيوان مهردكار فلما رأته على تلك الحالة ارتاعت وسألته عن السبب قال ان زوجك دخل باب الخرف وعدم التدبير ولم يعد يعتبر احداً فقد فعلت ماهو كذا وكذا فكان جزائي منه ان اهانني وشتمني امام السادات والاعيان مع اني وزير العرب وعليّ رتبة كبرى فجعلت تتلطف بخاطره وتقول له مافعل ذلك الا بقصد واذا حضر جعلته يعتذر اليك ويرضى عنك . وفي تلك الساعة جاء الامير حمزة فوجد عمراً في صيوانه وهو مقطب الوجه عابسه ولم يتحرك ولا وقف له بل اظهر عدم اعتبار واحترام فضحك الامير وعرف انه غضبان منه ومغتاظ عليه

وتقدم منه فكلمه فلم يرد عليه فتوسطت الامر مهردكار لتصلح بينهما فاظهر عدم الرضى فقال له الامير انت مذنب ومخطئ وبعد ذلك تشمخ وتتكدر قال وما هو ذنبي حتى استحقيت لاجله الاهانة والاحتقار امام الفرسان والسلطان قال لو حكيت لي عن هارون ووصف شجاعته بيني وبينك لما وبختك على ذلك ولكن مدحك له امام الفرسان ومبالغتك بشجاعته تضعف عزائمهم وتقلل من هممهم

فلا يحاربونه اذا جاء بشجاعة كالعـــادة لان كلامك له تأثير في العرب فيتخذونه صحيحاً وبعين الواقع فاذا الفرسان امتنعت عن القتال او رجعت او فترت همتها فماذا يا ترى افعل انا وحدي وانت . قال ان كان فرسانك يخافون من وصف فارس فلا خير فيهم ولا تفع على ان كلهم فرسان وابطال وما منهم من ينقطع قلبه من وصف العدو بل يفخرون بقتاله اذا كان فارساً شديداً وبطلاً صنديداً

وحينئذ الحت مهردكار على عمر ان يصالح الامير ويصفح له عن اهانته فامتنع تكراراً ثم انه اخيراً اجاب وتصالحا واقام عمر على حراسة القبيلة تلك الليلة وفي الصبـــاح خرج الامير الى الصيوان الاكبر ودخلت سادات العرب وجلسوا في مراتبهم واخذ كلٌّ مقامه وبعد ان انتهى اجتماع الجميع نهض الامير حمزة وقال اعلموا ايها السادات اني لعظم احتدامي اقسمت يميناً في الامس ان اذهب وحدي الى محاربة هارون واقاتله في بلاده وصار من الواجب عليَّ القيام بقسمي وخير لي ان اموت او ان اقتل من ان احنث بيميني والله الذي اقسمت به وحفظت شرف اسمه هو يساعدني عليه وعلى فرسانه . فقال الامير سعد اليوناني كلّا يا جداه اني قد هيأت نفسي ورجالي وحركتني والدتي الى المسير اليه وقتاله ولذلك اريد ان تسمح لي بذلك ولا تدع احداً يذهب غيري . فانتهره الامير وقال له لا تفتح هذا الكلام فيما بعد ولا يخطر بفكرك قط اني اسلم بك الى المهالك ولا تزال امك تدفع بك الى مثل هذه الاخطار حتى تصـــاب بواحدة منها فتعود عليك شرًّا ووبالاً ولا سيما اني اقسمت وما كنت لارجع بقسمي فليقصر كلٌّ على حده . فما في العرب من اعترض الامير او مانعه في ذلك بل سكتوا وهم يعلمون عنـاده ويعرفونه خصوصاً قد حلف بالله العظيم وافترقوا ذاك اليوم على هذه النية ورجع سعد اليوناني الى والدته واخبرها بما كان بينه وبين جده فقالت له استعد للسفر وقبل شروق الشمس اركب وسر الى بلاد البردع واكون انا معك ولا بد من ان تقتل هارون البطل المجنون وتنـــال الفخر والشرف العظيم الذي لم ينله سواك . فأصغى الى كلامها وامر الامير الغضبـــان ان يامر العساكر بالركوب قبل الصباح . ولما كان

الوقت المعين ركبت الفرسان والابطال من طائفة الاكراد وركب الامير سعد ووالدته طوربان وساروا على طريق مدينة البردع وما بعدوا الا القليل حتى شاهد عمر ذلك فاسرع الى الامير واخبره بمسير الامير سعد فركب مغتاظاً وسار اليه فادركه عن بعد فاوقفه وانتهره وامره ان يرجع فلم يقبل وقال له انك لا تزال تحط من قدري وتقلل من مقامي هل تظن اني لا اقدر على قتل هارون فسوف ترى الحقيقة وتعرف عظم شجاعتي على اني لا احب ان ابقى دائماً بين السادات جالساً على كرسي البلادة والكسل بل احب في كل يوم ان اكون في بلداقاتل وابارز الابطال المشهورة . فقالت طوربان قد ركبنا واعتمدنا في السفر ولا مطمع في رجوعنا واذا كان ابني لا يقدر على قتال هارون فخير له ان يموت فيقال انه مات في قتال مثل هكذا فارس افضل من ان يموت على سرير الراحة فعارضها الامير وتعب كثيراً دون الحصول على نتيجة واخيراً ترك سعداً يسافر وقال له عمر العيار دعه يذهب فاذا فاز كان خيراً واذا تأخر سرنا اليه وخلصناه واما انت فما من وسيلة الآن لذهابك وان كنت قد اقسمت بقتال هارون غير انك لم تعين لذلك وقتاً فيمكن ان يكون ذلك بعد مدة لان كسرى يجمع العساكر ولا بد بعد قليل من الايام ان يصل اليه تركي طاووس مع قبائل التتار فقال لقد اصبت ولا بد لي من الصبر مدة ايام ثم اسير في اثر سعد

فهذا ما كان من الامير واما ما كان من الامير سعد فانه سار بوالدته ورجاله الاكراد وكلهم خائفون من هذه السفرة ويتمنوا الرجوع واما الامير سعد ووالدته فانهما كانا يرغبان في ملاقاة هارون الى ان وصلوا الى بلاد البردع فاقاموا بعيدين عنها ورأى الامير سعد الرعيان ترعى البوش والاغنام خارج المدينة في براريها فقال لوالدته اني اريد ان اتعرض للرعيان فيصل الخبر الى هارون ويقع القتال بيني وبينه . قالت افعل ما تختار . فتقدم سعد واخذ واحداً من الاغنام وذبحه في الحال فاعترضه احد الرعاة وقال له الا تعلم ان هذا لهارون البطل المجنون الذي لا نظير له في هذا الزمان بالجود والكرم فلو ذهبت اليه وطلبت منه الف

راس من الغنم لاعطاك في الحال وزادك فوقها من البغال والجمال . فلم يجبه بل ضربه بالسيف فالقاه قتيلاً ورأى الرعيان ذلك فتسارعوا اليه بالعصي فقتل بعضهم وقتل منهم جملة وفرّ الباقون الى هارون وقالوا له ان فارساً اعترضنا ومعه اثنان اخران وفعل ما هو كذا وكذا . فغضب جدّاً وركب باربعين فارس من ابطال قومه وخرج ينتظر ما الخبر وتاكد ان عدوّاً يقصده الى تلك الناحية ولما وصل هارون صاح ويلكم انكم غرباء وتتجاسرون على الملوك العظام فلما قتلتم لي الرعيان لاجل راس الغنم فاذا دخلتم مكاني اكرمتكم واعطيتكم كل ما تطلبون فتشترون انفسكم ولا تلقون بها الى الهلاك

وكان فرسان الاكراد قد عادوا قبل بيوم ولم يبقَ منهم الا سيدهم الغضبان فقط فهجم على هارون وفي نيته ان يقتله فالتقاه هارون ولم يدعه يقتل العنان حتى ضربه بحسامه قطعه نصفين والقاه الى الارض قطعتين وحينئذٍ هجم الامير سعد وقد احترق قلبه على الغضبان وتكدر عليه كثيراً . واخذ الفارسان في الحرب والطعان والمصادمة والمهاجمة وداما في اشد نزال وطراد . كانهما من اشد الاساد . الى ما بعد نصف النهار وحينئذٍ ضرب هارون سعداً بسيفه فاصاب كتفه فجرحه جرحاً بليغاً ووقع الى الارض واراد ان يكمل عليه واذا بطوربان قد صاحت ورمت نفسها في الوسط فاراد ان يقاتلها فكشفت عن وجهها وقالت له عيب عليك ان تقاتل النساء . فلما رآها اطرق الى الارض وقال لها اني لم اتعدّ عليكم ايتها الامرأة فخذي رفيقك واذهبي . ولا تتعرضوا مرة ثانية لمثلي فتندموا ثم رجع عنها باحتقار وترك سعداً حياً واما طوربان فانها نزلت اليه فوجدت جرحه خفيفاً وغير مخطر فزقت من ثيابها وربطته وحملته على جواده ورجعت به ولم ترضَ ان تعود الى معسكر العرب بل قصدت جهة اخرى لتقيم هناك اياماً تعالجه وتضمد له جرحه الى ان يشفى تماماً ويعود كما كان

ولا بد ان نرجع الى حديثه في غير هذا الموضع ولنتركه مع والدته ونرجع بالحديث الى معسكر العرب فان الامير اخبر بان قبيلة الاكراد اخذت في الرجوع

عن الامير سعد وقال لعمر اني خائف كل الخوف عليه فاذهب واسأل عنه وانظر ماذا جرى به لان قومه قد تركوه وتخلوا عن مساعدته خوفاً من هارونُ . فاجاب طلبه ولبس ملابس الدروايش وسار وبايام قليلة وصل الى ضواحي المدينة فصادف الرعيان في الخارج فعرج اليهم عساه يقف على خبر منهم ولما وصل اليهم سلم وجلس بينهم . فقال له احدهم يظهر ان الغرباء في هذه الأيام كثيرون . قال وهل رأيتم قبلي غريباً . قال نعم رأينا ثلاثة غرباء لكنهم مجانين ارادوا ان يتعدوا علينا فلاقوا كيدهم واخبره بما كان من امر سعد ووالدته والغضبان . فقال لهم ومن الذي قتل هل تعرفون اسمه قالوا كلّا بل هو تحت الشجرة واما الذي بقي حياً فاخذ المجروح وسار ولم يرضَ سيدنا ان يمنعه بل عفا عنه . فصبر عمر وهو يفتكر الى ان ذهب الرعيان الى غير جهة فبقي هو في مكانه ولما بعدوا جاء الى تحت الشجرة ورأى جثة الغضبان وقد كادت تبلى والروائح الكريهة تبعث منها فادخلها التراب وعاد الى الامير حمزة واطلعه على واقعة الحال واخبره بموت الغضبان وجرح سعد فتكدر جداً وشاع الخبر بذلك فحزن الجميع على الغضبان وتكدروا من جرح سعد وفي ذاك الوقت قال حمزة اني لا ارى بدًا من القيام بقسمي واريد منكم ان تثبتوا في القتال اذا قاتل كسرى قبل ان اعود اليكم ثم قال لعمر هلمَّ بنا لنسير الى مدينة البردع . فاعترضه الفرسان وقالوا اذا كان عمر يسير لا احد منا يبقى في هذا المكان فخذ معك غيره قال كلّا فاني اريد منه فقط ان يدلني على الطريق وبعد ان اصل الى المدينة ارجعه اليكم ولا ابقيه ساعة لاني اعرف جيداً انكم في غيابي تحتاجون اليه واما انا فلا اغيب كثيراً لاني سأطلب براز هارون منفرداً به فاما ان يفوز هو واما افوز انا والنصر بيده تعالى ثم ان الامير ركب وسار بين يديه عمر العيار حتى وصلا الى ضواحي المدينة وهناك قال عمر لاخيه هذا المكان الذي حارب به هارون سعداً وهناك قبر الغضبان . قال حيث الامر كذلك فارجع من حيث اتيت وابقَ بين العرب فاذا طال غيابي عد واسأل عني واذا قتلت فاترك الامير رستم ان يأخذ لي بالثار ولكن ان شاء الله سأتبعك

عن قريب فاخدم انت العرب بامانة وحافظ عليهم في غيابي . فودعه عمر وسار الى معسكر العرب وبقي الامير الى ان رأى الرعيان وقد خرجوا من المدينة يسوقون الخرفان ففعل كسعد وتقدم من واحد من الغنم فاخذه وذبحه فصاح به احدهم وهجم عليه بعصاه وقال له ما لنا نرى الغرباء في هــذه الايام كثيرة فز بنفسك واترك الشاة والا هلكت لا محالة واصابك ما اصاب غيرك فضربه بيده القاه الى الارض وقال له انهض واذهب الى سيدك واخبره اني بانتظاره وقد جئت لآخذ بثار الذي قتله فنهض الراعي وسار مع جماعته الرعيان حتى وصلوا امام هارون فقالوا له اعلم ايها السيد العظيم والفارس الكريم اننا عند ما خرجنا من المدينة رأينا فارساً عظيماً وبطلاً جسيماً يظهر انه من الابطال الاشداء وتحته جواد لم ترَ عين ولا سمعت اذن بمثله وعليه من الذهب والجواهر ما لا يوجد عند الملوك الكبار اصحاب الاقاليم والامصار وقد قال لنا ما هو كذا وكذا وانه بانتظارك خارج المدينة ليأخذ بثار الفارس الذي قتلته منذ ايام

فلما سمع هارون ذلك نهض في الحال الى جواده فركبه وتعدد بعدده وخرج فرأى حمزة بانتظاره فاراد ان يهجم عليه فقال له يجب عليك قبل ان تبارزني ان تعرف من انا قال من انت قال انا الامير حمزة البهلوان فارس برية الحجاز ومذل الجبابرة ولا بد ان يكون قد وصلك خبري قال كيف لا وانا اتمنى من زمان ان اجرب نفسي معك وكنت اود ان اسير الى حربك لو لم يمنعني السطيح والان فقد ساقك اليَّ القدر . قال اذن اصبر فاني اقسمت ان احاربك بلا سلاح فهــا قد القيت السيف والرمح عني ثم علقهما بالجواد ونزع ما عليه من العدد وسار الى شجرة فقطع منها عمداً ضخم الساق جافاً وعاد الى خصمه وهجم عليه واخذ في القتال والنزال ونزول بحر الهلاك والوبال . وكانا بالحقيقة من فرسان ذلك الزمان العظام . الذين لم تأتِ بمثلهما الايام . فكانا اذا صاحا مالت لصياحهما الجبال . ونفرت منهما اسود الدحال . وصمت اذانها ووقع بهــا الخبال . وهما في محاولة ومراوغة ومجاولة وممانعة وقد رأى كل واحد من خصمه انه فارس صنديد وبطل

مجيد . فابدى كل شجاعته واظهر جميع براعته الى ان صدر من الاثنين ضربتان فاصلتان وقعا عليهما بوقت واحد فاصاب سيف هارون رأس الامير فجرحه جرحاً عظيماً ووقعت ضربة حمزة على رأس هارون ففرقت به الخوذة وانجرح منها جرحاً بليغاً وغاب عن صوابه وتعلق برأس جواده فعاد به مسرعاً الى المدينة وتلقاه قومه واخذوا يعالجونه وهو على تلك الحالة مأيوساً غائباً عن صوابه وهم يقطعون الرجاء منه وينوحون عليه . وكذلك الامير حمزة فانه تعلق في رقبة اليقظان فطار به وهو يحفظه على ظهره في جهة مفقودة ولما كان الله لا يريد ان يميته في هذه الايام قدر له مرور اسما بري من تلك الناحية فرأته على تلك الحالة فانحطت عليه وخطفته الى الجو الاعلي وسارت به مسرعة وباقل من القليل وصلت الى جبال قاف ووضعته في فراش واحضرت له الاطباء والكهان فقالوا لا رجاء بحياته ولا نعرف له علاجاً يضمد جرحاً بليغاً نظير هذا فان رأسه مقسومة الى قسمين وما به من رمق الحياة يقل فلا يقيم اكثر من يوم او يومين حتى يصفي دمه وتفقد قواه وينحل جسمه فبكت بنته قريشة وقالت يا اماه اذهبي الى الكهين الاكبر واسأليه في علاجه عساه يهديك الى ذلك فذهبت اليه وجاءت به باقل من ساعة فرآه وقال ان لا علاج له الا الذي اقوله لك فان الضربة مميتة . قالت وما هو اخبرني به فاني احضره في الحال قال اعلمي ان الملك سليمان جرح ذات مرة واعيي جرحه الاطباء وكان عنده طبيب ماهر وكاهن عظيم فصنع له علاجه شفي منه في الحال وهو منسوج سميك فوضع عليه هذا العلاج ووضع المنسوج على الجرح فشفي في الحال فاخذ المنسوج وابقاه عنده لانه يشفي ثلاثة فقط فشفي منه الملك سليمان ولا يزال ينفع الى اثنين وهذا في كنز الكهين المعروف بكنز مهروار . قالت اني دخلت ذلك الكنز مراراً ورأيت هذا المنسوج على جثة مهروار . ثم انهـا انخطفت في الحال ودخلت الى الكنز وجاءت بالمنسوج ولفت به الجرح وجعلت تسكب له مرق اللحم في فمه ففي مدة ثلاثة ايام شفي وعاد الى وعيه ونظر الى ما حوله فرأى اسما بري وقريشة فسألها عن حاله فاخبرته بكل ما كان من امره وكيف انه كان

بحالة الموت فشفته . فشكر الله على ذلك وشكرها وقال لها اريد منك ان ترسلي كندك المارد الى بلاد البردع ويأخذ هذا المنسوج حيث لا يزال يشفي واحداً ويعالج به اخي البطل المجنون لاني جرحته جرحاً بليغاً واخاف ان يموت منه . فقالت له حباً وكرامة لانك رجل كريم الاخلاق تحب عدوك ولا بد من اتمام امرك ثم امرت كندك المارد ان يأخذ المنسوج ويسير الى بلاد البردع ويظهر نفسه كانه طبيب ويعالجه الى ان يشفى من جرحه

فذهب كندك المارد الى بلاد البردع وجعل يدور في الاسواق وهو بصفة طبيب ينادي في الاسواق حتى قرب من قصر هارون فوجد الناس في ازدحام هناك واكثرهم يبكي وينوح فسأل ما الخبر فقالوا له ان الملك جرح جرحاً بليغاً في رأسه وقد صرف الاطباء جهدهم في علاجه فلم ينجع فيه حتى اشرف على الموت وربما في هـــذه الساعة او التي بعدها يموت . فقال انا اتكفل لكم بعلاجه وانه يقوم من فراشه في مدة ثلاثة ايام فادخلوه عليه وهم لا يصدقون ذلك غير ان اليأس وقطع الرجاء حملهم ان يجربوا علاجه فلما دخل كندك وجد ان الخوذة غارقة في الراس وما من واحد قدر ان يخرجها بدون ان تخرج معها الراس وهو يتألم ويتوجع مفارقاً الحياة فوضع الخوذة بين اصبعيه وفركها فانكسرت من فوق ثم كسرها من جهة ثانية وثالثة ورفعها عن رأسه والراس باق على حاله . ثم وضع المنسوج على رأسه وامر ان يسقى بمرق اللحم ففعلوا وقد رأوا فيه النجاح وفرحوا كثيراً به وفعلوا كما امرهم واقام عند هارون مدة ثلاثة ايام حتى شفي ورجع الى عادتـــه وسأل عن سبب شفائه فحكوا له كل ما كان من امره وكيف انه اشرف على الموت حتى قطعوا الرجاء منه وصار يعد من الاموات فجاء هذا الطبيب الغريب وشفاه واعاد اليــه حياته فسر منه كثيراً وقال له اني اعطيك كل ما تطلب بشرط انك كما شفيتني تذهب الى بين العرب فان اخي الامير حمزة البهلوان جرح وربما كان باق بقيد الحياة فيشفيه وهو يغنيك وكان الامير حمزة قد اوصاه ان لا يخبره بانه هو الذي ارسله اليه . فقال له اني اذهب حسب امرك ثم ا

هارون ان ينعم عليه ويكافيه فامتنع وغاب عنهم ورجع الى الامير حمزة واخبره بما فعل وانه وجد هارون حياً ولو تأخر ساعة لكان مات وشرب كاس الافات فطلب الامير منه ان يأخذه الى مدينة البردع الى هارون البطل المجنون . فقالت له اسما بري كيف تذهب الان ولا تقيم عندي ولو على الاقل خمسة عشر يوماً فاجاب الامير طلبها واقام عندها كما طلبت

فهذا ما كان من الامير واما ما كان من العرب فانهم بقوا في مكانهم وقد تكاثرت عليهم اخبار تركي طاووس وهم بكدر من جهة الامير لا يعرفون ماذا جرى عليه ولا ما اصابه ويخافون من ان يقع عليهم امر في غيابه ولما طال امر الامير دعا السلطان بالامير عمر العيار وقال له اذهب اكشف لنا خبر الامير لان افكار العرب مشغلة عليه جداً ويخافون ان يأتي تركي طاووس قبل رجوعه . قال اني كنت مزمع على المسير وسأسير من هذه الساعة . ثم أنه خرج من حضرة السلطان وسار يقصد بلاد البردع الى ان وصلها فوجد الرعيان في مكانهم ولما رأوه عرفوه لانه كان لابس ثياب الدراويش فسلم عليهم وسلموا عليه وقالوا عند ما حلت قدماك هذه المدينة كدت تخربها . قال لاي شيء وما السبب بذلك قالت انه بعد ان فارقناك بايام اتى بلادنا الامير حمزة المشهور وجرى بينه وبين سيدنا حرب عظيمة فانشق رأسه وهرب وكذلك سيدنا انشق رأسه ووقع باليأس وقرب من الموت فشفاه طبيب غريب والحمد لله صار من السالمين قال اما عرفتم ماذا صار بالامير حمزة قالوا كلّا وجل ما نعرفه انه فرّ به الجواد حتى غاب عنا . فتكدر عمر من هذا الخبر وخاف ان يكون قد لحق باخيه سوء او ربما مات وما من مغيث يغيثه في تلك الارض وانطلق في ذاك البر يفتش على الامير في البراري القفرة لانه لم يرَه في الطرقات وفيما هو على مثل ذلك رأى اليقظان جائلاً في تلك البراري وهو يرعى من عشب الارض فتقدم منه فنفر فصاح به فعرف صوته وتقدم منه وجعل يقبله والجواد يلحس له يديه ووجهه ويشمه . وعمر يبكي لانه لا يعرف شيئاً عن اخيه وقد ظن انه مات وشرب كاس الافات . فقال للجواد اني اقسم بالله

ان كان فارسك قد مات اهلكت جميع الذين في المدينة من كبيرهم الى صغيرهم .
ثم كرَّ راجعاً وقلبه منفطر وندم غاية الندم على مطاوعة اخيه وتركه وحده ولما وصل الى المدينة صاح بالرعيان قال لهم ويلكم اذهبوا الى سيدكم هارون وقولوا له ان يخرج الى قتالي فانا عمر العيار اخو الامير حمزة البهلوان جئت لآخذ له منك بالثار فقالوا له اذهب لحالك قبل ان يلحق بك البوار فسحب خنجره وضرب به الاول والثاني والثالث فقتلهم فهرب الباقون واخبروا هارون بفعله فخرج اليه ومعه نحو اربعين فارس ولما رأوه وهو على الارض سخروا به وقال له هارون ماذا جرى على الامير حمزة اخبرني هل مات فلم يجبه بكلمة بل رمى جواده بنبلة فاصابه ووقع الى الارض فهجم عليه فانخذف فرسانه ليحمونه فتأخر الى الوراء وجعل يرميهم بالنبال وكلما طلبوه طار بين يديهم ثم يعود فيرميهم بالنبال والحجارة حتى هشمهم واعمى ابصارهم وامات منهم فهرب الباقون وامامهم هارون وهم يقولون ما هذا بانسان وما هو الا شيطان مريد لم نرَ ولا سمعنا بمثله فتأثرهم الى ان دخلوا الابواب واقفلوها في وجهه فقال هذا لا يحميكم مني ولا بد من ان اشتت شملكم واحرمكم النوم والراحة . وذهب الى اكمة عالية وجمع كومة من الحجارة واخذ المقلاع في يده وجعل يرمي به الحجارة فتقع في اسواق المدينة فتصيب الرجال والاولاد فيموتون منها او يتهشمون وهم يتعوذون بالشيطان وساروا الى هارون واخبروه بذلك . فقال لا اعرف من اين جاءتنا هـذه البلية فهي لا تدفع ولا ترد واذا خرجنا اليه رمانا بالنبال وركضَ امامنا فلا ندركه لانه اشد من الخيل جرياً

وبقي الامير عمر على حاله طول ذاك النهار حتى كلَّ واهل المدينـة مقفلون ابوابها ولا واحد منها يخرج الى الخارج واكثرهم اقاموا داخل بيوتهم وما منهم الا من ابصر عمراً في نومه تلك الليلة وفي اليوم الثاني نظروا عن بعد فرأوا عمراً في محله جالساً فلم يتحركوا الى الخارج ورأي عمر ان لا سبيل الى البقاء هناك فاخذ قصبة واوقفها في المكان الذي كان فيه والبسها ثوباً من اثوابه ووضع على اعلاها

عمامة حتى من رآها عن بعد ظن انها عمر وسار من هناك واهل المدينة يرون القصبة واقفة في مكانها عن بعد فيقولون لهارون اننا نتعجب من هذا الرجل فهو واقف في مكان واحد لا يتحرك لا ذهاباً ولا اياباً . فيقول لهم لا ريب ان هـذا من نسل ابليس . وبقي الامير عمر في مسيره حتى وصل معسكر العرب ودخل صيوان اليون شاه واخبر السلطان قباط وسادات العرب بما كان وما رأى فتعجب الجميع من ذلك وحزنوا الحزن الزائد على فقدان الامير وما منهم الا من ظن انه مات وشرب كاس المنون . فقال لهم السلطان اني اتأكد انه حيّ لانه جرح ولا بد ان يكون احد السكان اخذه ليداويه او ان امرًا آخر نجهله نقله من تلك الناحية ولا بد ان تظهر لنا الحقيقة بعد فراغنا من حرب كسرى الذي يجمع الفرسان الان ويحشد الجيوش فاكتموا هذا الامر ولا احد منكم يفوه به خوفاً من ان يعرف كسرى به ويظن ان فارسنا قد مات فيشمت بنا ويزيد طمعه برجالنا ويتأمل تفريقنا على اننا لو بقي الامير غائباً عنا عدة سنين لما رجعنا الى الوراء بل زدنا على التوالي نجاحاً وتقدماً فاجابوه وما منهم من فاه بكلمة من ذلك واخذوا يستعدون لمحاربة الاعجام

وبعد ان انتهى الاسبوعان على الامير حمزة في جبال قاف عند اسما بري قال لها ارفعيني وضعيني امام مدينة البردع لان العرب بضيق عظيم . فقالت له اني اعرف ذلك ولهذا السبب اسير بك الى تلك المدينة ثم اخذته على عاتقها وطارت به في الجو الاعلى حتى نزلت به امام مدينـــة البردع فتركته هناك وارادت ان تودعه وترجع الى بلادها فقال لها اذهبي اولاً وفتشي لي على اليقظان لاركبه لاني لا اقدر على مفارقته فاجابته الى ذلك وفتشت عليه في تلك الجهات فلم ترَه فسارت الى المعسكر فرأته هناك في الاصطبل لان عمرًا اخذه معه كما تقدم فانتشلته وطارت به وسلمته الى الامير وودعته وسارت

وكان خادم الاصطبل واقفاً غير منتبه فرأى الجواد طائرًا على تلك الحالة فطار فؤاده خوفاً واندهاشاً واسرع الى السلطان قباط واخبره بما رأى وكان الوزير

عمر حاضراً فقال لا ريب ان حمزة بقيد الحياة لان الذي اخذ الجواد هي اسما بري وهو عندها لا محالة ففرحوا بذلك وترجح عندهم ان الامير حياً . وبعد ان ركب الامير على اليقظان تقدم من ابواب المدينة فرآها مقفلة والناس لا تخرج ولا تدخل فتعجب من ذلك وقال لا بد من سبب وربما كان السبب موت هارون . ثم تقدم من احد الابواب وطرقها فاجابه البواب من الداخل وسأله عن حاجته فقال له هل سيدك هارون لا يزال بقيد الحياة قال نعم وهو في قصره . فقال له امض وقل له ان حمزة العرب قد صار سالماً واني بانتظاره في هذه الناحية فليخرج اليَّ في الحال فسار البواب الى هارون واعرض عليه ما سمعه من حمزة فقال لا بد لي من الخروج اليه واني كنت بانتظار ذلك لكن اذهب وقل له ان يرفع شيطانه عنا ويدفع بلاه وشره عن المدينة فاذا فعل ذلك خرجت اليه في الحال . فعاد البواب واخبر الامير بذلك فنظر حمزة الى اعلى القمة فوجد عمراً واقفاً هناك فتقدم قليلاً وصاح به ان ينزل اليه واشار بيده فما رد عليه ولا اجابه باقل حركة فتعجب من ذلك وسار الى ان وصل منه ونظر اليه فرأى القصبة على تلك الحالة فضحك حتى استلقى على قفاه ورمى القصبة الى الارض وعاد وهو مندهش من عمل اخيه وقال في نفسه مثله فلتكن الرجال والا فلا فانه وحده ارعب سكان هـذه المدينة واخافهم حتى اقفلوا الابواب منه ووضع لهم قصبة فاخافتهم اياماً . ولما وصل الى المدينة صاح بالبواب وقال ويلكم اتخافون من قصبة فان ما انتم في رعب منه هو قصبة تلبس ثياب عمر العيار . فاذهب الى سيدك وقل له يخرج فقد زال سبب الخوف ولا تدعه يتأخر ولا ساعة . فجاء البواب الى مولاه واخبره بما كان وما سمع من الامير حمزة فركب وخرج اليه في الحال ولما التقى به قال له دع عنك القتال يا حمزة العرب ودعنا نتصافى ونتصادق . قال لا بد لي من ان اعود الى حربك وانال مرادي منك ولا اكون ذليلاً بحيث جرحتني . قال الحق عليَّ لاني ارسلت اليك الطبيب ليداويك خيفة على حياتك لاني احب الابطال الاشداء الذين نظيرك . فقال له لا تظن انك عملت معروفاً فان الذي شفاك لم يكن

طبيباً بل هو مارد من الجان وانا الذي بعثته اليك وبعثت معه العلاج على امل ان نلتقي في ساحة القتال مرة ثانية . فتأكد هارون ان الامير قد ارسل اليه العلاج مع ذاك الطبيب . ولذلك قال له مرحباً بك فاني اقاتلك الى ان تريد العود عن القتال . وكان حمزة قد اخذ في يده عمداً كالاول فانحط على هارون فالتقاه بقلب لا يخاف ملاقاة المنون . ودخلا من اصعب ابواب القتال وسلكا طريق الهلاك والوبال . ورميا بنفسيهما في حجر الاهوال . وقد زئرا كما تزأر اسود الدحال . وهمهما كما تهمهم صناديد الابطال . وهما في تقلب وانقلاب . واتعاب واوصاب والخيل من تحتهما في قلق . وقد سال منها ميازيب من العرق . وفي كل ساعة الحرب تشتد وتزبد ونيرانها تضطرب من جري ذاك الوقيد . الى ان صارت الساعة التاسعة من النهار وحينئذٍ ضرب هارون الامير حمزة ضربة ظن انها القاضية فمال عنها وذهبت خائبة وحينئذٍ مد اليه يده باسرع من لمح البصر وقبض على صدره فخذف هارون من يده السلاح وقبض على اطواق الامير واخذا يتنازعان بالايادي وكل واحد منهما يحاول ان يقتلع خصمه ويلقي به الى الارض وبقيا على مثل هذا الصراع اكثر من ساعة . حتى لحق بايديهما الكلل، وكانا من اشد ابطال ذاك الزمان غير ان جواد الامير كان اشد قوى من جواد هارون وفي الاخير ضغط الامير على خصمه وضغط خصمه عليه فكبا جواد هارون من تحته وضعفت رجلاه من شدة حيل الامير وبقي اليقظان واقفاً على قوائمه لا يتزعزع ولا يتحرك واذ ذاك وقع هارون الى الارض ورأى نفسه مغلوباً وذليلاً بين يدي خصمه وكان قد احبه ومال اليه كثيراً . فصاح به وقال له ارفع عني شرك واتخذني صديقاً فتراني انفعك عند الضيقات واقاتل بين يديك في الشدات فمثلك يخدم ويفدى بالارواح . فرجع عنه الامير حمزة وقال له اني قبلتك لي صديقاً واخاً ورفيقاً . وقد مال اليك قلبي لما رأيت انك من افراد فرسان هذا الزمان

ثم ان الامير نزل عن جواده واحتضنه وقبل كل منهما الاخر واصطحبا وصارا منذ تلك الساعة صديقين واقسما لبعضهما الاقسام الصادقة ان لا يخون

احدهما بالاخر . ومن ثم دخلا المدينة فلاقتهما الاهالي بالزين والغناء والافراح ودخلوا القصر وتقدم لهما الشراب فشربا والطعام فأكلا وتمكنت بينهما المودة وسأل الامير عن سبب قفل ابواب المدينة فاعادها عليه وحكى له عن اعمال عمر العيار فضحك الامير واخبره انه سار عنهم وان الذي كان على قمة الجبل هي قصبة فقال لله دره فانه اشد الناس باساً وتحيلاً . ثم ان الامير حمزة حكى له عن فعله بالسطيح وكيف انه قتله واقام معه مقامه الى ان سأله عن الحرب فامره بالامتناع فزاد عجب هارون وقال له ان تلاميذ السطيح بانتظاره لانه طار الى رومية . ثم ارسل وراء التلاميذ وقال لهم ان استاذكم قد قتل وشرب كاس المهالك والذي قتله عمر العيار شيطان العرب وهو الذي اخبركم انه سيعود اليكم ويعلمكم الطيران فليذهب كل واحد منكم الى حاله . وبعد ذلك قال هارون لحمزة اصبر عليّ اياماً لاجمع عساكري واسير معك الى بلاد الاعجام فاقاتل بين يديك الاعداء واكون من جملة الفرسان والابطال فقال له عجل بذلك فلا بد من المسير الى قومي لانظر ماذا جرى عليهم وهل ان كسرى جمع العساكر وخرج لحربهم او لا يزال داخل البلد فاخذ هارون في جمع العساكر واعداد العدد وتهيئة المؤن

فهذا ما كان من الامير وهارون واما ما كان من العرب وكسرى انوشروان فانه عندما ازدحمت عساكر الاعجام في تلك الجهات فتحت ابواب المدينة وصارت الاهالي تدخل وتخرج وكان قد وصل رسالة من بختك يقول له فيها انه آت اليه ومعه تركي طاووس والعساكر التتارية . هذا والعرب في قلق داخلي يحبون الحمل على الاعجام وينتظرون مجيء الامير فلما رأوا الابواب قد فتحت قالوا لا بد من وصول فارس جديد لبلاد كسرى وكانوا منذ توارد العساكر قد عادوا عن ابواب المدينة ونصبوا خيامهم في جانب خوفاً من ان يبقوا في الوسط وفي تلك الاثناء قال السلطان قباط لعمر العيار حيث قد ترجح ان الجواد اخذ لابي فاذهب واكشف لنا خبره . قال لا بد من ذلك فسار في الحال باسرع من ريح الشمال وبايام

قليلة وصل الى بلاد البردع فرأى الابواب مفتوحة فقال لا بد من امر جديد فان الاهالي بفرح زائد فتقدم من الابواب فقال له البواب وكان قد عرفه ان حمزة حي يا عمر فلا تفعل شيئاً وقد صار صديق ملكنا وهو في ضيافته فسقط الهم عن قلبه ودخل الى ان وصل الى ديوان هارون فرأى اخاه جالساً هناك فتقدم منه وسلم عليه وشكر الله على سلامته ونظر الى هارون ولم يكلمه فعرف الامير انه غضبان عليه . فقال لهارون هذا فخر العرب وعلة نجاحهم واريد ان اصلح بينكما لانه على ما يظهر انه غضبان كل الغضب . فقال عمر اني لا اصالحه بلا ترضية قال هارون ماذا يريد ان اعطيه فاعطيه ولو ملكي مكافأة على ما فعله معنا من الرعب وقد اقفل المدينة عدة ايام بقصبة . فضحك الامير وقال ان لعمر جماعة من العيارين فيجمع الاموال وينثرها عليهم ليكون بذلك كريماً فلا يبقي منها ولا بارة . فامر هارون ان يعطي خمسة الاف ذهب فصالحه واكل عنده الطعام واقام نحو نصف يوم واراد الذهاب فقال له حمزة لا تذهب الان فاننا قريباً نذهب باجمعنا فتكون معنا . ثم سأله عن العرب فاخبره انهم بخير وان الحرب لا تلبث ان تقع بينهم وبين الاعجام لان اخبار تركي طاووس قد وصلت بانه قريباً يكون في المدائن . قال ما من بأس على فرساني فاذا غبت عنهم سنة او خمس سنوات او عشر فيقدرون على الثبات ودفع العدو . فاقام عمر عند هارون مع الامير حمزة والفرسان تتجمع من كل ناحية من بلاد البردع ونواحيها ومدنها

وكان العرب بعد ذهاب عيارهم بثلاثة ايام رأوا تركي طاووس قد دخل المدينة بعساكره وقومه فتأكدوا ان الامر خطير وكان تركي طاووس قد وصل ودخل مع بختك على كسرى وسلم عليه وحياه تحية الاصحاب فتلقاه كسرى بالترحيب والاكرام على حسب عادته وقد نظر اليه وامعن فيه فراه بهيئة غريبة فان وجهه منقط كالحية ولون عينيه اصفر لامع وهو قصير القامة عريضها يعادل طوله بعرضه كانه كرة مستديرة . وبعد ان امعن فيه قال كيف هذا يقدر على محاربة فرسان العرب وفيهم كل واحد كالجبل الراسي . فقال اعلم يا سيدي ان هذا الرجل من

عجائب الزمان وعنده آلة حرب يقتل بها من يبارزه واني اكفل لك النجاح وسوف ترى عند وقوع الحرب صدق قولي وليس هذه المرة كغيرها من المرات فاني كافل هذا الامر ولكن كنت اظن اني ارى هارون عندك يا سيدي وها ارى بزرجمهر وحده ولم يكن ذاك معه . قال انه اعتذر الينا في الحال وقال انه لا يمضي الا القليل حتى يأتي . فقال اذا جاء او لم يجيء فالنجاح لا بد منه لكن اذا اجتمع هذان الفارسان كان الفوز قريباً جداً ولما انصرف الديوان تبع بختك كسرى الى قصره وقال اعلم يا سيدي ان مع تركي طاووس حراب يضعها في جعبة يعلقها على ظهر الجواد ويضع كعب الحراب عند رفاص معلق بركاب الجواد وعندما يكون بالقتال مع فارس ورأى امره قد طال معه شد برجله على الركاب فانطلق الرفاص بقوة ودفعة واحدة من الحراب الى صدر العدو الذي في وجهه فتخرقه في الحال لانها تكون مصوبة اليه فيقع مائتاً وهو لا يشعر بذلك وسوف ترى في الغد فامر عند الصباح ان تخرج العساكر باجمعها الى قتال العرب . فاجاب الى ذلك وقد فرح مزيد الفرح بما سمع وقال ان تم ذلك جعلت هذا الفارس بهلوان تحت فارس واقمته في صدر ديواني على الدوام وانعمت عليه كل الانعام . وامر ان تخرج العساكر في الصباح

وعرف العرب ان الحرب في الصباح لا بد منها فجمع السلطان قباط رجاله وفرسانه وقال لهم اريد منكم ان تظهروا كل شجاعة وبسالة فلا تتأخروا وقاتلوا قتال الابطال لانه وان يكن ابي غائب فاننا لا نحتاج اليه فلا تطمعوا بنا الاعداء فقالوا سوف ترى منا ما يسرك وسيكون في مقدمة رجالنا اخوتك رستم وعمر اليوناني وسعد الطوقي وانت تعرف اننا لا نرجع الى الوراء ما لم تذهب ارواحنا وتداس جثثنا . وفي الصباح ركب كسرى وخرج بقومه وضربت طبول الحرب والكفاح فاجاب العرب بمثلها وتقدموا الى الساحة وقبل ان يتم انتظام الطرفين صاح رستم فرتم وانقض على عساكر الاعجام كانه الليث الضرغام واخذ في ان يخترق الجيوش ويعددها على بساط الوهاد وفعل مثله عمر اليوناني

وسعد الطوقي ابناء الاجواد وحمل اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وفرهود صاحب التكرور وعمر الاندلسي والملك النجاشي سلطان الحبشة وقاهر الخيل وبشير ومباشر وحمل ايضاً معقل البهلوان واصفران الدربندي والامير عقيل وجماعته الثلاثمائة فارس نبيل الذين تربوا وولدوا مع الامير حمزة البهلوان وحمل ايضاً تركي طاووس وكل فرسان الاعجام وظن القوم ان يوم الحشر قد قام. لكثر ما وقع من الاشتباك والازدحام. هذا وقد راج سوق الحرب والخصام. وانفتحت ابواب الجحيم فبعثت على المتقاتلين نيران عظيمة الاضطرام. فاحرقتهم من الوراء ومن الامام. واحتجبت الشمس عن الارض ونشر من الغبار رواق كثيف اشبه بالغمام. فكم من فارس قتل وكم من بطل جرح وكم من جواد سقط من التعب الى الارض ووقع من فوقه فارسه متعتعاً. وما جاء ظلام ذاك اليوم حتى امتلأت جنبات ذاك المكان من جثث القتلى والجرحى وكان اكثرهم من الاعجام وقد فاز العرب فوزاً عظيماً وعادوا في المساء مسرورين فرحين واجتمعوا الى بعضهم وهنأوا ذواتهم بالسلامة وقال الامير رستم اذا دام الامر سبعة ايام على مثل هذا اليوم افنينا العجم عن اخرهم وما ابقينا منهم من يقدر على حمل السلاح وفي اليوم الثاني حملوا على الاعجام وقامت الحرب شديدة اكثر من اليوم الاول الى المساء فعادوا كاسبين غانمين ومثل ذلك جرى في اليوم الثالث حتى ضجر العجم وخاف كسرى على فرسانه ورجاله وقال لبختك ما هذا الحال واين الذي وعدت به فاذا كان تركي طاووس لا يقدر على البراز والثبات في وجه العرب دعنا ندخل المدينة ونقفل ابوابها فاننا في فناء قريب والقتال على مثل هذا الحال يفنينا عن اخرنا ولا يبقى منا احداً. قال بختك اني خابرت بذلك تركي طاووس ولا بد من البراز في الغد ولكني متعجب من شيء واحد وهو اني في هذه الايام الثلاثة التي حاربنا بها ما سمعنا صوت الامير حمزة ولا رأيناه يقاتل ولا اعلم سبباً لذلك وربما كان قد مات وشرب كاس الافات قال لقد صدقت في ذلك وانا ايضاً ما رأيته يقاتل ولا سمعت صوته مع انه كان يفتك بالجيوش فيبددها وعلى الدوام في اي مكان

كان ترى الضجة والجلبة قائمة من تنافر الفرسان الهاربين وصياح الالم من المجروحين او المقتولين ولا ريب ان العرب تكتم امره وتخفي عنا خبره وتقاتل تحت اعلامه وعليه فدع في الغد تركي طاووس ان يبرز الى ساحة الميدان فلا بد ان يبرز اليه اذا كان حياً

قال وبات العجم على تلك الحالة وفي نيتهم ان يبرز تركي طاووس في الصباح واما العرب فكانوا في فرح زائد من عظيم النصر الذي لاقوه في هذه الايام وفي كل نيتهم انهم ينهون امر القتال ويكسرون الاعداء قبل ان يأتي اميرهم وفي الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح وخرج العسكران من الخيام واستعدوا لقتال ذاك النهار وجعل كل واحد يودع رفيقه وما انقضت ساعة من الزمان الا واصطف الصفان وترتب الفريقان وعزم العرب على الحمل والهجوم واذا بتركي طاووس قد توسط الميدان وهو كانه من عفاريت السيد سليمان وصال وجال حتى حير الافكار واشغل الالباب وهو غاطس ببحر الحديد لا يبان منه حدق عينيه . ثم وقف في الوسط واشار الى فرسان العرب ان تبرز اليـه وفي الحال سقط اليه الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان وصاح به وهجم عليه . وقد قوم كل منهما السنان واجهد نفسه بالحرب والطعان وانقض على خصمه انقضاض العقبان . ونظرت اليهما الفرسان بالعيان . وانتظرت منهما ما يكون من نتيجة هذا النزال . وتمنوا الانجاز وسرعة الحال . هـذا وهما في اشد حرب . واعظم كرب . وما برحا على مثل هذا الشان . الى نحو ثلاث ساعات من الزمان . وكان قد تضايق تركي طاووس وعرف ان الامير عمر فارس عظيم وبطل جسيم وانه لا يقدر على قتله الا بالحيلة واذا ذاك صاح به وهجم عليه واطاق رمحه اليه فتدارى الامير من الضربة وهو لا يعلم ما تخبي له في صدر الزمان وفي تلك الساعة كان تركي طاووس قد مكن رجله من الركاب وشد عليه وفي الحـال اندفع الرفاص بقوة عظيمة ووقع على كعب حربة من الجعبة المعلقة في جنب الجواد فانطلقت كانها السهم الطيار واصابت صدر الامير حيث كانت مصوبة اليه فنفذت

فيه بينما كان يتدارى من طعنة الرمح وهو لا يعلم بهذه الحيلة وشعر بها وفي الحال صاح متألماً ووقع الى الارض قتيلاً ولما رأى العرب ما اصاب اميرهم غابوا عن الدنيا ولم يعودوا يعرفون ما ورائهم وقدامهم فصاحوا وحملوا وكذلك الاعجام لما رأوا فعل تركي طاووس اشتدت قلوبهم فهجموا هجمات المنتصر وقام القتال على ساق وقدم . وصاح الشجاع وتقدم . وخاف الجبان وانهزم وساد سلطان العدم . ولعب الفناء بتلك الامم . وكثر القال والقيل . وسلموا بنفوسهم عن طوع الى عزرائيل . وكان اشد الجميع حنقاً الامير رستم فقد بدد تلك الجموع . وكسر من الفرسان الجناب والضلوع . وحمى اخاه الى ان رفعتـه العيارون من الارض وهو مفارق الحياة وكذلك الامير سعد الطوقي ابن لوعة القلوب . فقد غاص في الاعداء يضرب ويطعن وهو باكي العين حزين القلب على ما اصاب اخيه عمر وكان مثل اخيه رستم يتمنى ان يلتقي بتركي طاووس في تلك الساعة ليعدمه الحياة وكان تركي طاووس قد تأخر وترك القتال وجاء الى كسرى فقبله بين عينيه وشكر من فعله وقال له بخنك لا بد لفارسنا هذا من ان يبيد العرب عن اخرهم فهل ايهـا الملك المعظم منذ بداية الحرب مع العرب الى هذا اليوم قتل فارس من فرسان العرب الاشداء فهذا اليوم قد انهد ركن عظيم منهم وهو زوج طوربان وابن حمزة البهلوان . قال اني سررت من ذلك وشكرت من تركي طاووس ولا بد من مكافأته ورفع شأنه على الملوك والفرسان العظماء وكان بزرجمهر يسمع وقلبـه يتقطع وقد خاف ان يصاب باقي العرب بما اصيب به عمر اليوناني

هذا وما برح القتال يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان ذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار . فعاد الرجال من ساحة الميدان وذهب كل منهم الى ناحية ولما وصل فرسان العرب الى الخيام وجدوا الصياح قائماً من النساء وقد وضعن المقتول على مرتبة عالية وجلست زهربان والدته ومهردكار خالته ولوعة القلوب ومريم وغيرهن وقد كشفن الصدور ورخين الشعور وهن بنوح وصياح ولا سيما امه ولما وصل الامير رستم صاح واخاه واعزيزاه لقد غدرت بك ايدي اللئام

وتوصلت اليك ابناء الزنا والحرام فابعدوك عنا وفصلوك منا والبسونا ثوب الضنا ونزعوا عنا العز والهنا . ثم رمى بنفسه عليه وقد غاب عن صوابه وضاع عقله وفعل مثل ذلك الملك قباط والامير سعد الطوقي وباقي الفرسان والابطال وقد احتاطوا به من اليمين والشمال وعملوا له مناحة عظيمة واجتمع العرب برمتهم وهم ينوحون ويبكون والاعجام شامتون بهم فرحون ولا سيما بختك فانه كان يسمع اصوات مطربة منعشة وهو يهني كسرى ويعده بانقلاب الايام ووقوع النحس على العرب ولما تمادى بالعرب الحال عزم الفرسان على دفن عمر ليجعلوا حداً لهـذا الحزن وحينئذٍ اشار الامير رستم يرثيه بقول القائل :

سفهاً اذا شقت عليك جيوب ... ان لم تشق مرائر وقلوب
وتملكاً سكب الدموع على الثرى ... ان لم يمازجها الدم المسكوب
يا حمزة الثاني الذي كادت له ... صم الجبال الراسيات يذوب
لم ابلك بالحزن الطويل تملقــاً ... حزني عليك وقائع وحروب
فلأبكينك بالصوارم والقنا ... حتى يحطم ذابل وقضيب
وليبكينك طرف كل مثقفٍ ... يزهي بحمل سنانه الانبوب
يبكيك في يوم الهياج باعين ... خزر مدامعها الدم المصبوب
والصبح ليل بالعجاج وقد بدا ... بالبيض في فود العجاج مشيب
سنثير ثارك يا ابن حمزة عصبةً ... شم الانوف الى القراع تثوب
فجعت بك الدنيا فلا وجه العلا ... طلق ولا صدر الزمان رحيب
اذ انت في يوم الجلاد على العدا ... خطيب وفي يوم الجدال خطيب
يا شمس افق لم يكن من قبلها ... للشمس في طي الصعيد غروب
ان غيبت تلك المحاسن في الثرى ... فجميل ذكرك في البلاد يجوب
حيا الحيـا جدثاً حلت بتربه ... حتى تعطر نشره فيطيب
لا زال تبكيه عيون سحائب ... للبرق في حافاتهن تهيب

ولما فرغ من انشاده مزق ثيابه وحث التراب على رأسه فرفعه العرب وابعدوه

ثم تقدم السلطان لوداع اخيه وانشد كذلك

قد كنت اختار ان اغيب في الـ ترب وتبلى عظاميَ الرمم
ولا ارى اليوم من مغارسنا اسداً عليه الذئاب قد حكموا
لم يعلموا اي جدوة قدحوا واي امر اليـــه قد قدموا
لاعرف العز في منازلنـــا وانـكرتنا الصوارم الخذم
ان لم نقدها شعساً مضمرة تذوب في نار حقدها اللجم
بـكل ازر في متنه اسد وكل طود من فوقه صنم
من فتية ارخصوا نفوسهم كانهم للحيـــاة قد سئموا
ان زادوا في الهياج تحسبهم اسداً عليها من القنا اجم
باي عين نرى الانام وقد تحـكمت باسودنا الغنم
واخذ الثار من عداك ولو تحصنوا بالحصون واعتصموا
في وقعة تسلب العقول بها وانفس الدارعين تخترم
ان باشرتهـــا اقاربي بيدٍ يومـــاً فلي دونهم يد وفم
يا صاحب الرتبة التي نكصت من دون ادراك شأوها الهمم
قد كنت لي ذابلًا اصول به ما خلته في الهياج ينحطم
ما البستنا الايام ثوب علا الا وانت الطراز والعلم
عزّ على المجد ان تزول وان تخلق تلاق الاخلاق والشيم
تبكي المواضي وطالما ضحكت منك وامست غمودها القمم
فاليوم قد اصبحت صوارمها وشملها في الهيـــاج منصرم
لا جمدت ادمعي ولا خمدت نار اسى في حشاي تضطرم
وكيف ،،، عليك دمع فتى ولحمه من شرك ملتحم

وبكى عليه بـكاء مرًا وبعد ان رفعوه عنه تقدم الامير سعد الطوقي وناد؛
بالويل والحرب وودع اخاه وانشد :

بروحي من اذاب نواه روحي وافقد فقده عزي ومالي

ولم اك قبل يوم رداه ادري   بان الترب برج للهلال

وقالوا لقد اصبت فقلت كلّا   وما وقع النبال على الجبال

ولم اعلم بان الرمس يمسي   بروج الحرب من صدف اللآلي

ايا صخرة الجنان ادمت نوحي   فها انا فيك خنساء الرجال

ونمت لي فيك احزاني ودمعي   وخان عليك صبري واحتمالي

شددت القلب في خوض المنايا   وويل النبل منحل الغزال

تهز لملتقى الاعداء عطفاً   يهز رطيبه مرح الدلال

فعشت وانت ممدوح السجايا   ومت وانت محمود الخلال

تنوح لفقدك الجرد المزاكي   وتبكيك الصوارم والعوالي

يحن الى عينك كل عضب   وتشتاق الاعنة للشمال

اتسلبك المنون وانت طود   وترخصك الكماة وانت غالي

وتضعف عزمة البيض المواضي   وتقصر همة الاسل الطوال

ولم تحطم قناه في طعان   ولم تفلل صفاح في قتال

ولا اضطربت جياد في ط.اد   ولا اعتركت رجال في مجال

ولا رفعوا بوقع الخيل سماً   ولا نسج الغبار على الجلال

سأبكي ما حييت ولست انسى   صنائعك الاواخر والاوالي

ولو اني ابلغ فيك سؤلي   بكيتك بالصوارم والعوالي

بكل مهند الحدين ماضٍ   تدب به المنية كالنمال

واسمر ناهز العشرين لدن   رديني المناسب ذو اعتدال

يضيء على اعاليه سنان   ضياء النار في طرف الذبال

واشفي من دماء عداك نفساً   تنوط القول منها بالفعال

واجريها من الشعبين قباً   الى الهيجاء تسعى كالسعال

يحرضها الطراد على الاعادي   كأن الكرّ يذكرها المخالي

عليها كل ماضي العزم زمر   سمي في الجلاد وفي الجدال

ويشفي عند اخذ الثار منهم نفوساً ليس تقنع بالمطال

وهكذا بعـد ان بكى كل فارس على الامير عمر اليوناني وودعه الجميع دفنوه في التراب وعادوا وهم بالحزن الزائد وتفرقوا الى خيامهم ليناموا تلك الليلة الى الصباح وكان الفرح كما تقدم شاملاً معسكر الاعجام عموماً ما عدا الوزير بزرجمهر فان حزنه كان اشد من حزن الجميع وهو ينتظر ان يأتي اليه عمر العيار ليعرض عليه واقعة الحال ويعرفه بحيلة طاووس لان العرب ما كانت رأت قتل ابن الامير حمزة كان بحربة بل ظنوا انه قتل بالرمح ولم يعرفوا قط بحيلته وخداعه

وفي صباح اليوم الثاني ضربت طبول الحرب والقتال وخرجت العساكر تتسابق الى ساحة المجال وقبل ان يتم انتظام الفريقين سقط تركي طاووس الى وسط المجال وقبل ان يفتل العنان فاجأهُ الامير سعد الطوقي وصدمه صدمة جبار صنديد وحمل عليه وهو ينادي اليوم اخذ الثار وكشف العار منك ايها الخبيث الغدار فتلقاه واخذ معه في الضرب والطعان . والمصادمة والجولان . فهمهما ودمدما واكثرا من الصراخ والصياح . والمطاعنة بالرماح وكان الامير رستم قد عزم على البراز فسبقه اخوه سعد الطوقي فبات ينتظر النهاية وهو يركن الى اخيه وينتظر منه قتل خصمه وكذلك عموم فرسان العرب فارسلوا بانظارهم الى ناحيته وهو مع خصمه في قتال ونزال وحرب تزيد بالاضطرام والاشتعال

وما زالا في اخذ ورد وقرب وبعد وهزل وجد وكر وفر حتى تحطمت في ايديهما الرماح فعمدا الى البيض الصفاح وقد زاد الامير سعد على خصمه حربه حتى كاد يعمي ابصاره ولم يدع له سبيلاً للراحـة والاطمئنان ولذلك عزم على الالتجاء الى الحيلة وان يفعل به كما فعل باخيه عمراً فضربه بالحسام فاضاعها بمعرفته وعزم ان يضربه ضربة قاضية غير ان تركي طاووس كان قد سبق وشد في رجله الركاب فاندفعت حربة من الجعبة ووقعت في صدر الامير سعد فخرقته ووقع الى الارض في الحال يختبط بدمائه وقد فارق باسرع من لمح البصر الحياة . ولما رأى العرب الى هذه الحال عظمت عليهم الاحوال فصاحوا وهم على غير هدى وادرعوا

على الاعجام وكان تركي طاووس قد تأخر في الحال وغاص بين قومه حتى جاء كسرى وقبل يديه وهنأه بالنصر والفوز فشكره وانعم عليه وقال له انت ركن دولتي وعزها ومجدها وفخرها لانك قتلت من العرب ركنين عظيمين فاذا قتلت الباقين انحلت هذه العصبة وتفرقت ورجع الينا مجدنا وظفرنا باعدائنا واي ظفر . هذا والحرب محتبكة الطرفين بين العجم والعرب وقد زادت عن العيار واحترقت بنيرانها نفوس الكبار والصغار . واشتعلت جوانب البراري والقفار مما تطاير من حوافر الخيول من الشرار . وكان الامير رستم يرغي ويزبد ويصيح وينـادي ويطعن في صدور الابطال ويقول الثار الثار ولا زال على مثل هذه الحال حتى امسي المساء وقد اوصل بعساكر الاعجام الى داخل الخيام وعاد وهو ملسوع الفؤاد يشاهد اخاه سعد الطوقي ودموعه تتساقط على خديه فرأى ان النساء قد عملن عزاه واقمن النواح من كل ناح فلطم على وجهه وبكى بكاء الثواكل ومثله فعـل السلطان قباط وكل فارس من العرب وكان اشد الكل نوحاً لوعة القلوب ام الامير سعد فانها مزقت ثيابها ووضعت التراب على رأسها وسودت وجهها واجرت الدماء من خدودها لكثرة ما لطمت عليها وقد رثته بقول من قال :

يا قضيباً ذوى وكان نضيراً ما رأينـا الغداة له نظيرا
اظلمت بعده الديار وقد كا ن سراجاً بها وبدراً منيرا
غيبته الارضون عنا وما خلـ ت اديم التراب يحوي البدورا
لا ولا خلت ان شهب الدراري بعد اوج العلى تحل القبورا
يا حبيباً فراقه اخرب القلـ ب وقد كان منزلاً معمورا
فاجأتنا بالندب اصوات ناعيـ ك وكادت قلوبنا ان تطيرا
فنفينا الرقاد من كل عين فجرتها دموعهـا تفجيرا
ما رأى الناس من قبل مثواك يوماً باكياً بالثبور ينعي ثبيرا
فبرغمي ان لا ارى منك وجهاً يرجع الطرف من سناه حسيرا
كنت ريحانة القلوب فقد دا ر بك الترب عنبراً وعبيرا

كنت شهماً مع الحداثة في السـ ن وجلداً على البلاء صبورا
وتحملت الاثقال عني فامسى بك طرفي بين الانام قريرا
فجزاك الاله عن ذلك الصبـ ـر على الهول جنة وحريرا
واراك الاله في جنـة الخلـ ـد نعيماً بها وملكاً كبيرا

وبعد ان رثاه الكبير والصغير من اخوته وفرسان عشيرته انزلوه التراب وبعد ذلك اجتمع فرسان العرب الى بعضهم واخذوا يتشاورون في امرهم فقال لهم الاندهوق بن سعدون ان هذه الحالة مما تشين بنا وتلقينا بالعار والشنار لان اولاد الامير حمزة يقتلون واحداً بعد واحد ونحن ننظر اليهم باعيننا وما فينا من طلب برازاً ولا نزالاً واذا جاءنا الامير ورأى ان اولاده قد قتلوا ولم يبقَ منهم واحداً ماذا يا ترى يقول عنا ألا ينسبنا الى الجبن والخيانة ويقول اني امنتكم على اولادي فتهاملتم بهم ولم ترفعوا عنهم ثقل الحرب ولا واحد منكم برز للعدو وكلكم ابطال مجربون في وقت القتال واني اوكد في الغد ان لا بد لرستم ان يطلب ثار اخويه ويخاطر بنفسه وهو حزين القلب منكسر الفؤاد ومن اشد العار ان نتركه وهو في حزنه ان يبرز الى القتال قالوا لقد اصبت في قولك هـذا ومن الراي ان نبرز نحن واحداً بعد واحد فخير لنا ان نموت باجمعنا من ان يقتل الامير رستم لان لا سلوة لابيه بعد فقد عمر وسعد الا هو وفي الغد اذا طلب البراز وعول على النزال فامنعوه واحتاطوا به الى ان يكون قد برز واحد منـا وهكذا الى ان يسمح الله بالنصر او يعود الينا الامير او نقتل تركي طاووس او نفنى عن اخرنا. فتوافقوا على هذا الراي وتفرقوا كل واحد الى فراشه وكان الامير رستم قد اقسم انه في اليوم الثاني سيأخذ لنفسه بالثار من قاتل اخويه وهو يعض اصابعه ندماً كيف تركهما يبرزا الى ساحة القتال وهو حي

ولما كان الصباح نهضت العرب من مرابضها وركبت خيولها وتقدمت الى ساحة القتال وفي الاول الامير رستم وقد عزم على البراز وان يسبق الجميع الى ساحة القتال واذا بالفرسان قد داروا به من كل مكان وقالوا تمهل علينا ايها الامير

فاننا لاندعك تبرز قبل ان تصغى الينا وتسمع كلامنا قال دعوني فليس الان وقت كلام وارى عدوي في وسط الميدان . قالوا اننا لاندعك تبرز اليه مادام فينا رمق حياة لان نحن عبيدكم وما وجدنا عندكم الا لاجل القتال والحرب والنزال وفينا الكفاءة لان نقاتل بين يديكم فتى فنينا عن آخرنا فافعل حينئذ ما انت فاعل . قال ان الجمرة لاتحرق الا مكانها فدعوني وشاني ولا تلزموني ان اشهر حسامي ضدكم فقد اقسمت بالله العظيم ان اخذ ثاري بيدي قالوا هذا لايكون ابداً ونحن تحت امر السلطان فاذا اشار عليك بالقتال قاتلت واذا امرنا نحن قاتلنا تركي طاووس . قال اني لست تحت امر السلطان فامري على نفسي فاتركوني قالوا لانتركك حتى تقتلنا بيدك وجعل يتجاول واياهم وهو يطول بروحه عليهم وتركي طاووس يصول ويجول ويشتم العرب ويطلب اليهم ان يبرزوا اليه وحينئذ لاح للعرب غبار من جهة البر وهو آت يقرب منهم فدنا السلطان من رستم وقال له اني امنعك عن القتال . قال هذا لااقبله واذا منعتموني قتلت نفسي . قال له السلطان اننا لانمنعك الان بل نريد منك ان تصبر قليلاً الى ان نرى العساكر المقبلة الى نحونا ونخاف ان تكون قد باشرت القتال ونقع في مصاب جديد

ثم ان السلطان قباط قال للشاه ذئب بن عمر العيار انطلق الى ناحية هذا الغبار واكشف لنا ماتحته من الاخبار ولا تطيل علينا الانتظار عسى ان يكون تحته ابي حمزة الفخار فانطلق الشاه ذئب انطلاق البرق وما بعد الا القليل حتى راى اباه مقبلاً لنحوه فسلم عليه ووراه لابساً السواد فسأله عن ذلك فقال له اعلم ياابتاه ان الدهر قد جار علينا ولم يرض ان يبقينا في هناء فقد قتل الامير عمر اليوناني وقتل بعده سيدي ومولاي الامير سعد الطوقي وتراني بحزن عليه ثم اعاد القصة بتمامها عليه فبكي عمر وكرّ راجعاً الى اخيه وكانت هذه العساكر المقبلة هي عساكر هارون البطل المجنون وقد جاء ومعه الامير حمزة البلهوان ولما وصلوا من حلب لاحت لهم العساكر عن بعد فارسل حمزة اخاه يكشف له الاخبار

وانهم اذا كانوا في حرب يعود اليه بالحال فيحمل حين وصوله ويلتقي بالاعداء الى حجر الفتاء فسار عمر وعاد اليه ومعه ابنه الشاه ذئب وهو يلطم خدوده ويحث التراب على راسه ويبكي وينوح فخفق قلب الامير وقال له ويلك ماذا صار اخبرني بالحقيقة فقد هددت ركني فقال واي ركن اعظم من هذا الركن لقد هد ركنك بالحقيقة وقطع ساعداك وجار عليك الزمان ورماك بالمصائب والاحزان لقد قتل ولداك عمر وسعد . وانقضى الهناء والسعد

فلما سمع هذا الكلام شعر كأن سهماً قتالاً اصاب فواده فصاح من شدة الغضب والاسي وعول ان يرمي بنفسه الى الارض واذا بهارون قد قبض عليه وقال له هدىء روعك ايهــا الامير فان الان وقت اخذ الثار لا وقت البكاء والنواح فهذا عمل النساء ولكل مقام مقال فتجلد الان واظهر الصبر وسر الى وسط المعسكر قبل ان يبرز الى هذا العاتي المحتال احد من اولادك او قومك فيقتل وتزيد المصيبة ويعظم الخطب . قال لقد اصبت وكان قلب الامير قد تعود القساوة وحنكته شدة الاهوال ورأى ان الصبر في مثل هذه الساعة افضل فلم يظهر عليه انه حزين ولا سيا عندما اخبره الشاه ذئب ان الفرسان في منازعة مع رستم وانه يريد البراز فخاف عليه واطلق لجواده العنان حتى وصل من ساحةالقتال ورأى تركي طاووس على ما تقدم فعول ان يبرز اليــه ويأخذ منه بثاره واذا بهارون قد مسكه . وكان قد تأثره وقال له لا تفعل ياحمزة فانك اذا برزت اليه لحقت بابنيك ولو برز اليه ابنك رستم وكل قومك قتلهم ولا اقول ذلك لاني اعرف ان تركي طاووس اشد باساً من فرسانك كلّا ولكن عنده الة خداع يحتال بها على الفرسان فاشكر الله الذي جئت معك انا لاقتل لك اياه لاني اعرف دواء هذه العلة وحرابه لا تنفذ فيّ كوني متدرع بدرع من الذهب مطلسم لا تنفذ فيه هذه السهام ولا غيرها ثم ان هارون اخبر حمزة بخبر تركي طاووس وحرابه فقال له قبحه الله من خادع محتال اهكذا تكون الفرسان فاذا لم يفز الفارس بقوة باسه وذراعه لا خير فيه ولا في قتاله فهو نذل جبان هذا وتركي طاووس يصــول

ويجول وقد صرف اكثر من ساعة ولا احد يبرز اليه وفيما هو على تلك الحالة واذا بهارون البطل المجنون قد صدمه صدمة الاساد وانحط عليه كانه طود من الاطواد وقال له ويلك يا طاووس هل تمادى بك الامر حتى قتلت ولدي امير العرب وفارسهم وما حسبت لبطشه وعظمته حساباً فها قد بعثني اليك لاقبض روحك من بين جنبيك واجازيك على مكرك وخداعك بالقتل والاعدام . فقال ويلك يا هارون من الخادع هل الذي يخدم بلاده ويقهر اعداءه او الذي يعد ويخلف فان كسرى بانتظارك فارجع عن عزمك وادخل في طاعته تنال الامان لان نجم العرب قد افل وسعدهم قد بدل بالنحس والمصائب

فقال اخرس فما انا بمجنون مثلك لاخدم كسرى عابد النار واترك قوماً كرماء الافعال والاعمال . فاستعد الان للهلاك والوبال ثم طعنه برمحه فمال عنه واخذ معه في القتال والصدام كانهما من اساد الاجام . فتطاعنا واي طعان . حتى ارتفع فوقهما الغبار الى العنان . وحجبهما عن العيان وكانت لهما ساعة تشيب الاطفال في المهود . وترتاع من هولها الاسود . ورأى كسرى الى هذا الفارس فقال لبختك اني اراه غريباً وقد جاء مع هذه العساكر المقبلة من البر فمن هو يا ترى . قال هذا هارون البطل المجنون واخاف ان يكون قد انقلب علينا والتحم مع الاعداء فانه كان قد كتب اليك بانه سيجيء الى معونتك ولكن كيف كان الحال لا بد من قتله في هذه الساعة ولو لم يحضر لما كان في العرب من قدر او تجاسر على محاربة تركي طاووس اما رأيت ان له اكثر من ساعة في نصف الميدان والفرسان تتأخر عن قتاله وما فيهم من رضي ان يخاطر بروحه امامه قال اني كنت احب ان يكون الامير حمزة قدبرز اليه ليقتله ويعدمه الحياة لاني اعرف ان هذه الالة التي استعملها يهلك بها كل فارس صنديد وبطل مجيد قال اني متيقن كل التيقن ان الامير حمزة قد مات وشرب كاس الافات والا فانه ما كان يدع احداً يبرز الى تركي طاووس سواه ليأخذ لنفسه بالثار ولا يطيق ان يرى قاتل اولاده في ساحة المجال فكن براحة وانا ابشرك بالفوز والنجاح والسعادة والاقبال

قال وكان الشاه ذئب قد رجع بالحال قبل ان يصل الامير الى العرب واخبر السلطان والفرسان بقدوم الامير ففرحوا بسلامته وشكروا الله على ذلك وتأملوا الخير والنجاح ولا سيما بعد ان رأوا هارون قد برز الى تركي طاووس ولم يبقَ من مجال الى لرستم حينئذٍ بالبراز وفي تلك الساعة سمع الصياح من الفارسين وكان تركي طاووس لما رأى حاله مغلوباً وان خصمه سيقتله خاف على نفسه وعمد الى حيلته وخداعه وشد برجله على الركاب فخرجت الحربة كأنها النشاب بعد ان ضربه بالحسام ليشغله فوقعت الحربة في صدر هارون ورجعت الى الوراء الى الارض فضحك منها وهو غير مكترث بخصمه فزاد حنق تركي طاووس وايقن بالهلاك وجعل يشد بالركاب فيتطاير الحراب واحدة بعد واحدة وتقع كلها في صدر هارون وتعود الى الارض وحينئذٍ صاح هارون صيحة قوية وقال له ابهذه الاعمال قتلت ابني حمزة وقد آن اوان اخذ الثار وضربه ضربة جبار عنيد وهو ينادي يا لثارات اولاد حمزة البهلوان فوقع السيف على دماغه شقه نصفين ووقع الى الارض قتيلاً . وحينئذٍ صاح الامير حمزة لا شلت يداك واطلق لجواده اليقظان العنان فانطلق كانه النجم وهو ظمآن الى شرب دماء الابطال فجعل يضرب في الاكبدة فيخرجها على اسنة رماحه وتنفر من بين يديه الابطال عند سماعها شديد مناداته وصياحه وكذلك الامير رستم فانه اطلق لسلمى الدهماء العنان . وغاص بين الاعجام وهو يطلب الملك كسرى ليأخذ لنفسه بثار اخوته ومثله فعلت فرسان العرب وكان كسرى وبختك قد نظرا ما حل بتركي طاووس فانفطرت مرارتاهما ولما سمعا صوت الامير حمزة وقعت الرعبة في قلبيهما . فامرا الخدم والحراس ان يرجعوا بهما الى آخر المعسكر وقد تيقن كسرى ان حمزة ورستم لا يرجعان عن القتال حتى يدركانه فقصد ان يكون في اخر معسكره فينجو بنفسه من هناك ودامت الحرب قائمة على ساق وقدم وقد وقع البلاء بفرسان العجم وحل بهم الفناء والعدم

ولما رأى كسرى الى هذه الحالة دخل البلد وامر ان تدخل خلفه الفرسان فجعلوا يدخلون وعساكر العرب تضرب في اقفيتهم وقد اهلكت منهم الجموع

الكثيرة وتركوا جبالاً من القتلى مكومة حول المدينة ولا زال هذا العمل حتى دخل من بقي من الرجال حياً الى داخل الاسوار واقفلوا الابواب وحاصروا في الداخل وحينئذٍ رجع الامير وقد شفي غليله من الاعداء وعند وصوله الى معسكر العرب نزل عن جواده وحث التراب على راسه وصاح واولداه لقد غدرت بكم ايدي البين وانا غائب ولم تسمح لي الايام ان اشاهد مصرعكما قد هد ركني وضعف حيلي وفقدت قوتي وتقطع امل حياتي واتصل حبل بلائي وشدائي قتل عمر الذي كان غوثي وعهدي واصيب سعد الذي كان املي وقصدي وكانت نساء القبيلة قد خرجن للقائه بثياب السواد وهن نائحات باكيات فزدن حزنه حزناً وقال لهن الا فابكين ايتها النساء فلا دمعة تنشف لكنَّ ولا حرقة تطفى من فؤادكن فاذا كنتن لا تبكين عمر وسعد فعلى من تبكين . قد حق للصخور ان تسيل ماء حزن وللجوامد ان تذرف دموع يأس . اين من كان اذا دعوته يجيب واين ذاك الذي قطف غصن صبائه الرطيب وقتل عمر ولم يره ابنه واباه . وفقد سعد قبل ان تجني ثمرة صباه . فجفي ايتها البحار جفي وسيلي ايتها الجبال سيلي واحزني ايتها الطبيعة هل سمعت بمن اصيب كمصابي ومن رمي من الزمان بما رميت به صرفت عمري معذباً مشتتاً وما كنت لاكون سعيداً مرتاحاً . ثم امر ان يؤخذ به الى قبر ولديه فأخذ ورمي بنفسه عليهما وجعل يلثم ترابهما ويسكب دموع الاسى وانشد يرثي ولده سعداً وهو يبكي ويلطم على خديه :

صال فينا الردى جهاراً نهارا ... فكأن المنون تطلب ثارا
كلما قلت يستتم هلالٌ ... سلبتنا ايدي الردى اقمارا
يا لقومي ما ان وجدت من الخط ... ب مجيداً ولا عليه انتصارا
كل شخص لحى الخطوب على فق ... د حبيب واعتب الاقدارا
يا هلالاً لما استتم ضياء ... قد اغارت فيه المنون فغارا
قمر اسرعت له الارض كسفاً ... وكذا الارض تكسف الاقمارا
ذهل العقل رزؤه فترى النا ... س سكارى وما هم بسكاري

ما رأينا قبل رزئك بدرًا   جعل المكث في التراب سرارا
يا قضيباً زوى رصوّح لما   اظهر الزهر غصنه والثمارا
قد فقدنا من طيب خلقك انساً   علم النوم جفوني النفارا
خلقاً يشبه النسيم ولطفاً   سلب الماء حسنه والعقارا
ايها النازح الذي ملأ القلـ   ـب باحزانه واخلا الديارا
لست اختار بعد بعدك عيشاً   غير اني لا املك الاختيارا
كلما شام برق مغناك قلبي   ارسلت سحب ادمعي امطارا
واذا ما ذكرت ساعات انسي   بك اذكى التذكار في القلب نارا
فكان التذكار حلّ بقلبي   فهو بالحزن فيه ترمي الجمارا
فسأبكيك ما حييت بدمع   لا تقال الجفون منه عثارا
ليس جهدي من بعد فقدك الا   ارسل الدمع فيك والاشعارا

وزاد عليه البكاء حتى غمي عليه فرشوا على وجهه الماء حتى افاق فانشد وقال :

اصم بك الناعي وان كان اسمعا   واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا
فلم ارَ يوماً كان اشبه ساعة   بيوم من اليوم الذي فيه ودعا
مصيف افاض الحزن فيه جداولاً   من الدمع حتى خلته صارا مربعا
ووالله لا تغضى العيون الذي له   عليها ولو صارت مع الدمع ادمعا
فتى كان شرباً للعفاة ومرتعاً   فاصبح للهندية البيض مرتعا
فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى   مفرًا غداة المازق ارتاد مصرعا
فان ترم عن عمر تدانى به المدى   فخانك حتى لم تجد فيه منزعا
فما كنت الا السيف لا في ضريبة   فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وقال ايضاً :

لا يشمت الاعداء بالموت اننا   سنخلي لهم من عرصة الموت موردا
ولا يحسب الاعداء ان مصيبتي   اكلت لهم مني لساناً ولا يدا

وتجدد الحزن على قبر عمر وسعد فما بقي فارس الا بكى وناح وانشد الاشعار ولا امرأة الا وحثت التراب على رأسها وبكت ومزقت ثيابها وفعل رستم على اخويه باشد الاحزان وصرف الامير على قبر اولاده مدة ثلاثة ايام وهو على تلك الحالة وفي اليوم الرابع امر ان يؤتى بالاغنام والجمال وتذبح على الضريح فذبح الوف من النوق والفصلان ونحوها ومن ثم عاد الامير وهو اشبه بالمجانين وقد اخذ الحزن منه موضعاً عظيماً وفعل فيه فعلاً ذريعاً . وبعد ان استقر السلطان في ايوانه اخذ فكتب الى كسرى كتاباً يقول له فيه

بسم الله الواحد القهار خالق الليل والنهار له وحده الارادة والخيار يحيي من يريد ويميت من يختار فهو على كل شيء قدير :

من الملك قباط ملك العرب وسلطانها الى الملك كسرى انو شروان لقد كفى ايها الملك ما جرى بيننا وبينكم من الحروب والخصام والقتال الذي قتل به اعز الناس عندنا وعندكم ونحن نطلب اليك في كل مرة ان تسلمنا بختك الوزير لنأخذ منه بثارنا ولا نترك له حياته وارادته يفعل الشر ويعمل على عداوتنا وهلا كنا فنعود الى الحرب وترجع العداوة بيننا اذا تخلينا وهذا تعرفه انت كما نعرفه نحن فدبر في صالح بلادك وخير العجم وافدي الرجال والبلاد بدم هذا الخبيث المحتال فاذا سلمتنا اياه وقع الصلح بيننا وارتفع الخصام وسرنا الى بلادنا وكانت دولة العرب منفصلة عنكم فتقيمون في بلادكم ونقيم في بلادنا والا اذا ما سلمتنا بختك جرنا عليك واخذنا بثارنا منك ومن بنيك واعيان قومك وانزلناك عن كرسيك وجلسنا عليها وانت تعرف ان سلطنة العرب قد اشتد ازرها وقويت كل القوة وصار لديها من الابطال والفرسان ما تحارب بهم الى آخر الزمان فضلاً عن ابي الامير حمزة العرب وانت تعرف باسه وسطوته ومحبته في قلوب العرب فانه لا يرضى ان يرجع الا براس بختك وهو لا يكل ولا يمل ولا يأخذه ضجر من الحرب ولا تلوي الحوادث همته فهاك ما نريد والسلام

ولما وصل هذا الكتاب الى كسرى دفعه الى بزر جمهر فقراه وسمعه

الجميع ولا سيا بختك ابن قرقيش فانه كان حاضراً وصار يرجف عند سماعه كلام العرب وغايتهم وانهم يرضون الى حسم هذا الامر راسه . وحينئذ التفت اليه الملك كسرى وقال له لقد سمعت يابختك ماذا تريد العرب وماذا تطلب فبما تجيب فانهم مصيبون واني كنت لاظن انهم يرضون بك بعد قتل ابني الامير فقد تساهلوا عظيما وتنازلوا الى الحد الاخير وتراني قد عزمت كل العزم على تسليمك لحسم النزاع وراحة البلاد . فبكى بختك وقال اني احزن ياسيدي لا على نفسي ولكن على بلادك وعليك لاعلم ماذا يصيبك بعدي وقد اختبرت العرب وعرفت مقاصدهم وغاياتهم واعجب كيف تصدقهم ومع كل هذا فانك اذا اردت ان تسلمني فاني اطيع ولا اعصى وقبل كل شيء اريد ان اسألك سوألا واحداً تختبر به صدق العرب فاذا اجابوا افعل ماشئت واذا امتنعوا ترى عين الاصابة في كلامي قال وما ذلك قال ارسل الى سلطان العرب جواب كتابه وقل له اننا ماقتلنا منكم بقدر ماقتلتم منا واهلكتم من رجالنا ومع ذلك فاني اسلمكم بختك تفعلون به ما شئتم بشرط ان تسلمونا عوضه عمر العيار وزير العرب الذي تعدى على الشرف الكسروي وانزل من قدر سلطان سلاطين العصر والاوان صاحب التاج والايوان فاذا سلموك ذلك تخلصت من العار فتكون اخذت حقك من الذي قتل لك مرزبانة الالهة وتعدى على شرفك بان جعلك تقبل يديه تكراراً وهو غير مكترث بك وتامن في المستقبل من غائلة العرب فاذا قتل عمر لم يقم للعرب فيما بعد قائمة قال ان هذا لايمكني لاني اعرف ان العرب لايسلمون ولا بكبش من قطعانهم ويدافعون عنه حتى اخر نسمة من حياتهم قال اذا كنت تعرف ذلك فلما لاتفعل مثلهم اهل لاتسال عن العار فيقول الناس سلمت اعظم رجل في بلادك خوفاً من جماعة العلوج ولم ترع خدمة وزير خدم دولتك منذ سنين هو وعائلته . قال انه يصعب عليّ تسليمك لكني ارى العرب يحاصروننا من كل ناحية ويضيقون على المدينة وانت عاجز عن دفعهم . قال اني لااعجز قط عن دفعهم وكما دبرت بالامس على قتل ابني الامير لابد من ان ادبر

على هلاك الباقين فاذا شئت اجب العرب الى طلبهم وقل لهم اني بعد اربعين يوماً اسلمكم بختك وقد تركت له هذه الفرصة لكي يتودع من الدنيا ويدبر امره وسوف ترى في هذه المدة ما افعل لك بالعرب وتشهد لي بذلك واذا في المدة المذكورة مالنهيت العمل سرت من نفسي الى العرب وتركتهم يقتلونني. قال اذا فعلت ذلك اخرجت عني هماً عظيماً وانزلت عن مملكتي عاراً لايمحى الى اخر الايام لان حياتك عندي اعظم من كل مملكتي

قال فاكد له بختك غايته وحينئذ اجاب كسرى على رسالة سلطان العرب بانه بعد اربعين يوماً يسلم بختك اليهم وجعل يتلطف لهم بالكلام ويتودد ولما وصل الرسول اليهم بالرسالة جعلوا يتداولون فيها فبعضهم كان يصدق معنى الرسالة وبعضهم كان يكذبها . فقال لهم عمر العيار اني اعرف موكداً ان كسرى لايسلم بختك وما القصد من هذه المحاولة الا الخداع والاحتيال اما لاطالة عمر بختك واما لقصد ان يدبر حيلة يضربنا فيها . فقال الامير ان هذا صحيح ولذلك لايجب ان نترك حصار المدينة او نبعد عنها بل ينبغي ان نبقى كل هذه المدة على حصارها ولا ندع مجالاً لبختك ان يفعل مايشاء . ولذلك اعتمدوا على بقاء العداوة الى الحد الاخير حتى يستلموا بختك فهذا ما كان من العرب واما ما كان من بختك بن قرقيش فانه ذهب تلك الليلة الى بيته حزيناً كئيباً محتاراً ماذا يفعل وباي طريقة يقدر ان يدفع العرب ويبعدهم عن البلاد ويحفظ حياته وفيما هو على مثل ذلك واذ قد دخل عليه احد حجابه واخبره بان اخاه بختيار قد وصل الى القصر فقال له ادعه اليّ . وكان هذا بختيار من اكثر الناس حيلة وخداعاً وهو فصيح اللسان طلقه يعرف علوماً كثيرة كعلم الطب والفلك والفلسفة والفصاحة ويعرف ايضاً عدة لغات ولما دخل على اخيه بختك وجده على تلك الحالة حزيناً غضوباً . فقال له لما ذلك وما هي الاسباب التي اوجبتك الى مثل هذا الغيظ . قال الا تعلم ان العرب عاملون على عداوتنا وهم يريدون حسم هذه العداوة بانقراض عائلة قرقيش وقد طلبوا الى الملك كسرى ان

يسلمهم بختك وكل عائلته لينتقموا مني مع اني لا اسأل عن نفسي كثيراً بل كل سؤالي عليكم لانكم ابرياء واما انا فقد اجتهدت كثيراً بعداوتهم ودبرت مراراً على هلاكهم ولم افز بالمطلوب وقد اخذت فرصة اربعين يوماً ولا اعرف باي طريقة اقدر ان اهلك هذه الطائفة الكثيرة العتو والخداع ولا ريب ان زمن انقراض عائلتنا قد آن ولا بدّ للعرب من ذلك لانهم لا يرجعون عنه قط ما زال لهم سلطان عظيم وما زال الامير حمزة حياً فهل من وسيلة تخطرُ لك في ذلك فاطرق بختيار الى الارض ثم رفع رأسه الى اخيه وقال له كن براحة وسوف ادبر على هلاك العرب ولي رجاء عظيم بالنجاح وسأخاطر بنفسي كل المخاطرة وافعل ما لا يفعله جيش عظيم واني اتكل بذلك على النار وكل كوكب سيار . قال باركت بك النار ووفقت مسعاك فانك اذا فعلت فعلاً عظيماً تشتري به بلاد الفرس وتشتري به ايضاً عائلتنا ونقهر اعدائنا

وصبر بختيار الى الصباح وفي الصباح دعا الخدم وامر ان يدلوه من الاسوار الى الخارج ويتركوه فاخذوه الى السور ودلوه بالحبال ففك نفسه وتقدم الى جهة العرب ورآه العيارون فتسابقوا اليه ومسكوه وسألوه عن حاله فقال لهم خذوني الى صيوان سلطانكم فاني اريد ان اعرض عليه حالي واخبره بامر به الخير والنجاح لم فاخذوه حتى جاءوا به السلطان ولما وقف امامه سأله عن حاله وقد نظر اليه العرب ورأوا فيه انه من اعيان الفرس وسادات الاعجام . فقال لهم اعلموا ايها السادات ان المرء الحكيم العاقل هو الذي ينظر في امر نفسه موضع النظر ويعرف الخير من الشر والنفع من الضرر وافضل الناس من قدر على استمالة عدوه وتحببه به واني رجل خبرت كل احوال العالم وعرفت سمين الاشياء وغثها وتأكد لديّ ما هو نافع منها وما مضر واني لم اكن رجل سياسة بل رجل علم ومعارف حفظت العلوم والفنون كالهندسة والفلسفة وعلم الفلك ولذلك عرفت ايضاً ان دولة العجم قد صارت على الافوال وسوف يغرب نجمها وتنقرض عن اخرها وتقوم بعد ذلك دولة العرب التي لا بد من قيامها كيف كان الحال ومنذ زمان طويل وانا مع اخي

بجتك في نزاع وجـدال وهو يعاند ويمانع حتى ثبت لديَّ اخيرًا ان دولتكم ستكون الدولة الوحيدة بين دول العالم فيذل لها كل جبار عنيد وسلطان مجيد وفارس صنديد فتقلعون كسرى وتملكون التاج والايوان وهذه عادة الدهر فكل دولة طال امرها وفاقت سواها وكانت عاملة على الكفر والطغيان لا بد من سقوطها وصعود سواها . فانا هو بختيار اخو بجتك بن قرقيش وقد جئت اليكم مخاطرًا بنفسي فاما انكم تقبلونني خادماً عندكم فافوز بالنجاح والمجد واعيش براحة واما انكم تقتلونني فاكون قد مت بدوري وهذا لا بد منه لانكم بعد ايام قليلة كانت او كثيرة ستبطشون بالاعجام واي بطش ولا سيما بعائلتنا لان اخي بخبثه وخداعه قد اوصل شره اليكم وعمل كثيرًا على عداوتكم واعرف اكيدًا انكم لا تبقون عليه وسيصيب فروع عائلته ما يصيبه ان لم يكن من يدكم فمن يد قومه لانهم ضجروا من اعماله وصاروا يتمنون الخلاص من شره ومع انهم كانوا في القديم يحبونه محبة الالهة اصبحوا في هذه الايام يكرهون النظر اليه ويتمنون هلاكه

وكان بختيار يتكلم بلسان فصيح بديع رقيق لا تشوبه شائبة حتى ان من كان يسمعه لا يظن به الا الصحة والصدق . ومع ذلك فقد قال له الامير حمزة انكم قوم كذابون منافقون اهل خداع وحيل فما جئت الينا الا وفي نيتك الخبث والمكر ولا بد من شر تفعلونه . قال اني ما جئت اليكم يا سيدي الا وفي نيتي انكم لا تصدقونني ولا تحملوا كلامي على محمل الصدق وما فعله اخي معكم تكرارًا يجعلكم تتأكدون فيَّ الغش والخيانة التي انا بريءٌ منهما ومع كل ذلك فاني اعرف ان ما جزاء الخيانة الا الاعدام فاذا كنتم صدقتم كلامي فاحسنوا معاملتي وتروا مني خادماً اميناً نافعاً لكم على طول الزمان واذا ارتبتم في كلامي ولم تتأكدوا صدقي وترجح عندكم اني اغشكم واخدعكم فاقتلوني ولا انسب ذلك ظلماً منكم بل الله سبحانه وتعالى يعرفه . فقال الامير وهل انت تعرف الله وتعترف به لتذكر اسمه . قال كيف لا واني اعبده واعرف عبادته حق المعرفة

واعرف طرقه وطرائقه واعرف انه اللّه واحد خلق السماء وما فوقها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب السيارة وبسط الارض بكلمة قدرته حيث قال لكل الموجودات كوني فكانت وجعل لكل شيء منها خدمة تخدم بها وهو منزه عن ان يرى لانه نور لا يمكن للابصار ان تنظر اليه او للافكار ان تحدد معنى لاهوتيته وضع الشرائع المطهرات لانبائه وبعث لبني الانسان رسلاً من جنسهم ومن فطرتهم ليبثوا فيهم تلك الشرائع فيأخذها منهم من آمن به وصدق بوحدانيته واخذ بختيار في شرح صفات الله حتى صدق كل واحد منهم انه على الحق وانه يعبد الله سبحانه وتعالى وان كلامه صحيح الا عمر العيار فانه قال للسلطان اني ارى من الرأي الصائب ان لا تدع هذا الانسان بيننا كيف كان الحال فاذا كان ما يقوله صحيحاً وكان مخلص لنا فنحن في غنى عنه واذا كان عدواً لنا نكون اذا ابعدناه قد دفعنا شره . فقال واي شر اقدر عليه وانا واحد وانتم الوف ومئات الوف وماذا اقدر يا ترى ان افعل اهل انا ذو سيف او هل لي سلطة عليكم . وهل انتم غافلون عن ذواتكم . فلما سمع السلطان قباط هذا الكلام مال قلبه اليه كل الميل لامر اراده الله سبحانه وتعالى ولم يكن منه مهرب فقال لعمر صدقته كل التصديق واحب ان يبقى عندنا واذا كان الله معنا فمن علينا وليس من العدل ان نخيب قاصداً او نرد عابداً عن الاشتراك معنا بعبادته تعالى فضلاً عن انه واحد وماذا يا ترى يقدر ان يفعل معنا وبأي وسيلة يقدر ان يغشنا

فلما سمع الجميع هذا الكلام من السلطان سكتوا ولا سيما الامير وقال اني اصدقه لمعرفته بعبادته تعالى ولو كان كافراً لما قدر ان يعرف ما لا يعرفه علماء العرب غير اني اوصيكم التحذر منه ثم ان قباط قرب بختيار بن قرقيش منه وانعم عليه وامتحن علمه فوجده بحراً ماله قرار وقباناً ليس له عيار واسع المعرفة غزير العلم فاراد ان يجعله نديمه المخصوص وعين له العلوفات والرواتب وامر ان يضرب له صيوان بقرب صيوانه وان ياكل على مائدته في

كل اوقات الاكل ولهذا صار لبختيار مقاماً عظيما وصار في كل يوم يحضر الى الديوان ويجلس بقرب السلطان والسلطان يدنيه منه وينادمه فيراه حلو العبارة والحديث فيسر منه سروراً لامزيد عليه وعند المساء يذهب واياه الى صيوان منامته فينادمه ويحادثه باحاديث الاوائل ويذكر له النوادر والملح المضحكة حتى ينام السلطان قباط فيتركه ويخرج ولم يبق من حرج عليه والسلطان يظن ان وجوده عنده رحمة من الله تعالى لاجل تسليته ومسرته ونجاح افكاره وادابه وقد ركن اليه كل الركون وغمره بالعطايا الجزيلة وهو ياخذ الاموال ويفرقها على الفقراء والمساكين والايتام ويتظاهر بالتقوى والزهد ويصلي كل الصلاة حتى لم يعد احد من العرب يتصور الا انه من افضل الناس ويتعجبون كيف يكون بين الفرس من هو عالم فاضل تقيّ مثله ومضى على ذلك نحو عشرين يوماً

وفي اليوم الحادي والعشرين اقام كل النهار عند السلطان قباط على حسب عادته وفي المساء اكلا الطعام معاً وعند انفضاض الديوان دخل السلطان الى منامه ودعا بختيار ان يدخل معه فدخل وجعل يقدم له الاحاديث المطربة والاخبار الملذة وهو مسرور منه يمدح من براعته ومعرفته وقد مضى قسم كبير من الليل فلعب النعاس في راس السلطان وطلب النوم فغطاه وخرج ووقف عند باب الصيوان الداخلي وهو يفتكر في ماذا يفعل ونظر فراى اكثر العرب نياماً وما من حس ولا حسيس فحدثته نفسه الخبيثة باتمام العمل وقال في نفسه الى متى هذا التقاعد وقد آن الاوان وتم العمل فاذا قتلت السلطان هذه الليلة اقدر على الخلاص والهرب لانه قد مضى اكثر الليل والناس غارقون في منامهم ولما زين له الشيطان ذلك اخرج من جيبه خنجراً حاداً كان قد اخفاه لمثل هذا العمل وعاد شيئاً فشيئاً بتأن وخفة حركة فسمع غطيط قباط وهو مستغرق في نومه ولا شيء يخيفه فدنا منه حتى قرب من راسه فوضع الخنجر على عنقه وشد عليه بكل قوته فنفذ المقدر وفصل راسه عن جسده وخرجت روحه من جسمه وهو على سريره فخبط قليلا في دمه ثم سكنت حركته ومن جري اختباطه تلوث بختيار

من دمه ببعض نقط في عدة جهات من ثيابه . واذ ذاك خرج من هناك ضائع العقل وقد عظمت عليه الحال وخاف كل الخوف ولم يعد يعرف في اي طريق يسير ولا في اي طريق يذهب وما صار في اخر الصيوان حتى اعترضه عمر العيار فقال له هل نام السلطان فقال له بختيار نعم وكان صوته ضعيفاً ولسانه ثقيلاً لايقدر على الكلام جيداً فارتاب عمر من كلامه ولم يظهر عليه في الحال بل انخطف باسرع من لمح البصر الى داخل الصيوان فراى السلطان على تلك الحالة فطار صوابه وغاب هداه واسرع الى بختيار فضربه بالخنجر في صدره القاه قتيلا على التراب وجعل يبكي وينوح ويصيح وهو سائر الى جهة صيوان اخيه وقد استيقظ على صوته الناس من مراقدهم وقالوا لابد من مصيبة كبرى حلت على العرب وصاروا يزدحمون عليه وهو كالمجنون حتى وصل الى اخيه حمزة وهو في سريره فصاح به وقال له ويلك انهض ايها المسكين الحزين لقد جارت عليك الليالي والايام وبدلت حظك باتراح واكدار انهض ولا تنم اميناً ولا تذق النوم بعد الان وكان الامير حمزة قد سمع هذا الكلام فاستيقظ مرعوباً واصابه اختلال في عقله من جرى عمل اخيه ولا يعرف ماذا يساله او ماذا يجيبه الى ان قال له لقد فقد عزّ العرب وانحط شانهم نعم لقد قتل ابنك قباط وذبح ذبح الاغنام فلما سمع الامير هذا الكلام زاد جنونه فصاح من كبد حزين واولداه واحشاشة كبداه واعزيزاه وجعل ينتف في شعر راسه ولحيته ويحث راسه بالتراب ويمزق ثيابه ولا يعرف من امامه واسودت الدنيا في عينيه فلم يعد يرى بيهما وصار كالاعمى الذي لايبصر وكالاصم الذي لايسمع واي مصيبة وقعت على امير العرب مثل هذه المصيبة فقد ولده البكر وهو عمر اليوناني وكذلك ولده سعد ولئن لم يكن قد شاهد مصرعهما الا ان خبرهما كان عليه اشد من نزول الصواعق ولكنه بعد شدة الحزن والنوح تعزى بما بقي له من الاولاد وترك الحزن قانعاً بتلك المصيبة ولكن قتل قباط ابن زوجته الخصوصية لايكون حزنه كغيره وقد حق للامير ان يخسر حواسه ويضيع رشده وقد اخبر بهذا

الخبر بغتة نصف الليل . ومن المصائب المؤثرة ان القاتل من الاعداء وقد توصلوا الى تنفيذ سهام خداعهم ومكرهم فيهم ولذلك كان يعظم الحال ليس فقط على الامير بل على كل الفرسان والسادات والملوك لانه كان سلطانهم وسيدهم وجميعهم يحبونه محبة عظيمة ويتعشقون تعقله وحكمته التي لا تحد ولا سيا عمر العيار

هذا والامير ينادي ويصيح ويندب وهو على ماتقدم من شدة التألم وقد ساروا جميعاً الى الصيوان المقتول به ودخلوه والعرب اجمع في نوح وقد قلب المعسكر برمته وعلا الصياح من الصغير والكبير حتى كأن يوم القيامة قد آن او ان صوت الف صاعقة اندفقت بشدة معاً . وقد وصل الخبر الى مهردكار بقتل وحيدها ورجائها قباط ففعلت اكثر مما فعل الامير وقد خارت قواها وانحلت عزائمها وضعفت كل امالها ولم تعد تقدر على المشي فحملوها الى الصيوان ولما رات جسد ولدها القت بنفسها عليه واخذت تبكي وتقبض على التراب بيدها وتلقيه على راسها وكذلك كل النساء وقد خرجن من خباياهن وسودن وجوههن ورمين البراقع وارخين الشعور ولم يسألن عن الحياء وصرن يدرن حول الجسد ويندبن وينحن طول ذاك الليل الى ان اشرق الصباح فكان شروقه ظلاماً على العرب وهم في ويل وكرب وقد راوا جثة بختيار فقطعوها الف قطعة ثم القوها في النار فاحترقت وصارت رماداً وما زال الخطب يعظم والحزن يتعاظم والنوح والبكاء يعلو من كل نفس حية في العرب حتى ضاقت النفوس وزهقت ونشفت الدموع واحترقت وما عاد انسان يقدر على الكلام وقد آن اوان دفن المقتول

كل هذا ومهردكار في اشد حزن وهي تارة تبكي وتلعن الفرس وطوراً تبكي على ابنها وتصيح وتولول وتوبخ نفسها كيف قبلت بان يكون ملكاً على العرب وقد عرف كل انسان ماهي عليه من الحزن والكآبة فعذرها لانه وحيد لها وليس لها سواه وما من امل بان تلد غيره لان مضى قسم كبير من عمرها ولم يرزقها الله غير هذا الذي اعدمها اياه الله ولم يقبل ان يبقيه تتسلى به عن اهلها في غربتها وعذابها وانتقالها في البراري من مكان الى مكان قانعة به وبحياته

مسرورة بالنظر في وجهه مكتفية بان تسمع حديثه في كل وقت ولما رأت ان لا بدّ من دفنه زادت بالنوح والصياح ولطم الخدود والتعداد وقد قالت اي حياة ارتجيها بعدك يا ولدي ويا فلذة كبدي وعلة نور بصري وغايتي التي كانت من الدنيا ووطري . قد قطعت من بعدك حبال امالي وساءت اموري واحوالي وفقدت راحتي واشتد بلائي وعظم مصابي وغاب هنائي قد مر عيشي ورمتني الاقدار في حفر الاكدار فانوح بنفس لا تنقطع عن الحزن الى آخر الازمان وابكي بعيون مقرحة ودموع اشبه بسيل الطوفان او اموت فينقضي عمري وادرج بالاكفان ولا ارى كرسي مجدك فارغة بين العربان . فلا كان يوماً كنت به السلطان . وليتك بقيت محتجباً عن العيون في خباء النسوان لكنت حفظت من الغدر والخيانة فلا سامح الله من جعلك محطاً لاغراض الاعداء ولا كان الذي رماك بسهم الفناء ولم يشفق على امك المسكينة ولم يفكر بمصاب والدتك الحزينة . كنت سندي وسلوتي ومحط اشتكاء عذري في ظهوري وخلوتي . فصار عدمك موضوع حزني . ومصرعك ثوب ضنا جسمي . هل من لائم يلوم مهردكار اذا فقدت كل حاسة منها هل اذا سمع بختك الوزير القاسي القلب الخبيث الغدار بما اصابني لا يتأثر ويحزن لحزني ويعذرني هل لا يشفق على كل ذي قلب وشعور حركة هل اذا عرف والدي كسرى الذي يتمنى لي الموت والهلاك بما اصاب بنته وما لحق بها لا ينزل عن كرسي مجده ويجلس على التراب ويتأثر من وقوعي انا الحزينة الكئيبة بايدي المصائب من جرى عناد زوجي وخباثة بختك نعم ان الصخور ترثى لحالي وتساعدني العيون بتدفق طوفانها وتبطل الجوامد فتتحول الى لين فواحسرتاه على غصن العرب بل ثمرة الحياة وما برحت على مثل هـذا التعداد حتى ابكت كل عين ورثي لها كل قلب ومع ان حمزة كان يسمع الى تنديدها وتعنيفها كان لا يعي على شدة مصابها بل كان كالمجنون وقد انشدت بقول الراثي :

اخلق الدار بالعقيق الدثور ومحت ايها الصبا والدثورُ
اوحشت بعد اهلها فكأن لم يكُ في الدار زائر ومزور

ما بها غير اغبر اشعث الرا　　س حبيس على البلى مقصور
فكان المهامه الفيح طرس　　وحروف المطي فيه سطور
جدد الوجد والحنين او كار الـ　　ـعيس فيها وربعها المجهور
فحبسنا فيها مطياً طوتها　　شقق البيد والفلا المنشور
ووقفنا انضاء وجدٍ ووخدٍ　　لحنين يرى ودمع غزير
عذلوني على الوقوف اناس　　وفؤادي يوم النوى مفطور
ماعلى الركب من وقوفي بدار　　انا فيها على فؤادي ادور
كان حظي من المسرة فيها　　وافراً فالبكاء مني يسير
وماوفوا بالعهود صحبتي ومثلي　　لك يا دار بالوفاء جـــدير
ان يكن فيك للهجير سموم　　فبأحشاي للهموم سعير
ان هول الفراق افظع من كل　　مهول ويومـــه قمطرير
نشطوا للثرى فخثوا المطايا　　وفؤادي مع الركاب اسير
واهاب الحداق للعيس لكن　　فؤادي من دونها المزجور
رحلوا سمرة ببدر تمـــام　　في بروج الحدوج امسى يسير
انني حاسد لعود اراكٍ　　حال في ثغره فامسى ينير
فهو نشوان من لماه وفيه　　من ثناياه بارقٌ وعبير
ما كذا كان في عهودك ظني　　وعهود الظبي الغرير غرور
برّح الحزن فليسر حسودي　　وافترقنا فليطمئن الغيور
سكنٌ نازح وصبر خؤون　　وخطوب مع الفراق تجور
ما وفى لي بعد المدامع الا　　ساجعات ورقٌ لهن هدير
كلما شفنا الغرام فنحنـــا　　قيل غنوا واين منا السرور
اوجمتني الهموم بل اسكتتني　　فبنطقي عن البيان قصور
يا جفوني تكلمي بدموعي　　واشرحي بعض مايجنُّ الضمير
وارو لي يا نسيم اخبار احبا　　بيَ سراً وغنني يا سمير

ثم ان مهردكار رمت بنفسها فوق ابنها وهي غائبة عن الصواب واغمي عليها فاجتمع عليها النساء ورششن الماء على وجهها واخذن في تلطيف حزنها وتخفيف مصابها خيفة عليها وهي غارقة ببحر حزن عميق ولما استفاقت اعادت اللطم على خدودها وصدرها وهي تصيح وقد رفعت راسها الى السماء وانشدت :

يا رب بدري غاب عن طرفي وفي　　سحت النوى طول المدى يتحجب
يا رب انساني بدمعي غارقٌ　　والقلب في نار الجوى يتلهب
يا رب اني والفؤاد معذب　　والجسم ثاوٍ بالضنا يتقلب
يا رب ضيف الطيف زار ولم يعد　　فمتى الى دار المتيم يقرب
يا رب فاجمع شملنا متفضلًا　　فمنك لا من فضل غيرك اطلب

وكلما طال عليها الامر تزيد حزناً وكآبة وشدة حتى قربت من مفارقة الحياة وحينئذ تقدم منها الامير رستم ورفعها على يديه وقال لها هدي روعك يا خالتاه فما من فائدة في معاندة الحق سبحانه وتعالى نفع وقد وصلت الى حافة الحزن وانهكت جسمك بيوم واحد فما وقع عليك من هذه المصيبة هو ايضاً واقع علينا وكانت مهردكار تعتبر رستم وتحبه كابنها فقالت بكآبة انت تعلم يا عزيزي ان الله لم يرزقني الا هذا الولد فأخذته سلوة لي في وحدتي وغربتي ومرهماً لجرح قلبي وبعدي عن اهلي ووطني وكنت احب المحافظة عليه ولذلك لم ارضَ ان يتعلم فنون الحرب كي لا يخاطر بنفسه ويلقي بها في ميادين التهلكة غير ان اباك ما برح حتى احرمني اياه فقد اتفق مع العرب حتى قادوا به الى الموت وتركوني كل حياتي حزينة لا انزع السواد ولا اعرف الراحة الى ان اموت والحق به فاتركني الآن لاموت وادفن الى جانبه فما من طاقة لي على فراقه وهل تطيق الجسوم مفارقة الارواح . فلما سمع الامير كلام مهردكار وكان مثلها حزيناً وكئيباً وضائع العقل والقوى فلم يحتمل ان يسكت عن كلامها ويراعي شدة حزنها ويعذرها بل قال لها ماذا يعنيني فانت التي القيت بابنك الى الموت ووافقت على قيامه ملكاً وكان حقك ان تلومي وتلعني اباك وقومك لانهم قوم اشرار لا يراعون حرمة الانسانية

ولا يعرفون السلام والامانة . فقالت انت وابي على وتيرة واحدة فلو كنت انا عند ابي لما لحق بي من كل هذه المصائب وانا مفضلة القرب منك على كل شيء عزيز عند ولدي وكنت اظن ان منزلتي عندك ستكون اعظم مما هي بحيث تقدرني حق قدري فكان منك بخلاف ولهذا صار الموت احب عندي بعد فقد ولدي ومع ان مهردكار كانت من اشد نساء عصرها حكمة وادباً وصبراً الا انها في هذه المرة لم تعد تملك عقلها لتصبر على الدهر فابدت كل ما استكن في ضميرها وقد حق لها ان تلوم الامير وليس الان فقط بل قبل ذلك لانه وان كان يحبها كثيراً لكنه مال الى غيرها واتخذ عدة زوجات ولم يكن قد باداها كما كانت تظن مع انها بنت اكبر ملوك العالم في ذاك الزمان ومن اشهر نسائه جمالا وعقلا وفطنة ففضلت السير في الطرقات الكثيرة المشاق على القيام في بلدها ورضيت بحرارة الشمس وصبارة البرد والانتقال من جهة الى ثانية شرقاً وغرباً على التنعم والرخاء والرفاهية وبين يديها الوف من الخدم والعبيد والسادات وكلهم يتمنون ان يخدموها ومع كل ذلك كانت تظهر انها راضية من نفسها ومن الامير ولم تغتظ الا من امر واحد وهو زواج الامير بغيرها ولا يخفى ان هذا الامر يغيظ النساء ويفطر مرارتهن ولا شيء اشد عليهن من ان ترى الواحدة منهن لها شريكاً في زوجها لانهن كالرجال فكما يغار الزوج العاقل الشجاع على زوجته كذلك الزوجة الحكيمة الخبيرة تغار على زوجها وبقدر اشتداد تعقلها وجهلها يشتد غيظها من مشاركته في امرأة اخرى . وهكذا كانت حالة مهردكار الا انها كانت صبورة جلودة فتخفي مابها وتتظاهر بالرضى عالمة ان الغيظ والعتاب لايجديها نفعاً ويقلل من حب الامير لها وكانت تحافظ على راحته ولا ترضى ان تقلل من حبه ولو عاملها بتلك المعاملة عالمة ان العرب لا يكرمون النساء وانهم يتخذونهن للخدمة وقضاء الحاجة فقط . ولما جاء قباط وكبر تركت تلك الافكار وعلقت كل امل به ولا يخفى ان الزوجين مهما كانا يحبان بعضهما البعض اذا لم يلدا اولاداً تقل محبتهما وتضعف مع توالي الايام فاذا ولدا اولاداً كانت الاولاد

واسطة لربطهما ببعضهما حباً وحنوّاً وميلاً فتحملهما شفقة التربية على ذلك

وكانت مهردكار قد فقدت هذا الامر واضاعت صبرها بموت ولدها وحزنها عليه فتكلمت ما تكلمت وما استكن عليه ضميرها على غير وعي وادراك الا انها ادركت بعد هنيهة مع ما هي فيه من تلك الحالة انها جرحت حاسة الامير فانتبهت الى غلطها باسرع من لمح البصر وارادت ان تتلافى امرها وتقلل من غيظ الامير غير انه لم يترك لها مجالا لذلك ولا شفق على حالتها وما هي واقعة به ولا عذرها ولا اهتم بها وكان قد خسر بعض عقله كما تقدم فهاج كما تهيج فحول الجمال وقال انك تتشوقين الى ابيك وبيته وتكرهين القيام معنا وتتضجرين من مرافقتنا فاقسم بالله العظيم رب موسى وابراهيم وبحياة ولدي رستم انك لاتقيمين بعد اليوم معنا بل تذهبين الى ابيك وبلدك ولابد منه والله على ذلك شهيد . فلما سمع الفرسان والملوك هذا الكلام وهذا اليمين عظم عليهم الامر واشتد الحال فأنساهم حزن قباط ملكهم وحزنوا على مهردكار وانجرحت قلوبهم عليها وعرفوا ان الامير اقسم ولابد من اتمام قسمه فاغتاظوا في قلوبهم الا ان ما من واحد منهم تجاسر ان يفتح فمه او يبدي كلمة والامير على تلك الحالة بل اسرعوا الى ملافاة الامر واخذ قباط الى القبر فحملوه وكانت مهردكار عند سماعها كلام الامير وقعت الى الارض مغمياً عليها فحملها رستم الى داخل الصيوان فلم تعي الى اخذ ولدها وسار العرب في جنازة السلطان قباط حتى انزلوه القبر ودفنوه الى جنب اخوته وجدد الامير حزنه وبكى على ما اصابه في اواسط حياته وتذكر اولاده وشدة مصابه فأنشد :

يا بدوراً تغيب تحت التراب ... وجبالاً تمر مرّ السحاب
قل لصادي الآمال لا ترد الـ ... ـعيش فان الحياة لمع سراب
اين رب الآراء والرتبة العلـ ... ـياء والماجد الرفيع الجناب
صاحب الرتبة التي نكص العا ... لم من دونها على الاعقاب
حاز حلم الكهول طفلاً واعطي ... ورع الشيب في اوان الشباب

لم ترغ اعطافه نشوة الملـ ... ـك ولا يزدهيه فرط اعتجاب
رفع النـار بالبقاع اذا اخـ ... ـمدت بردالشتاء صوت الكلاب
ملك اصبح الخـلائق والايـ ... ـام والارض بعده في اضطراب
فاعتبر خضرة الرياض تجدها ... اثر اللطم في خدود الروابي
حملوه على الرقاب وقـد كا ... ن نداه اطواق تلك الرقاب
ما اظن المنـون تعلم ماذا ... قصفت بعده من الاصلاب
فليطل بعده على الدهر عتبي ... رب ذمّ ملقب بعتـاب
ايها الذاهب الذي عرض الام ... وال والناس بعده للذهاب
طـار لب السماح يوم توفيـ ... ـت وشقت مرائر الآداب
وعلا في المـلا عويل العوالي ... ونحيب اليراع والقرضاب
لو يرد الردى بقوة بأس ... لوقيناك في الامور الصعـاب
باسود بيض الوجوه طوال الـ ... ـباع شمّ الانوف غلظ الرقاب
تركوا اللهو للغواة وافنـوا ... عمرهم في كتائب او كتاب
وجياد مثل العقارب نحو الـ ... ـروع تسعى شوائل الاذناب
كل طرف مطهم سائل الغـ ... ـرّة جعد الرسفين سبط الاهاب
كنت لنا ذخراً لو ان المنايا ... جنبت عن رفيع ذاك الجناب
لم اكن جازعاً وانت قريب ... لبعاد الاهلين والانساب
ما بقائي من بعد فقـدك الا ... كبقاء الرياض بعد السحاب

ولما انتهى الامير حمزة من انشاده امر ان يذبح خمسة آلاف رأس من الغنم على قبر ولده وتنحر خمسمائة ناقة وتطعم للفقراء والمساكين ثم ان عمر العيار تذكر الملك قباط وجوده وحبه له فبكى عليه وفعل افعالاً كثيرة الحزن ثم انشد:

اليوم زعزع ركن المجد وانهدما ... فحق للخلق ان تذري الدموع دما
ما من وفيّ يبكي دمعاً بغير دم ... الا غـدا في صفاء الود متهما
يا فجعة احدثت في المجد معضلة ... تبلي الصميم وفي سمع العلا صمما

شق الجيوب بلا شق القلوب بها ... خلق ذميم لمن يرعى لهـا الذمما
حتامَ احزن في توديع مرتحلٍ ... واقرع السن في آثاره ندمـا
من خالط الناس كان الحزن ... من اكثر النوم لا يستذنبُ الحلما
فالناس تعجب اذ نظمت مرثيةً ... وهل سمعتم بميت ينظم الكلما
اين الذي كان مغناه لآمله ... حصناً وظل فناه للنزيل حما
اين الذي كان مسعاه وبهجته ... بين الممالك يجلو الظلم والظلما
اين الذي كان نعم المستشار به ... اذا تراكم موج الشك والتطما
وان غدت لملوك الارض مشكلةً ... غدا لها حكماً ترضى به حكما
يقظان يرضيك نجواه وخاطره ... ان قال أفهم او اسمعته فهما
فما ارتنا الليالي عنده نعماً ... حتى قضى فأرتنا عنـده نقما
قضى ديون العلى في عزة وقضى ... عف الازار بحبل الله معتصما
ما مال الا على مال يجود به ... على الورى ولغير الخيل ما ظلما
ولم يحرك لساناً في اذى احدٍ ... من العباد ولا اجرى به قلما
يا ناصر الحق لما عز ناصره ... وذل من لم يكن بالجاه ملتزما
ما كنت الا طراز راق منظره ... على ثياب العلى والمجد قد رقما
ماتت لموتك خلق كنت عزهم ... وما رميت ولكنَّ الاله رمى
حل الردى بك ضيفاً فانبسطت له ... وجدت بالنفس لما رامها كرما
قد سالمتك الليالي في تصرفها ... حتى المنية القت دونك السلما
ففاجأتك برفق لم يذقك ضنـا ... ولم تقاسِ بها في مرضة ألما
يا ابن الائمة والقوم الذين سموا ... على الانام فكانوا للهدى علما
قد كان وجهك في الاقبال قبلتنا ... فأصبح اسمك فيما بيننا قسما
وكان مالك في الاقوام مقتسماً ... فصار حزنك بين الناس مقتسما
كنا نعزيك في الاهوال نتلفها ... فاليوم فيك نعزي المجد والكرما
ارضعتنا ثدي انس منك نألفه ... فاليوم منك رضيع الانس قدفطما

تبدي التواضع للاخوان منبسطاً ... وان وضعت على هام النهى قدماً
بسطت لي منك اخلاقاً وتكرمة ... حتى غدا الود فيما بيننا رحما
فكيف احيي وقد زال الحياة لنا ... فان غمت بعده حزناً فلا جرما
ابكي عليه وهل يشفي البكا كمدًا ... ولو مزجت دموعي بالدماء لما
وكيف نبكي امرءاً كان الاله له ... في الحال والآل والخيرات قدحتما

وكان الامير عمر ينشد بصوت محزن وهو يدور حول الضريح ومن حوله جماعته العيارون يفعلون كفعله ويرددون ابياته ومن بعد ان فرغ تقدم الامير رستم واظهر كل حزن وبكى بكاء تتفتت له الاكباد وتنفطر منه قلوب الصخور وانشد :

وفى لي فيك الدمع اذ خانني الصبر ... وانجد فيك النظم اذ خذل النصرُ
واضحت تقول الناس والمجد والعلى ... كذا فليجل الخطب وليفدح الامرُ
قضى السيد والسلطان من بعد ماقضى ... فروض العلى طرًّا وسالمه الدهر
ولم يغن عنه الجأش والجيش واللهى ... وفرط النهى والحكم والنهي والامر
ولا الخيل تجري بين آذانها القنا ... لحرب العدى والدهم من دمهم حمر
لدى معرك خاضت به الخيل في الوغى ... من الدم فيما خاضت البيض والسمر
كأن لم يقدها في الهياج عوابساً ... بكل كمي ضم في قلبه الصدر
ولم ترجع البيض الصفاح من العدا ... مخضبة والبر من دمهم بحر
ولم يترك الابطال صرعى وغسلها ... دماها واحشاء النسور لها قبر
ولا صنعت فيها ظباه مآدباً ... فاصبح من اضيافه الذئب والنسر
ولا اخذت منه الملوك لسلمه ... زمام الرضى مما يقلقلها الذعر
ولا قلد الاعناق من فيض جوده ... قلائد بر لا يقوم بها الشكر
ولا جبرت كفاه في كل بلدة ... كبير كرام ما لكسرهم جبر
الا في سبيل المجد مهجة ماجد ... يشاركنا في حزنه المجد والفخر
كريم افاد الدهر منه خلائقاً ... فأيامه منه محجلة غرُّ

يروع جيوش الحادثات يراعه ... ويفني الاعادي قبل اسيافه الذكر
الى بابه تسعى الملوك وان غدت ... تعدى اليها القتل والنهب والاسر
لقد شهدت اهل الممالك انه ... مليك له فوق قدرهم قدر
فتى كان مثل الدهر بطشاً وبسطةً ... يرجى ويخشى عنده النفع والضر
فتى طبق الارض البسيطة جوده ... ففي كل قطر من نداه بها قطر
فتى لفظه مع رأيه ونواله ... يجيء ارتجالاً لا يغلغله الفكر
فتى لم يرنح نشوة الكبر عطفه ... ومن بعض ما قد ناله يحدث الكبر
فتى لم يدع في مهجة المجد حسرة ... مدى الدهر الا ان يطول له العمر
تقاصرت الاشعار عن وصف رزئه ... لقد خل حتى دق عن وصفه الشعر
طواه الثرى من بعد ما شرف الثرى ... ولم نرَ طوداً قبله ضمه القبر
احاط به الآسون يبغون طبه ... وقد حارت الافهام واشتغل السر
وراموا بانواع العقاقير برءه ... وهل يصلح العطار ما افسد الدهر
ومما يسلي النفس حسن انتقاله ... عفيف ازار لا يناط به وزر
فيا دوحة المجد التي عند ما زوت ... سمت وغت في المجد اغصانها الخضر
ترتبت الاحزان فيك مراتباً ... بقلبي ورقم الصبر من بينها صفر
سأبكيك طول العمر حتى اذا وهت ... سلوك عقود النظم انجدني النثر
عليك سلام الله ما ذكر اسمكم ... وذلك بين الناس آخره الحشر

وكان الامير رستم ينشد وفي قلبه لهيب نار واضطراب على اخيه ولم يبق له اخ وعلى خالته مهردكار التي كان يحبها كحبه لوالدته وهي كذلك تحبه محبة الام للولد وقد صمم النية انه اذا بقي اباه مصراً على ابعادها عن العرب وارجاعها الى الفرس يأخذ امه ورجاله ويرحل الى بلاده ويترك اباه وكذلك فرسان العرب وملوكها فانهم كانوا بحزن على ملكهم وعلى مهردكار الحزينة المسكينة وبغيظ من اميرهم حمزة وقد ترجح لديهم ان ما من وسيلة للبقاء بقربه وانه اذا بقي على حاله رحلوا عنه ويتركونه يرحل الى مكة المطهرة ثم

رجعوا من ذلك المكان وتمموا فروض العزاء وتفرقـوا في مساء ذلك اليوم الى خيامهم للنوم والراحة وهم لا يعرفون ما يكون في الصباح من الامير ومهردكار وقد شعر كل واحد منهم بان نجم العرب الزاهر سيأفل وان لا بد من تفرقهم قبل انقراضهم واما الامير حمزة فانه لم ينم تلك الليلة لانه كان حنقاً من زوجته وهو يرى الى كلمتها وقد اوصلته اضطراباته الى عدم الاعتناء بامرها بل بالعكس كان يفكر بان يرجعها الى بيت ابيها ولم يفكر بحسناتها ولا وعى الى جمالها وتعلقها به كل هذه المدة فكان ينظر بعين افكاره الى تلك السيئة مع انه لو كان يجمع كل حواسه ويعرف عن تعقل شدة الحزن الواقعة به لما حسب كلامها سيئة ولا اغتاظ منه قط وعرف ان لها الحق بان تتكدر من حالهـا مهما كانت كريمة الاخلاق ومهما كانت صفاتها حسنة وقلبها من حديد لكنه كان غـير جامع لعقله ولا ينظر الى الماضي وقد اوصله الحزن الى درجة الجنون حتى اقسم ذاك اليمين وكان لا يريد ان يحنث بيمينه بل يصرّ ويرغب في اتمامه على انه لو احنث على ما يظن لما حسب منه الا فضيلة وكرامة لان الله سبحانه وتعـالى لا يحمل الانسان ثقلاً بالمحافظة على كلام صدر منه عن الغيظ او عن غير غيظ ينشأ منه الغير وكثير من الناس من يزعم انه اذا اقسم يميناً لا يرجع عن يمينه ولو نتج من ذلك مضرة اناس او نفع اناس آخرين كأن مال اليمين عائد اليه اومرتبط به او مالك له على ان روابط الهيئة الاجتماعية تمنـع كل ذي نفس بشرية عن الانفصام عنها وتسأله الاشتراك معها ان على الخير وان على الشر اذا كان لا بد منه وما اليمين الا حجة تحتج بها ذوو العقول الضعيفة وعليه فلو عدل حمزة عن ارسال مهردكار في اليوم الثاني الى ابيها لمدحه الكبير والصغـير وحفظ سقوطه وكان باداها بالخير وعزاها على حزنها واقام بنفعها وكانت سرت منه وتاكدت خلوصه وكرامته ومحبته لكن صرف تلك الليلة منتظراً الصباح وهو مصرّ على اجراء ما نوى اجراوه

فهذا مان كان منه واما ما كان من مهردكار فانها لم تكن قط تتعزى وقد

عظمت عليها الحال جداً وكان ثابت لديها ان الامير قد قال ولا بد من اتمام قوله فلا يرجع قط ولو قامت عليه العرب باجمعها وخاصمته في ذلك وكانت تاكل اكفها ندامة وحسرة علي ما بدى منها في حق الامير وهي كانت تحب ان تصرف كل حياتها دون ان تجعله مرة واحدة مغتاظاً منها وقد حافظت على محبته سنين عديدة واجهدت نفسها كل المدة الماضية على مرضاته واعتباره واحترامه ووقاره كي لا يقال عنها مرة واحدة بان حبها فتر او قل او لا تعرف مقام زوجها ولو كانت مثله ضعيفة الاميال لا تعرف قيمة الحب ولا تحترم شدة الروابط المقدسة التي تربط الزوجة بزوجها لما بقي الامر بينهما على وفاق الى ذلك اليوم ولكنها كانت تقابل سيئاته بالحسنات وتجعل لكل عمل من اعماله الغير مرضية معها علة حسنة فتأخذها على محمل الحب وتنسى هفوة تقع منه صغيرة كانت او كبيرة ولو كن كل نساء العالم كمهردكار لما وقع نزاع قط بين زوج وزوجه ولما عرف الزوج من زوجته الا العفة والطهارة والتعقل والتدبير والحب الخالص والمودة الاكيدة الصافية والسرور الدائم الذي لاينقطع الى آخر العمر ولم تكن مهردكار معلقة بالحياة كثيراً بعد موت ولدها بل كرهت بها وعرفت ان لا بد من ان تلحق به عاجلاً كان او آجلاً لكنها كانت مكدرة كيف وقع منها تلك الكلمة بحق الامير امام الفرسان ولا بد ان يقال عنها انها فعلت غير الواجب عليها وهذا الذي كان يغيظها ويكدرها لانها كانت لشدة محافظتها على صيتها لاترغب ان يحكى عنها في الاجتماعات الا كل ما هو حسن فتكسب المدح عوض اللوم على ان كثيرات من النساء لايلتفتن الى هذا الامر اي انهن لايفكرن اذا حكين الناس عليهنَّ وكنَّ محطة للوم والتعنيف وموضوعاً للمظنة وجلَّ ما يرضيهنَّ اتمام رغائبهنَّ او انفاذ مقاصدهنَّ واجراء اوامرهنَّ واذا حكين كلمة لابد من العمل بها مرضية كانت او غير مرضية وما ذلك الا من قبح طباع تلك المرأة الغير فاضلة التي تفضل كلمتها على صيتها . وهكذا بقيت مهردكار الليل بطوله كئيبة حزينة على ما فرط منها وقد شغلت عن حزن ولدها بمس شعور زوجها وكدره منها

وصممت النية على ان تميت نفسها اذا بقي الامير مصراً على ارسالها الى ابيها وهي تفضل الموت الف مرة من ان تعود الى ابيها مطرودة من زوجها مهانة منه فيشمت بها هو وسائر قومه وتهان اهانة لم تكن تنتظرها وفوضت بامرها اليه تعالى

ولما كان الصباح خرج الامير من محل منامته ودعا اليه بالامير عمر العيار وقال له اذهب الى مهردكار ودعها تاخذ كل ثيابها وجواهرها وامتعتها واوصلها الى المدينة ودعها تذهب الى بيت ابيها فما من نفع باقامتها عندنا لانها تكره ذلك وانا كنت اظن بنفسي ذلك منذ زمان ولكنني غالطت ذاتي . فقال له عمر اخطأت فاذا سارت مهردكار عنا تكدر كل الفرسان منا لانهم يعرفون ويعترفون انهم يحاربون الفرس لاجلها ولاجل علم بيكار الاشتهار ويتاكدون ان مهردكار خالفت الفرس وجحدت دين النار واطاعت عبادة العزيز الجبار فاذا دخلت الى ابيها قتلها لامحالة فتكون انت السبب في موتها ولو قدرتها حق قدرها لما عاملتها هذه المعاملة بل كنت عبدتها عبادة الالهة واتخذتها صنماً تسجد له في الصباح والمساء فارجع عن عزمك ولا تفكر فيا فكرت وتخرب بيتك بيدك . قال هذا لا بد منه ولا ارجع عن كلامي قط فاقصر الكلام وانفذ امري قبل ان تغيظني وانت تعرف اصراري على انفاذ مقاصدي فما من وسيلة وما من امل ببقاء مهردكار قال اني لآخذها الى ابيها ولو قطعتني ارباً ارباً فلما سمع حمزة ذلك ارغى وازبد وقام وقعد وقال لابد من ذلك ولو كان به فناء نفسي . ولما راى عمر حالته تاثر من ذلك وعرف انه قد فقد الصواب والهداية وانه لم يعد يدرك ماذا يفعل فحزن عليه ثم خطر له ان ياخذ مهردكار الى غير المدائن ويضعها عند احد الملوك المجاورين اصحابهم الى ان يعي الامير الى نفسه ويشعر بعظم غلطه ويشتاق اليها فيعود الى طلبها ولكي يسكن من غضب اخيه قال له اني ساذهب الى اتمام امرك من هذه الساعة . ثم انه ذهب الى مهردكار فوجدها جالسة على حالة الحزن والكآبة . فقال لها انهضي واجمعي ثيابك فقد امرني الامير ان اسير بك الى ابيك فتساقطت الدموع من عينيها وقالت له اهذه هي مكافاتي من الامير وماذا ياترى

فعلت معه مع اني ما اغضبته مرة في زماني ولا تركته ليلة ينام مغتاظاً مني وشاركته في راحته وشقائه واحتملت معه الاهانة والعذاب وكنت ارى كل مايرضيه حسناً عندي وهو لم يشاركني مرة في حزني ولم يسامحني على كلمة قلتها وانا في اشد حزني والمي اهكذا تكون الازواج المحبين على اني والله عليم بما في السرائر اني ندمت كل الندم على ما قلته فخذني الى الامير عساه يصفح عن ذنبي ويغفر لي اثمي ولا يعود يرضى بفراقي قال لها اني كنت ارغب في ذلك لكنني شاهدت الامير فوجدته معذوراً على عمله لانه ضعيف العقل وما يفعله هو بلا ادراك ولا حكمة وبالحقيقة انه مجنون فاذا سرت اليه ربما اهانك بكلمة فيزيد الطين بلة واذا كان لايزال لك من امل بالرجوع ينقطع هذا الامل . قالت لقد اصبت ولكن اريد منك ان تاتيني بالامير رستم لاودعه فدعاه ولما حضر بكت بين يديه واخبرته بحالها وماذا يريد ان يفعل ابوه . فقال لها لاتذهبي اليه بل اذهب انا عساي ان امنعه مما يريد ثم ان رستم فرتم ذهب الى ابيه ودخل عليه فوجده قاطباً معبساً فقال له ياابتاه الا تشفق على مهردكار وتسامحها على غلطها وتترك لها اساءتها اذا كانت اساءت اليك وتعدل عن ارسالها الى ابيها . قال اني قلت ولا ارجع بقولي وما من مطمع لها بالبقاء عندنا . قال اني جئت بنفسي اسالك بذلك ولي ثقة كبرى انك تنظر الى طلبي بعين القبول وترضى عن مهردكار فهي كوالدتي وقد احبتني كابنها وما ذلك الا من حكمتها وتعقلها وشيمتها وقد قل ذلك في غيرها من النساء ان تحب الزوجة ابناء زوجها فهي فاضلة كاملة في كل اوصافها . قال كيف كانت فلا بد من اجراء ما امرت به والرجل حر التصرف بزوجته ان شاء احياها وان شاء اماتها فلا ارغب في ان يكون وسيطاً بيني وبينها فدع عنك هذا الكلام ولا تعده عليَّ ثانية . قال اذا تم ذلك تفرق العرب وسار كل واحد الى بلده وتنقرض دولة العرب بعد ذلك قال اني لا اسال عن الفرسان ولا الملاك فمن شاء القيام عندي اقام ومن شاء الرحيل عني فليرحل . قال اني ارحل في اولهم فاسير بوالدتي وعساكري وارجع الى بلدي واني اعرف اكيداً اذا سرت

لا يبقى احد من الفرسان فتبقى انت لوحدك وتكون بعملك قد هدمت بيوم واحد ما بنيته بمدة ثلاثين سنة تقريباً

قال كيف كان الحال لا بد من ارسالها فاذا سرت انت او سار الجميع او هلكت انا فلا بد من ارسالها . ولما راى رستم اصرار ابيه اغتاظ كثيراً ونوى كل النية على الرحيل بوالدته وتركه وجاء الى مهردكار وهو يتقلب من الغضب كانه الافعى وقال لعمر لاترسل مهردكار الى بيت ابيها بل اني ساسير انا الى بلادي فاخذها معي ولندع ابي وشانه . فقالت لاتفعل ياعزيزي رستم فاني لااريد ان ينحط شان العرب بسببي فاذا كنت تحبني ابقى عند ابيك واما انا فاني اطلب الى عمر ان ياخذني الى حلب فاقيم هناك الى ان ترجعوا اليَّ وارى ماذا يكون الله قد قسم لي من نصيبي . واني اعرف انه لابد لابيك من الندم عند ما يرجع الى نفسه فيرجع اليّ ويترضاني فاستصوب رستم هذا الراي وقال لعمر ارسلها مع احد عياريك ولا تدع ابي يعرف بذلك لترى ماذا يكون من امره وماذا ينتهي اليه امره . وعند ذلك اخذت مهردكار كل امتعتها وملابسها وكل ما هو لها ولم تبق مقدار ذرة في الصيوان . ثم تقدمت من رستم فودعته وبكت على فراقه وقالت له اعلم ياولدي اني فقدت ابني وكره بي زوجي وعاندني الدهر معاندة العدو الالد فلم يبق ولا على قسم من راحتي وانا اعرف انك انت الرجاء لي والغوث الكبير الذي يغيثني في مثل هذه الشدائد . واني ارى ان قلبي لا يرتاح الى هذه الحياة فهو يكرهها كثيراً ولذلك اظن لا بل اوكد اني ساموت قريباً ولا يمكني ان اراك او ارى ابيك بعد ذلك فاقريه مني السلام واذا مت وغبت عن هذه الدنيا ورايت من ابيك الندامة والحزن عليّ اذ لا بد له من ان يتذكر فيّ ولو كان قلبه من صخر فقل له اني قبل مبارحتي هذه الديار سامحته عن كل عمله وقد نسيت كل شيء واموت صافية النية والقلب من جهته غير متكدرة عليه قط بل متكدرة من نفسي كيف اغظته واغضبته ولم ارعَ حرمة سلطته عليّ وها اني اسامحه امامك واسقط كل حقٍ لي عليه فليسامحه الرب ويباركه ويحفظ وجوده

ويزيد شانه رفعة ويساعده على اعدائه ولا يضره لا بمجده ولا بجسمه ولا باولاده ونسائه بل يبارك الجميع الرب وانا اعرف انهم سيتذكرونني الى اخر الايام ولا ينسون وجودي بينهم قط وجل ما اريده منك ان تلح عليه وتحمله على مسامحتي والعفو عن كل هفوة وقعت مني ضده وفي عناده

فقال لها رستم لا تفكري بالسوء بل كوني براحة ولا تفكري بالموت ولا بالمصائب فهي قد انقضت وزالت واذا كان اخي قد توفي فانا لك عوضاً عنه ولا بد لابي بعد ايام قليلة من ان يتذكرك ويطلب احضارك فاحمله ان يذهب بنفسه اليك ويترضاك ويرجعك الى المعسكر. قالت اذا شاء الله وبقيت حية وفكر ابوك بالعفو عني وارجاعي اليه فلا اريد ان احط من شانه ولا ارغب ان اثقل عليه بالذهاب الى مرضاتي بل اكتفي بان يرسل لي خبراً مع احد فارجع اليه واقيم تحت ظله فهو شرفي ومجدي وسلطاني وقد امرت منه تعالى ان اطيعه واسمع اوامره وانفذها ان كان عن غيظ او عن رضى ولكن سترى يا عزيزي ان هذا اليوم هو اخر العهد بيني وبينكم فان ضميري يخبرني بان الحياة قصيرة وان الاجل سينقضي بعد ايام فالحق بولدي واترك هذه الدنيا

وكانت تتكلم ودموعها تنحدر متساقطة على خدودها غزيرة ورستم يتأثر من كلامها وبكائها ويجتهد في ان يلطف من احزانها ويسليها بقدر الامكان وقد قبل يديها وودعها بدموع سخية وقلب حزين ومن ثم ركبت وحمل لها عمر ما جاءت به واخرجها الى خارج المعسكر وهناك دعا بابنه الشاه ذئب وامره ان يسير في ركابها ويوصلها الى حلب ويرتب لها في خدمتها الجواري والخدم وكتب كتاباً الى نصير الحلبي يوصيه بالمحافظة عليها وبخدمتها الى ان يعودوا اليه ويرجعوا من حرب كسرى انوشروان فسار في ركابها الشاه ذئب وهي سائرة من خلفه والاحمال بين يديها وتبطنوا القفار الى جهة حلب وعاد رستم غضوباً على ابيه منكسر القلب على خالته وهو يتمنى ان يتبع بها او يسترجعها بعد امد قريب او انه يرحل عن ابيه الى بلاده بامه ورجاله وقد خاف انه اذا لحق به امر او قتل

في ساحة الحرب لحق بامه ما لحق بمهردكار فتهان وتطرد . وكان الامير حمزة قد ظن ان مهردكار ارسلت الى ابيها ولم يعرف بان عمرًا بعثها الى حلب وهو على حالته لم يتغير لبعدها في باده بدء لكنه شعر بالرغم عن قساوته بعظم عمله وظلمه لها فاكمد قلبه وزهد في الحياة وكره في الدنيا ومال قلبه الى مسالمة كسرى كل الميل وتمنى في ترك الحرب وقد زادت حالته اضطراباً وصار يطلب الانفراد ولا يرضى بالاجتماع مع فرسانه الا نادرًا وكان الفرسان ايضاً قد مالوا الى تركه والتخلي عنه وتحدثوا في ذلك فلم يتفقوا عليه وقالوا ليس من العدل ان نتركه في مثل هذه الحالة ولا سيما ان رستم لايزال بيننا وعلم بيكار الاشتهار يجمعنا

فهذا ما كان من العرب واما ما كان من كسرى فانه يوم وفاة سلطان العرب سمع الصراخ والعويل فدعا اليه بختك وساله عن ذلك قال اني دبرت على امر به الخير لنا وبعثت باخي بختيار لقتل الامير حمزة وولده سلطان العرب ولا ريب قتل احدهما وهذا الصياح لهذه الغاية ثم انه دعا بعشرة من عياري الفرس وامرهم ان يتزيوا بزي العرب ويدخلوا فيما بينهم ويتجسسون اخبارهم وينظرون ما هذا النواح والصياح فسار الجواسيس واقاموا بين العرب وشاهدوا كل ما كان من امرهم وعرفوا بارسال مهردكار الى حلب دون ان يعرف الامير بذلك وقد ظن انها ارسلت الى ابيها ووقفوا على باطن الامور وخارجها وحينئذ رجعوا الى المدينة ودخلوا على بختك واخبروه بكل ما شاهدوا فقال لكسرى قد انقضى الامر وتفرق العرب وانحط شانهم ولا بد من اتمام العمل مادام الامير على هذه الحالة فنسعى في القبض على مهردكار ما زالت على الطريق ولنرسل الى حمزة نطلب اليه اولاً علم بيكار الاشتهار حيث انه اخذه بالقوة الجبرية منا وانه تزوج بابنتك ولم يتبع سنة العرب اي اخذها بلا مهر ولا صداق وحيث قد ارجعها فليعيد الينا بعلم بيكار الاشتهار في نظير مهر لها فاكتب له كتابة لينة ولا ريب انه في الحال يرسل العلم المذكور ومتى ارسله تفرق العرب لغيظهم من عمله فتنفذ فيهم سهامنا ولا يتيسر لنا في كل يوم فرصة مثل هذه الفرصة . فراى كسرى اصابة

ذلك وكتب في الحال الى حمزة كتابة يخبره بوصول بنته ويطلب اليه علم بيكار الاشتهار ودفع الكتابة الى عيار من العيارين الذين كان قد ارسلهم في الاول واوصاه ان يدفع كتابته الى الامير وهو منفرد بنفسه عن العرب وينظر ماذا يكون من امره . فاخذ العيار الكتاب وسار في الحال الى ان دنا من الامير فوجده في صيوانه فدخل عليه واعطاه الكتاب فقراه ووضعه في جيبه وقال لقد اصاب كسرى فاننا اخذنا بنته ولم ندفع لها مهرًا ولا صداقاً وما ذلك الا من قصور مني وهو الان يطلب علم بيكارالاشتهار فلا بد من ان ارسله اليه وماذا ياترى يفيدني اذا بقي عندي وقد ذهب كل ما هو عزيز لدي قتل اولادي وكثر الحزن عليّ وهجرتني مهردكار ولم يبق من امل برجوعها اليّ ولا ترضى ان تراني فيا بعد فماذا افعل في العلم وفي كل ما هو موجود عندي بعد زوجتي واولادي فهل ارضى بعناد كسرى بعد الان وزوجتي عنده ويخبرني بانه يكرمها ويحسن مثواها .

ثم انه دعا باخيه عمر وقال له ابعث بعلم بيكار الاشتهار الى كسرى انو شروان في الحال وسلمه الى رسوله فسمع عمر هذا الكلام وهو باضطراب ونزل على راسه نزول الصواعق وقال له ماذا تريد اتريد ان تجعل خاتمة خرابك ارسال العلم الاكبر فليكن موكدًا عندك ان في الساعة التي ترسل بها هذا العلم يتفرق عنك الكبير والصغير ولا سيا هم الان بكدر منك لاجل مهردكار فكفى ما فعلت وانت ساعٍ الى هلاكك وهلاكنا الا تعلم ان عدونا هو كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان ومن الواجب ان لا تستحقره ولا تتهامل في امر انفسنا فهو يحتال على تفريقنا وهلاكنا فاحذر من ارسال العلم وعِ الى نفسك . قال قلت لك ارسل العلم المذكور فلا عدت ترجعني قط وهاك الرسول فسلمه اياه وابعث معه بالرجال توصله الى المدينة فوقع عمر في الخبال وتاكد لديه ان النحس قد احاط بهم وان ايام الامير قد انقضت حيث قد خسر وعيه ولم يعد يعرف ماذا يصنع ثم ان السادات اجتمعوا بالامير وجعلوا يتعطفون اليه ان لا يرسل علم

بيكار الاشتهار الى كسرى انو شروان واخبروه انه اذا ارسله اليه تفرقوا عنه فقال لهم ان الذي يرغب في الذهاب الى بلاده فلا يتأخر فأني لا اتكدر لفراق احد ولا اريد صحبة احد وما عدت انظر في الحياة المرتجي الراغب فيها واني لا ارى في تجمعكم من فائدة ولا بدلي من ارسال العلم فارسله يا عمر في الحال واذا تاخرت اوقعت بك وكان سبب التأخير عليك وبالاً

فكدر هذا الامر جميع فرسان العرب وملوكهم وخرجوا من عند الامير مغتاظين متكدرين وذهبوا الى صيوان الامير رستم فاجتمعوا به وقالوا له ان اباك قد امر بارسال علم بيكار الاشتهار الى كسرى انو شروان وسلمه الى الرسول الذي جاء من عنده وصار بيننا وبينه ما هو كذا وكذا وكان رستم متكدراً من ابيه فقال لهم اعلموا يا جماعة اني طالما قصدت ان اترك ابي وارجع بامي الى بلادي واقيم مرتاحاً غير اني ارى ان من واجبات الابوية ان ابقى تحت جناحه وان احتمل منه ما يفعل وقد سألته كثيراً ان يبقي مهردكار فلم يصغ الي ولا سمع مني ولا اجاب سوالي وقد زاد على ذلك بان ارسل علم بيكار الاشتهار الى عدونا كانه يريد ان يسلمنا اياه فما زال ابي على هذه الحالة لا يمكن ان نفوز بنجاح مع الفرس بل يتوصلون الى تفريقنا اما بالحيلة واما بالقتال وارى من المناسب ان نتفرق نحن اولاً من انفسنا ويذهب كل انسان الى حال سبيله والى بلاده ومتى تأكد ابي هذا الخبر سار الى مكة ورجع العرب الى حالهم الاول فاذا قصد كسرى تلك الجهات لا اظن انه ينجح ولا اظن انه يقصد مكة

ثم ان رستم فرتم خرج من صيوانه وصاح بالصيصان وقال له هيا بنا الى السفر فاجمع العساكر باقل من ساعة فما من امل لنا بالبقاء في هذه الارض ثم سار الى والدته ودعاها للركوب فقالت اني لا اريد منك ان تفعل هكذا يا ولدي وان تتخلى عن ابيك وتتركه عرضة للاعداء قال خير لنا ان نرحل من ان يسلمنا الى كسرى لانه يرغب في مسالمته فلو طلب اليه ان يسلمه رستم لسلمه اياه ولم يعد يشفق على حاله ولا على احد ومهردكار زوجته التي وقعت العداوة بسببها وجرى

ما جرى من اول عمره الى هذه الايام قد تركها ولم يعد يفكر بها وطردها كانها عدوته مع انها من احسن نساء هذا العصر المفردات بالادب والحكمة وخلوص النيه فما من امل بالبقاء وقد عزمت كل العزم على السفر فاحضري ثيابك واركبي في الحال. ثم انه ركب واركب امه وركب الصيصان وسار بالعساكر من تلك الناحية تاركاً اباه ومن معه ولم يودع احداً ولما رأى باقي الفرسان فعله اقتدوا به وساروا الى بــلادهم واوطانهم كل واحد في طريق ولم يبق مع الامير الا الثمانمائـــة فارس وهم رجاله الاخصاء الذين جاء بهم من مكة اي الذين ولدوا معه وتربوا معه ورافقوه في كل اسفاره ونظر عمر العيار الى هذه الحالة فحزن كثيراً وظن ان الارض قد انطبقت على رأسه وان روحه انسلخت من جســده وحزن كثيراً وتأكد فناء اخيه وقرب زوال نجمه ودام على مثل هذه الحالة الى الصباح وفي الصباح خرج الامير حمزة من صيوانه ونظر الى ما حوله يميناً وشمالاً فلم يرَ احداً فتعجب ودعا باخيه عمر وقال له اين العساكر والفرسان فاني ارى الارض خالية وما من احد من انصارنا فيها. فقال انهم تخلوا عنك لما رأوك قد ارسلت علم بيكار الاشتهار وانك نويت على تفريقهم ولم تصغ الى نفسك ولا وعيت الى قهر عدوك وقد سلمت بعلم بيكار الاشتهار وتنازلت عن مهردكار ولم تعد تعرف ماذا تصنع فغاظهم ذلك وفرقهم شرقاً وغرباً شمالا وجنوباً كل واحــد الى بلاده ولم يبق من امل باجتماعهم مرة ثانية فهلم بنا نسير نحن الى مكة فنقيم هناك ونريح انفسنا من القال والقيل ومن الحرب التي كادت تهلك جسمك وتعدمك الراحة وهذا خير لك من الموت بيــد الاعداء. فقال ان كان راح الفرسان فهم احرار ولا اقدر ان امنعهم لكن كيف راح ابني رستم وهل اطاعهم على التخلي عني وتركي لوحدي. قال ان رستم سار في الاول ولما رآه الجميع اقتدوا به وتفرقوا فشعر اذ ذاك الامير بصعوبة مركزه واضطرب اضطراباً عظيماً ووقع بالارتباك وكان صحا الى نفسه مدة وقال لعمر لا بأس من ذلك لكن اخبرني هل سلمت مهردكار الى ابيها قال نعم حيث امرتني فأجريت امرك. فصاح من الالم ولطم على

وجهه وبكى وناح وقال ويك يا عمر اما حركتك الشفقة عليّ اما وعيت الى تدبير الامر وحفظت لي زوجتي كيف اطاعك قلبك الى تسليمها الى ابيهـا فهو يقتلها لا محالة واحسرتاه عليك يا مهردكار يا زينة المخدرات وكوكب الاداب ووحيدة الفضل والطهارة . ماذا جرى عليّ يا ترى كيف لم امت قبل ان سمعت بوصولها الى ابيها اوكيف لم يقطع لساني قبل ان ابعث بها الى ابيها فواحسرتاه الان بدأت المصائب وحملت عليّ المصاعب من كل جانب ودنا الاجل المحتوم فلا بد لي اذا اصيبت بمكروه من قتل نفسي واللحاق بها واي رجاء ارجوه من بعدها فلا سامحك الله يا عمر على عدم مداركة هذه المصيبة . قال واي ذنب عليّ فقد سألناك فيها كثير فلم تقبل وكثيراً ما ترجاك رستم واجتهد في بقائها فلم ترض واخيراً وجدت من الحكمة انفاذ امرك والقيام بقسمك فلم ارض ان ابقيها في المعسكر فأرسلتها الى نصير الحلبي مع الشاه ذئب على امل ان تبقى هناك الى ان نعود نحن من هنا ويرجع اليك عقلك وانا عارف بانك ستندم على ما وقع منك وتحزن من اجلها فاذا كنت انت مجنون فانا لا ازال بعقـلي فلم استصوب ان ارسلها الى ابيهـا . فقال الامير حسناً فعلت يا عمر فخذ الان المال والانعام مع فرسان مكة وسر بهم الى تلك الارض واقم هناك الى ان اوافيك لاني سأذهب الى حلب واترضى زوجتي واخذها معي واسير الى مكة المطهرة

فقام عمر في الحال وجمع الاموال ورفع الاحمال وامر عياروه والعبيـد ان يسوقوا امامه ويسيروا قاصدين مكة وركب الامير اليقظان وقد صحا الى نفسه وسار في طريق حلب وهو يتمنى ان يطير ليصل الى هناك ويشاهد زوجته مهردكار ربة الحسن والجمال وصاحبة العقل والكمال وكان قلبه يتعلق باخبارها لا تذهب من فكره دقيقة يتمنى سرعة الوصول ليشاهدها قبل ان تحل بها مصيبة وكان خائفاً من ان يؤثر فيها الحزن فتسقم وتمرض وتموت لانه يعرف صـدق محبتها ويؤكد انها من النساء اللآتي يتأثرن لاقل الاشياء ويدركن كل الاشياء وانها تعرف ان محبة الزوج ضرورية وان المبادلة بالحب لا بد منها مع ان الامير

لم يوفها حقها ولا بد ان يغيظها هذا الامر ويحزنها كثيراً وهي تحب الموت كثيراً من ان يقال عنها بان زوجها طردها بعد ان كان قد احبها وفعل ما فعل لاجل الحصول عليها واهلك مئات الوف من الرجال بسببها وهذه الافكار كانت تزيد في قلق الامير وتلقي عليه الاوهام وصارت امور حياته تنجلي له شيئاً فشيئاً وتاريخ حياته مع مهركار يتضح امام عينيه فيراه كما هو وهو مملوء من الحسنات والكرامة والراحة فيتعجب من رداءة عمله وكيف يتهاون في اكرامها ويتقاعد عن عبادته مع انها تستحق العبادة والاكرام والتعظيم كالالهة التي تعبد وكلما تقدم الى جهة حلب يرى قلبه يزيد في الانفطار والانعطاف الى جهه زوجته الامينة العاقلة المحبة الوحيدة بين النساء التي تتمنى كل امرأة عاقلة ان تكون جامعة لصفاتها ودام على المسير مجداً في طريقه

فهذا ماكان من الامير حمزة واما ما كان من كسرى انوشروان فانه سر سروراً لامزيد عليه مما راه من حالة العرب وشعر كان هماً عظيماً سقط عن قلبه وحملاً ثقيلاً وضعه عن عاتقه فقال اي وزيري بختك باي شيء اكافيك لقد ارحتني من كل هذه المتاعب وارجعت الى دولتي مجدها وفخرها وتفرق العرب ووقع بينهم القيل والقال وما من رجاء باجتماعهم فباركت النار فيك وغمرت روح ابيك وجعلتها في احر لهيب وتراكمت عليها جبال النيران فهي تستحق اكثر من ذلك . قال اني سألتك مراراً ان تصبر عليّ وانت تعاملني بالقساوة ولا تحلم فيَّ مع اني اعرف ان العرب بالخداع يتفرقون ولا بد لي من متابعة الامير الى ان اهلكه . قال هذا لا اريده وجلَّ ما اريد ان لا اسمع بعد الان باسم العرب ولا يفتح امامي احد ذكر حمزة وقد بعد عنا ومن اللازم ان نفتكر في داخلية بلادنا ونحسن ماليتنا ونرجع ما خسرناه ونسترجع البلاد التي ارغمها العرب على الطاعة واستولوا عليها بالسيف فانشر امري في كل البلاد ان لا يذكر احد اسم العرب بعد ان انقرضوا وكاتب جميع العواصم واخبرهم بما وقع عليهم وكيف تفرقوا وانقرضوا واجهد النفس الى اصلاح شؤون البلاد . فلم يمكن بختك المخالفة فوعد كسرى

اجابة امره وقد اصر في نفسه على الخبث والخداع وان يسعى في اتمام عمله وبعد ان قام من حضرة كسرى ذهب الى قصره وقلبه مملوء من الفرح من مدح كسرى منه وسروره من عمله وكان قد عرف ان مهردكار في حلب فدعا اليه احد القواد الذين من احزابه وقال له انت تعلم ان العرب قد قتلوا اخي واريد ان اخذ منهم بثاري فلا تتقاعد عنه قط والان سأكتب لك كتاباً الى نصير الحلبي لكي يسلمك اياها فسر بخمسين الف فارس من العجم فاذا سلمك اياها حالاً احضرها لانتقم منها واذا امتنع عن ذلك خذها منه بقوة السيف والسنان ولا بد من احضارها معك كيف كان الحال

فاجاب القائد امره واخذ خمسين الفاً من الاعجام وسار بهم الى مدينة حلب حاملًا امر الوزير ولما وصلها دخل على نصير الحابي واعطاه الكتابة وسأله تسليم مهردكار وقال له ان راية العرب قد نكست ولم يبق من امل باجتماعها ولذلك قد جئت اليك لارجع البنت الى ابيها وترجع انت الى طاعة كسرى ولا ريب انها وصلتك رسالته بالعفو عنك وقد بعث الى كل الذين دخلوا في يد العرب ان يرجعوا الى طاعته ومع ذلك فانك ان سلمتني مهردكار كان خيرًا والا نانى اجبرك على ذلك واقبض عليك واعزلك عن الملك

قال فلما سمع نصير حاكم حلب هذا الكلام حزن كثيرًا وانفطرت مرارته وكان متحيرًا لا يعرف ماذا يصنع وقد بلغه ما صار بالعرب وكيف انهم تفرقوا عن اميرهم وكان يخاف من انهم يعودون الى التجمع ويطالبه الامير بزوجته وكان يحب ايضاً ان يحافظ على مودة العرب ويراعي حرمة الصداقة ولا سيما انهم يعبدون الله سبحانه وتعالى الا انه كان لا يقدر على المدافعة والممانعة ولا يسعه محاربة كسرى انوشروان وبقي مطرقاً اكثر من نصف ساعة محتارًا في امره لا يعرف بماذا يجيب وبعد التروي والتفكر قال للقائد الفارسي اعلم ان مهردكار هي الان في قصر مخصوص خارج البلد لانها من حين وصلت اليّ سالتني القيام في ذاك القصر والانفراد به فاجبت طلبها وبعثتها اليه فاذا شئت ارسل من ياتي

بها من قبلك وخابرها في هذا الشان فانا لا ادخل ولا اخرج في ذلك ولا علاقة لي به وليس من اللياقة ان ابعدها عن زوجها ولا عن ابيها فافعل بنفسك ما انت فاعل واذا جاء الامير ولامني اعتذر اليه بانك اخذتها بالرغم عني ولا علم لي بذلك. فلما سمع القائد بمكان وجود مهردكار ارسل عياراً من الذين صحبوه وامره ان يقبض عليها بالرغم ويحضرها الى معسكر الاعجام دون ان ياتي بها الى نصير فسار العيار الى القصر المذكور وكانت ابوابه مقفلة فتسلق جدرانه وسقط الى وسطه وجاء فناوه . وكانت مهردكار في ذاك القصر مقيمة على الراحة والانفراد والاطمئنان من معاشرة وجوه الناس والنظر اليهم ولكنها حزينة من كره زوجها لها وهي لا تحب ان تلقي اللوم عليه لعدم امانته في حبها بل كانت تعرفه ان اللوم في ذلك على الحوادث والاحزان التي شيعت عقله وتوكد انه لا بد من ان ينتبه الى نفسه ويرجع الى عقله فيعض اصابعه ندماً ويرجع اليها معتذراً وهذا الذي كان يسليها في انفرادها ووحدتها ويجعلها ان تداوم على الانفراد وكانت محبة الامير لاتزال على حالها في قلبها ولم ينقص منها شيئاً بل في كل يوم يمضي عليها في بعدها عنه تتحرك اكثر وتميل باكثر من الاول وهي تتمنى ان تعرف كيف حاله مع ابيها وتوكد انه اذا ما جاء هو حلب يجيء عمر العيار او الشاه ذئب فيرجع بها او يطمنها عن حالهم . وفي نفس ذاك اليوم جلست في وسط الفناء وقد شعرت من نفسها بانقباض وضيق صدر وصارت الدنيا في عينيها سوداء ولا تعرف لذلك سبباً وعظم عليها الامر وخافت ان يكون وقع على الامير مكروه وكانت طول الوقت تتساقط الدموع من اعينها وتنحدر على خدها بالرغم وقد تذكرت كل ما مرَّ عليها في حياتها من هناء وعناء ومرَّ على فكرها حوادثها مع الامير وكيف كان يحبها وكم من المرات قد القى بنفسه الى الاخطار من اجلها وقد تعذب كثيراً قبل ان حصل عليها وبعد ان حصل عليها بقي على حبه واحتمل ما احتمل ولم يرضَ اهانتها ولا تسليمها الى ابيها فكانت هذه الافكار تسليها لكنها ما كانت تمنع عنها انقباض صدرها وذهاب قلبها وهي خائفة من حادث جديد لانها

كانت من عقلاء الدهر وحكمائه وتعرف افعاله باهله وتعلم ان هذا لايحصل في الانسان بدون سبب بل ياتيه منبهاً عن وقوع امر خطير قبل وقوعه وفيما هي على مثل ذلك واذا بالعيار الفارسي قد دخل الفناء وهو كالشيطان الاشمط وقال لها انهضي يا سيدتي فقد جئت لاذهب بخدمتك واسير بك الى ابيك مع الفرسان الذين جاءوا لهذه الغاية واني اخبرك ان العرب باجمعهم تفرقوا وذهب كل امير الى بلده ولم يبق مع زوجك ولا رجل وعليه فمن اللازم ان تسرعي بالذهاب معي فلما سمعت هذا الكلام شعرت كأن روحها قد انسلخت عن جسدها وقد انطبقت عليها الدنيا من اربع جهاتها لكنها تجلدت وارادت المدافعة عن نفسها وفضلت الموت على التسليم والرجوع الى ابيها ذليلة مع انها تعلم ان اباها لا يبقي عليها . فقالت للعيار ارجع من حيث اتيت فاني لا اريد ان اذهب الى ابي ولا اسلم نفسي ما زال زوجي حيًّا قال اني اخبرك يا سيدتي اني أُمرت بالذهاب بك طوعاً او كرهاً فلا تمتنعي واذا امتنعت ألتزم بان اقبض عليك واقودك غصباً عنك وهذا لا اريده لانك سيدتي وبنت ملكي لكن لا اريد الذهاب بدونك ولا يمكن ذلك مطلقاً . قالت اني لا اسلمك نفسي ابداً واذا كنت تجسر على على الدنو مني فافعل وليكن مؤكداً لديك انك لا تقدر ان تخرجني حية من هذا القصر فاراد الدنو منها فبعدت عنه وسارت الى غير جهة وجعلت تحاوله تارة بالتصبر وطوراً بالفرار حتى مضى على ذلك اكثر من ساعتين واخيراً رأت انلابد من وقوعها في يده كيف كان الحال فعظم عليها الامر ونظرت الى الدنيا نظر المودعة وكان في يدها خاتم به فص سام فوضعته في فمها ولحسته بلسانها وقالت بيدي لا بيد غيري وفي الحال سرى فعل السم في جسدها وشعرت كأن سهماً من النار قد ضرب الى جوفها وان احشاءها قدتمزقت ووقعت الى الارض وانقلبت سحنتها ونفرت عيناها وجعلت تخبط كالمنازعة ولم يخطر في فكرها وهي على تلك الحالة والنزاع يتغلب عليها الا الامير حمزة زوجها واما العيار فانه وقف مبهوتاً وتاثر من تلك الحالة ورق قلبه الصخري على حالتها وصبر عليها الى ان

تموت وتستكن حركاتها فيحملها مائتة الا ان قبل ان تصل الى درجة الموت الاخيرة سمع صوت الامير حمزة داخلاً من باب القصر وقد صاح وانقض على العيار فضربه بسيفه فقتله ونظر الى زوجته على تلك الحالة فطار عقله وفقدصوابه وغاب عن هداه ودنا منها وغمرها اليه وهي باسوأ حالة وقد سمعت صوته ففتحت عينيها واغرورقت بالدموع وندمت في ذاتها على سرعة لحس السم حيث لا ينفع الندم ولكنها ارادت ان تريح فكر زوجها فاستجمعت قواها وقالت له وهي على آخر رمق من الحياة اني اعرف حبك وقد ثبت عندي في حال موتي واكد الان اني سامحتك عن كل شيء. وأسأل الله ان لا يجازيك الا بالاحسان ولا ينتقم لظلمي منك بل يوفقك في كل حياتك وآخر كلمة اقولها لك اني احبك ياحمزة وحبك سيكون معي في قبري اني متعزية حيث رأيتك عند موتي وفي الدقيقة الاخيرة من حياتي اني احبك وحبي قضى عليّ . ثم انقطع صوتها وتخدرت اعضاؤها واخذت الحرارة تفارق جسمها شيئاً فشيئاً حتى كاد يصير كالثلج وقلت الحركات وانقطعت التنفسات فتأكد الامير موتها فنتف لحيته وصاح وناح وضمها اليه ووقع الى الارض مغشياً لايعي الى الدنيا ولا الى ما فيها

قال وكان الامير قد وصل الى حلب في تلك الساعة وهو منفرد بنفسه كما تقدم فوجد عساكر العجم حول المدينة فعرف انهم ما جاؤا الا لامر خطير ولابد ان يكون لاجل زوجته او من اجل نصير الحلبي فلم يتعرض لهم وعرج حتى دخل بيتاً في اطراف المدينة ودعا صاحب البيت وامره ان يذهب الى نصير حاكم حلب ويطلب اليه ان ياتيه بالسر وحذره من ان يطلع احداً على امره وكان يريد قبل كل شيء ان يعرف بمكان وجود مهردكار ويراها ومن ثم يظهر نفسه فسار الرجل في الحال ودخل على الحاكم واسر اليه خبر الامير وامره ان ياتي اليه فأجاب في الحال وسار بنفسه حتى وصل اليه وسلم عليه وهنأه بالسلامة فسأله عن زوجته فقال له اعلم يا سيدي ان الخبيث بختك قد ارسل بهذه العساكر لاخذها الى المدائن وحاولت كثيراً فلم اقدر والان قد بعث بعياره ليقبض ويأتيه بها

وهي مقيمة في القصر الفلاني خارج المدينة . فلما سمع الامير هذا الكلام لم يصبر على الجواب بل نهض في الحال وهو يرغي ويزبد كانه الاسد الزائر واسرع الى القصر المذكور ولما وصل اليه وجد بابه مقفلاً فدفعه برجله بما اعطاه الله من القوى فكسر قفله ودخل الى الداخل ورأى ما راى وقد بقي غائباً اكثر من ساعتين ولو جاء احد اعدائه في تلك الساعة لتمكن منه وقتله لانه كان كالاموات لا يتحرك ولا يتنفس ولا يعي ومن بعد ذلك انتبه لنفسه فرأي زوجته لا تزال بين يديه ولكنها بلا روح فاكثر من الصياح وفعل كما تفعل النساء وصارت الناس تاتي على صياحه فيرونه على تلك الحالة حزيناً كئيباً فيحزنون على حزنه حتى جاء نصير فرآه على حاله فأبعد زوجته الى غرفة وخاف عاقبة الامر وقال للامير تمهل يا سيدي فان للحزن وقت آخر والان اعداؤنا محيطون بنا فاذا سمعوا بك وبحالتك فاجأوك بغتة فانهض الان وخذ بثأرك منهم ثم عد وافعل ما انت فاعل فاحتدم الامير من الاعداء وحركه حب اخذ الثار فنهض كانه الغول وركب على جواده اليقظان ليشفي فؤاده من الاعجام ورأى نصير حالته فأمر بعساكر المدينة ان تسير في اثره وما اقل من نصف ساعة قامت الحرب على ساق وقدم واشتد القتال والنزال ولما رأى الاعجام الامير وسمعوا صياحه وقع الخوف في قلوبهم ولا سيما عندما راوه يهيج كما تهيج فحول الجمال وينحط كما تنحط الاساد على اضعف الغزلان فقاتلوا الى آخر النهار وعند المساء انهزموا امامه وطلبوا الفرار فسار في اثرهم حتى اهلك منهم جانباً عظيماً وشفى بعض غليل قلبه . ثم عاد راجعاً الى القصر واعاد البكاء والنواح وقد انشد يقول :

خليليَّ من عليا هلال بن عامر   بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
ولاتزهدوا في الاجر عندي واجملا   فانكما بي اليوم مبتليان
الا فاحملاني بارك الله فيكما   الى حاضر البقاء ثم دعاني
اغركما مني قميص لبسته   جديداً وبرداً يمنة زاهيان
متى تكشف عني القميص تبينا   بيَ الضر من هجري ايا فتياني

اذا ترياحياً قليـلًا واعظاً   بلين وقلباً دائم الرجفان
فقالا نعم تشفى من الداء كله   وقاما مع العواد يبتدران
نعم ويلي قال متى كنت هكذا   ليستخبراني قلت منذ زمان
فقالا شفاك الله والله ما لنـا   بما حملت منك الضلوع يدان
معي صاحبا صدق اذا ملت ميلة   وكان بجنبي سرعة عدلاني
فيا عم يا ذا الغدر لا زلت مبتلي   حليفـاً لهم ٍ لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية   فألزمت قلبي دائم الخفقان
واورثتني غمًا وكرباً وحسرةً   واورثت عيني لازم الهملان
فلا زلت ذا شوق الى من هويته   وقلبك مقسوماً بكل مكان
واني لاهوى الحشر اذ قيل انني   وحبي يوم الحشر ملتقيـان
الا يا غرابي دمنة الدار بيننا   ابا الهجر منها اليوم تنتحبان
فان كان حقاً ما تقولان فاذهبا   بلحمي الى وكريكما فكلاني
كلا اكلاً لم يرَ الناس مثله   ولا تهضما جنبيَّ وازدرداني
لو ان اشد الناس وجدًا ومثله   من الجن بعد الانس يلتقيان
ويشتكيان الوجد ثمة اشتكي   لاضعف وجدي فوق ما يجداني
فقد تركتني لا اعي لمحدثٍ   حديثاً وان ناجيته ونجاني

وما من حاجة للتطويل في ذكر ما لحق بالامير حمزة من الاحزان والاشجان والبكاء والنواح وما انشد من الاشعار وما اذرف من الدموع الغزار وهو تارة يفيق وطورًا يغمى عليه ونصير الحلبي واكابر اهل حلب يشفقون عليه ويدارونه وهو في مزيد قلق واضطراب ولا ريب ان من عرف حالة الامير من مبدأه وعرف صفات مهردكار وما كانت عليه من الجمال الباهر والعقل الزاهي الزاهر تاكد انه لو كان زوجها من اشد القلوب قساوة واعظمها بغضاً وعـداوة للانام وبكى عليها اكثر بكاء من رجل على زوجته وصرف الامير يومين وهو لا يفارق ذاك المكان حتى وعي الى حاله قليلًا فامعن النظر في زوجته مهردكار فرآهـ

وقد بدلت سحنتها وتغير لونها وكاد لا يصدق انها هي نفس مهردكار ولو لم يكن شاهدها وماتت بين يديه وهي تخبط وثبت عنده انهاهي اذ كلمته وسرت بموتها بين يديه لذهب عنه الحزن وحتم بانها ليست مهردكار غير ان ما من وجه للشبهة وثبت في عينيه ان الموت يغير حالة الانسان ويضيع هيئته الاصلية فلا يعرف وعند ذلك تقدم منه نصير وقال له اعلم يا سيدي ان كرامة الميت دفنه وزوجتك التي ماتت ستنتن وتجف ثم تبلى ولا بد من دفنها قال لقد اصبت فادفنوها في التراب وابنِ لي عند قبرها مزاراً وقبة فقد عزمت ان ابقى العمر ابكي على قبرها الى ان اموت وادفن في التراب الى جنبها وما من امل لي بالحياة بعدها

وفي الحال امر نصير الحلبي ان تبنى قبة في جانب المدينة في روضة فسيحة مملوءة بالاشجار والازهار الزاكية الطرية حسب امر الامير ونقلوا اليها مهردكار وابتنى فوقها مزاراً فسيحاً وكتب على ظهر القبة :

فان تسألاني فيمَ حزني فانني رهينة هذا القبر يا فتيان
واني لاستحييه والترب بيننا كما كنت استحييه حين يراني

وجاء الامير ونظر الى تلك الفسحة وذاك القبر المحزن فعدد زوجته وبكى بكاء النسوان ذوات الشعور العظيمة والقلوب الرقيقة واذرف دمعاً سخياً وانشد على القبر

يا صاحب القبر يا من كان يؤنسني وكان يكثر في الدنيا موالاتي
لزمت ما كنت تهوى ان تراه وما قد كنت تألفه من كل هيئاتي
فمن رآني رأى عبري مولعة مشهورة الندى تبكي بين اموات

وبكى بكاء كثيراً حتى عذره الصاحب والصديق وقد انشد ايضاً

اشفقت ان يرد الزمان بغدره او ابتلي بعد الوصال بهجره
قمر قد استخرجته من غمده ليلتي واثرته من خدره
فقتلته وله عليَّ كرامة فليَّ وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائم والطرف يسفح دمعتي في نحره

لو كان يدري الميت ماذا بعده بالحي منه بكى له في قبره
غصص يكاد تفيض منها نفسه ويكاد يخرج قلبه من صدره

وهكذا كانت حالة اميرنا صاحب هذه القصة فانه ذلّ لسلطان الحزن بعد تلك الانفة وذاك العز ولان بعد ان كان قد تعودالقساوة وتقلب على بساط الدهر كثيرًا وحارب الحوادث مرارًا وكثيرًا ما غلب الدهر فساعدته الاقدار عليه ففار بكل ما اراد حتى سلبه الفتاة التي عرف انه بموتها يذل ويخضع لسلطانه ويعرف عظم قدرته وسمو سلطته ونفوذ كلمته وشدة قوته وقد كره في الحياة و اصر في نفسه انه لا يفارق القبر حتى يموت عليه فيدفن الى جانب مهردكار التي عرف فضلها وعظيم حبها وحسن صفاتها وان كان يعرفها في حال حياتها لكنه لم يكن يدرك جسامة النعمة الحائز عليها بوجودها عنده ولا وعي الى وجوب تكريمها بقدر ما وعي الى تكريمها وهي في قبرها فقد خصص كل نفسه لها ووطد النية على ان لا يبارح المكان المدفونة فيه وقد عين نصير الحلبي لخدمته اناساً يأتون اليه بالطعام والشراب في كل يوم بقدر كفاءته ثم يفارقونهويتركونه لوحده على البكاء والنواح وانشاد الاشعار ونتف اللحى والشعور الى غير ذلك وبقي على هذه الحالة والايام تمر الى ان مضى اكثر من شهر ونصف وهولايفكر لا بامه ولا بأبيه ولا باهله ولا بأحد من قومه وفرسانه الذين تركهم ولم يعد يفكر الا بمن يظن انها هي التي فيه وفي اليوم الاخير من هذه المدة اشتد عليه الحال فناح ولطم كثيرًا على وجهه وندب كثيرًا حتى انهكه التعب فوقع الى الارض وغرق في ثبات غميق فرأى شخص مهردكار قدجاء اليه وضمه وشكر من حبه وقد وقفت امامه مظهرة له سرورها من حبه وقد قالت له اني نادمة على قتل نفسي ولا شفقة عليّ بل شفقة على حبك وحباً براحتك غير ان ما مضى مضى فاعتصم بالصبر واترك عنك الحزن ففرح بذلك وضمها اليه واذا به قد استيقظ فلم يرَ احدًا فعظمت عليه الحال وانشد وقال :

جاءت تزور فراشي بعد ما قبرت فظلت ألثم نحرًا زانه جيد

وقلت قرة عيني قد بعثت لنا فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه مودعة تعيث فيها نبات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرةً هذي زيارة من في القبر ملحود

وبينما كان الامير على مثل هذه الحالة واذا بالامير عمر قد دخل عليه فرآه على تلك الحالة فتقدم منه وسلم عليه فلم يلتفت اليه وكان عمر قد ذهب بالرجال والاموال الى مكة وعند وصوله اخبر الامير ابراهيم ابا حمزة بما كان من امر العرب فقال لعلَّ ذلك خيرًا فالخير عندي ان ياتي ولدي ويقيم في هذه البلاد فقد كفاه كل ما وقع له من العذاب والامور التي تدك الجبال ومن الواجب عليه خدمة بيت الله الحرام وعبادته تعالى ذلك افضل من الحرب ومن كل شيء فهل يريد ان يبقى في حلب او ياتي هنا قال انه ذهب يسترضي زوجته وياتي بها الى هنا ومع كل ذلك فانا اذهب اليه واعود معه ولا اتركه وحده فقد امنت على الاموال وكل ما جئت به واقام الامير عمر في مكة عدة ايام وانطلق الى حلب الى نصير الحلبي حاكمها فسلم عليه وسأله عن الامير فاعاد عليه القصة وما كان من امره وكيف ان الدهر غادره بموت مهردكار وهو مقيم على قبرها الى تلك الساعة ينوح ويبكي في الليل والنهر ولا يفارقه قط فلما سمع عمر بموت مهردكار لم يقدر ان يتمالك نفسه عن البكاء فابكى كثيرًا الا انه تجلد وخرج الى اخيه فسمعه ينشد ويبكي فقرب منه كما تقدم واراد تعزيته فلم يلتفت اليه فقال له ان اباك بانتظارك وقد بعثني اليك لاحضرك اليه لانه خائف من ان يفاجئ كسرى بيت الله فيرميهم بالعذاب الأليم وليس عندهم من الفرسان احد فانهض اليه ودع عنك هذه الاحزان فهي للنساء وليست للرجال ولا تدع قلبك يفقد منك وتتخذ عوضاً عن قلب الاسد قلب شاة فقال دعني وشأني فما لي في الدنيا امل واوصيك بالاهل والاباء فاني لا ابرح من هنا حتى اموت فاضم الى قبر مهردكار التي قتلتها بقساوة قلبي ولم ارع حقوقها الزوجية ولا قدمت لها حياتي كلها كما كانت تنتظر مني وها الان مقدم لها جسمي بكليتي فلا ابارح هذا القبر حياً فحاول عمر كثيرًا ان يقنعه دون ان

يجديه ذلك نفعاً ولما عجز قال في نفسه من الواجب ان اتركه على عدة ايام اخر فلا بد ان يضعف الحزن من قلبه ويسلى مع تداول الايام ومن الاصابة ان آخذ جواده وعدته الى مكة واخبر اباه بحاله ثم اعود اليه ثانياً عساه يكون قد تغير عن عمله ورجع عن حزنه هذا الشديد . ثم انه اخذ اليقظان والعدة وما كان عند الامير وذهب الى نصير فودعه واوصاه وقال له انه لا يلبث ان يرجع عن عمله ومهما طال امره لا يطول اكثر من ستة اشهر او سنة ومدة الحزن لا تطول اكثر من ذلك وفي اثنائها يضعف بالتدريج الى ان ينقرض ويمحى وسار الى مكة المطهرة وفي نيته ان يزور اخاه في كل شهر واقام الامير بعد رحيله على حالته السابقة

فهذا ماكان منه واما ما كان من بختك فانه في ذات يوم وهو بانتظار القائد الذي ارسله ليحضر مهردكار واذا برجاله عائدين متقطعين واخبروه بما كان فتكدر لكنه اصر على متابعة عمله فبعث بالجواسيس الى حلب واوصاهم ان يلاحظوا الامير هناك ويبعثون اليه دائماً عما يكون من امره فسارت الجواسيس واطلعت على حالة الامير وعلى مصابه وحزنه وعرفت كل شيء فارسلوا بالتفصيل الى بختك يخبرونه بان مهردكار قد ماتت وان الامير ابتنى لها قبة دعاها قبة الفردوس وانه هجر الاهل والاصحاب والخيل والسلاح واقام على قبرها الليل والنهار . فلما سمع بختك بهذه الاخبار كاد يطير صوابه من شدة الفرح وقال في نفسه الان وقت اخذ الثار فقد بدات النار في مساعدتنا وهلاك هذا الطاغي الباغي الذي كان يجتهد في هلاكي ومن الصواب ان لا ابقي عليه لئلا يعود فينتقم مني وحيث قد ماتت زوجته فلا بد من ان الحقه بها . وفي الحال دعا اليه بعيار كان يعرف انه من العيارين العظام الذين تضرب بهم الامثال في بلاد فارس اسمه قرقدان فقال له ويك ياقرقدان لقد بلغت من العياقة والعيارة ما لم يبلغه سواك وفقت بالحيل والمكر على كل رجال الاعجام ومع ذلك لاتزال على ما انت ولا ارتقيت الى رتبة الشاهات . قال لو قدرتموني حق قدري لصرت شاهاً منذ زمان واما انت فقد غضضت بنظرك عني ولم تنظر اليّ ولا كافأتني قط على خدماتي

ومع ذلك فاني لاازال اعلق املي بمساعدتكم فمرني بما شئت فتراني اطوع لك من لسانك. قال اني في هذه المرة اعدك وعدًا صادقاً بان ارفعك الى رتبة الامراء والشاهات واعين لك العلوفات العظيمة الكثيرة واسأل كسرى ان يعد لك مقاماً في ديوانه بشرط ان تفوز بالنجاح فيما اسألك به واطلبه اليك وذلك يسرني ويسر الملك كسرى ويجعله ان لا ينسى لك هذه الخدمة قال مر ياسيدي فترى. قال انت تعلم ما فعل الامير حمزة مع كسرى وقد اخذ بنته بالرغم عنه ونهب امواله وقتل رجاله ولم يبق علينا كلنا الا لعجزه عن الوصول الينا والان قد ماتت زوجته وتفرقت عنه رجاله وفرسانه ولم يبق عنده قط احد وتخلى عنه انصاره فابتنى قبرًا لزوجته عند حلب واقام قبة هناك دعاها قبة الفردوس وهو الان مقيم فيها يبكي وينوح على قبر زوجته لا سلاح معه ولا رفيق عنده فلو ذهب اليه ولد صغير لمسكه وجاءنا به فاريدك الى هذه المهمة وخذ معك من شئت من العيارين والخدم واقبض عليه واحضره الى هنا ومتى رآه كسرى اعطاك كلما طلبت حتى نصف ملكه قال لقد امرتني امرًا سهلًا وسوف تراني على خدمتك عاملًا الليل والنهار فلا انفك ولو عدمت الحياة او اجيئك بالامير حمزة

ثم ان قرقدان ودع بختك وذهب الى جماعة من رفاقه فاخذهم وسار بعد ان اخذ معه كل ما يحتاج اليه من معدات السفر وغيرها ولما قرب من حلب نزع ثيابه ولبس ملابس الدراويش وجاء حلب وطاف في اسواقها مدة ثم رجع في طريق قبة الفردوس حتى وقف في بابها وهو يصلي ويقرأ الكتاب ويذكر الله كانه من اتقياء الله. فلما رآه الامير على تلك الحالة استأنس به وفرح كثيرًا لانه كان بشوق الى رجل يقرأ الكتاب على قبر زوجته ويصلي هناك فدعاه اليه وسلم عليه وادناه منه واجلسه الى جانبه وقال له من اين جئت ايها الدرويش قال اني في الاصل من بلاد الغرب الاقصى تركت بلادي صغيرًا وعبدت الله تعالى ورحت هائماً في الدنيا على عبادته واشكره شكرًا عظيماً فاني اين سرت رايت الخير امامي والنجاح. ولي على خدمته تعالى اكثر من اربعين سنة حتى خطر لي اخيرًا

ان استقيل من التطواف وقد الهمني الوحي ان اذهب الى مكة المطهرة الى بيت الله الحرام تلك الارض المقدسة التي يفوح ترابها بعبير الند على الدوام فابقى هناك واموت وادفن في تلك الارض فلا احرمني الله من تلك الميتة اللذيذة التي اتمناها طول عمري وها انا ذاهب الى هناك . فقال اقم عندي هذه الليلة . قال ولماذا فاني اخاف ان لا يطول الاجل فاموت قبل ان اصل الى مكة فاضيع الوقت هنا يوماً وهناك يومان واريد ان تخبرني من انت ولما اقمت في هذه الارض . قال انا هو حمزة ابن الامير ابراهيم امير مكة الذاهب انت اليها بلغك الله مشتهاك وقد ماتت زوجتي ودفنتها هنا في هذه الارض وابتنيت هذا المكان ولازمته وعزمت كل العزمْ ان لا افارقه حتى اموت واقبر الى جنبها . قال لقد فعلت ما لم يفعله غيرك وحتى اليوم لم ارَ رجلًا فعل ما انت فاعل كانك ما انت من الجبلة البشرية تحزن على امرأة وتريد ان تموت من اجلها وهذا يغضب الله تعالى فدع عنك حزنك وانهض فرافقني الى مكة المشرفة وهناك تقيم عند ابيك وبين اهلك . قال هذا لا مطمع فيه فابق عندي هذه الليلة واقرأ لي كلام الله على قبر زوجتي ولو كنت انت مكاني لما فعلت اقل ما فعلت لان الزوجة الكريمة الاصل الحميدة المزايا الطاهرة الاذيال لا تنسى قط وفي الفواد رمق . قال اليك ما تريد . ثم ان الدرويش اخرج من كشكوله مابه من الاكل وقال للامير اظنك لاتاكل من اكل الدراويش لاننا نحن فقراء لا ناكل الا الخبز والتمر وهذا ليس من اكل الامراء الذين ياكلون اللحوم وكل انواع الاثمار

قال كيف لا واني احب التمر كثيرًا ولا سيا تمر مكة فاعطني قليلا من التمر . ومد يده فناوله الدرويش قسماً من التمر الذي كان في كشكوله وكان قد شغله بالبنج فاخده الامير في الحال ووضعه في فيه ثم ازدرده والدرويش يكاد يطير من الفرح وقد تاخر قليلًا الى الوراء واذا به يرى الامير قد احمرت عيناه واخذ البنج في ان يذهب بقواه فتأخر اكثر خوفاً من ان يصل اليه قبل ان يقع الى الارض ولم يمض على ذلك اكثر من خمس دقائق حتى وقع الامير الى الارض

وغاب عن صوابه فاسرع الدرويش الى جماعته وجاء بهم فربطوا الامير بالحبال وكتفوه وساروا به ركضاً من تلك الارض يسيرون في طريق المدائن حتى بعدوا وامنوا على نفوسهم وهناك اعطوه ضد البنج ففتح عينيه ونظر الى نفسه وهو مربوط الايدي مقيد الارجل وعرف الدسيسة فوعى الى نفسه وراى بين يديه عياري الاعجام وبينهم قرقدان فقال له لما فعلت هذا الفعل واني لا اتيتكم بشر وقد تركتكم فكيف لاتتركوني قال لا بد من اخذك الى كسرى انوشروان ليأخذ منك بثاره لانك عدوه الاكبر فانظر الى نفسك واعلم ان سيف الاكاسرة طويل ثم لطمه على وجهه واهانه بالسب والشتم وامر ان يعطوه قليلاً من الخبز ليأكل ولا يموت قبل ان يصل الى المدائن . فقال حمزة في نفسه اني استاهل اكثر من هذه الاهانة فانا جنيت على نفسي وظلمت مهردكار ولم اعاملها حق المعاملة التي يريدها مني الله سبحانه وتعالى وها انه الان يجازيني على عملي وبالصبر والفرج ولم يفعل شيئاً وقد تلينت اخلاقه وقلبه وصار اشبه بالطفل الصغير

ولا زال القرقدان سائراً به حتى قرب من المدائن فارسل باحد رفاقه واخبر بختك بوصوله ناجحاً ومعه الامير حمزة مقيداً ذليلاً فدخل الرسول على بختك وهو في الديوان واخبره بما فعل قرقدان وبشره بمسك الامير فلم يقدر بختك ان يخفي ما به ولا قدر على كتمان الامر فصفق وقال لقد ساعدتنا النار ولم ترض ان تتخلى عنا الى الاخير وقد اخذت لنا بالثار وسلمتنا الامير لنقتص لها منه فنظر اليه كسرى انوشروان وهو لا يعلم بما كان فسأله عن الخبر فاعاده عليه جهاراً فقال له انت لا تبقى عاقلاً قط.ولا تترك عدوك وقد قلت لك ان لا تفكر بالعرب ولا تذكر اسمهم قال كان بودي ذلك لكن كيف اكون مدبر دولة الفرس وامين كسرى انوشروان ومشيره واترك له عدوه حياً وتبقى الناس على طول الزمان تتحادث بعمله معك وعجزك عنه وربما عاد بعد سنة او سنتين وجمع العرب وجاء الى قتالنا فتكون المصيبة الاخيرة اشر من الاولى قال واين زوجته مهردكار قال قد دبرت على هلاكها قبله فان النار غضبي عليها فسمحت بموتها والان بشراك

فقد انقرضت هذه العائلة ولم يبق منها الا رستم فرتم وهذا قد بعد كثيراً وذهب الى بلاد امه غاضباً على ابيه ولا يمكن رجوعه قط وذاك الخبيث عمر العيار لابد من القبض عليه والاخذ بثار المرازبة منه الذين قتلهم وتركنا زماناً بغير مرازبة تاركين عبادة النار . فشعر كسرى كان هماً عظيماً سقط عن قلبه وراى ان من الصواب موت الامير حمزة لانه عدوه الاكبر فقال لبختك لا تدعني ارى حمزة بل خذه من هناك الى ساحة الاعدام فاقتله وارحنا من شره فاني اكره ان اشاهد وجهه . قال اسألك ياسيدي ان لا تقتله في الحال ومن الصواب ان اعين مكاناً مشهوراً في بلادنا تجتمع اليه الفرس في كل آن فاقيم فيه مصلباً عالياً فاربطه عليه واعين له الحراس فيطعمونه ويسقونه وهو على تلك الحالة معذباً في النهار بحرارة الشمس وفي الليل بصبارة البرد الى ان يجف ويموت وهذه اصعب الميتات بحيث يتعذب من عذابه ويضجر من حياته ولا يقدر على الاتيان بحركة ونعلن الان في كل بلادنا بصلبه على تلك الخشبة فياتي الناس من القريب والبعيد للفرجة عليه وينتشر الخبر بين الخاص والعام فيعرف اعداءه واصحابه ما لحق به ويتاكدون ان سيف الاكاسرة طويل فيكون قضيب تاديب لغيره . فقال له افعل ما انت فاعل وكان كسرى يرغب في قتله في الحال واخفاء اسمه فقنعه بختك بوجوب عذابه والتاخير في حياته وكان بختك ايضاً يعرف ان موت حمزة في الحال افضل من بقائه غير انه كان يرى اذا مات في الحال لايشتفي قلبه ولا يتعذب عدوه وكان لا يخاف من وجود من يخلصه من احزابه بعد ان تفرقوا عنه

كل هذا كان يجري والوزير بزرجمهر العاقل المحب لحمزة كان يسمع وقلبه يتقطع وهو لا يقدر ان ياتي بحركة وشعر ان الارض انطبقت على راسه وكادت مرارته ان تنفطر من عمل بختك ولم يرَ وسيلة لنجاة الامير الا بالصلاة والدعاء لله سبحانه وتعالى ان يفرج عنه ويساعده وهو يعرف ان حياته طويلة ولا بد من قهره لكسرى كما ظهر من سابق علم الحق غير انه كان يتكدر من عذابه وذله . وبعد قليل دخل العيار قرقدان الى الديوان الى بين يدي كسرى وقبل

الارض بين يديه ودعا له بالسعادة وطول البقاء ثم قدم اليه الامير حمزة بالديوان وهو مقيد مكبل فنظر في الجميع يميناً وشمالاً وهو غير مكترث باحد منهم . فقال اي حمزة كيف ترى نفسك الان اهل نفعك عنادك واستفدت من كبرك واعتزازك بنفسك فقد ارسلت اليك واحداً من عبيدي فجاء بك وانت اذل من كلب . فقال له بصوته المعتاد اعلم ايها الملك اني اعتبرك ولا ازال اعتبرك وانت تعرف اني اعرف قدرك لا خيفة منك ولا كرهاً في الموت فاني الان اتطلبه لاتبع بزوجتي التي غدرتم بها واحرمتموني اياها واقول لك اني ما مسكت وانا على ظهر جوادي ولا اخذت في الحرب والقتال بل احتلتم عليّ وانا في بيت حزني انوح عليها وابكي من اجلها ولا تاكد انك تراني ذليلا ولو كنت مكبلا فأني لا اذل بالموت بل الاقيه بالعز والرغبة كانه الحبيب وهوانه عندي اوجب الاشياء والليث ليث لا يحط القيد من شرف اسمه ولا ينزل شيئاً من اهابته فافعل ما انت فاعل ولا ترد اكثر من ذلك فامر كسرى في الحال ان يخرجوه من امامه ولا يعيدونه مرة ثانية وامر ان يطاف به في الاسواق ليراه على تلك الحالة الكبير والصغير ففعلوا واخذوه في شوارع المدينة وطافوا اسواقها واخذت الاولاد والرجال تزدحم من حواليه وكلهم يهينونه ويشتمونه والنساء تقف في النوافذ وتطل من الاعالي تتفرج عليه وكان بعضهن يشفق عليه ويبكي على مهردكار وبعضهن يبصق عليه ويلعن مهردكار ويشتفين بموتها وهو صابر على كل ذلك يشكر الله الذي قدر عليه مثل هذه الاهانة ليعلمه الصبر والتأني ويعرف كيف تكون مجازاة الظلم وانه يستحق لاكثر من ذلك قصاصاً له على تركه مهردكار وابعادها عنه وهي افضل امرأة وجدت في الدنيا وان الله سبحانه وتعالى قد انعم عليه بها فلم يكن لها اهلا وكان ضميره يحدثه على الدوام بمثل ذلك هذا وقد طاف به الفرس كل المدينة ثم اعادوه الى بختك فوضعه في السجن الى الغد

وفي اليوم التالي نزل بختك الى الديوان وامر ان يحضر قرقدان وهو العيار الذي جاء بحمزة فحضر لبين يديه فسال كسرى ان ينعم عليه برتبة شاه ويسلمه

فرقة من العساكر لتكون تحت امرته فاجاب كسرى طلبه في الحال وعرف ان قرقدان يستحق ذلك فخلع علية خلعة سنية فاخرة ورتب له الراتب الكافي وناداه بياشاه فبارك له الجميع ثم ان بختك قال لقرقدان خذ الامير حمزة بجماعتك الفرسان واذهب الى وادي خراسان فاقمه على المصلب الذي امرت ان يقام له في ذاك المكان على الطريقة التي اخترتها الى عيد النيروز فنذهب وناخذه لنعدمه الحياة ضحية للنار الغاضبة عليه اكثر من كل انسان ومن جاء للفرجة عليه من قومنا فقدمه ليتفرج ويعتبر به ويهينه ولكن من جاء من جماعة العرب فاقبض عليه وارسله اليّ واذا جاء عمر العيار شيطان العرب فامسكه حالا فتاخذ الجزاء الذي ما فوقه جزاء عسى ان النار تساعدنا فنحرق الاثنان معاً ثم ان بختك احضر الامير حمزة اليه وامر ان تذبح ستة جواميس وتسلخ جلودها عن لحمها وتدفع الجلود اليه ففعلوا فاخذ الجلد الاول ونزع عن الامير ثيابه ولفه به من كتفه الايمن الى قدمه وهكذا الثاني والثالث حتى لفه بالستة جلود والامير صابر على هذه الاهانة غير مبال بالاوجاع والاثقال لانه كان يحمل جسماً من الحديد لايعل ولا يكل

ومن بعد ذلك حملوه على بغل وساروا به ومن حوله العساكر الفارسية ولا زالوا حتى جاءوا وادي خراسان وهو المكان الذي تعين لعذاب حمزة العرب . وبحال وصولهم الى هناك اخذ النجارون في اقامة المصلب فجاءوا بثلاث خشبات كبيرة عالية طول الواحدة منها نحو عشرين ذراعاً اركزوا الطرف الاول منها بالارض على شكل مثلث وقرنوا روسها الى بعضها وربطوها بالمسامير وعملوا في اعلاها كرسياً وبجانبي الكرسي خشبتين صغيرتين وجاءوا بالامير فاجلسوه على الكرسي وربطوه بالخشبتين وعملوا سلماً من الارض الى اعلى الخشبات المذكورة وتركوه فوقها يقاسي العذاب الاليم لا شيء يظله من شمس النهار بطوله ولاشيء يقيه من البرد طول الليل ايضاً وهم في اوقات الاكل يقدمون اليه الطعام والماء لياكل ويشرب فلا يموت قبل عيد النيروز وكانت الاخبار قد وصلت الى كل

جهات العجم فجعلت الناس تتقاطر افواجاً افواجاً للفرجة على الامير الذي كان صيته يرعب الانس والجان وقد خافه البعيد والقريب وبعضهم كان يقيم في تلك الارض مستنظراً العيد والبعض كان يهيء نفسه لياتي موته في يوم العيد وقد اقيمت عليه الخفراء والحراس لايدعون احداً يدنو منه الا باذن الشاه قرقدان الذي كان موكل بذلك

فهذا ما كان من الامير حمزة ومن عذابه وقد راى الى حالته وما لحق به من الاهانة بعين الصبر والرضا والقبول مسلماً امره لله سبحانه وتعالى واما ما كان من الامير عمر العيار فانه بعد ان فارق اخاه في حلب بقي سائراً حتى جاء مكة المشرفة فاجتمع به الامير ابراهيم وسأله عن ابنه فاخبره بحالته وانه قائم على قبر مهردكار يبكي وينوح فقال له كيف لم تات به الينا . قال اني صرفت الجهد فلم اقدر وقد تركته على حزنه على امل ان اعود اليه ثانياً فيكون قد ضعف الحزن فيه كثيراً ولا بد من الرجوع اليه كل مدة . قال كان من اللازم ان تاتي به لانك تقدر على ذلك بكل سهولة فاذا لم يات وهو على وعيه يمكنك ان تاتي به بعد ان تبنجه ومتى وصل الى هنا لا يعصاني فيسمع كلامي وابعد عنه الحزن والا مات وخسرناه وانحط قدر العرب بعد الارتفاع والعظمة . فارجع وحاوله فاذا امتنع افعل كما قلت لك اي بنجه واحضره اليَّ ولا اقبل لك عذراً بعدم حضوره فاقام عمراً اسبوعاً في مكة ومن ثم عاد الى نواحي حلب كانه السهم في الانطلاق حتى جاء قبة الفردوس فدخلها ولم يرَ احداً فخفق قلبه وخاف ان يكون قد مات ولحق به ما لحق بمهردكار فدفن الى جانبها او ان الاعداء احتالوا عليه فاسروه واخذوه الى المدائن فترك القبة ودخل المدينة وجاء نصير الحلبي فسأله عنه فقال له اننا لانعلم شيئاً من امره ولما لم نجده ظنناه سار الى مكة لاننا ما راينا عدواً هنا ولا عرفنا كيف كان ذهابه وقد فرحنا كثيراً وقلنا انه وعى الى نفسه وعرف الحالة التي هو فيها فسار الى مكة لملافاة امره وتدبير شانه . فادرك سر المسالة وما عاد سال نصيراً وخاف ان يمسكوه ويرسلوه الى كسرى . وخرج في

الحال من حلب وغير زيه ولبس ملابس حجاب الفرس وسار في طريق المدائن ليستخبر عن اخيه ويرى هل هو حيّ ام مات او قتله الاعجام وعند وصوله الديوان اختلط بين الحجاب الى المساء فراى الوزير بزرجمهر قد خرج من الديوان وسمة الغيظ واليأس على وجهه فقال في نفسه لابد لذلك من سبب ولما دخل الوزير قصره دخل في اثره وقبل يديه وسلم عليه فانتهره الوزير وقال له ويلكم الا تخشون الله وتخافون جانبه كيف تركتم اميركم وتخليتم عنه عند الضيق حتى وقعت عليه كل هذه المصائب ثم اعاد عليه كل ما وقع على الامير من الاول الى الاخر فبكى عمر كثيرا وتمزقت احشاؤه وكادت اعضاءه ان تحل وبعد هنيهة مسح دمعته والتفت الى الوزير وقال له ياعماه انت تعلم ان الله لا يترك شان العرب فهم اخصاؤه وانا عمر العيار فلا اصبر على العدو فليفعل كسرى وبختك ما يريدان ولا بد من ارجاع كيدهما الى نحرهما وسترى اني جمعت العرب واقمت سلطنتهم كما كانت بوقت قريب ولا ريب اذا علموا بمصاب الامير تاثروا وفدوه بنفوسهم وان كانوا بعدوا كثيراً وكلٌّ سار الى بلاده واني بعدة شهر اقدر ان اطوف الارض برمتها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً وافعل مالا يظن الفرس اني افعله ويبقى ذكر عملي هذا الى الابد فدعا له بزرجمهر بالتوفيق والنجاح فودعه وخرج وهو كانه البرق الخاطف وقلبه حزين جدًّا على ما اصاب اخاه ويلوم نفسه على تركه لوحده في تلك القبة وسار في طريق وادي خراسان ولما وصل اليه دخله فوجد قرقدان وجماعته حوله وهو يقضي ويمضي وينهي ويامر فقال عمر في نفسه لا بد لي عن قريب ان ازيل هذه النعمة عنك ثم تقدم من المصلب فراى اخاه مربوطاً ومعرضاً للشمس يعلو عن الارض اكثر من عشرين ذراعاً وصبر الى ان جاءه الخدم بالطعام فدخل بينهم كواحد منهم وحمل الطعام وصعد الى الاعالي وهم معه واخذ لقمة ودنا من حمزة وقال له افتح فمك وكل ليتك لا تعيش ففتح فاه فوضع له اللقمة في فمه وقلبه يتمزق من الغيظ ثم اصق به وقال له لاتخف ياخي فانا اخوك عمر ولا بد من السعي في خلاصك فكل وحاكني سراً ولا تدع احداً يلحظ منا

امراً فقال الامير ويك ياعمر لاتتركني بهذه الحالة فاني معذب كثيراً ولا بد من الموت اذا تخليتم عني وتركتموني فقال له لا تخف لا بد لي من ان اجمع قبائل العرب باقرب وقت لخلاصك فكن مطمئناً على الحياة ثم جعل يشتمه ويهينه بصوت عال لئلا يلحظ عليه احد. فقال له اني اوصيك يا عمر انك عند ما تصل الى كل ملك او امير فقل له ان حمزة يستجير بك واعرض عليه واقعة امري وقل لهم انه يطلب الخلاص لاطمعاً بالحياة لكن كيداً لكسرى وطمعاً بشرف العرب وان الرجل الاول منهم الذي يصرخ تحت المصلب بالصوت الاول ويخلصني يكون السلطان على العرب اجمع عوضاً من قباط ابني المتوفي وبعد ان اكل الامير وشبع نزل عمر عن المصلب وترك وادي خراسان وانطلق اولاً الى بلاد قيصر الى رستم فرتم وهو لا ينام ولا يستريح حتى دخل قيصرية وجاء قصر رستم فعرف به ولاقاه وترحب به وسلم عليه وساله عن ابيه فقال له ليس الان وقت سوال وجواب فاركب واقصد بقومك وادي خراسان فانك انت كنت السبب في هلاك العرب وانقراضهم وعذاب ابيك وربما موته ثم اعاد عليه كل القصة من الاول إلى الاخر. وقال له والعرب لاتلام على ترك ابيك بقدر ما تلام انت لانك من لحمه ودمه. فلما سمع الامير رستم هذا الكلام وعرف ان اباه يعذب فوق المصلب في وادي خراسان والشمس والبرد يتناوشان جسمه ارغى وازبد وقام وقعد وحزن كثيراً واسودت الدنيا في عينيه ودعا بامه فحضرت وسلمت على عمر واستعادت منه الحديث فعاده عليها فبكت وقالت لرستم انهض وسر في هذه الساعة فان موت ابيك وعذابه عار عليك لايمحى الى اخر الايام فالموت خير من الحياة بالذل. قال على هكذا عزمت. ثم امر الصيصان قائد جيوشه ان يحضر الجيوش ليسير بها الى وادي خراسان لخلاص ابيه. فقال له عمر تمهل فانك وحدك لا تقدر على خلاصه اذا كثرت عساكر الاعجام بل سر انت الى وادي الكمال وانا ذاهب الى قبائل العرب وملوكها لاجمعهم بوقت قريب وهذا اخر ما اقوله لك ولا اقدر على التطويل اكثر من ذلك خوفاً من ضياع الوقت

ثم ان عمراً ودع رستم وامهوسار من قيصرية يقصد بلاد سرنديب وقد ارتاح باله على نوع ما وتاكد ان الامراء والملوك اذا عرفوا بمجيء رستم جاءوا جميعاً وتخلص الامير بوقت قريب وبايام قليلة دخل على اندهوق بن سعدون فبكى وحث التراب على راسه وحكى له كل ما وقع له على حمزة وقال له ايجمل من الله انت مقيم في نعيم وهو في عذاب اليم وانت اول صديق صادقته ودافعت عنه منذ البداية الى النهاية فشعر اندهوق كان ناراً اكلت احشاءه وقال اكل هذا جرى على الامير ونحن بهناء فلا كنت ولا كانت بلادي اذا كنت اتقاعد عنه دقيقة وما كان تركنا له الا بسماح منه تعالى وها انا منذ الان اسير الى وادي خراسان بعساكري وفرساني وملوكي فلا تمضي ايام قليلة حتى اخلصه او اقتل بين يديه عند اسفل مصلبه . فقال له سر الان الى وادي الكمال فان الامير رستم سيسير الى هناك فتلتقيان وانا سائر الى باقي الملوك والامراء لاجمعهم وابعث بهم الى هذه الحرب المقدسة الى خلاص سيدهم واميرهم فيرفعون عنهم الذل ويهدمون تخت كسرى انوشروان وعلى ما ارى ان في هذه المدة لا بد من ثل عرشه ثم انه خرج من بلاد الهند بعد ان تاكد عنده مسير اندهوق وسار بفرح الى بلاد فرهود فدخل عليه وحثه على المسير واخبره بما كان من رستم واندهوق وما اصاب الامير من المصائب فاجاب طلبه . ورحل من عند فرهود الى عمر الاندلسي فحركه الى السفر فاجاب وسار الى الملك النجاشي فانهضه وسار بعساكر الحبشة وهي كانها البحر الزاخر ثم جاء الى قاهر الخيل، والمعتدي حامي السواحل وجاء بشير ومباشر واخبر ايضاً معقل البهلوان واصفران الدربندي وكل واحد من هولاء وسار بالعجل ومعه عساكره ورجاله وفرسانه . وتوجه من ثم الى بلاد البردع الى هارون واخبره باجتماع العرب وبعذاب الامير فركب وسار وجاء الملك النعمان فبعث به الى وادي الكمال ومن بعد ذلك جاء مكة المطهرة فاخبر الامير ابراهيم بما كان من امر ولده وامر العساكر وانهم جميعاً تاثروا من مصاب الامير ولذلك ركبوا جميعاً وقصدوا وادي الكمال فسرّ الامير ابراهيم ودخل بيت الله الحرام وشكره

تعالى وصلى وسجد وصام ثلاثة ايام وطلب منه نجاة ولده ولم يكن الله سبحانه وتعالى ليسد آذانه عن طلب رجل كريم تقي كالامير ابراهيم ومن ثم خرج وهو يشعر في داخله براحة وامان وقد سلم امره لله سبحانه وتعالى . واما الامير عمر فانه اخذ الاموال جميعها والانعام وكل ما كان جاء به وكان للعرب وقد تولدت وزادت كثيراً في تلك الايام واخذ ايضاً الثمانمائة فارس الذين كانوا رجال حمزة من حين صبوته وسار باسراع يقودهم الامير عقيل حتى وصلوا الى وادي الكمال وقد طاف تلك الاماكن البعيدة تارة من الشرق الى الغرب وطوراً من الغرب الى الشرق من بلد الى بلد ومن مدينة الى ثانية بمدة اربعين يوماً على التمام ووصل الى وادي الكمال ولم يكن قد وصل احد من الفرسان ولذلك اراد ان يتمم عمله فاخذ عياريه وجماعة من الفرسان ووضعهم في الطريق من وادي الكمال الى وادي خراسان واوصاهم انهم كلما راوا واحداً في الطريق قتلوه فلا يدعوا الخبر يصل الى وادي خراسان قبل ان يهجم العرب عليه فاقام العيارون على هذه الحالة وكلما راوا رجلاً ماراً قتلوه واعدموه الحياة كي لا يشيع الخبر وسار عمر الى وادي خراسان فوجد العساكر قد زادت كثيراً وهي بمثل النجوم التي في السماء لكثرتها وكلها ضاربة اطنابها الواحد مقابل الاخر وراى اخاه قد هزل وصار بحالة يرثى لها فبكى وسال دمعه على خده وكرّ راجعاً في الحال ليرى اذا كان وصل احد من الامراء والملوك وعند وصوله لم يرَ احداً فزاد تعجبه وحزن كثيراً فخاف ان يكون الفرسان قد عدلوا عن الحضور لنحس اخيه ويتردد في ذلك ولا يدخل في ذهنه انهم يمتنعون جميعاً ولم يرَ احدهم الآخر لا سيا وقد وعدوه بالسفر ومضى عليه نحو ثمانية ايام وهو في قلق واضطراب فنهض عمر وهو خائف ان يراهم احد في تلك الجهات فيذهب ويخبر كسرى قبل ان ياتي احد من الفرسان فيرسل وينزع منه المال والجمال وكل ما جاء به وسار في عرض البر يكتشف اخبار الوافدين وما غاب نحو ساعة حتى تبين غباراً عن بعد كانه الغمامة السوداء فانطلق الى جهته واذا به يرى عساكر الامير رستم فرتم وقد اقبلت فتقدم منه

وسلم عليه واخبره عما حل به لغيابه فقال له انك سريع الجري فتظن ان الناس كلها مثلك مع ان العساكر لا تقدر ان تسير بعجلة اكثر من هذه

ثم انهم ساروا الى وادي الكمال ونزلوا للراحة فيه وارتاح فكر الامير على نوع ما على الاموال والانعام وتاكد انه لو جاء عساكر كسرى برمتها لما قدرت ان تاخذ عقالاً ثم اطلق ساقيه للريح وسار في طريق ثانية فبعد ساعات قليلة راى عساكر اندهوق فاتى بها الى وادي الكمال ودام على مثل هذا العمل حتى انه بمدة خمسة ايام انتهى جمع العرب باجمعهم وقد تجددت قواهم وكثرت عساكرهم حتى صار عددهم الف الف وثلثمائة الف نفس وحينئذ اتفق العرب على المسير في صباح اليوم الثاني واخذت في الاستعداد للركوب وان يتدبروا ويترتبوا على نسق حسن يرهب الاعداء وقد اخبرهم عمر بما فعل على طريق خراسان فسروا بذلك كثيرًا وتأكدوا ان خبرهم لم يصل الى كسرى انو شروان وفيما هم كذلك واذ قد تبينوا غبارًا في ناحيـــة الشمال فقال رستم ان العرب قد كملت ولم يبقَ احد غائب فماذا يا ترى يكون هذا الغبار فقال عمر لا بد لي من ان اكشف خبره ثم انه انطلق باسرع من البرق حتى وصل واذا به يرى شرذمة من العساكر يبلغ مقدارها نحوًا من ثلاثين الفاً من الفرسان وفي مقدمتهم شاب امرد ابيض الوجه احمره على جواد كانه البرج المشيد وهو مدجج بالسلاح الى ما فوق راسه فامعن فيه فلم يعرفه فقال لا بد لي من الاطلاع على امره قبل ان يصل الى وادي الكمال

ثم انه تقدم منه وصاح به مهلًا ايها الفارس اخبرني عن حالك قبل ان تخاطر بروحك اهل انت صديق للعرب او عدو لهم او انت تقصد المرور فقط من هذه الطريق فوقف الفارس واحدق بـــه بتأن وقال له اني اراك من العرب ولكن ارى هيئتك غريبة عن الناس فاصدقني اولاً من انت . قال سوف تعلم من انا اذا اطلعتني على حالك فاني وان كنت من العرب لكني من غرائب العالم . قال انا سائرون الى وادي خراسان لخلاص الامير حمزة البهلوان ابن الامير ابراهيم فارس برية الحجاز . فضحك عمر وقال له ابهذا العدد القليل تقدر ان تخلص حمزة من يد

كسرى انو شروان وقد اجتمع لهذه الغاية عن قريب منك ملوك الزمان كفرهود صاحب التكرور والامير رستم فرتم فارس العرب وحاميها والمعتدي حامي السواحل واندهوق بن سعدون وهارون البطل المجنون وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان وكثير غيرهم ومع ذلك لا اظن يأتون بالمقصود الا بعــد العناء والتعب العظيم واذا اردت ان تعرف من انا فانا الامير عمر العيار اخي الامير حمزة بالتربية فابدي اليَّ خبرك وشانك ومن تكون لاسير بك الى فرسان العرب فانه في هذه الساعة يسافرون

فلما سمع الشاب كلام الامير عمر سقط عن جواده وتقدم اليــه وسلم عليه وقال له لا تعجب يا عماه ان كنت اسير بهذا العدد القليل الى خلاص جدي الامير حمزة فان من كان ابوه مثل الامير رستم فرتم لا يهاب الموت ولا يخاف الرجال كثرت او قلت فانا الامير قاسم ابن الامير رستم ابن الامير حمزة من السلالة العربية وقد بلغني امر جدي وما لاقى من كسرى انو شروان وكيف غدر به وقبض عليه وهو على قبر زوجته وارسله واقامه على المصلب في وادي خراسان لم تطعني نفسي على الصبر فقصدت خلاصه او اهلك بين يديه . فلما سمع عمر بانه ابن الامير رستم رمى نفسه عليه وجعل يقبله وقال له لقد اصبت فانك من دم الامير حمزة ولولا ذلك لخفت كسرى فهلمّ بالعجل الان الى ابيك فهو بانتظاري في بقعة وادي الكبال وقد عمد الفرسان الى السفر ثم انطلق به الى ذاك المكان ودخل على رستم وبشره بوصول ابنه قاسم من زوجته الاولى ففرح كثيرًا وخرج الى ملتقاه وترحب به وقبله وما من مجال الان لذكر حديث الامير قاسم قبل خلاص الامير ثم امر رستم ان تذبح الذبائح اكراماً لخاطر ولده وسلم عليه فرسان العرب باجمعهم واحدًا بعد واحد واذ ذاك تقدم عمر من رستم وقال له اعلم يا سيدي ان السفر لا بد منه وانه لم يبقَ لعيد النيروز الا ايام قليلة ولا بد لكسرى ان يأتي ذاك المكان قبل العيد بعشرة ايام فكونوا على اهبة السفر لاسير وانظر في اذا كان كسرى قد جاء واذا جاء كم جاء معه من العساكر وارجع في الحال

ثم ان عمر سار كالبرق الخاطف في طريق خراسان ومرّ على العيارين واستعلم منهم واذا بهم قد قتلوا نحواً من الفي رجل من الاعجام وما تركوا واحداً يعلم بالاخر ولا علم احد بخبرهم فسرّ منهم وجاء الوادي واذا به يرى العساكر كانها البحور الزاخرة وقد جاء كسرى انو شروان ومعه العساكر الكثيرة والرجال الغزيرة وكان عددهم يبلغ اربعة الاف الف اي اربين كرة ولا يبقَ ولا شبر من الارض خالي الا واشغله الاعجام فقال عمر والله ان الخطب جسيم والامر عظيم في هذه المرة تقوم القيامة وتقع معارك لم يسمع بمثلها من قديم الزمان وطاف بين الاعجام كواحد منهم فراهم كلهم بفرح لا يوصف ينتظرون العيد لذبح حمزة وهم لاهون يشغلون بالغناء والرقص والولائم غير حاسبين حساب احد ولا علم لهم بالعرب ورأى كسرى كذلك بفرح زائد وقد ظن ان الزمان راق له وطاب فقال في نفسه لا بد لي من ان اقلب هذا الهناء الى عناء واتركه يبكي عوض هذا الضحك ثم كرّ راجعاً الى بقعة وادي الكمال ودخل على الفرسان واخبرهم بما كان من امر كسرى وكم تجمع في وادي خراسان من الرجال والعساكر حتى ضاق بهم الفضاء. فقال رستم ويلك يا عمر اتظن النجاح بكثرة الرجال فلو كانوا بعدد الرمال ما تركتهم يرتاحون ولا بد من خلاص اخي واختراق جموعهم . فقال عمر اني اعرف ذلك واعرف ايضاً انكم لا بد ان تهلكوا هذه الجيوش التي تجمعت هناك مهما كانت كثيرة ولكن اريد ان اعلم قبل كل شيء ماذا تريدون ان تعملوا وكيف يكون القتال فقال الملوك والسادات مرادنا نركب ونهجم على الاعجام دفعة واحدة ونقيم الحرب من كل ناح

فقال الامير عمر انكم اذا فعلتم ذلك تقاتلون من الصباح الى المساء وفي المساء ترجعون الى الخيام للراحة والمنام فاذا شاء كسرى في الليل انزل حمزة وذبحه او طال القتال واخي مربوط فوق الاخشاب فماذا يا ترى تكونون قد فعلتم فيضيع كل تعبكم لا سيا وعيد النيروز قد جاء. فقال كيف اذاً تريد ان نفعل لنحفظ الامير ولا نترك القتال قبل ان نخلصه فاننا كلنا باجمعنا نقبل منك ونسمع

كلامك ولا بد ان يكون به الصواب ولا سيما انت وزير العرب ومدبرهم منذ الاول فقال اني موكد انه في اليوم الاول الذي نقاتل به ينزل كسرى عند المساء اخي حمزة ويحرقه بالنار فلكي نشغل الفرس ولا ندع لهم وقتاً لذلك يجب ان نشغلهم بالحرب ليلًا ونهارًا الى ان نصل الى المصلب ونخلص الامير . فقال رستم كيف يمكن ان يتصل الحرب بالليل والنهار ولا بد للانسان من الراحة ليقدر على الثبات في القتال . قال اني اعرف ذلك ولذا اريد ان نتدبر به قبل الوصول اليه لانني اعرف ان عساكر الفرس كثيرة فاذا شئتم ان تذبحوهم مثل الاغنام تحتاجون الى اكثر من شهر وهذه المدة لا توافق مقاصدنا ومن الصواب ان تفصل من العساكر نحو ثمانمائة فارس كل اثنين منكم يأخذون فرقة منها لاجل القتال ومائة الف تبقى هنا تحافظ على الذخائر الى نقلها وخمسين الفاً تنقلها منها الى وادي خراسان فلا نتعوق نحن بسببها والعساكر الباقية تقف بعيدًا عن القتال تحت سلاحها فكل ست ساعات يتقدم مائـــة الف فيتأخر خلافها بمقدارها للراحة والاكل والنوم ويبقى نحو خمسين الفاً في المؤخرة معهم السلاح الكثير فمن من العرب فقد سيفه او سلاحه فيعرف ان هناك عوضه فيسرع الى اخذ سلاح جديد ومن يجوع منكم يقدر ان يرجع دوره فيأكل ويستريح وينام الى ان يأتي دوره وهكذا نكون باجمعنا براحة ويكون لنا دائماً في الحرب ثماني مائة الف فارس تقاتل براحة ونكون آمنين على الامير اكثر من الاول ولا يبطل القتال على هذه الصورة ولا ساعـــة واحدة فاذا قبلتم بما ابديته لكم يكون لكم الامل بخلاص الامير والا فبغير ذلك لا تتوفقون وربما فيما بعد تندمون

فلما سمع الفرسان رأي عمر استصوبوه وقالوا له لقد نظرت موضع النظر فبغير هذه الطريقة لا نفوز بالمطلوب ولا ننال المرغوب . فشكرهم عمر على استحسانهم كلامه واخذوا في ان يدبروا هذا الامر ويقسموا الفرسان الى فرق ومن الذي يبقى ومن الذي يهجم ومن الذي يحمل السلاح وكيف تتأخر المائة الف ويتقدم خلافها ومن الذي يتقدم في الاول ومن في الثـــاني وتم لهم ذلك

على احسن انتظام

ومن ثم ركبوا وساروا على هذا الترتيب الى وادي خراسان وكان الاعجام كما تقدم بفرح لا يوصف ولم يخطر لهم قط ببال ان العرب يهجمون عليهم بعد تأكدهم انهم متفرقون كل الى ناحية من العالم والامير الذي كانوا يجتمعون لاجله هو على وشك الموت حرقاً وقد وصل يوم النيروز الذي يعيدون به ويسرحون ويمرحون . ففي الليـل نحو الساعة السابعة كانوا رقدوا على حسب عادتهم فلم يشعروا الا والدنيا قد انطبقت عليهم من كل الجهات على طول المعسكر وذلك ان العرب وصلوا فارتاحوا ساعة بعيداً عنهم وصبروا الى ان تنصف الليل فركبوا وتقدموا وتفرقوا على طول خيام الاعجام وهجموا هجمة واحدة واذا بالصريخ والصياح قد قام من كل جهــة وناح فاستيقظ الاعجام وهم مرتعبون خائفون لا يعرفون من اين جاءتهم النكبة وسمع كسرى صياح العرب فنهض مرتعباً خائفاً من الموت والهلاك وكذلك بختك وقد اسرع اليه ورآه على تلك الحالة فطمنه وقال له فليهدأ بال سيدي الملك فان الاعداء مهما كان عددهم لا يقدرون على التقرب منا والوصول الينا لان حولنا جبال من الرجال وكثرة عدد عساكرنا ورجالنا تكفل لنا النجاح ومهما كان عدد العرب لا يكون كثيراً لانهم قلائل وربمـا كان ابن الامير فقط وقد جاء بشرذمة قليلة وهجم بالليل علينا لعدم قدرته على قتالنا في النهار واني اعدك انه لا تشرق الشمس ويبقي منهم انسان فلو اطلقنا عليهم كلابنا لافنتهم نعم انهم يقتلون من رجالنا عدة ميئات لكن ستعود عليهم وبالاً متى تمكن جيشنا من سلاحه واشرق النهار تماماً . قال اخاف ان يكون العرب قد اجتمعوا جميعاً وجاءوا برمتهم فرساناً ورجالاً فيتمكنون من خلاص الامير ويذهبون به ونعود الى الشر الاول وتكون المصيبة الاخيرة اعظم من الاولى . قال لا تخف على الامير فاننـا متى انقطع القتال انزلناه عن الاخشاب واحرقناه بالنار ونحرق بذلك قلب قومه عليه ولا اظن ان العرب بعد تفريقهم يجتمعون تماماً ويقدر بهكذا سرعة عظيمة على الوصول الى هذا المكان وكان لا

بد من وصول الخبر الينا عند تجمعهم

هذا وقد قامت الحرب اعظم قيام . واشتد النزاع والخصام وجسم الاشتباك والازدحام . واضطربت عساكر الاعجام . ورات امامها سلطان الموت يدور حولها من الوراء والامام . وقد احاق بها قابض الارواح . واسقط عليها ميازيب الاتراح . والبسها من القلق والاضطراب اثواب العناء والعذاب . وهي لا تدري كيف تسير تحت ظلام الليل العاكر ولا تدري من اي جهة تلك العساكر . وصار كل واحد يركض الى سلاحه وجواده ليحامي على روحه من اخصامه واضداده . فمن تمكن من ذلك ركب وطلب القتال . ومن صادفه العرب انزلوا به الهلاك والوبال . وكان صياح العرب قد ارتفع من كل مكان . وصوت الامير رستم يرن في داخل الاذان . كانه الصاعقة اذا سقطت شديدة بفعل الرياح . فتشرد بين يديه الفرسان طالبة الخلاص الى البراري والبطاح وقد سمع الامير حمزة وهو مربوط على اعالي المصلب صوت فرسانه وابطاله ففرح الفرح الذي لا يوصف واشتدت عزائمه بعد الخوار وايقن بالنجاح والفلاح وامل بالخلاص من يد اعدائه ولكن كان يثقل عليه جلود الجواميس المربوطة على جسمه وهو يشعر انها التصقت بجلده وكان على حاله الى ان اشرقت الشمس وارسلت بانوارها على الارض فارسل بنظره الضعيف من فوق المصلب فشاهد القتال تاماً ولكنه كان بعيداً عنه فلم يقدر ان يميز بين المتقاتلين لكنه كان يسمع صوت ابنه رستم وفرسانه فتنتعش روحه وكان الامير قاسم ابن الامير رستم يهجم هجمات الاسود وينحط انحطاط البواشق وهو يفرق العساكر ذات اليمين وذات الشمال ويضرب بسيفه فيمدد الابطال على بساط الرمال وكان يفعل اعظم من ذلك الامير رستم الاسد الرئبال . وهو ينادي بصوته اي اعجام الانذال قد حاق بكم الوبال وفاجئتكم العرب كاسود الدحال . ويضرب بسيفه الصقيل الفصال فيخرق الصدور ويقطع الاوصال . وكذلك اندهوق بن سعدون ولد الحلال . وهو فوق فيل من اشد الافيال . يطعن الصدور برمحه العسال . ويقلب الفرسان من اليمين الى الشمال . واما المعتدي حامي

السواحل . فقد طال واستطال . والبس الاعجام ملابس المصائب والاهوال . والملك فرهود صال وجال واهلك الرجال . وحمى فرسانه الاقيال . وكذلك عمر الاندلسي والملك النجاشي القوا بانفسهم الى الاهوال . وقاتلوا قتالاً لم يسمع بمثله واتسع على فرسان العرب المجال فبذلوا المجهود . وعملوا اعمـــال الاسود . وسطوا سطوات الفهود . وقد جدوا ليصلوا من المصلب في ذاك اليوم فاجروا الدماء من الصدور . وحكموا من الاعداء قضاء الله المقدور حتى توهم كل من شاهد ذاك المشهد ان القيامة قد قامت من كل ناح وان عزرائيل قد جمع جموعه وجاء بهم لقبض الارواح . وانتزاعها من عالم الاشباح . فكان يرى الناظر جواداً غائراً ودماً فائراً وراساً طائراً وهذا يركض من هنا وذاك يركض من هناك . وهذا يهجم مقتحماً الهلاك . وذاك يرجع واقفاً بالاضطراب والارتباك . خوفاً من ان يقع في الاشراك فلا يبقى له من الموت خلاص ولا انفكاك وكان عمر الصل الاغبر . والليث القسور . يتخطف بين بطون الخيل فينزل باصحابها عذاب الويل فيقتل كل من راه في طريقه ومن تصعب عليه الوصول اليه قتل جواده وارماه . وسقاه بعد ذلك من خنجره كاس حتفه وفناه ومثله كان يفعل الشاه ذئب ولده . فانه كان يحمي سيده ويدور من حواليه كاللولب الدوار وينقض على من يقرب اليه انقضاض الاقدار فيطعنه في صدره ويرجع الى الوراء باسرع من لمح الابصار . وكان الحاكم في ذاك اليوم السيف الصقيل . والرمح الطويل . فكانا يقضيان بلا رحمة . ويباهان بكل انفة وعظمة . ولم يكن للعدل عندهما حال . ولا للشفقة وجود ولا مجال . وقد قامت بكثرة الاعجام . مقام شجاعة العرب الكرام . فكانوا يقاتلون بثبات واذا قتل الواحد سد الاخر مسده . وقاتل الى ان يقتل عنده . ودام الحرب . واشتد الكرب . وهلاك الفرسان في كل ناحية ومكان . الى ان ولى النهار . واقبل الليل بالاعتكار . وكان العرب قد وصلوا من المصلب ولم يبقَ بينهم وبينه الا مقدار خمسمائة ذراع وهم يرون الامير عليه فاملوا انهم بقتال ساعات قليلة يصلون اليه

قال وكان كسرى يظن ان الحرب ستنتهي في المساء فيرجع العرب الى الوراء

بطلب الراحة وكذلك ترتاح رجاله ويتسع عليهم مجال القتال ومثله كان يؤمل الوزير بختك نخاب رجاؤهما وانقطع لما رايا ان العرب لم ترجع عن القتال ولا ضربت طبول الانفصال ولا وعت الى طبول الاعجام بل اجهدت نفسها في الحرب والنزال والطعان والجدال . فقال كسرى لبختك قبحك الله من قليل الراي والتدبير فها ان العرب حلفت ان لا ترجع الا باميرها فلم تترك القتال وكادت تصل الى المصلب وفي هذا الليل يتخلص الامير ونهلك نحن ايضاً . ولو اطعتني لقتلناه منذ الاول وارتحنا من شر العرب فقال له لم اكن افكر يا سيدي ان العرب يجتمعون بعد ان تفرقوا وكان يخطر لي انهم لو شاءوا ان يجتمعوا لاقتضى الامر الى اكثر من ثلاث سنوات نظراً للبعد الشاسع بين الواحد والاخر ولكن قبح الله عمر العيار فهذا العمل عمله لانه كان رسول الجميع ولا ريب انه عين لهم مكاناً فكان يبعث بالواحد وينخطف الى الاخر وهو يسير باسرع من هبوب الريح ومع كل هذا فان قتل الامير او موته لا يفوتنا فان الامير بحالة النزاع فاذا تمكنا من انزاله عن المصلب ذبحناه واحرقناه قبل انقضاء مدة العيد واذا لم نتمكن من انزاله فيموت في مكانه لان عساكرنا تقدر على دفاع العرب مقدار شهر على الاقل ففي هذه المدة لا احد يطعم الامير ولا يقدم له ماء فيموت في مكانه على ما تراه لا سيا وهو مربوط بالجلود ملفوف بها لفاً شديداً وليس علينا الان الا الطلب من النار ان تساعد رجالنا على الثبات . قال كسرى ان العرب قربوا من المصلب فكيف تقول ان عساكرنا تثبت ثلاثين يوماً وهم سيدركونه بعد ساعات . قال اني سادبر في تأخير ذلك وسترى ان ما يربحونه في النهار يخسرونه في الليل وقد دبروا على ان القسم من عساكرهم يرتاح والقسم يقاتل وسأبعث بالاوامر الى القواد ان ترجع بالعساكر عن القتال واحتال في ان ابعد الاعداء عن المصلب فيرتاح بالك من هذا ثم انه دعا بجماعة من الاعجام وامرهم ان يضيئوا المشاعل ويسيروا بين الاعجام ويرجعون بحيلة الى جهة الشمال دون ان يظهروا على انفسهم انهم يسيرون ولا ريب في ان العساكر تتبعهم وقبل الصباح بساعتين

يدورون الى الجنوب فيصبح عساكر العرب الذين يطاردونهم في تلك الجهة بعيدين عن المصلب فلا يهتدون اليه بالليل

ثم امر ان ترجع فرقة من العساكر تاخذ لنفسها راحة وعمل كل ما هو لازم في هذا المعنى وعين اكثر من خمسين الف لحمل الطعام والماء تطوف بها على العساكر تطعمها وتسقيها فتسد رمقها فاستحسن كسرى هذا العمل . وانورت المشاعل الكثيرة واختلطت بين الاعجام وكانت تنير عليهم وعلى الاعداء ويسيرون حيث اشار اليهم بختك فتدرج الاعجام وهم يقاتلون مع الانوار فلا يفارقونها خيفة من ان يضيعوا وكذلك العرب كانوا يلتحمون معهم في القتال فلا ينفكون عنهم وفي نيتهم انهم يصلون المصلب فمضى ساعات قليلة ولم يهتدوا اليه ولا راوا انفسهم في اي طريق هم وما كانوا يروا الا الذين يقاتلونهم فاجهدوا ذواتهم بالقتال ودامت الحرب تحت ذاك الظلام . مشيرة بالهلاك والاعدام . منذرة بالموت وانقضاء الاجل من كل فارس وبطل فكثر الخوف وقل الامان . وجلس المريخ يحكم بما اعطي من السلطان . وتبرجت الزهرة باحسن زينة فغير من بهجتها غبار الاكوان . فتقلبت بعد الثبوت الى اشكال والوان . وقامت السعود تخدم في الحضرة تطوف من مكان الى مكان . فتغلبت عليها النحوس وكستها ثياب الذل والهوان . وقالت اليوم يومي فما في الحكم على القوم من تأخير ولا توان . وها ان زحل منتصب على عمله الان . يرسل بسهام ويله على كل من الفرسان . وقد ادبر الدبران يأذن الفرس باحاقه الى محطة القلعان . ومالت كفة الميزان . ميلة الزيادة والرجحان الى جهة العربان . فرسان ذاك الزمان . وقدم الدلو متطاولاً الى قعر الميدان ليغرف من بحور الادمية ما يمنع عن الارض الثقل لئلا تقف عن الدوران . وجدّ الجدي يتطلبه سعد الذابح فادركه باسرع من مرور عمر الانسان . ونطح التيس بقرنيه وجه البسيطة فنار بخارها الى العنان . فحجبت انوار الكواكب ذات اللمعان . وسترتها بستائر كثيفة لا تخترقها رواشق الشهب ولا سهام النيران . وسل سيف البرق اليمان فكشط قشر الحياة عن لباب جسم

الانسان وصاح جيش الظلام من الالام لما ضرب بكف الاحزان . فعزم على الرحيل بلا استئذان . ليختفي خلف ظهر النهار ساعات من الزمان . وبدت نجمة الصباح ترجرج كالزئبق وتنادي بافصح لسان . قد اقبل النهار ينظر بنور ما وهبه الله المنان . وقد بعثني الشمس طليعة لها لا نظركم بنورها في كل آن وانها وان كانت تنظر اليكم بعين واحدة فهي تحفكم بجواهر منافع لا تثمن باثمان . وتقدم من خلف تلك النجمة خيط من النور قيد به الفرقدان . ومن ثم تبعه جيش من النور سريع الجريان فامتد وانتشر في كل مكان واذا بالشمس سيدة النجوم . قد ظهرت بقدرة الحي القيوم . فسجد لها العالمان . الانس والجان . وتلقياها كما تلتقي اليابسة الوابل الهتان . فأنسر عند اشراقها المتقاتلان . بحيث قدر الخصم ان يرى خصمه في كل مكان

هذا ومع ان العرب كانوا يروا انفسهم ناجحين ومنتصرين ويتأكدون ان اعداءهم يسيرون بين يديهم يدورون لم يصلوا في كل الليل الى مكان المصلب وقد ضاعوا الى ان كان النهار فنظروا الى المصلب فاذا هو بعيد عنهم كثيراً وبينهم وبينه جبال من رجال الاعجام فتحيروا ولم يعرفوا لذلك سبباً مع انهم كانوا قربوا منه نهار الامس . ولذا زادت في رؤوسهم الحماسة والنخوة فوصلوا القتال وداموا القتال وجودوا الطعن والضرب واشفوا مرض القلب . واقتحموا بحور المعارك وخاضوا لجج المهالك . ورأى الفرس ان العرب قد بعدوا كثيراً عن المصلب فاشتدت قلوبهم وظنوا ان ذلك بجدهم واجتهادهم في القتال تحت ظلام الليل فبذلوا ما في وسعهم من الثبات . وقاموا في وجوه اعداءهم كالجبال الراسيات . وكان هذا اليوم اعظم من اليوم الاول كثير الوثبات . عمل فيه القتل والذبح من كل الجهات وسار سلطان الفناء والممات . وراح بيع النفوس في تلك الساحات بادنى الاثمان وابخس الفيئات . وكانت الاجساد تتساقط عن الجياد كورق الشجر والدماء تتدفق اغزر من المطر . وقد بطل القيل والقال . وصغر الجميع لامر الطبيعة في الحال . وزهدوا ببشراتهم لما علموا انها من صلصال .

وان القدرة لا بد ان ترجعها الى اصلها مهما طالت الاجيال . اي انها من تراب وسترجع اليه بلا ارتياب . فهان على اصحابها الموت والمحاق . اذ لا بد من شرب هاته الكاس الدهاق . فلله در فرسان العرب اصحاب المروءة والشجاعة والفتوة فقد توسطوا مرارًا عساكر الاعداء واخذوهم بصدورهم ليطردوهم الى الوراء فيدركون المصلب قبل الظلام فلا يعودون الى ضياعه مرة ثانية ولا يحتاجون الى معركة تالية فقامت القيامة . وقلت السلامة . ووقعت الندامة . وعظم الهول واشتد . وذهب الهزل وجاء الجد . وتبادل بين المتقاتلين الاخذ والرد . وقد اختلط الاعارب بالاعاجم . والهنود بالديالم . ولم يعد يعرف العدو من الصديق ولا الخصم من الرفيق . وقد جحد الابن اباه . والاخ اخاه . والعبد مولاه . ولم يكن يرى الا لمعان سيف يبرق واهتزاز رمح يخرق . وصهيل جواد يطلق . وغزير دماء يهرق . ووداع قائم بين الارواح والاجساد . ونزاع واقع بين الدرق والسيوف الحداد . وما برح الدم يبذل . والرجال تقتل . الى ان فرغ صبر النهار فارتحل . ونسي الليل ما لاقى من عذاب الامس فاقبل

وكان العرب قد رأوا انهم قد قربوا من المصلب كاليوم الاول وانهم لا يلبثون ان ينزلوا بالامير حمزة عنه ويخلصونه من العذاب فداموا في عملهم واختاروا الموت على تركه بيد الاعداء وكذلك الملك كسرى انوشروان فقد عاد اليه اضطرابه وقلقه بعد ان كان قد ارتاح باله وراى العرب وقد قربوا من المصلب فقال لبختك هوذا الاعداء قد قربوا من خلاص اميرهم وفي هذه الليلة ينزلونه ونقع بالعذاب والغلبة . قال كن براحة ففي الصباح تراهم في اي جهة يكونون والى اي ناحية يصلون . قال اني لاعجب منهم فانهم لا يكلون ولايملون ولا يهدأون ولا يرتاحون . ولا ريب انهم فصلوا من جبال الحديد . قال لا بد لهم ان يذلوا امام رجالنا مهما جدوا واجتهدوا واهتموا بالقتال لان الكثرة تغلب الشجاعة واعدك وعداً صادقاً ان الامير حمزة لايمكن ان يعيش وهو على هذه الحالة وفي الغد يفارق الحياة اذا لم يكن قد مات في هذا اليوم فكيف يقدر ان يعيش بلا

اكل ولا ماء وقد منعا عنه

ثم ضاءت المشاعل كما فعلوا في الليل الماضي واختلط حاملوها بعساكر الاعجام واثاروا امامهم وفعلوا كما فعلوا في اليوم الاول وقد ازدحمت الاقدام . وتبادل بيع الارواح في سوق الزحام . ولم تعد تعرف الاعراب من الاعجام . ولا الاصحاب من الاخصام . ولم يكن يسمع الا همهمة وبربرة . وتألم وعناء وعويل وبكاء ونواح واشتكاء . فعظم الامر . وفقد الصبر . وقطعت الرؤوس . وزهقت النفوس . وكثرت المصائب والمتاعب والمصاعب . على تلك الكتائب والمواكب وتلطخت وجوه الفرسان بالدماء . وفصلت الارض عن السماء بحجاب من الغبار كثيف البناء وكانت الرياح تهب من كل ناح فتنسف قتار الويل . وتزيد في عذاب ذاك الليل . فلله در الانسان ما اجبره وما اشده اذا تعاظم تكبره . فانه يبيع عزيز حياته . لينال مقاصده وغاياته . ويكبح عدوه ولا سيما في يوم القتال . وتحت الشدائد والاهوال . واي عداوة اعظم من العداوة التي كانت واقعة في ذاك الزمان بين طوائف الاعجام وقبائل العربان . وقد اثارها بختك القرنان . بين الملك كسرى انو شروان . والامير حمزة البهلوان بعد ان كان بزرجمهر السيد المفضال يريد ان يجعل الحب بينهما عظيم المنال . لكن الله سبحانه وتعالى له بذلك غاية مستورة سوف تظهر لم تكن تدركها مقاصد البشر . وان مملكة الفرس قبل ذلك الزمان . كانت عاملة على الكفر والطغيان . فلم يرض ان يبقيها على ذاك الشان فقصد ان يقلب التخت والايوان ويعجد عبادة اهل التقاوة والايمان فسبحانه يفعل ما اراد في الاكوان . فقد سلط العرب على العجم واحياهم من بعد العدم فتجمعوا وقاموا بالقتال والحرب والنزال . ولا سيما في تلك الليلة الدهماء التي اشتد بها الويل والعناء وما انقطعت فيها الحرب لحظة عين ولا فتر القتال دقيقة بين الفريقين بل دام عاملاً الى ان بدت غرة الصباح . وارسلت الشمس بنورها على تلك الروابي والبطاح وتبين الفرسان بعضهما البعض وفي اي جهة صاروا من تلك الارض . ورأى العرب فاذا هم قد بعدوا كثيراً عن المصاب

الى جهة الشرق واصبح الاعداء بينهم وبينه وهم يقاتلون ويدافعون ويناضلون فازدادوا حنقاً وتفطرت مرائرهم وانطبقت الدنيا على رؤوسهم ولا سيما على الامير رستم فانه بعد ان كان يؤمل انه يسبق الجميع الى ابيه وانه عن قريب يضرب المصلب بسيفه فيقطع قوائمه اصبح بعيداً عنه عدة اميال

قال وكان اليوم الثالث شديد الاهوال نظير ما تقدمه من الايام وكانت الحرب به محتدمة واي احتدام . وكل فارس من فرسان العربان الكرام . بذل جهده في قتال رجال الاعجام ليتقدم الى الامام ويأخذ الفوز ويرجع الى المكان الذين كانوا قد وصلوا اليه . ليستولوا على المصلب ويدوروا من حواليه وكان القتال كأنه جديداً قد ابتدأ في ذاك النهار . وكان لم يكن قد لحق بالمتقاتلين التعب والبوار . فحكم السيف القرضاب في محكم الرقاب . وقطع على النفوس والاجساد بالفناء والعذاب . ومقاساة الاهوال والاتعاب . وملاقاة الاخطار والاوصاب . ونفخ ملاك العرض بسوق الخراب . بين قبائل الاعجام والاعراب . الا هبوا فقد جاء يوم الحساب . وليودع الاحباب الاحباب . والاصحاب الاصحاب . فما من عودة بعد هذا الوداع . وستلاقون جزاء هذا الخصام والنزاع . من الواحد القهار خالق الليل والنهار فمن كان قتاله لاجل الدين القويم . نال السعد العظيم . والعز من العلي العليم . ومن كان قتاله لاجل الكفر . نال الجزاء بالويل والشر . والعذاب والضر . فبشراكم يا اهل الايمان . لقد اعدت لكم مكافأة عظيمة الشان . وسترفعون الى اعظم مكان وويل لكم يا اهل الكفر والطغيان . فقد فتحت لكم ابوابها جهنم النيران . وتضمكم ضمة الحب الى صدرها . وتجلسكم مدى الدوران في جحرها . وكان العرب يزحمون الاعجام . ويحاولون التقدم الى قدام . والاعجام يدافعون دفاع اسود الاجام ليمنعوهم من الوصول الى المرام . واما الامير حمزة فانه كان في مدة الثلاثة ايام ينظر من فوق المصلب الى هذا القتال ويتحرق الى الخلاص وكانت كل ساعة تمر عليه بمقام سنة ولا سيما بعد ان كان يرى في كل يوم ان العرب كادت ان تصل منه ولا تلبث ان تخلصه وعند

اشتداد الليل يرى على انوار المشاعل انهم يبتعدون شيئاً فشيئاً واصواتهم تبعد في عرض الفــلا وهو مع كل ذلك بلا طعام ولا ماء وقد نشف ريقه وخارت قواه فاصبح في اليوم الثالث حزيناً جدًا وضعفت قوته كثيرًا ولم يعد يقدر على ان يفتح عينيه او يجمع حواسه واخذت قوته في ان تضمحل وعرف انه في اليوم التالي سيموت ويفارق الحيــاة وشعر من ذاته بالمنازعة وقرب الممات فاعرض عن القتال ووجه بافكاره الى الاخرة وما سيلاقي من ربه عند الوقوف واداء الحساب ورأى نفسه مطمئنة بان العرب قد اجتمعت واعادت له شرفه وانها وان كانت لا تدركه وهو في قيد الحياة فستصل اليه وتأخذ جثته وتدفنها على دين الحق ولا تحرق بالنار وبدأ بالذبول وجعل يغيب عن الوجود شيئاً فشيئاً كل ساعة باكثر من الاخرى ولم يعد يسمع قط لا صوت الرجال ولا صيــاح الفرسان الذين كانوا يتقاتلون باشد قتال . ويتجادلون باعظم جدال . ويتنازلون بايشم نزال . وقد بذل قومه المجهود وقاتلوا قتال الاسود . حتى انهم عند المساء قدروا ان يقربوا من المكان الذي كانوا قد وصلوا اليه في اليوم الاول . وقد قرروا في نياتهم انهم في هذه المرة لا يتركون المصلب ولا يضلون ولكن عبثاً كانوا ينوون لان الاعجام ما كانت تنهزم امامهم او تفر بل كانت قد اعتادت المحاولة في القتال . وهي تلاقي الليل . بفرح وتنتظره بفرغ صبر لانهم رأو فيه التوفيق والنجاح فظنوا ان سعد النهار لاخصامهم وسعد الليل لهم وعند اقبال ليل ذاك النهار العظيم الاخطار امر بختك رجال الاعجام ان تضيء المشاعل وتفعل كالعادة كما كانت تفعل بالامس ولكنهم يسيرون في غير ناحية من الطريق ففعلوا وامر ايضاً ان تقدم الرجال بالماء والطعام فتدور بين قومه الذين ما رجعوا للراحــة ولا تركوا القتال المتصل من النهار الى الليل بل داوموا عليه واعملوا السيوف . وتجرعوا كاسات الحتوف وعرف كل واحد منهم انه لم يبقَ له في هذه الدنيا مطمع . وانه لا يعود الى الحياة ويرجع ولا يخرج من ساحة الميدان . بعد ما لاقى من التعب والاهوال . وان الجميع صبغوا بالدماء . حتى بالكاد عادت تعرف الاصحاب من الاعداء

وكان كسرى لا ينام الا ساعات قليلة في الليــل وعند ما ينام يجلس بختك عند راسه ليصونه من ان يؤخذ بغتة حتى اذا احتاج الامر الى الفرار ايقظه في الحال وعليه ثيابه وكامل لبسه وعندما يستيقظ كسرى ينام بختك مقدار ساعة او ساعتين ثم يعود الى مراقبة الاحوال ومثله باقي الوزراء من الطائفتين كانوا على مثل هذه الحالة . ومن العجب الغريب ان يقدر الانسان على الاتيان بتفاصيل تلك الحرب المشؤمة وما وقع بها من القتل والجرح وكم سحق بهــا من الفرسان تحت حوافر الخيل في ذاك الميدان ولا يقدر ان يعرف ذلك الا العزيز الجبار خالق الليل والنهار والعالم ما في الخفايا والاسرار والقادر على عد رمل البحار ودام العمل قائماً والقتل ملازماً الى ان اشرق نور الصباح وانبسط على البسيطة ولاح واذا بفرسان العرب قد بعدوا عن المصلب وتوغلوا في غير ناح . فعظم الامر عليهم وكبر الخطب لديهم وتعجبوا من وقوع تلك الحــال عليهم تكراراً وتوهموا ان تلك الارض مسحورة وانها تنتقل او ان الاعجام عند اشتداد الظلام ينقلون المصلب فيركزونه في غير جهة فلا يعودون يهتدون الى مكانه مع ان طول حياة الامير اعمت عنهم هذا الامر وانشغال بال بختك بالقتال واملهِ بالنجاح جعله ان يعرض عن ان يشغل فكره الى انزال الامير عن المصلب فيركزونه في غير جهة فلا يعودون يهتدون الى مكانه وقد ارسل في احضار نجدة من اقرب الاماكن وهو يؤمل ان تصل اليه باقرب وقت ومتى وصلت ربح الفرس بحيث يكون الرجال القادمون براحة ولم يتعبوا بالقتال والحرب . والعرب قد قاموا كل هــذه المدة فلا يقدرون ان يثبتوا كثيراً

ولما كان صباح اليوم الرابع اشتد القتال ايضاً كالايام السابقة وعظمت الاهوال جداً وتغطت الارض بجثث المتقاتلين وقد كان ذاك اليوم على الاعجام مثل باقي الايام قد تاخروا فيه الى حد المصلب بعد ان قتل منهم جمٌّ غفير وعالم كثير ولم يعودوا يفكروا بالنجاح الا في الليل وكذلك الليل الرابع والخامس فقد اتصل بهما القتال وكان عظيماً والعرب في اجتهاد ترغب في الاسراع الى

انزال الامير وقد باعت ارواحها في سبيل خلاصه فتصعب عليها في كل هذه الايام الماضية وكان من الامر العجيب انهم ما افلحوا ولا نجحوا بليلة واحدة بل في صباح كل يوم ينظرون انفسهم في جهة بعيدين عن المصلب بعد ان يكون في المساء قد وصلوا اليه ولم يكن شيء اصعب من هذا الامر عليهم وقد قطعوا الرجاء تقريباً

وعند صباح اليوم السادس كانوا كذلك فاشتد غيظ عمر العيار وانفطرت مرارته فانخطف بين الفرسان ينتقل من مكان الى مكان وهو ينادي بهم ويلكم لا تتقدموا في النهار ولا تتجاوزوا مراكزكم بل قاتلوا واثبتوا وقوفاً واجعلوا تقدمكم في اول الليل بحيث يشغل الاعجام عن ماينوون ولا يعرفون ان يقودوكم في المدة الى بعيد فاستصوبوا رايه وقد ثبت عنده ان اخاه قد مات وشرب كاس الافات لان له ستة ايام فوق المصلب متروكاً من الاعتناء من احد ولم ياكل ولم يشرب ومن العجب العجاب ان يبقى الانسان اكثر من ذلك حياً ولا سيما اذا كان واقعاً في حالة عذاب كالحالة الواقع بها الامير حمزة وكان بالفعل الامير قد غاب عن هداه ولم يعد يعي الى حاله ولا الى احد من الناس بل فقد كل حاسة وكل حركة وكل صواب وصار من راه لايظنه الا مائتاً وقد اخذت الروح في ان تنسحب منه وهي لا تريد ان تفارقه فتتردد في الخروج من اي مخرج تخرج وعليه فقد اضطرمت نيران الوغا اي اضطرام واتسع سوق الطعان والصدام ولم تضيق العرب على الاعجام بل جعلوا يقاتلون وهم في مراكزهم كانهم اسود الاجام وما من احد منهم تجاوز ما اشار وسالهم به العيار بل صبروا الى حين قرب الزوال وحيث كانت الفرسان العظام والملوك الكرام لايتقدمون كان كذلك العساكر لايبعدون عن اسيادهم بل لبثوا يقاتلون في اماكنهم وداموا على مثل هذه الحال الى ان قرب العصر ومالت الشمس الى جهة الغرب واخذت تجمع حرارتها وتنسحب باشعتها ولا تبقي على الارض من اثر لها في ذاك اليوم وقد راى بختك الى عدم تقدمهم وهو امام كسرى انوشروان فسر سروراً لا مزيد عليه وقال له بشراك

يا مولاي فهذا العرب قد اخذوا في الانحطاط ولم تطعهم عزائمهم على الوقوف والثبات وفي كل هذا النهار لم يقدروا ان يخطوا خطوة الى الامام ولا ريب ان قوتهم اضمحلت وفي الغد اذا وصلت الينا النجدات ينحلون لا محالة ويقعون عن ظهور خيولهم الى الارض او اذا بقيت فيهم بقية رمق يقدرن بها على امساك نفوسهم يتركون هذه الارض ويرحلون هزيمة وهرباً ومن ثم نقدر على احراق الامير وهلاكه ويتم لنا النذر الذي نذرناه قال لم يبق من العيد غير يوم واحد فاذا مضى الغد ولم نقدر على هلاك الامير انتهى العيد وغضبت النار حيث لم نفِ لها بنذورنا قال ان النار لا تغضب علينا وقد عرفت اننا جاهدون في القيام بخدمتها ولذلك قد عملت على مساعدتنا فلا تريد ان يمضي العيد دون ان نكون قد نلنا مرادنا ونالت هي ايضاً مرادها فيوم احتفال حرق الامير لا بد منه وفيما هما على مثل ذلك والعرب والعجم في قتال وازدحام وقد اخذ العرب في التقدم وغيروا منهج قتالهم واذا بالصياح قد سمع من صدر البر وتبين عن فرسان قد وصلت في تلك الساعة الى ذلك المكان وفي مقدمتهم فارسان عظيمان كل منهما راكب على جواد من الخيول الجياد وهو كانه طود من الاطواد ينادي يالثارات حمزة البهلوان . ثم انهما باشرا القتال واخذا في الطعان والنضال وجودا الضرب في الاعداء الانذال وقد رات العرب الى تلك الحال . وسرت سروراً عظيم المنال . ولا سيا عند ما راوا ان احد الفارسين يكنى بجده وابيه وينادي ويلكم يا عبدة النيران . واهل الكفر والطغيان . فقد جاءكم الامير سعد ابن عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان . والاخر الى جانبه وهو يطرد في صدره الفرسان . ويلقيها في حفر الهلاك والخسران . وينادي انا طوربان بنت افلنطوش ابن عم كسرى انوشروان . واذ ذاك انعطف الامير عمر العيار الى الامير سعد وقال له كن انت في هذه الساعة في مقدمة القوم واسرع الى انزال جدك عن الخشبة فتكون سلطاناً على العرب بعد الملك قباط الذي قتل في غيابك ومثله قد قتل ابوك ومهردكار فلما سمع الامير سعد هذا الكلام طار صوابه وغاب هداه واحترقت مرارته عند سماعه بما وقع على

ابيه فاراد ان يشفي فؤاده من الاعجام ومثله السيدة طوربان فانها كانت على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام ولم يكن اشجع منها في ذاك الزمان الا الاميرة سلوى زوجة الامير حمزة البهلوان لكن هذه كانت اشد صبرًا واحكم عقلًا واما تلك فكانت لجوجة حادة الطباع . وفي تلك الساعة تجدد القتال وامل العرب بالنجاح فجادوا واهتموا بالحرب وفعلوا افعال اسود الدحال وكان لهم ساعة تشيب الاطفال وترعب اشجع الرجال وبعد ذلك اخذ الليل في الاشتداد والاسوداد وقد عظم الامر على كسرى وقال لبختك قد وصلت نجدة العرب قبل نجدتنا واخاف ان ينالوا المراد قبل ان نرى لنا معيناً وقبل ان نفوز بالمطلوب . قال لاتخف ياسيدي ان النجدة العربية التي وصلت اليهم هي قليلة جدًا ولا يمكن ان تاثر في رجالنا المنتصرين فضلًا عن اني اثبت لك واوكد كل التاكيد ان العرب لا يلبثون ان ينهزموا ان وصلت عساكرنا او لم تصل وفي الغد ترى اليقين . هذا والحرب قائمة على ساق وقدم . ولهيبها يمد بلسانه فيلتهم باجساد تلك الامم وقد سطت العجم على العرب والعرب على العجم . وكل منهم لبس ثوباً من نسيج الدم وسلم بروحه امانة الى سلطان العدم . وكان ذاك الليل من اشد الليالي سوادًا واكثره حرباً وجلادًا ولم يكن قد وقع قتال مثله في الليالي السابقة ولا ريب انه الليل الاخير من تلك الموقعة التي لم يكن قد وقع قتال مثله لا في العرب ولا في العجم ولا بين اعظم ملوك الامم . وقد عملت فرسان العرب العجائب . وانزلت بالاعجام المصائب واملت الخير والنجاح وثبت لديها نوال القصد والفلاح وكان الامير رستم وباقي الفرسان اخذوا يتقدمون الى قدام . بعد قتال شديد . وجد لم يكن عليه من مزيد وقد راجت الحرب واي رواج وهاجت الابطال واي هياج ولا سيما الامير سعد وامه فانهما اشفيا قلوبهما من الاعداء وانزلا عليهما ميازيب البلاء واهلكا كثيرًا بثار الامير عمر ومن قتل غيره في غيابهما

وما برحت الحال على مثل ذلك طول الليل الذي اختفى اخيرًا عن العيان وقد اقسم ان لا يقبل ان يأتي في اليوم التالي ويرى القتال على ذاك المثال ويشاهد

الادمية تتدفق وقد تجاوزت الحد وقل جنس بني الانسان من الدنيا بما وقع في الايام الستة الماضية وعند انقضاء الليل اخذ النور في ان يتقدم الشمس لكنه كان غير صاف ويتخلله هواء حار ينذر بعظم ما سيقع في ذاك اليوم الاخير من الطراد وينظر غضب الطبيعة من افعال العناد ومن ثم ظهرت الشمس صفراء اللون عابسة الوجه يحيطها هالة سوداء متحدبة تظهر من جهة الكرة الارضية كخيط رفيع وبعد ان نظرت الشمس الى الارض نظرة واحدة ما لبثت ان عادت الى حجاب كثيف من الغيم فاستترت خلفه وقد ابت ان تشاهد ما يقع في ذاك اليوم العظيم الشان بين اولئك الفرسان واقامت على حالها لكنها لم تكن تعدم الارض شيئاً من منافع حرارتها ومن بعض انوارها التي خصها الله بها لتكون وسيلة نافعة لكل ما هو للانسان وعند ما ظهر النور تماماً تبين العرب انفسهم واذا هم قريبون من المصلب جداً ولم يبقَ بينهم وبينه الا مسافة قصيرة فاملوا النجاح وترجوا انهم بساعة قليلة يصلون الى غايتهم وان الاعجام سيرجعون الى الوراء بالرغم عن انوفهم ويتفرقون لامحالة منهزمين ولذلك جوّدوا الضرب والطعن ولم يرضِ الفرسان بالتأخر للراحة في ذاك اليوم لا من العرب ولا من العجم لان الاوائل لم يقبلوا ان يضيعوا الفرصة وطلبوا سرعة الانجاز حيث قد زهقت نفوسهم وتعبوا كثيراً وكذلك الاعجام لما رأوا نجاح الاعداء في الليل خافوا من ان يصلوا في النهار الى المصلب فيخلصون الامير فازدحموا حواليه وقاتلوا قتال الصناديد وثبتوا ثبات كل بطل عنيد وفارس شديد ولم يقبلوا ان يتأخروا عن المصلب ويتخلوا عن الامير لقومه وابى قومه الا اخذه . وكان كسرى قد رأى هذه الحالة فارتاع وقال لبختك قد خاب ظننا وضاع ما كنا نؤمله فان العرب فازت بالمطلوب وبعد قليل ياخذون الامير وربما وصلوا الينا قال اما من جهة الامير فيأخذونه جسداً بلا روح لانه قد مات وشرب كاس الافات . واما نحن فاننا عند ما نرى الغلبة قد تمت نهرب الى مدينة خراسان وندخلها ونقفل الابواب الى ان تأذن التار بالفرج ومتى رأى العرب ان اميرهم قد مات تضعف عزائمهم ويتأكدون ان تعبهم لم يجدهم نفعاً

لا سيا وقد قتل منهم كثيرون ولا قوا اكثر مما لاقينا وفي تلك الساعة وصل رسول الى كسرى انو شروان يخبره بوصول ثلثمائة الف فارس من الاعجام وانها بعد ساعة تدخل في القتال فسقط الهم عن قلبه وقال لا ريب ان هذه نجدة كافية بالمطلوب ننال بها المرغوب . فقال بختك اني بانتظارهم ولا ريب انهم براحة تامة فوحدهم يكفون لهلاك العرب فكن على حذر وتقدم بعد وصولهم الى الامام قليلاً لكي يروك فيبيعون ارواحهم امامك وما هــذا الا رحمة من النار ذات الشرار صاحبة الفضل العظيم والمقدار العميم

وفيما العرب والعجم في حرب وطعان اشد من لهيب النيران . وهما على بساط تلك الارض يتقلبان ويتطاعنان ويتضاربان ويتراوغان ويتجاولان ويهيجان ويرغيان ويزبدان وقد رأى العرب وجه الامان وانهم قد صاروا من جهة الفوز في راحة واطمئنان واذا بالغبار قد ارتفع الى العنان وانتشر في كل جهة ومكان ثم ضربته الرياح بعصا الذل والهوان فمزقته واجلت عما تحته للعيان واذا بعساكر من عساكر كسرى انو شروان يبلغ عددها الثلاثمائة الف عنان وعندما وصــل اولئك الفرسان ورأوا الحرب مضطرمة النيران حملوا بسرعة البرق اليمان فالتقاهم العرب كاسود خفان ولم يكن الا . . ة من الزمان حتى اختلط الشجعان بالشجعان وامتزج الاعجام القادمون بالعربان واشتغل عمل السيف اليمان والرمح الهندوان في معمل الاجساد والابدان وكثر الجور وقل الاحسان وتحركت الضغائن في قلب الانسان فطلب الانتقام بلا تأخير ولا توان وبعد ان رأى العرب النصر بالعيان عادوا فتأخروا وحل بهم الخسران ورجعوا الى الوراء عند هجوم عساكر خراسان ورأى عمر العيار الى هذا الشان نخاف من الهلاك والقلعان وظهر له ان العرب اذا تأخروا في هــذا اليوم لا يعود يمكنهم الوصول الى اخيه حمزة البهلوان فتأكل جسمه الديدان ولا يتمكن من دفنه على الحق والايمان ولذلك جعل ينادي مناداة الخائف الفزعان ويحرك العرب الى التقدم والثبات في الميدان ويقول ويلكم يا ابناء المجد قد اذلكم عباد النيران فارجعوا شرفكم الى ما كان وقاتلوا

اخصامكم بقوة قلب وجنان وسيعطيكم النصر الواحد المنان العزيز الرحمن ورأى الامير رستم سيد طوايف الرومان ما حل بالعرب من التأخير فهاج واي هيجان وغليت نار الغضب في قلبه اي غليان ورأى من الصواب ان يموت ولا يترك اباه بيد كسرى القرنان فصاح وحمل لوحده ومن خلفه الشاه ذئب كانه الثعبان. فاخترق الصفوف وباقل من لمحة عين صار في وسط عساكر الاعجام فازدحمت عليه وصوبت برماحها اليه وجادت في حربه وقتاله فصبر عليها وهو يطعن فيها الابطال ويمدد بها على بساط الرمال ويفرقها الى اليمين والشمال ثم تعود فتتجمع فترميه بالسيوف الصقال والاسنة الطوال ولا تترك له من مجال وهو غير حاسب لها حساب بل يلاقيها بالاسنة والحراب ليفتح فيها طريقاً من امامه للمرور ويرفع من رأسها التيهان والغرور فزاد عليه العدد وكثر من حواليه المدد وطافوا به من يمينه وشماله وتاملوا بهلاكه ووباله لما رأوه منفرداً لحاله وهو بينهم يصول ويجول ويهدر كالغول ويطعن في الصدور والخواصر ويفرق في اولئك العساكر ويقتل بها القتل العظيم وينزل بها البلاء الجسيم حتى ضاق عليه المجال لكثرة ما تكوم حواليه من جثث الرجال ولم يعد لجواده من سبيل الى الجولان وهم الى التخلص من ذاك المكان ورأت عساكر الاعجام ما حل به من الارتباك وانه قريب من الاسر والهلاك فصوبت اليه برماحها وابرقت فوق رؤوسها بصفاحها والقت عليه بارواحها وهو لا يبالي بجموعها كثرت او قلت ولا له خلاصاً الا اذا انهزمت وفلت لجود الضرب والطعان وصبر صبر كرام الشعان واحتمل احتمال الكرام عند حلول المصائب والاحزان

وفيما هو على مثل هذا الشان واذا بصوت ابنه الامير قاسم قد ناداه خذ لنفسك الراحة يا ابتاه وكان قد راى عن بعد والده فخاف ان يصاب من الاعداء بمصاب فحمل وعمل بالاعداء كما تعمل بالاغنام الذئاب وهو يتعجب من قتال ابيه ومن شجاعته وكيف يفعل بالالوف ويرسل بها الى عالم الحتوف ويخترق الصفوف ويرمي نفسه بين مشتبك السيوف فادركه وحمى ظهره وفرق هنيهة الاعداء عنه

فتقدما قليلًا الى القدام غير ان عساكر الاعجام عادت حالاً حولها الى الازدحام وعادت الى ما كانت عليه من الحرب والصدام وكان جميع فرسان العرب مثل اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وهارون البطل المجنون وفرهود صاحب التكرور وغيرهما من كل بطل مشهور قد غاصوا في الصفوف كل واحد الى ناحية وتفرقوا عن بعضهم البعض واحتاطت بكل واحد الاعداء وكادت تنزل به نوازل البلاء والفناء وهو يقاتل لوحده يؤمل بالوصول الى المصلب او يموت في نفس ذاك اليوم ولا يرجع وبالحقيقة ان عساكر العرب وفرسانها لاقوا في ذلك اليوم من الاعجام قتالاً عظيماً لم يسبق ان راوا مثله في كل قتالهم وكان التعب قد اضناهم واضنكهم فلم يعودوا يروا الى الخلاص من سبيل فعولوا على بيع ارواحهم في سبيل شرفهم فلا يولون الى الوراء ولا يتركون القتال ولا يتخلون عن جثة الامير اذا كان قد مات وشرب كاس الافات وراى كسرى الى ما حل بالعرب ونظر عن بعد الى فرسانهم منتشرين كل واحد في ناحية وهم محتاطون من رجاله يتقاتلون قتال اليأس والضجر قاطعين الرجاء من الحياة ولذلك يطير فواده سروراً وصفق من الفرح وصاح وخرج من تحت الاعلام ومن خلفه بختك ابن اللئام وجعل ينادي في قومه الا يابني الاعجام قد حفتكم النار . بالفوز والانتصار . فلا تضيعوا الوقت بغير ثمار . فقد قل من الاعداء الاصطبار وعزموا على الهزيمة والفرار . وكل واحد جاءني براس فارس عظيم المقدار . جعلته اميراً واوهبته الاموال الغزار . فزادت همم الاعجام الاشرار . وجودوا الحمل على العرب الاخيار . فضايقوهم من اليمين واليسار . وكان ذلك بامر العزيز الجبار . الذي يعرف ما في الخبايا من الاسرار . فلا يغيب عنه خفاء ولا اضمار . ولا يحجب عنه امر تحت ستار . هذا ورستم في وسط ذاك المضمار . وقد غرق جواده من الدماء ببحار وعوامل الرماح تتساقط من حواليه كانها خيوط الامطار وهو يقطعها بسيفه البتار . ويلقي بانفسها الى تراب البوار . وابنه قاسم الاسد الكرار . يفعل كفعله بمساعدة الاقدار وقد زهقت نفوس الفرسان وقربت من البوار

وفيما هم على تلك الضيقة والعذاب والشنار وعساكر العرب قد تاخرت من التعب ولم يعد لها على الثبات اقتدار وبقيت فرسانها فقط في وسط الميدان محاطة بالسيوف والاسنة في كل مكان واذا بغبار قد ثار الى العنان فمالت الى جهته الفرسان بالعيان وتاملت الاعجام ان تلك نصرة جاءتهم في ذاك الآن واما العرب فلم يكن يخطر في ذهنهم ان ياتيهم احد من الفرسان لانهم كانوا كاملي العدد فوقعوا بالذل والهوان . وتاكدوا انها ستزداد عساكر كسرى انوشروان في كل ساعة من الزمان . فسلموا بانفسهم الى الرحيم الرحمن . واستجاروا به ان يمدد لهم يد المساعدة والامان وكان عمر العيار كاللولب الكثير الدوران ينخطف باسرع من البرق عند اللمعان من مكان الى مكان فيفرج بضرباته عن الفرسان ولما راى ذاك الغبار مال اليه وهو خافق الجنان وقبل ان يخرج من الميدان . واذا به يرى عساكر قد اقبلت كانها العارض الهتان . وكل واحد قد قوم السنان . واطلق العنان . وطلب الاشتراك في القتال والطعان وراى في اول المعسكر فارساً امرد اشقر لكنه صبوح الوجه طلق المحيا تشهد الفراسة والفروسية انهما خلقا له لا لغيره عريض المناكب واسع الصدر طويل القامة ضخم الاكتاف احمر الخد ثخين الحاجبين يتصل احدهما بالاخر ومن تحتهما عيناه تقدحان بالشرار وترسلان بسهام المصائب والبلاء الى كل من نظر اليه وغضب عليه ومن تحته جواد عال ادهم كالليل الحالك واسع الصدر عريض الكفل هزيل القوائم قوي العصب بين عينيه نجمة بيضاء تشير الى ان السعد لراكبه ملازم وبيد ذاك الفارس صمصامة مصقولة قد اشهرها بيده فلمعت وابرقت وانارت كالشمس في رابعة النهار وتوقدت كالنجمة في وسط الليل وقد التفت ذاك الفارس الى فارس اخر كان الى جانبه وقال له ويك ياعبد الله مهرين اني لا ارى امامي الا اعجاماً فالارض مملوءة منهم ولا ريب انهم في قتال العرب والعرب قليلوا العدد وهم في ضيقة وهاك المصلب في اخر العساكر والى مثل هذه الساعة كنت اشتهي واريد فاحمل انت مع العساكر واتبعني كيف سرت فانك عما قليل تراني تحت المصلب وقد

قطعته بسيفي

ثم ان ذاك الفارس حمل حملة الجبابرة العظام وانحط على عساكر الاعجام . انحطاط الاسود على اضعف الاغنام . ونادى بفصيح صوت ولسان . ارتج من نداه ذاك المكان واهتزت الجبال والوديان وقال ويلكم يا عبدة النيران واهل الكفر والطغيان واذل كل انسان . خلوا عن الحرب والطعان واطلبوا الهرب الى البراري والكثبان واختبئوا في مغاثر الوديان ولا تظهروا بعد الان . والا حاق بكم المحاق والاهوان وحل بكم العذاب وانقلعتم ايشم قلعان . وسحقتم بارجل العربان . فقد جاءكم سيد الفرسان ومذل الجبابرة والشجعان . الراجح الميزان . الذي خاق لكفه السيف اليمان . والرمح الهندوان من تخاف عند ذكر اسمه الانس والجان . والعفاريت والمردان . الامير بديع الزمان . بن الامير حمزة البهلون . ابن الاميرة سلوى سيدة النسوان

ثم ان بديع الزمان حمل حملة الاسد الزائر . والاسد الكاسر . وطعن طعناً يحير النواظر وضرب ضرباً يشغل الخواطر . فلله دره من بطل لا تقاس به الابطال وقيل تضمحل عند حملاته الاقيـال فانه من اول حملة فرق الجموع الى اليمين والشمال وجعلها بايشم حال وارجعها من ساحة المجال ورأى عمر العيار الى هذه الاعمال وسمع انه ابن اخيه حمزة من الاميرة سلوى ففرح الفرح الذي لا يوصف وقال والله ما كان يميـل الامير الى تكثير النساء الا باذن الحق سبحانه وتعالى ليأتيه مثل هذه الاولاد وقد امل بالخير والنجاح لما رأى وراه نحواً من ثمانين الف فارس مع فارس اسمه عبد الله مهرين وقد حمل وراه وفعل كفعله وقد افرجوا عن العرب فانخطف ليبشر الفرسان واول من وصل اليه الامير رستم فقال له بشراك يا رستم فاجهد نفسك فالذي جاء اخوك بديع الزمان ابن الاميرة سلوى وبالحقيقة انه من اشد الابطال لانني رأيته بدقيقة واحدة اهلك عشرين فارساً والسيف في يده يكاد لا يرى لشدة دورانه وخفته ومع ذلك فانه اذا ضرب الرجل قطعه مع طارقته مهما كانت متينة وكان الامير رستم قد انفرج عليه المجال فسمع الى

عمر وهو يقاتل فاشتد عزمه وامل بالفوز ثم انخطف عمر الى باقي الفرسان وبشرهم تلك البشارة وعاد الى عساكر العرب وصاح فيها وهيجها للحمل وكانوا قد رأوا بديع الزمان وهو يطارد الفرسان ويكشهم امامه كانهم عصافير الهواء فمالوا الى الحرب واملوا انهم يخلصون الامير باقرب وقت . ثم ان عمر عاد الى جهة بديع الزمان فرآه يصول ويجول ويضرب الابطال فيلقيها على الرمال . وهي تفر بين يديه كانه الاجبال ومن خلفه فرسانه وعبد الله مهرين وكامل الرجال يفعلون كفعله ولا يبعدون عنه بل يراقبون حركاته وكيف سار ساروا وما برح في حملته والجموع تفر بين يديه حتى قرب من المصلب ورأى كسرى الى هذه الحال فغاب صوابه وضاع هـــداه وتأكد خلاص الامير حمزة فصاح في الاعجام وامرها ان تزدحم هناك ولا تترك ولو هلكت ففعلت ولكن كانت لا تقدر على المقاومة ورد بديع الزمان الذي حمل عليهم وطعن فيهم وابلاهم بضرب اشد من نزول الصواعق وباقل من ساعة وصل الى المصلب وحوله فرسان الاعجام مثـــل رمل البحار فضرب بهم بسيفه البتار . ورأى من الاعالي اباه على تلك الحالة . فتمزقت احشاؤه وسقطت دموعه كالعارض الهطال . وصاح بصوت كقاصف الرياح . ارتجت منه جبال وسهول تلك البطاح . وقال يفداك ابنك يا ابتاه . ولا عاش من بعدك في قيد الحياة . ثم انطرح على من حول قوائم المصلب فاخترقهم واهلكهم وجاء احدى تلك القوائم وضربها بسيفه فبراها كما يبري الكاتب القلم واذ ذاك بربرت العجم بلغاتها وهدرت كانها الرعود القاصفة وانحطت على بديع الزمان فمال اليها وضرب فيها بصمصامته . وفعل فيها بكل مقدرته . فقتل منها الالوف العديدة وابلاها بالمصائب الشديدة واجلاها عن المصلب بنحو نصف ساعة وفتح طريقاً لفرسانه ولعبد الله مهرين حتى دخلوا واحتاطوا بالمصلب من كل الجهات والاعجام لاتخرج عنده ولا تريد ان تتركه حتى سالت الادمية كالنهود وفاضت ينابيع الاعناق كالبحور وتكردست الرجال فوق بعضها كالتلال . وكانت فرسان العرب قد رات الى هذه الحال فنعم منها البال . فصاحت وانطرحت . وفازت ونجحت

واشفت غليل القلوب . واجلت المصائب والكروب . وارجعت ما كان قد فقد منها من حسن الرجاء . والقت بالويل والخسران على الاعداء . وكان فكر بديع الزمان لايرتاح ما لم ينزل اباه عن المصلب وبعد ان بدد الاعجام الذين كانوا قد ازدحموا عند القائمتين الثانيتين الذي كان المصلب باقياً عليهما ومحيط كل واحدة ثلاثة اذرع عاد فقرب من احداهما وصاح بعبد الله مهرين ورجاله وياكم تناولوا ابي وتلقوه بايديكم ولا ينزعج ولا يتعب فازدحمت رجاله فوق بعضها ثم ضرب تلك القائمة بالسيف فكان نصيبها كالاولى اي انه قطعها الى نصفين وحينئذ هوت القائمة الباقية ومالت لثقل القائمتين المقطوعتين اللتين بقيتا معلقتين براسها وثقل الامير على رؤوس اياديهم بكل راحة فرمى بديع الزمان بنفسه عليه وقبل في الحال احدى يديه فشعر بها بانها كالثلج فتأكد عنده موته ولذلك ارغى وازبد واسودت الدنيا في عينيه وقال والله ما ابقيت في ثاره من الاعجام انسان حتى تضرب بي وبهم الامثال الى اخر الزمان وعاد فكر على الاعجام وابلاهم بالويل والاعدام وكانوا قد تفرقوا من حملات رستم وباقي الرجال الكرام وراى كسرى الى هذه الحال . فايقن بالهلاك والوبال . وقال لبختك لعنتك النار . لا يبقَ لنا خلاص من الهلاك والدمار . وفي هذا الوقت تقبض علينا العربان . وياخذون منا بثار حمزة البهلوان . فقال له لا تطيل اللوم والعتاب . فهذا الامر لم يكن لنا في حساب ولم يخطر لي قط بان السعد يصحبهم الى هذا الحد فيرسل لهم هذا الفارس الذي لم ترَ مثله عيني ولا رأى لا انس ولا جان . فهلمَّ الى مدينة خراسان قبل ان نقع في ايديهم ثم انهزم كسرى وبختك وباقي الامراء وانسحبوا الى المدينة وتبعهم الجميع وكان الوزير بزرجمهر بينهم فتأخر عنهم وهو بامان لانه كان يعرف ان العرب لا تضر به ولا تؤذيه وكلهم يعرفونه وفيما هو على ذلك يتردد في الدخول الى المدينة واذا بعمر العيار قد وصل اليه وصاح به وقبض على جواده وقال له مهلًا يا سيدي فقد كفاك ما لاقيت من الاعجام وانت مقيم بين عبدة النيران فارجع عنهم واقيم بيننا فاننا نخدمك باجمعنا . قال اني احب ان لا ادخل

المدينة لامرين اولاً لمداواة الامير حمزة والاعتناء به والنظر في امره اذا كان لا يزال باقياً في قيد الحياة والثاني لانظر بديع الزمان الذي كنت اراه عن بعد وقلبي ينخطف اليه فهذا يحق له ان يكون سيداً في العرب واكون انا في خدمته فما هو الا رحمة من الله سبحانه وتعالى قد ارسله لكم

ثم ان بزرجمهر رجع مع عمر الى الخيام فاوصله بسلام وعاد فرأى ان بديع الزمان ورجاله يطعنون في الاعجام في اقفيتهم وهم داخلون المدينة منهزمين وقد سبغوا بالادمية حتى ما كاد عاد يعرف الواحد من الاخر وقد تركوا ساحة المصلب وجاءوا الى هناك فلما رأى بديع الزمان عمراً سأله عن ابيه فقال لا اعرف له حالاً ولا بد من الاطلاع على امره فقال اني اعد ان كل من يخبرني ان ابي حياً اهبه من الاموال كل ما يريد ولا امنع عنه شيئا واما انا فاني لا ابرح عن المدينة حتى اقبض على كسرى انو شروان وبختك القرنان واقتلهما بثار ابي اذا كان مات فتركه عمر وكر راجعاً الى جهة المصلب ايرى اخاه وكان فرسان العرب قد تناولته من رجال بديع الزمان وطافوا به ورأوه وهو لا حركة به ولا امل بالحياة واقاموا البكاء والنواح والعويل والصياح فلما شاهد ذلك مزق ثيابه وحمله في الحال وجاء به الى الوزير وقال له انظر امر اخي يا مولاي داخذ بزرجمهر الامير اليه ومدده على سرير في الصيوان ونظر فيه فراى لا يزال باقٍ فيه قليل رمق وانه اذا اعتنى به وعالجه تعود اليه الحياة . فحالاً اخذ مفتاحاً ووضعه بين اسنانه وسكب له في فمه مقدار فنجان من ماء الورد . ثم فنجان ماء بقليل من السكر وهكذا كل مقدار ساعة يسقيه مقدار فنجان ثم امر ان ياتوه بمرق الفروج فجاءوا ففعل كذلك وسقاه منه مراراً الى ان دبت به الحرارة قليلاً فاطمأن بال الوزير وجعل يسكب له الادوية ومنع فرسان العرب من الدخول اليه الا عمر فانه اذنه ان يأتيه على الدوام ويقيم عنده وكان الوزير يحب حمزة كثيراً فاعتنى به مزيد الاعتناء وساعدته العناية على شفائه وبعد ان مضى عليه ثلاثة ايام وهو لا يفارقه لا في ليل ولا في نهار ولا يقطع عن علاجه ويسقيه الادوية باوقاتها وطلب عمراً

وابنه الشاه ذنب خضرا واخذ في ان يسلخ الجلود عن جسم الامير واحداً فواحداً حتى بقي الجلد الاخير فوجده قد عشق على جسمه ولصق بجلده فتركه الى ثلاثة ايام حيث يكون الامير قد تقوى اكثر فيمكن الاعتناء بسلخ الجلد عن جلده بكل اعتناء ودقة وعمر العيار يساعده ويفعل كل ما ياذنه به ولا زال حتى سلخ الجلد كله ما عدا قطعة صغيرة بقيت على سرته ما تمكن من رفعهـا فابقاها وقال لعمر لا بد عند شفائه تماماً من سلخها وكان الوزير قد احضر برميلاً مملوءاً من الخل لاجل تطرية الجلود وسلخها لانها كانت يابسة . وبعد ذلك لف الامير بالقطن من راسه الى قدمه ودهنه بالمراهم ووضعه في السرير وتركه ليرتاح كل هذا وهو غارق في بحر من الغيبوبة لا يعي على احد ولا يعرف احداً ولا يشعر لا بوجع ولا بالم والوزير يطمن عمراً وفرسان العرب بانه حي ولا بد من شفائه بايام قليلة ورجوعه الى الحرب والقتال

وكان بديع الزمان لا يزال محاصراً المدينة وهو لا ينفك عنها وقد احاط بها بقومه وجاء اليه فرسان العرب فسلم عليهم وسلموا عليـه وشكروه على عمله وحضوره في ذاك الوقت لانهم صرفوا نحواً من سبعة ايام وسبعة ليال في القتال وقاتلوا اربعة الاف الف فقال لهم لا بد من انقراض هـذه الطائفة والقبض على ملكها ونزع اسمه من العالم ومن ثم اسير الى المدائن واخرب الايوان . وكان الامير قاسم ابن الامير رستم قد راى الى بديع الزمان ونظر فيه ووقع بغضه بقلبه وكان يود ان لا يكون فعل ما فعل ولو هلكت العرب ونال الاولية عليهم مع انه كان يحسب الاوليـة لنفسه وما ذلك الا لانه وان كان من الفرسان المعدودين الا انه كان ضعيف العقل شرس الطباع خبيث الناب فاضمر له الشر في باله . ثم ان بديع الزمان قال لاخيه رستم ارجعوا انتم الى خيامكم وما من حاجة لكم هنا لان الاعجام داخل الاسوار والابواب مقفلة ووحدي اكفي لان امنع الداخل والخارج ومتى شفي ابي وارتاح البـال من جهته تعماون بما بامر فاعتاضوا بالراحة عوضاً عن الاتعاب التي لقيتموها وانا ضارب خيامي في هذا

المكان فلا ابعد ما لم انال المراد وحينئذٍ رجع الفرسان الى خيامهم لما لم يروا نتيجة بالبقاء حول المدينة لانها محاصرة واما كسرى فانه دخل المدينة وهو في هم عظيم وبلاء جسيم وقد اهان بختك وامنه وقال له روح ابيك تتقلب في بول الحمير وتغرق في جبال الثلج لانك علة كل فساد وشر وبعد ان كان العرب قد تفرقوا وذهبوا عنا عدت الى الدسائس والعداوة وحركك قلبك الخبيث الى الانتقام ففعلت ما فعلت حتى قتلت بنتي ومسكت الامير وسبب مسكه عاد فتجمع العرب واهلكوا اكثر رجالنا ولم يعد لنا من ايديهم خلاص فلو اني سلمتك اياهم من الاول لانقضى كل شيء وارتاح بالي وطفيت هذه الجمرة . فبكي بختك وتذلل بين يديه وقال له هل كان من عبدك قصور او خداع في حقك ليقال لي مثل هذا الكلام مع اني افضل ان ابيع نفسي في سبيل شرف قيام هذه المملكة التي يقصد العرب اذلالها وانقراضها ويجب ان تتأكد انه لولا جدي واجتهادي وكدي لنال الاعداء منا الغاية من قديم الزمان لكني اذلهم واتوصل الى هلاك ملوكهم وفرسانهم لاضعفهم فتكثر فرسانهم فكن يا سيدي متمسكاً بحبال الامال ولا يضعف قلبك من جهة مساعدة النار فهي لا تتركنا وحاشاها من ان تدع العدو يتمكن منا ولو كان لها بذلك ارادة لحطت من قدرنا وسلمتنا الى حمزة منذ اكثر من عشرين سنة مع انه لم يصل الينا ولا مرة ولولا ضعف رجالك بها وخوفك من انها لا تساعدك لما تقاعدت عن نصرتك مع انها كثيراً من المرات ارتك الفوز عياناً ولا تغضب ولا تضجر وكن صبوراً على حكمها ترى الخير والنجاح والفوز والفلاح وسوف ترى ما ادبر لك في العرب فاني اومل بمساعدة النار كثيراً واثق انها تهيء لنا زمانا حسناً فسوف تراه عن قريب فسكت كسرى وهو مضطرب البال لا يعرف ما تنتهي اليه حالته وقد ترجح عنده ان بختك بحيله يقدر على خلاصه من الاعداء ومن ثم يتمكن من الرجوع الى المدائن

قال وكان الامير حمزة لا يزال على سريره يتقلب وقد مضى عليه اكثر من

ثلاثة اسابيع وهو ملفوف بالقطن والادوية تسكب في فمه والوزير بزرجمهر وعمر العيار لا يبرحان من امامه ولا يفارقانه الا القليل وبعد مضي الثلاثة اسابيع تنهد وتنفس ففرح عمر وصفق من الفرح وخرج فاخبر العرب ففرح كبيرهم وصغيرهم وبدأوا بالافراح ومضى على ذلك اسبوع اخر تمكن به الامير حمزة من الحركة وفتح عينيه فنظر نفسه على السرير وعنده الامير عمر والوزير بزرجمهر فكان وسيلة لراحته لكنه كان لا يقدر على الكلام فسقاه الوزير مرتة الدروج فشعر براحة ووعى لنفسه واطمأن على حياته وعرف انه تخلص من المصلب لكنه نظر فما راى فرسان العرب فاغمض عينيه وغاب برهة وبقي بعد ذلك اسبوعاً آخر على هذه الحالة لا يقدر على النظر والتمييز ولا يقدر على الكلام الى ان انطلق لسانه ففاه بالكلمة الاولى هل فرسان العرب بقيد الحياة فقال له عمر نعم ولا يزالون كما هم ولم يفقد منهم احد وقد جاء لك ولد جديد لم يخلق الزمان بمثله وهو محاصر كسرى الان في مدينة خراسان بعد ان بدد له اكثر من اربعين كرة من العساكر واسمه بديع الزمان . فقال ومن هي امه . قال ان امه هي الاميرة سلوى اخت المعتدي حامي السواحل ومتى رايته وشاهدته يسر خاطرك ويفرح قلبك وهو بالحقيقة نادرة هذا الزمان وجاءنا ايضاً يا اخي الامير سعد حفيدك وامه طوربان وهو بخير وامان . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام ظهر على وجهه علائم المسرة ونظر الى اخيه نظرة الشكر واغرورقت عيناه بدمعة رقيقة خرجت من تحت اماقيه ثم غاب عن الصواب . فلطم عمر على وجهه وخاف ان يكون قد اثر فيه الفرح فالقاه في التعب ويكون هو السبب فقال له الوزير لاتخف فهو بخير وابعد عنه الان ليرتاح جسمه . قال اني اخاف ان يكون هذا انتباه الموت وعاد فغاب . قال اتفق ان الامير كحاله لاول فهو لا يقدر ان يضبط آلامه واوجاعه ولا تساعده حشاشته على الكلام . واخذ الوزير في ان يسقيه المرطبات وكل ما ينتعش به قلبه وخاطره الى ان كان اليوم الثاني انتبه الامير الى نفسه ووعي اكثر من اليوم الاول وطلب ان يرى فرسان العرب جميعهم فوافقه بزرجمهر على ذلك وامر

عمر ان يدخلوا عليه واحداً بعد واحد وكل ما دخل واحد يسلم عليه ويخرج فلا يزيدون الكلام عليه وجل الغاية اطمئنان باله من نحوهم

ومن ثم جعل فرسان العرب يدخلون واحداً واحداً فيهنونه بالسلامة حتى دخل الامير سعد فقال لعمر من هذا قال هذا الامير سعد ابن ابنك عمر اليوناني فقال له يا ولداه اخبرني اين كانت غيبتك فاخبره بقصته من الاول الى الآخر وقال له لما علمت ووصلتني الاخبار بان يد اللئام تمكنت منك وقادتك التقادير الى هذا المكان جمعت رجالي ووالدتي وجئت لاموت عند قدميك فرايت القتال قائماً والعرب تقاتل فاشتركت معهم في القتال وكنت اول من صاح تحت المصلب الى ان جاء عمي بديع الزمان وضرب بسيفه قوائم المصلب فابراها وانزلوك عنه وقد طردت الاعداء ووقع على رؤوسهم البلاء فتذكر الامير اباه وقال له رحم الله اباك ونزل الدمع من عينيه فاراد عمر ان يشغله وخاف عليه من ان يتأثر فقال له هل رايت يا اخي واطمئن بالك بان فرسان العرب جميعهم بخير وما فقد منهم احد قال رايتهم جميعاً لكن انت قلت لي ان ولدي بديع الزمان قد جاء وخلصني ولم اره فكيف لم يحضر هل اصيب من الاعداء بنكبة قال معاذ الله ان يصاب بذلك الم اقل لك انه بعيد عن الفرسان وهو محاصر المدينة برجاله يضايق على كسرى وينتظر ان يسمع خبراً عنك . فقال له اذهب اليه وبشره باني بخير واني ساراه عما قريب وسانهض من فراشي فاخبرني هل ان جوادي اليقظان على ما هو وهل لم يستول عليه احد من بعدي . قال كلا هو عندي وقد ذهبت به الى مكة ورجعت به مع الاموال الى هنا وان شاء الله قريباً تركبه وتقاتل عليه الاعداء وكان فرح عمر لا يوصف بسلامة اخيه لما راه على تلك الحالة وكاد لا يصدق

ثم خرج من الصيوان وانطلق حتى جاء بديع الزمان وقال له بشراك يا ابن اخي فان اباك قد انتبه كل الانتباه وطلب الفرسان فدخلوا عليه وراهم واحد بعد واحداً وما من خوف على صحته باذن الله وقد اخبرناه بقدومك فسال عنك فاخبرته انك محاصر كسرى فارسلني لابشرك بسلامته وانه بعد قليل من الايام

يقدر على ركب الجواد فياتي ويراك في هذا المكان ففرح بديع الزمان فقال له بشرك الله بالخير يا عمر فاطلب مهما شئت مني فاعطيك لاني على مقالي الجمر من حالة ابي ولا اعرف كيف هو ولا ماذا صار به ولا الى ما تنتهي اليه حالته . قال اريد منك شيئاً يسيرًا وهو ان عندي جماعة من العيارين يحبون المال ومـا اجمعه من المال افرقه عليهم حيث يطيعونني ويخدمونني بامانة فاملأ لي هذا الجراب الصغير ذهباً فنظر بديع الى الجراب فراه صغيرًا وكان قد احضر معه كثيرًا من الذهب فقال لعبد الله مهرين املأ له الجراب من الصندوق وزده فوقه مثله لان كل ما بيدنا فهو له فاخذه عبد الله مهرين الى الصيوان وفتح الصندوق واذا به مملوء من الذهب الوهاج . فقال لعمر خـذ منه ملء جرابك قال انا لا امد يدي فضع لي فيه ما امرك بديع الزمان فجعل عبد الله يغرف من الذهب ويضع في الجراب الواحدة بعد الثانية وهو يؤمل انه يمتلئ حتى فرغ اكثر من نصف الصندوق والجراب على حاله يظهر انه فارغ فارتاع وتعجب وقال ما هذا واين الذهب ولم يبقَ بالصندوق الا القليل . قال لا اعرف فان بديع الزمان اوصاك ان تملئ لي الجراب فاملئه . قال هذا لا يمتلئ ولا اعرف من يأخذ الذهب من داخله . فاخذ عمر الجراب ورجع الى بديع الزمان وقال من يهب شيئاً لا يندم عليه فانت ابن الامير حمزة سيد العرب واكرمهم فكيف بعـد ان امرت بان يملئ لي الجراب تعود فتندم على ذلك فهوذا الجراب فارغ وعبد الله مهرين لا يقبل بان يملئه فغضب بديع من ذلك وصاح على عبد الله لما هذا الامتناع وكيف لم تملأ الجراب اتخالف امري وتمسك على عمي الامير عمر شيئاً . قال والله ما امسكت عليه شيئاً ولكن لا اعرف ما داخل الجراب ولا ريب ان احد الجان يسكنه او انه مسحور لاني افرغت الصندوق فيه وهو كما تراه فتعجب بديع الزمان وقال لعمر افرغ الجراب امامي فافرغه واذا بكومة كبيرة تملئ عشرة اجربة فقال لعمر ضع الذهب في الجراب فوضعه فنظر فلم يرَ به شيئاً كانه فارغ فتحير وقال لعمر هل ملأ لك احد قبلي قال كلا ولا يقدر احد ان يملئه فهو يساع الارض برمتها فلا تبان فيه وهذا

اسمه جراب اسماعيل ويكفيني الان ما اخذته منك . ثم ودعه ورجع الى عياريه فجمعهم حواليه وقال لهم جاءكم الرزق فهلموا ورائي ثم ذهب بهم الى اكمة عالية فصعد عليها ووضع الجراب امامه واخذ قبضة فنثرها عليهم فهجموا يلتقطون واستأنف العمل ثانياً وثالثاً وهم يلتقطون وهو يضحك منهم حتى فرغ الجراب فحزن كثيراً وقال كنت اود ان تكون مال الارض فيه لانثره عليكم لكن لا بد من غنيمة ثانية من غير مكان وبعد ان انتهى من عمله عاد بهم الى الخيام وكل منهم قد ملأ جيابه ويديه واخذ ما يكفيه زماناً طويلاً وكان العيارون عندهم من المال شيئاً كثيراً ما عدا عمر فانه كان لا يملك ديناراً واذا وقع بيده الدينار اعطاه لهم

واما الامير حمزة فانه كان يتقدم في الصحة ويتعافى يوماً بعد يوم وهو فرحان بنفسه ويتذكر ما وقع عليه وما جرى له فوق المصلب وكم قد اقام من الايام معرضاً للشمس والهواء فيشكر الله على سلامته وعلى افتقاده برحمته وكيف انه بعد ان كان يأس من الحياة عادت اليه فتجددت قواه ورجعت اليه قوته واجتمع حوله فرسانه وقال في نفسه لا ريب ان الله سبحانه وتعالى يقصد اذلال العجم وهلاكهم وانقراض دولتهم وقد استعملني انا الحقير واسطة لذلك فاذا رآني وقد عولت عن خدمته اقتص مني وجازاني على فعلي ولكن لم تشأ ارادته ان يعاملني بما استحق انا الجاحد نعمته لقد ملكت نفسي الى سلطان الحزن فبكيت كثيراً وفعلت ما يرضي الطبيعة ويغضبه تعالى لانه لا يرضي بالحزن على امر ارادته فان كان قتل اولادي فهو سمح بقتلهم واذا كانت ماتت زوجتي فهو السبب في موتها لان شعرة واحدة لا تسقط من رؤوسنا الا بمعرفته واطلاعه فكيف يمكن ان نعصي له ارادة ونخالفه في امر يريده . وقد تجددت قوى الامير وتجددت افكاره فكان كانه قد ولد من جديد . ولم يكن الا ايام قليلة حتى قدر على الجلوس ومن ثم على الوقوف فوقف في المرة الاولى وكان امامه بزرجمهر وعمر العيار فرأى ان احدى رجليه قصيرة عن الثانية فتكدر كثيراً واراد المسير واذا به

يعرج لا يقدر ان يمشي كالعادة فقال لبزرجمهر مالي ارى رجلي قصيرة ولا اقدر ان امشي كما كنت امشي قبلًا فنظر بزرجمهر الى رجل الامير وتكدر جدًا في داخله ولم يرد ان يظهر كدره من هذه الحالة وقال للامير سنرى في امر رجلك وربما بمساعدته اتوصل الى ارجاعها كما كانت فليرتح بالك من هذا القبيل وليس على الله من امر عسير وكان كدر الامير عظيماً لانه صعب عليه ان يكون اعرج الرجل لا يقدر على المشي كما تقدر باقي الناس وربما اعاقه ذلك في ركوبه وفي حروبه وصبر على الامر وسلم ذلك لله سبحانه وتعالى . ساكتاً ساهياً الى قرب الزوال فتغلب عليه النوم وغرق ببحر سبات قوي . وبعد ان نام سأل الامير عمر بزرجمهر فقال له هل يا مولاي تبقى رجل الامير على حالها او انها تشفى وترجع كما كانت قبلًا . فقال اني لا ارى املًا بشفائها فانها من جرى ما وقع عليه لم تتحرك كل هذه المدة فيبست وهو لم يمددها الى طولها بل كان يجمعها تحته قليلًا وانا لم افكر بذلك بل كنت اوجه بكل اعتنائي الى المحافظة على حياته من الخطر وما ذلك الا بسماح منه تعالى واني سأبذل الجهد في مداواته لكن بامل ضعيف جدًا ولا يكون شفاؤه الا بعجيبة منه تعالى فتكدر عمر وثبت لديه ان الامير يفضل ان يكون قد مات من ان يعيش طول حياته اعرج كثيرًا

قال وكان الامير قد نام وهو بغيظ عظيم لا يؤمل شفاء الا منه تعالى وفيما هو في عميق نومه واذا بالخضر عليه السلام قد زاره ووقف بسنائه وبهائه امامه فرأى الامير في نومه كانه تقدم منه وقبل يديه واستجار به وسأله ان يشفي رجله فقال له عليه السلام لا تخف يا حمزة فهي صحيحة كالثانية فامددها فمدها ثم تقدم منه ووضع يده عليها ولمسها فشعر الامير بانها رجعت كما كانت ومن ثم غاب عنه الخضر فبقي في نومه ولم ينتبه الى الصباح وعند الصباح التفت فوجد نفسه في الفراش ونظر من عنده فاذا بالوزير وعمر العيار فلاح له ان ما رآه هو حلم مر عليه فعوده الحزن والغم وبعد برهة قام ووقف فرأى رجله صحيحة فكاد يطير فرحاً وثبت عنده ان الخضر عليه السلام زاره حقيقة وانه لمس رجله وهو في النوم

الثقيل فشفيت فجعل يمشي في الصيوان ذهاباً واياباً فرأى حاله انه رجع كما كان قبل وقوع كل هذه الحوادث قوي الجسم صحيح العقل يقدر على الركوب وعلى كل ما كان يقدر عليه في الاول . ورأى بزرجمهر اليه فتعجب وقال للامير اخبرني كيف شفيت رجلك وكيف شعرت بشفائهـا وما هذا الا من عجائبه تعالى لاني كنت اعرف انها لا يمكن ان تعود كما هي بل تبقى في كل حياتك اعرج وكنت مهموماً لاجلك وما قلت لك اني اعالجك فربما تشفى الى الحد الاخير . قال ان الله سبحانه وتعالى قد بعث لي الخضر عليه السلام فجرى لي معه ما هو كذا وكذا وقد لمسني بيده المباركة واشرق عليّ نوره البهي فصرت كما تراني وعادت اليّ العافية والصحة والقوة وسأخرج في هذه الساعة راكباً بين العرب ليراني الصغير والكبير فيفرح الجميع فسجد الوزير بزرجمهر وصلى لله سبحانه وتعالى وفعل الامير كفعله وصرفا وقتاً ليس بقليـل بالصلاة ثم ان الامير بعد ذلك خرج من الصيوان وامر عمراً ان يقدم له اليقظان فجاءه به وكان قد مضى عليه ايام كثيرة لم يركبه احد فلما شعر بالامير وقد علا ظهره صهل وضرب بيمينه الارض واعب على قوائمه الاربع كأنه فرح برجوع صاحبه اليـه ورأى العرب الامير قد ركب الجواد وخرج من الصيوان واخذ يطوف فيما بينهم فضجوا باصوات الفرح وقام لصياحهم غوغاء عظيمة كان يوم القيامة قد قام . وصار الناس يزدحمون من كل مكان ويتقدمون منه ايرود ويقبلوا يديه ويهنئوه بالسلامة وهو يتفقد الجميع ويسأل عن الجميع واحداً فواحداً ليعرف من الذي قتل ومن الذي لا يزال حياً وبعد ان صرف النهار راكباً عاد الى الصيوان مسرور الفؤاد منشرح الخاطر مما رأى وهو يشكر الله الذي انعم عليه بان عاد الى الوجود ثانياً بعد ان كان دخل في عالم العدم وقدر له ان يقهر عدوه وعدو الله والدين معاً وتجتمع اليه الفرسان بعد ان كانوا قد تفرقوا

وفي تلك الليلة قامت العرب بالولائم العظيمة والافراح الجسيمة فزينوا المعسكر برمتـه وقاموا بالولائم لبعضهم البعض فرحاً بسلامة الامير وبنجاحهم

وفعل الامير حمزة كذلك وجمع اليه سادات العرب كالعادة في صيوان اليون شاه وقد زينه عمر بالانوار البهية وحفه بالازهار الزكية وذبح الاغنام وسوى الطعام وروّق المدام وكانت تلك الليلة شائقة جداً وقد طرب بها الجميع. وفي اليوم الثاني فعل كذلك ودامت الزينة مقدار ثلاثة ايام والعرب في حظ وانشراح وقد مضت ايام الاكدار وجاءت ايام الافراح وكان الرقص والغناء وشرب العقار واقع في كل ناح وبعد انقضاء الثلاثة ايام . عاد فجمع العرب اليه وكان قد فرح بابن رستم وبالامير سعد وامه طوربان واحكوا له عما كان من امرهم ثم سأل رستم هل رايت اخاك بديع الزمان وسلمت عليه واجتمعت به قال نعم وفي كل يوم اركب واسير اليه وانظره وهو يحاصر المدينة وقد ضيق عليها كل التضييق . قال حيث قد منّ الله عليّ بالشفاء فصار من اللازم ان اباشر الامر بنفسي واری اذا كان من الممكن فتح المدينة واشاهد ابني بديع الزمان وامر من تلك الساعة ان تركب العساكر وتنقل الخيام فيقيمون جميعاً على السهل تجاه مدينة خراسان . فاجاب الجميع وحملوا بالاحمال ونقلوا كل ما كان لهم هنـــاك الى السهل المقابل المدينة وسار الامير حمزة في المقدمة ومن خلفه فرسانه وابطاله وبلغ بديع الزمان وصول ابيه فركب ولاقاه وقبل يديه و سلم عليه وهناه بالسلامة وترحب به فقبله الامير وبكى من فرحه وساروا جميعاً الى الخيام ودخلوا صيوان اليون شاه وجلس العرب في مراكزهم كما كانوا يجلسون قبلًا وحينئذ سال الامير ابنه بديع الزمان اين تربى وماذا جرى على امه واين هي فاخذ بديع يخبره بما كان من امره ويطلعه على قصته وهي

كان كما تقدم معنا ان الاميرة كانت في طنجة مع الامير حمزة فارسلها الى مكة المطهرة لتقيم فيها الى حين حضوره وكانت حامل بهذا الغلام وعند ما اسر عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وارسلا الى مكة كما مر معنـا في وقته وهربا من هناك غدرا بالاميرة سلوى واسراها وذهبا بها الى زوبين الغدار وهذا قدمها الى الشاه الذي كان توكل على مدينة زوال وكيوال هدية فتلقاها بالقبول

واعتمد ان يتخذها حليلة لنفسه فاحضرها وسالها في ذلك فقالت له حباً وكرامة لكني الان حامل ولا يمكن الزواج قبل الوضع فاصبر عليّ الى ان الد وحينئذ يكون لك ما طلبت فوافقها على ذلك ولكن خاف من انها تهرب فوضع عليها الحرس والعيون وما برحت عنده الى ان ولدت بديع الزمان هذا فلفته واعتنت به وربطت في يده عضاضة منقوش عليها اسم الامير حمزة البهلوان ابي الغلام وصبرت عليه نحو اربعين يوماً وهو يكبر حتى صار كانه ابن ثلاث سنوات وكانت ترى اليه بحزن وتعرف انه من بعدها لابد من قتله ففي ذات ليلة احضرت صندوقاً وطلته بالقار ووضعت الغلام فيه واقفلت الصندوق وامرت ان يحمل ويرمى الى البحر وطلبت من الله حياته وقالت في نفسها اذا كان الله يريد سلامته يسخر له من يخلصه من اعماق البحر ويربيه ويرجعه الى ابيه واذا كان لا يريد في سلامته وخلاصه فلو وضعته في اعلى القصور لوصل اليه ما قدره او ان الله اماته ومن بعد ذلك جاء اليها الشاه وطلب منها ايفاء الوعد فاجابته وعندما قصد الدخول بها وراودها على نفسها ضربته بسكين كانت قد استحضرتها وهيأتها لمثل هذا العمل فوقع قتيلاً يختبط بدمه ومن ثم ضربت نفسها بذاك السكين فوقعت الى الارض واصابها ما اصاب الشاه وماتا الاثنين وكانت لعفة نفسها رات الموت اسهل من تسليم نفسها الى رجل اجنبي ولم يكن لها رغبة في الحياة لكراهتها فيها وفي الاتعاب التي لاقتها عليها وفي الصباح دخل الخدم فرأوا الاثنين على تلك الحالة فحملوهما ودفنوهما وادرك اهل المدينة سر المسالة وان سلوى قتلته لكي لاتمكنه من نفسها وقتلت ذاتها من بعده واشتهر امرها بين اهل المدينة وصارت مثلاً بين النساء والرجال

فهذا ما كان منها واما ما كان من الغلام فانه بقي في الصندوق والصندوق محمول على ظهور الامواج تسير به الى الصباح فقرب على الشاطي وكان الله قد سخر الى الشاطيء صياداً في نفس الساعة التي وصل بها الصندوق فراه وفرح به كثيراً وقال لا يخلو ان يكون به ما انتفع به واسد عوزي واذا كان لا يوجد

به شيئاً فابيع الصندوق فهو يساوي اكثر مما اصطاد اليوم ثم حاول انتشال الصندوق من الماء ورفعه الى البر فرآه مقفلاً ومطلياً بالقار فحمله واسرع به الى بيته وافكاره تتلاعب بين السعادة والامال وعند ما دخل البيت اقفل الباب وعالج قفل الصندوق حتى كسره ورفع الغطاء واذا به يرى الطفل على تلك الصورة وراى به من الحسن والهيبة ما جعله يميل اليه وينعطف الى حبه وقد تعجب من وجوده في هذا الصندوق وقال لزوجته لا بد لهذا الغلام من شان وانه ما وضع في هذا الصندوق ورمي في البحر الا لاخفاء امره .قالت لا ريب انه من اولاد الزواني وخافت امه من الافتضاح فرمت به الى البحر وعلى كل حال فان الله لم يرزقنا اولاداً واننا نربيه لانفسنا ونتخذه ولداً فيكبر على ذلك لا يعرف اماً ولا اباً سوانا واكتم انت امره ولا تبديه لاحد ورأى الصياد في الصندرق بعض حلي وجواهر وهي حلي وجواهر الاميرة سلوى كانت قد وضعتها في الصندوق لتكون اعانة للذي يربي الولد ويخرجه من البحر اذا كان مات فيه ويدفنه في التراب وهذا خير له من ياخذ الخدم جواهرها وحلاها

ثم ان زوجة الصياد اخذته اليها وقصدت ان تنزع عنه ثيابه وتلبسه غيرها لانها كانت اسودت من داخل الصندوق فرأت في يده العضادة فدعت زوجها وقالت له انظر هذه عضادة الذهب فانها على يد الغلام فاخذها وقرأ ما عليها فعرف منها ان هذا الغلام ابن الامير حمزة البهلوان وان امه هي الاميرة سلوى كما كان مكتوباً عليها وكان ذاك الصياد يعبد الله تعالى بخلاف اهل المدينة ففرح بذلك فرحاً لا يوصف وقال لزوجته ان السعادة قد جاءتنا من كل باب فاذا ربينا هذا الغلام واعتنينا به ومن ثم اوصلناه الى ابيه كان لنا منه الحظ الوافر ما لم يكن لغيرنا وانه لم يكن ابن زنا قط وقد رمته امه لخلاصه من الاعداء . قالت ومن هو ابوه ومن تكون امه . قال ان اباه هو الامير حمزة البهلوان فارس فرسان هذا الزمان وعدوه كسرى انو شروان الذي انتشر صيته في كل مكان من الشرق الى الغرب الى اقاصي الارض وهو يعزز دين الله ويخدمه بامان ويبيد اهل الكفر

والطغيان ولا بد اذا عرف بجالته وما فعلنا معه من المعروف من تربيته رفع مقامنا واقطعنا بعض البلاد وكنا تحت لوائه وأما امه فهي الاميرة سلوى التي كان الشاه يريد ان يتزوج منها فقتلته وقتلت نفسها بعد ان ولدت هذا الغلام واوصيك ان تكتمي هذا السر ولا تظهريه على احد لئلا يصل خبره الى فريد شاه ابن زوبين الغدار فيأخذه منا ويقتله لانه عدوه فنكون نحن قد قتلناه ويحاسبنا الله على ذلك فضلًا عن اننا نكون قد اضعنا السعادة وابعدناها عنا واخذ الصياد وزوجته في تربية الغلام والاعتناء به وقد سمياه بديع الزمان لبديع منظره وبهاء طلعته ولما بلغ من العمر خمس سنوات وضعه الصياد عند احد الاساتذة لتعليمه القراءة والدروس اللازمة واخذ الصياد في ان يعلمه لغة العرب بنفسه ولا يكلمه الا بالعربية لانه كان يعرفها وهي لغته الاصلية وكان لا يعرف ابا ولا اما الا الصياد وزوجته وهما يخفيان حاله كما كانا يخفيان على اهل المدينة انهما بالاصل من العرب وانهما يعبدان الله سبحانه وتعالى خوفاً هلاكهما وفي مدة قليلة تعلم بديع العربية والفارسية واللغات الاجنبية وما يتعلمه اولاد الامراء وكان الصياد يصرف على تعليمه من المال الذي وجده في الصندوق وقد فتح محل تجارة ووضع بديع الزمان فيه يكتب حساباته ويضبطها ويعتني بالبيع والشراء فيه

فاتفق ذات يوم ان فريد شاه ابن زوبين كان مارًا من ذاك السوق الذي كان فيه بديع الزمان فرأى بديعاً على الكرسي عند باب المخزن فاحدق به فاعجبه كثيرًا وظنه من اولاد المدينة فاراد ان ياخذه اليه ويضعه في ديوانه ورأى مع ما هو عليه من حسن الصورة والجمال الباهر انه كامل التقاطيع دلائل البسالة والاقدام تلوح على وجهه فدعا اليه اباه وطلب ان يدفع اليه ابنه ليكون عنده وهو يعلمه ما لم يتعلمه كالفنون الحربية ونحوها فلم يسعه الامتناع بل قال له اعلم يا سيدي انه وحيد لي فاوصيك به والنار تجازيك عني خيرًا بحرق روح اجدادك واسلافك . فقال له كن براحة فاني اقوم بدارته كالواجب وهو يذهب اليك على الدوام . ثم انه اخـــذه وجعل يعلمه ركوب الخيل وعلم السيف ولعب الرمح

ونحو ذلك مما الله سبحانه سخره لان يكون الواسطة لتعليمه وخدمته ولم يكن الا القليل من الزمان حتى فاق سواه بالبطش والبسالة والاقدام واشتد باعه وقوي ذراعه وصار اذا برز اليـه عشرة رجال وعشرين اخرجهم من الميدان مأيوسين واذا صارعه اشد الرجال صرعه في الحال فجعله فريد شاه غفير البلاد وسيد الفرسان وصار الرجال والفرسان كلهم من تحت امره وطاعته وشاع صيته بينهم وهابه الكبير والصغير لانه اذا ذهب الى الصيد ولاقى الاساد يقنصها كما يقنص الغزال ويقبض عليها من اذنها ويصرعها واذا ركب لغارة بدد عصبتها باسرع من لمح البصر وكل طائفة او ناحية كانت تعصى فريد شاه يذهب اليها ويجبرها على الطاعة بعد ان يهلك كل عاص لا يقبـل الانقياد والطاعة حتى صارت كل تلك النواحي طائعة تأتي بالجزية فتدفعها الى فريد شاه بالرغم عن انوفها

في ذات يوم جاء بديع الزمان الى الديوان على حسب عادته فرأى رجلاً غريباً جالساً بالقرب من فريد شاه وهو يتعاظم ويتمرد ويقول له لما هذا الاهمال ان اباك كان يدفع المرتب عليه في كل عام الى مهرين ولما بلغه موت ابيك لم يرض ان يغيظك في الحال لانه كان صديقه وترك لك الحرية كل هـذه المدة اما الان وقد كبرت وانتظم حال بلادك وصرت اعظم من ابيك فصار من اللازم ان تقدم له الغفارة والجزية وقد اوصاني ان اسألك اولاً بالاحسان فاذا اجبت كان خيراً والا فانه ياتي بلادك ويخربها وينزعها منك ويسلمها الى غيرك ويتركك عبرة لسواك فاياك من المخالفة فتندم لانك تعرف بطشه وعظمته وانه اذا قال فعل . وكان فريد شاه ساكتاً لا يجيب بكلمة قط لعامه ان مهرين من الجبابرة العظام الا ان بديع الزمان لما سمع هذا الكلام طار صوابه وعظم عليه الحال ولم يصبر ليعلم من الذي يتكلم وعمن يقصد بل استل سيفه وضربه على رأسه فنزعه عن جسده والقاه الى الارض قتيلاً يخبط بدمه وقد فارق دنياه وصار من اهل الاخرة ولما رأى فريد شاه هذا الحال تكدر مزيد الكدر ووقع بالخوف والارتباك وقال لبديع لقد القيتنا بشر لا يدفع واثرت علينا غضب مهرين فارس

هذه الديار ولا بد انه اذا عرف بقتـل رسوله زحف علينا وحاربنا وفعل بنا العجائب لانه فارس عظيم متعظم بنفسه تتهاداه اهل القطائع وملوك العواصم بعضهم خيفة منه والبعض الآخر اكراماً له وتحبباً به ليتخذوه سنداً لهم في وقت الحاجة. فقال له بديع ماذا يعنيك انت فاني انا الذي قتلت رسوله وسأركب من هذه الساعة اليه والحقه به فكن براحة فاني اعرف نفسي واعرف ان مهرين والف رجل مثله لا احسب لهم حساباً ولا اخافهم وخير لي ان اموت من ان اراك ذليلاً الى احد وتدفع جزية او تهادي احداً وان قلبي يحدثني ان كسرى انو شروان اذا تعارضني سرت اليه وازلت التاج عن رأسه وجعلته لك

ثم انه خرج من امام فريد شاه واختار له ثلاثمائة فارس وركب وخرج من المدينة وسار حتى قرب من مدينة مهرين فكتب اليه كتاباً يطلب خروجه الى الخارج وانه جاء يقصد حربه ونزاله فاما ان يقتل او يقتل هو فلما وصلت الرسالة الى مهرين غضب الغضب العظيم وقال لا بد لي من هلاك هذا بديع الزمان وفي الحـال ركب وخرج بجماعة من قومه فالتقى به خارج البلد وعند ما راه بديع الزمان تميزه فراه فارساً عظيما لكنه عرف بحسن خبرته انه يسطو عليه فقال له ويك يا مهرين كيف تماديت وجرت وظلمت واحتقرتني الى هذا الحد حتى انك بعثت برسولك الى فريد شاه تطلب منه الاموال الغزيرة وما قلت ان عنده بديع الزمان نقمة الانس والجان. فضحك منه مهرين وقال له اتظن يا بديع ان نفسك شيئاً حتى تحسب لك الفرسان حساباً وتخافك الابطال وماذا فعلت من الافعال التي تذكر ليتصل خبرك الى الفرسان والشجعان هـل دست بساط كسرى انو شروان ونلت منه انعامه وارغمته على تزويجك من بنته مهردكار او وقفت ساعة في الميدان امام حمزة البهلوان. او اسرت رستم ملك الرومان او اتيت اندهوق بن سعدون او بارزت هارون البطل المجنون فانك حتى الساعة لا تزال في مصاف الرضاع وان ما يحملك على هذا العمل هو الجهل والغرور فارجع عن غيك واقبل نصيحتي واشكر شفقتي ولا تتعرض للابطال فتكون عبرة لغيرك من الرجال.

فلما سمع بديع الزمان كلامه عظم عليه فحمل حملة الاساد واخذ معه في الطعان والطراد والكر والفر حتى اشتد عليهما الحر وحمي البر وسالت من اجسامهما انابيب العرق وتحدر كالميازيب الى الارض واندفق وكان بين مهرين وبديع بون عظيم لان بديعاً كان نادرة ذاك الزمان ولم يكن اخف منه في الطراد والطعان ولا اشد من حيله عند ملاقاة الفرسان فصبر على خصمه مقدار خمس ساعات وهو يطاوله ويحاوله ويلاعبه ثم ضايقه كل المضايقة حتى حصره بين يديه واراه نفسه انه مغلوباً معه ومد يده الى وسطه باسرع من طرفة عين ورفعه عن ظهر الجواد الى مــا فوق راسه وقال له كيف ترى نفسك الان اضرب بك الارض فاسحق عظامك وامزجها بلحمك فصاح مهرين الجيرة يا بديع الزمان فاني اشهد انك نادرة العصر والاوان ولا يقاس بك فارس من الفرسان واني كنت مغرور بنفسي لا اعرف مقدار الابطال حتى وقعت بين يديك فاذا عفوت عني كان شفقة منك ورحمة عليَّ واكون لك عبداً ورفيقاً الى طول الحياة واذا قتلتني يكون ذلك من حقك لانك اخذتني في القتال مواجهة لا غدراً ولا خداعاً

هذا وبديع الزمان رافعه الى فوق راسه فلما راى تذلله وقد استجار به ارجعه الى ظهر جواده وقال له اني اجرتك ووهبتك دمك فانت الان حرٌّ وقــد عرفت نفسك وعرفت ان بديع الزمان لا يصبر على اهانة نفسه ولا يريد ان يحقر من احد . فقال اعلم يا سيدي اني علقت بحبك ولا اريد ان ابعد عنك منذ هذه الساعة دقيقة واريد ان اكون باقي عمري انا وقومي بين يديك فاينما سرت سرنا ومن حاربت حاربنا فنكون رجالك الاخصاء ويكون امرك نافذاً فينا وانت حتى الساعة لم يكن لك عصبة خاصة فنكون نحن عصبتك . فاما ان تقبلنا واما ان تقتلني وتريحني من نفسي التي اعرف جيداً انها لا تقــدر على فراقك وقد مالت اليك فقال له حباً وكرامة فانت اخي ورفيقي من هذه الساعة وسنكون مشتركين في الخير والشر فنقتسم الغنائم والمصائب . ثم ان بديع الزمان دخل مع مهرين الى المدينة فتلقاه الاهالي بالترحاب والاكرام وزينوا المدينة واضافوه مدة

سبعة ايام وهو على الولائم والافراح وبعد ذلك ركب مهرين بجماعته الفرسان وكان عددهم ثمانين الف وركب بديع الزمان في المقدمة وحملوا الاحمال الثقال والاموال والذخائر والمؤن وساروا من تلك المدينة يقصدون بلاد زوال وكيوال وعند وصولهم من العاصمة ضربوا خيامهم خارج المدينة ونزل بديع ومهرين الى ديوان فريد شاه وقد ازدحمت حولها الاهالي وما منهم الا من يتعجب من بديع الزمان وشجاعته ولما وصل من فريد شاه وقال له بحسب امرك قد ذهبت واحضرت مهرين وها قد جاء الى ديوانك وصار من خواصك ورجالك ينقاد الى كل ما تريد فتقدم مهرين من فريد شاه وسلم عليه واظهر له خضوعه وطاعته فترحب به فريد شاه وسامحه على ما ابداه في سابق ايامه وانعم عليه وعظمت منزلة بديع الزمان عند الاهالي وصاروا يخافونه ويحسبون له حساباً الا فريد شاه فانه كان يعرف انه ابن الصياد وانه من جملة عبيده وفرسانه ملزوم بطاعته وكان يكرهه فقط نظراً لشجاعته وهو يفتكر ان يقدمه ذات يوم الى كسرى انوشروان فينال منه الانعام ويتقدم اليه كما كان ابوه مقدماً عنده وعند بختك .

وبقي بديع ومهرين مع بعضهما اينما سارا وتمكن الحب بينهما وداما على ذلك مدة ايام الى ان كان ذات يوم دخل بديع الى ديوان فريد شاه حسب عادته وهو مدجج بالسلاح فوجد بيده كتابة يقراها فلما وصل منه قال له اعلم يابديع اننا سنسافر الى بلاد كسرى بعد قليل من الايام لان الملك الاكبر سلطان السلاطين كسرى انوشروان قد ارسل الينا برسالة يطلب بها مسيرنا الى وادي خراسان لنحضر تقديم الامير حمزة البهلوان ضحية للنار في عيد النيروز ولما كان هذا حمزة قد قتل ابي واريد ان اشفي قلبي من هلاكه ارغب في سرعة المسير الى تلك الارض. فقال بديع وكيف وقع حمزة بايديهم ومن الذي اخذه الى وادي خراسان . فقال له الرسول الذي جاء بالرسالة ان النار قد سلمته الينا بعد عذاب ثلاثين سنة معه وقد توصل بختك بالحيلة الى اسره واقيم له مصلب في وادي خراسان وعلق عليه ليقدم ضحية للنيران في العيد العظيم ثم اعاد عليه القصة من اولها وكيف اخذ

الامير اسيرًا وهو في القبة عند قبر زوجته وقد تفرقت عنه الاصحاب والاحباب والاهل والخلان وترك لوحده وبعد ان اقام الرسول ثلاثة ايام رحل من هناك واخذ فريد في ان يتهيأ للمسير حتى قرب الوقت وحينئذ ذهب بديع الزمان الى الصياد الذي رباه ليودعه ويودع زوجته وهو يظنه انه اباه وان زوجته امه ولما وصل اليه قال له اعلم يا ابتاه اني مسافر في الغد مع فريد شاه الى خراسان لنحضر حرق حمزة العرب في عيد النيروز فهل لك ان تذهب معي للفرجة لان اكثر رجال المدينة يذهبون الى هناك ولا ريب انه ستجتمع خلق كثير لا يحصى عددهم

فاطرق الصياد الى الارض برهة ثم رفع راسه وقـال له يسوؤني يا ولدي ان اسمع بمثل هذا الحديث لان حمزة البهلوان هو من عباد الله سبحانه وتعالى خالق السموات والارض الذي لا اله الا هو قادر على كل شيء اخرج الوجود من العدم بامره انتظم الكون وترتب على الحالة الحاضرة فشخص اليه بديع الزمان وقال له اتاسف على رجل يعبد الله وينكر عبادة النار قال نعم لان عبادة النار فاسدة وعبادة الله حقيقة وكيف الانسان يلقي رجاءه على الباطل بعد ان يكون عرف الصحيح واني احزن على الامير حمزة لانه يعبد الله ولانه من اقرب الناس اليك وانك ملزوم الى المحاماة والدفاع عنه فزاد تعجب بديع وقال له اوضح يا ابي معنى كلامك فهل ان حمزة البهلوان اخوك او بينك وبينه قرابة ليكون من اقرب الناس اليّ . فقـال له اعلم يا ولدي انه قد آن الاوان الذي يطلب الله اليّ ان اطلعك على امرك ومن انت . فانت بالحقيقة ابن الامير حمزة البهلوان سيد سادات العربان وفارس فرسان هذا الزمان الذي خافه الانس والجان . وذل بين يديه ملوك هـذا الزمان . ثم اعاد عليه القصة من اولها الى اخرها واطلعه على باطنها وظاهرها وجاءه بالعضادة التي كانت على يده وقال له هذه تعان تاريخ حياتك وابن من انت وما انا الا مسخر منه تعالى الى خدمتك لاربيك ولما عرفت الان ان اباك يحتاج اليك وان الاعداء غدروا به اطلعتك على سر حياتك لتعرف من هو ابوك ومن هي امك

قـــال فلما سمع بديع الزمان بما ابداه الصياد شعر ان مرارته قد انفطرت وصاح من ملء راسه هل انا مقيم بين اعداي وهذا فريد شاه بن زوبين الغدار يريد ان يذهب الى اخذ تار ابيه من ابي وياخذني الى ان اشاهد عذاب ابي وانا اجهل ثم ذرفت الدموع من عينيه وتحرك في احشائه الدم العربي والحب الوالدي وقال فليكن مقدساً تذكار والدتي عندي لانها قتلت لتحفظ شرفها فمثلها تكن النساء والا فلا وسافعل في اعدائها الكفار ما يتذكرونه الى اخر الادهار . ثم خرج في الحال وهو يقول لا يمكن لي ان اصبر عن معونة ابي وهو يعذب الان وحوله تجتمع الاعداء اللئام وبقيَ ساثرًا حتى اجتمع بمهربن فقال له انت اخي وصديقي منذ عرفتك الى هذه الساعة اما الان وقد وجدت من الاسباب مايدعوني الى ان اترك محبتك واعمل على عداوتك او تتمكن المودة وتكون ابدية . قال اني لا اترك خدمتك مهما كانت الحوادث خطيرة فاذا مت مت بين يديك واذا عشت عشت تحت رجليك قال اعلم يا مهربن انه الان قد ظهر الحق وانجلى لكل ذي عينين ولم يبقَ في الامر ارتياب وعرفت ان ابي ليس الصياد بل هو الامير حمزة البهلوان فارس برية الحجاز وعدو كسرى انوشروان وقد تحقق لديَّ هذا الخبر وعرفته عرف اليقين وان امي هي الاميرة سلوى واعاد عليه كل ما سمعه من الصياد وقال له في اخر كلامه ولهذا اريد ان اجعلك مثلي على عبادته تعالى فاذا وافقتني كان لك ما يكون لي والا فانت عدوي من هذه الساعة لان من كان عدو دين الله كان عدو عباده وانا من اليوم ارى نفسي ملتزماً باتباع سنن العرب قومي وعوائدهم لانهم اصلي ومن جحد اصله لا اصل له فقال له مهربن اني اتبعك اين سرت وكيف عملت والاله الذي تعبده كان لي الهاً ومعبدًا وها انا منذ هذه الساعة على دين الله واجحد كل دين غير دين الله العزيز الجبار ومثلي سيفعل قومي ونكون كلنا مع العرب وبين العرب فاذهب بنا الى حيث شئت واين شئت واني ارى من الفخر العظيم اذا كنا بين يديك وقــد وضح الحق وظهر نسبك وعرفت بيننا انك ابن فارس هذا الزمان الامير حمزة البهلوان ولا ريب ان هذا

الشبل من ذاك الاسد . فلنرحل من هذه الساعة الى خراسان الى خلاص ابيك من اعدائه . قال انت تعلم ان فريد شاه ابن زوبين قد عامني ورباني وله الفضل عليَّ فارى من الواجب ان اذهب اليه فانصحه ان يترك دين النار وينضم الى العرب ويعبد الله تعالى فاذا اجاب وسامحني على دم ابيه كان خيرًا واذا غضب وتكدر مني بعد ان يعرف اني ابن عدوه قتلته وجعلته عبرة لغيره من رجال المدينة واعيانها واما انت يا مهرين فليكن اسمك من هذه الساعة عبد الله مهرين

فاجابه عبد الله الى ما طلب اليه وسار بديع وهو من خلفه حتى دخل على فريد شاه فوجده قد هيأ كل العساكر وتحضر للسفر فقال له مهلًا يا سيدي فقد ظهر شيء ولا اريد ان نسير قبل ان نعرف حالنا ويعرف كلًا منا مقامه عند الاخر . فقال له لما هذا الكلام يا بديع الا تعلم اني انا الذي صرفت عليك اموالي واعتنيت بامرك واحببتك منذ الاول وعاملتك معاملة الرجل الشريف .

ال اني من الاصل شريف يا سيدي وحيث اتأكد ان لك عليَّ الفضل العظيم جئتك طائعاً في الاول وكنت انت تكرمني اولاً لعلمك اني من ابناء المدينة وان ابي ذاك الصياد واما الان لا اعرف ماذا تعمل او تريد ان تعمل اذا عرفت اني عربي الاصل وان ابي هو الامير حمزة البهلوان ابن الامير ابرهيم وانت تريد ان تأخذني الى ان احضر عذابه وحرقه فسأسير الان الى خلاصه وهلاك اعدائه فهل لك ان تقبل مني الايمان وتترك عبادة النار وتعبد الله سبحانه وتعالى والاَّ فاجحد نعمتك حباً بدين الله وبارادة والدي وبناموس والدتي التي قتلت ظلماً في بلادكم فلما سمع فريد شاه هذا الكلام طار صوابه وغاب عن هداه ولم يعد يعي ماذا يقول وصاح ويلاك أانت ابن الاميرة سلوى التي ولدته في بلادنا واختفى امره بعد موتها أانت ابن الامير حمزة البهلوان الذي قتل ابي وتركني يتيماً حزيناً فكيف لاق بي ان اربي عدوي بيدي واترك الافعى امامي فلا كنت ولا كان ابوك ولا قومك ولا دينك ولا بد لي من ذبحك وهلاكك واخذ ثار ابي بيدي من ابن قاتله . فتكدر بديع الزمان وصعد الدم الى رأسه ورأى من العدل قتل

فريد شاه وان لا ينبغي ان يبقى حياً وهو يريد ان يسافر وفي الحال استل سيفه وضربه به قطعه نصفين وصاح في الحضور ويلكم يا اهل مدينة زوال وكيوال اذا خالفتموني واردتم ان تقتدوا بملككم فمن يريــد ان يعصاني كان جزاؤه الاعدام ومن اراد ان يطيعني فعليه بعبادته تعالى وكان العساكر قد مالوا على بديع فانحط عليهم انحطاط الصواعق وعمــل فيهم بضرب السيف البتار حتى فرقهم وبددهم ذات اليمين وذات الشمال وجعلهم عبرة لغيرهم وتقدم الكبار والقوا سلاحهم بين يديه وصاحوا الامان الامان فاننا لك مطيعون ولقولك سامعون فاعفِ عنا ونحن عبيدك وحينئذٍ رجع عنهم وامر عبدالله مهرين بالرجوع والكف عن اهل المدينة ففعل

ثم امر ان يرفعوا فريد شاه من الديوان ويحرقوه بالنيران ودخل الى خزائنه فضبطها واخذها ولم يبق شيئاً فيها لا من الذهب ولا من الجواهر . وبعد ذلك ركب وركب معه عبدالله مهرين وساروا بالعساكر في الحال وجدوا مسرعين ليصلوا قبل عيد النيروز وقبل احراق الامير وكان بديع خائفاً ان يفوت الوقت حيث ان العيد كان قريباً ويعرف ان اباه يحرق في اليوم الاول ولا زالوا مجدين في مسيرهم حتى وصلوا في ذلك اليوم حيث كانت الحرب على اخر رمق من الدفاع والقتال وقد قاتلوا سبعة ايام كما تقدم ففعل ما فعل وخلص اباه

ولما سمع الامير حمزة سيرة ابنــه وما جرى على والدته لم يقدر ان يضبط نفسه عن البكاء على الاميرة سلوى وقبل بديع الزمان تكراراً وضمه الى صدره وشكره على اقدامه وكذلك باقي العرب فانهم شكروا من بديع الزمان على خلاصهم وعلى ما ابداه ولا سيما المعتدي حامي السواحل لانه كان خاله وقد احبه كثيراً واما الامير قاسم ابن الامير رستم فانه ضحك حتى استلقى على قفاه واظهر استهزاء واحتقاراً ببديع الزمان . فقال له الامير لما هذا العمل يا قاسم فقد اسأت الادب ولم تراع حرمة السادات والامراء . قال اني اضحك بسبب عظيم وما اعمله هو عين الادب لانه تبين لي من كلام بديع الزمان انه صياد وابن صياد وقد عاش

على الدناءة والفقر اولاً ثم الخدمة والذل عند فريد شاه وارى الان انه يريد ان يتفاخر بنفسه ويحط ذاته محط الامراء والسادات فكيف لا اضحك يا سيدي وانا اعتقد بقلة عقله وجسارته حتى ينتسب اليك ويتقرب فعرف الامير ان قاسماً اما ان يكون مختل الشعور واما ان يكون خبيث القلب وكذلك السادات ما منهم الا من تكدر من كلامه ونظر الامير الى ابنه بديع فرآه قد تغيرت الوانه واضطرب وهو يضبط نفسه عن الغيظ باجتهاد فلم يقدر وكاد الدم ينفجر من انفه فانتهر الامير قاسماً وزجره وقال له اخرج من الصيوان ولا عدت تجالس احداً من السادات لانك بلا عقل فلا يليق ان تجالس اصحاب العقول . فزاد بهذا السبب بغض الامير قاسم في بديع الزمان واشتدت عداوته في قلبه وهذه العداوة تكون كالسوسة في العرب فيتكدرون كثيراً بسببها . ثم التفت الامير الى ولده بديع وقال له لا تتكدر يا ولدي ولا تضطرب من ابن اخيك وما حكى هذا الكلام الا لقلة ادراكه ولا تواخذه على عمله هذا واسمح له على خطأه اكراماً لخاطر اخيك رستم واكراماً لي . فقال بديع اني لا ابالي بهذا الامر وانا اعرف سن جهله وما هو على كل حال الا ابن اخي . فقال الامير قاسم اني بريء منك ولا اريد ان تكون عمي لانك صياد ابن صياد وانا امير ابن امير وامي من نسل الملوك . فتكدر الامير رستم عند سماعه هذا الكلام من ولده ونهض اليه وسحبه من الصيوان وقال له اركب الآن واذهب عنا ولا عدت اريد ان ارى وجهك بعد الآن فاذهب الى بلاد خوارزم فقال له قاسم انا ما جئت اليك ولا جئت لابقى عندك بل جئت الى جدي الامير حمزة

ثم ان الامير حمزة التفت الى السادات والملوك والامراء وقال لهم اعلموا ايها السادات اننا لا نريد ان نسكن في هذه البلاد فكيف العمل لان مدينة خراسان شاهقة واسوارها عالية متينة فاذا صرفنا الدهر محاصرينها لا نقدر عليها . فقالوا لقد نظرت موضع النظر ومن الواجب التدبير والنظر في امر اخذها . فقال لا اعرف ان كنا نقدر على ذلك والراي في هذا رأي الامير عمر العيار فاذا كان يرى

انّنا نقدر على فتحها حاصرناها والا رحلنا عنهـــا . فقال الامير اصبروا عليّ لارى كيف يجب ان اتدبر لاخذها وانا بعد يوم او يومين ادلك على الطرق التي تفتح بها المدينة ثم ان الامير عمر انسحب الى نواحي المدينة وجعل يطوف حولهـا من كل الجهات ويتجسس المعابر ليرى منفذًا يدخل به المدينة فلم يرَ ولما كان المساء رأى عمر كلباً في ظهر البلد فتأمله وقال في نفسه لا بد ان يكون هذا الكلب قد خرج من البلد لان لا يوجد اناس هنا يربون كلاباً . ثم تقدم منه ورفع العصا ليضربه فهرب من بين يديه فتأثره الى خربة مستترة عند السور فرأى سرداباً بابه ضيقاً لكنه واسعاً من الداخل فسار في الدهليز فلم يشعر الا وهو داخل البلد فخرج الى اسواقها وكانت مملوءة من العالم فجعل الامير عمر يخترقهم ويمشي بينهم وهو لابس ملابس الاعجام وبقي في المدينـــة الى ان كان الصباح فسار الى دار الحكومة فابصر كسرى وبختك وكل شاهات العجم جالسين حواليه وشاهد كسرى متكدرًا ولوائح الغضب مرسومة فوق جبينه وهو مسود الوجه عابسه مدة ثم نظر الى بختك وقال له اي بختك ماذا حصل علينا حتى حاصرنا في هذه المدينة وحبسنا انفسنا بيدنا ولم يبقَ لنـــا قط طريق توصلنا الى المدائن فقال بختك اريد منك يا سيدي ان تمهلني لاتوصل الى فتح طريق تنولنا المراد .

ثم انه خرج من الديوان فتعجب عمر وبقي صابرًا وهو يقول في نفسه ماذا يا ترى يريد ان يفعل هذا الولد الحرام فوالله ما برحت من هنا حتى اعرف الطريق التي يتخذها للمرور فاحبط مساعيه واعيد كيده الى نحره وفيما هو على مثل هذه الحالة مضطرب البال مشغل الافكار ما شعر الا وضربت قد وقعت بين اكتافه بغتة كادت تعدمه الحياة فوقع الى الارض وارتمى عليه رجل من خلفه وقبض على عنقه وكان الضارب عيار من عياري العجم اسمه محترك الباب وكان هـذا العيار عند سمنهور حاكم خراسان وسمع عمر العيار صوت بختك من وراء العيار يصيح وينادي هذا هو عفريت العرب وشيطانهم عمر العيار الذي لولاه لما قام للعرب قائمة ولا بقوا الى هذا الزمان ولا اجتمعوا ثانية . ثم قبضوا على عمر واوثقوه وقدموه

الى امام كسرى فقال له هل انت كما يزعمون انك عمر العيار . فقال له نعم فاضطرب كسرى في داخله عند سماعه كلامه وشعر بان احشاءه تتقطع وقال له اي ابن اللئام لقد اذللتني وخربت بلادي وضيقت عليّ المسالك واخيراً حبستني في هذا المكان كل ذلك بمساعيك وتدبيرك واحتيالك فهل بعد الآن من يدي خلاص او مناص . ثم التفت الى من حواليــه وقال لهم خذوه وقطعوه ارباً ارباً واحرقوه بالنار . فقال عمر افعل ما شئت يا انو شروان فاني بعد ان خلصت الامير حمزة واعدت اجتماع العرب واحييت العداوة بيننا وبينكم ما عدت اسأل عن نفسي ولا اخاف من الموت فان لي ولدان في المعسكر اشد مني في كل الاعمال

قال وكان بختك يرى منذ جلوسه الى جانب كسرى في الباب يراقب من يدخل ومن يخرج فرأى عمراً وقد دخل وهو كحاجب من الاعجام فعرف انه غريب وانه لم يكن بينهم فجعل يتكلم مع كسرى وهو يراقب بنظره حركاته فعرف انه عمر العيار لانه كان يصغي الى الكلام ويمعن في الجميع كمن يريد ان يقف على افكارهم واعمالهم فثبت عنده انه عمر هو نفسه فنهض وخرج الى الخارج لسبب وقد تغاضى عن عمر حتى جاء محترك الباب وخاف ان امر بالقبض على عمر استل خنجره وتخلص وطار من فوق الاسوار فقال لمحترك الباب ان يمسكه وعلمه كيف يعمل ودخل ثانياً وقــد فاز بالمطلوب واعترف عمر بنفسه وكان من امر كسرى ما كان . فلما سمع بختك بان كسرى يريد قتل عمر حالاً ما هان عليه فقال اعلم يا سيدي ان هــذا الخبيث قد وقع في ايدينا ولم يبق له خلاص قط . وعندي ان من اللازم ان نصبر قليلاً لنجعل قتله عبرة للعرب فتحترق قلوبهم عليه ويقعون في الاسف والكدر ويعرفون انه مات وان لا نجاح لهم من بعده والا اذا قتلناه بالسر لا يتأكدون ذلك ولا يصدقونه ويبقون على امــل رجوعه اليهم فقال له افعل ما بدا لك . ثم امر محترك الباب ان يأخذ عمراً ويحترس عليه كل الاحتراس . وقال اياك من ان يخدعك او يغشك او تنقاد اليه واني قد اعددت لك مقاماً رفيعاً . قال سوف ترى يا سيدي ما يكون من امري وامره وانا

سأعذبه اشد العذاب فانال بذلك رضاك وانعامك فمدحه بختك وكسرى. ثم قاده مقيداً موثوقاً وهو يشتمه ويهينه ويتوعده وهو صابر على نفسه وبعد ان اخذ عمر قال بختك لقد فكرت بامر يا سيدي نهلك به العرب ونخسرهم الخسائر الجسيمة وربما تفرقوا بعد ذلك فقال له على ما عزمت وما هو الفكر الحسن الذي خطر لك فاخاف ان يكون شرًّا ووبالاً قال لا يمكن ذلك ذاني عزمت ان ابتني حائطاً مربعاً على ظهر السور الواقع الى جهة العرب وادعوه المصنع ويبقى ذكره الى الابد فيما بيننا وبين العرب حيث اني عزمت ان اقيم عليه عمر العيار فتراه العرب ويرمون انفسهم الى خلاصه فنرميهم بالنبال ونقتل منهم كثيرًا ونقتل عمرا ايضاً ونكوي قلوبهم عليه ولا ريب انهم يفادون بنفوسهم لاجل خلاصه فلا يبالون بنبالنا وسهامنا وهي تقع عليهم من رجالنا وسوف ترى كم يقتل منهم . فقال كسرى اني اريد الخلاص من هذه الحالة كيف كانَ الحال ولا اريد ان يتخلص عمر العيار قط لو خسرت نصف ملكي لان قلبي محترق منه وملسوع من اعماله . وامر بختك من تلك الساعة ان يبدا بالعمل وتقام البناية على السور

قال ولما اخذ محترك الباب عمراً سار به الى حجرة تحت الارض وادخله اليها وجلس عنده يحافظ عليه ولا يفارقه وهو يضحك منه ويهزأ به ويقول له ان كنت عمر العيار خاص نفسك واهرب من بين يدي محترك الباب عيار خراسان الذي لا يوجد مثله في هذا الزمان فقال له عمر ذات مرة اني اعرف انه لا يوجد مثلك بين العيارين ولهذا احترق لانك لو كنت عند العرب لكانوا عرفوا مقامك وجعلوك اميرًا واعطوا لك مقاماً لديهم تجلس فيه فاسمع مني واذهب الى معسكر العرب فتفوز بالخير والنجاح واضمن لك ان تصير من اسياد العرب ويتعين لك جيش مخصوص وعلوفات كثيرة ويبقى فضلك على حمزة وعلى جميع الفرسان هذا اوفق لك وافضل لان كسرى قد تأخر ولا بد له ان ينقرض ولا تتركه العرب حتى تنال منه مرادها وتقتل بختك اللعين واذا وقعت انت بيديهم اعدموك الحياة فتكون قد خسرت هذه النعمة التي اخبرك عنها

فقال له انك تتكلم محالاً فاني من الاعجام وكيف اخون قومي فاذا انقرض كسرى انقرضت انا واذا فاز كانت مجازاتي منكم فلا تطمع نفسك بالمحال ولا تظن اني اتخلى عنك او انقاد اليك ولا بد من قتلك بيدي فلا يقال عني ان عمر العيار غش محترك الباب ولعب بعقله وفر من يديه فهذا عار عليّ لا ارضاه ولومت وذقت كاس الهلاك فاظهر عمر تعجبه وقال له نعم لقد وضح عندي انك من اشد العيارين فمثلك يجب ان يخدم في بسط الملوك ويؤمن على الخزائن والحق يقال انك احق من غيرك بالذخائر والتحف التي معي والتي تساوي خزائن العالم باجمعها فاوصيك اذا مت خذها انت وابقها عندك فهي تجعلك ملكاً ولا يقدر احد عليك. فقال كيف تستعمل هذه الزخائر وما هي واذا كنت كما تقول فاعطني اياها الآن وعلمني كيف تستعمل وما هي منافعها لاني اعرف انه بعد موتك لا يعود يصح لي منها شيء فيأخذها بختك. قال اعلم ان معي جراب يقال له جراب اسماعيل لو وضعت به الدنيا برمتها لدخلت فيه وظهر فارغ ومعي ايضاً كحل وميل اذا تكحلت واردت ان تظهر بهيئة اي رجل كان صرت في الحال كما طلبت ومعي كذا وكذا ومعي ايضاً اكرة صغيرة - ثم وضع عمر يده على جبهته واطرق الى الارض قليلاً وقال هذه يجب ان اطلعك عليها وعلى منافعها لانك اذا ملكتها تضر بالعرب كثيراً وربما قدرت على هلاكهم فاذا اخذتموها بعد موتي لا تعرفون كيف تستعمل ولا تفوزون بالمطلوب. فقال محترك الباب اني اشكرك على كل ذلك اريد ان تعمل معروفاً معي وتعطيني الجميع وهذه الاكرة وتعلمني كيف تستعمل وانا اعدك اني لا اضر العرب فيها من بعدك بل احفظها لنفسي واقوم بها في غير العرب قال لا يمكن ذلك لاني اريد ان اضر قومي واجلب اليهم العذاب بعد موتي مع اني في كل عمري وانا انفعهم واحافظ على راحتهم ونجاحهم ولكن اعطيك الان غيرها واعلمك كيف تستعملها وتبقى الكرة معي فقط ارجوك ان تحل لي يداً واحدة فقط لاعرف كيف ادبر هذه الذخائر واعلمك العمل بها - قال لا تطمع نفسك بالمحال فاني لا اقدر ان احل لك لا يداً ولا رجلاً فقط اطلب

مني كل ما تطلب فانا احضره اليك فتأكل طيباً وتشرب طيباً واكون قد وفيت حقي معك ومع قومي لاني رجل ان قلت لا اكذب واذا وعدت لا احنث وقد وعدت ان احافظ عليك حق المحافظة فلا ينبغي ان احنث بوعدي واذ اردت ان تدفع لي الذخائر فيمكنك ان تشير اليَّ باسانك كيف ادبرها واعمل بها فاتعلم قال واذا حللت لي يدًا ماذا يا ترى اقدر ان اعمل أاقدر على الهرب وانت واقف امامي تنظر اليَّ وتلاحظني وارجلي مقيدة لا اقــدر على المشي والهرب وكيف الخلص قال هذا لا يمكن ابدًا فاني لا اريد ان اتركك حق المحافظة ولا من باب ولا اقصر من جهة . ففكر عمر برهة ثم قال له انك حر في ان تفعل ما تريد لكن اذا كنت كما وعدت صادق القول معي احضر لي زقاً من الخمر فنشرب انا وانت واسر واخمر وانا اعرف ان في الغـد ياخذوني الى القتل فيجب ان اتنعم واتمل اليوم واترك هذه الدنيا واسر بك لانك آخر رجل عاملته في حياتي . قال اني لا اقصر في ذلك وقد وعدتك فلا ارجع بوعدي لكن هل تعدني انت اذا احضرت لك ما طلبت تعطيني الاكرة وتعلمني منافعها . قال اعطيك كل ما معي الا هي فلا فانا لا اتخلى عنها وانا حيٌّ فزاد طمع محترك الباب فيها وظن انها لا بد ان تكون شيئاً عظيماً وفكر ماذا يعمل ليأخذها منه وخاف ان اخذها منه بارغم لا يعرف ان يستعملها ولا يعود عمر يعلمه فصبر وقال لا بد من الاحتيال عليه وقال في نفسه الاوفق لي ان احضر له الخمر بكثرة واسقيه فاذا سكر ورآني اتودد اليه واتقرب منــه واظهر له محبتي اعطاني اياها واجابني الى كل ما اريد فيكون ذلك فعل الخمرة ولا ريب انه يسكر حالاً وهو في هذه الحالة ولذلك قال له اني قلت لك لا اخلف قولي فسأحضر لك الخمر الجيـد والطعام اللذيذ وبعد ذلك اترك المكافأة لارادتك اذا كافيتني كان خيرًا والا فاكون قد عملت معك معروفاً وانك لست من اهله

ثم ان محترك الباب خرج من عند عمر العيار واقفل عليه وسار الى الحـانة فاشترى خمرًا كثيرًا وطعاماً جيدًا وفاكهة ونقلاً وحملها جميعها وجاء بها الى المطبق

الذي كان يقيم فيه عمر ووضع الجميع بين يديه وقال له هاك اكثر مما طلبت . فقال اني اشكر منك وارضى بذلك فاشرب انت واسقني واطعمني بيدك يا اخي وتذكرني فيما بعد ولك الاجر والثواب فشرب محترك الباب كاساً وسقاه الثانية واخذ فاكهة واعطاه منها وجعل يطعمه ثم يشرب ويسقيه حتى كاد يفرغ زق الخمر وعمر على حاله لم يشمل ولا اثر فيه شيء لكنه راى حارسه قد ثمل وبدأت الخمرة تتلاعب في عقله فقال الان وقت نوال الغرض واخذ في ان يجاريه على عمله ويتظاهر بالشمول ويغني ويميل براسه وقال لمحترك الباب لقد ثبت عندي انك رجل صادق وامين وتحب الخير وعمل المعروف ولو مع اعداك قال واريد منك ان تقابلني بالمثل وتفي لي بوعدك وتعطيني التي وعدتني بها . قال اني لا ابخل عليك بشيء ولو كان روحي لانك صرت اخي وصار بيني وبينك خبز وخمر وقد جمعتنا الكاس واعرف انك لا تنكر محبة اسير بقي عندك ليلة على الحظ والهناء ولكن عملت معي معروفاً وما اكملته لان يدي وارجلي مربوطة وانت لاتشفق عليَّ وسألتك ان تحل لي يداً واحدة فقط ليرتاح كتفي وعند ما تنام تعيد ربطها كما كانت وانا اعدك اني اعيدها طوعاً وماذا باترى اقدر ان افعل باليد الواحدة وارجلي ويدي الثانية موثوقة . وجعل عمر يزيد عليه ويفخمه ويمدحه ويطنب بكرمه حتى اجابه وقال له اني اجيبك على كل ما طلبت لكن بشرط واحدٍ وهو انك تدفع لي الذخائر التي معك جميعها ولا سيما الاكرة التي لا تريد ان تعطيها لي . قال اني اعطيك الجميع والاكرة لكن عدني انك لا تستعملها لضر العرب ولا تضر بهم بسببها فوعده وعاهده واقسم له بالنار والفلك الدوار ان لا يضر بها العرب وحينئذ اظهر عمر الفرح وقال بوركت يا اخي يا محترك الباب لانك نادرة في كل زمانك لقد جمعت الكرم والصدق والامانة والشطارة والعياقة وكل فن فاسكب كاساً واسقيها فاني اشرب كاسك واريد منك انك تبقى تتذكرني الى اخر عمرك ولا تنساني فاجاب الحارس العيار سواله وسكب كاساً وشربها واعطاه مثلها وتقدم اليه وقد هون له السكر كل صعب وقال في نفسه ماذا يقدر ان يفعل في يد

واحدة وانا امامه وحل له يده واطلقها الى حالها حرة يديرها كيف اراد وحينئذ شعر عمر ان هماً عظيماً سقط عن قلبه وامل بالخلاص وفي الحال مد يده الى عبه واخرج الجراب وقال له هذا جراب اسماعيل واشار اليه كيف ينتحهُ ويضع ما يريد فلا يبان شيء فيه فنظر محترك الباب اليه وتعجب وما صدق وقال لعمر اتريد ان تضحك عليَّ فهل هذا الجراب الصغير يساع ما تقول قال اذا شئت ان تجرب فاني ادخل امامك فيه ولا اظهر ويظهر انه فارغ ليس به احد ففكر محترك الباب وخاف ان يدخل عمر فلا يعود يقدر على اخراجه فقال اذا كان كما تقول صحيحاً فاني ادخل انا به فاذا لم يسعني كنت كاذباً ولا اظن كما تقول وعليَّ ان اجرب وحينئذ تقدم من الجراب وهو يضحك ولا يصدق كلام عمر ووضع الجراب بيد عمر وانزل فيه رجليه واذا قد صار كله في داخله وغاب عن العيان فاسرع عمر الى فم الجراب وضمه الى بعضه وربطه وصاح كيف ترى يا اخي يا محترك الباب على الجراب كما قلت لك وهل صدقت فصاح من الداخل نعم لقد صدقت وعرفت انك مخلص القول واود لكني كدت اهلك من الظلام فافتح فم الجراب لاخرج منه قال اني لا اقدر ان افتح فم الجراب هنا بل اعدك اني لا اضر بك واخذك الى معسكر العرب وهناك اذا اطعتني ووافقتني كان لك الخير والنجاح واذا لم تطعني ابقيتك في الاسر لكن مكرماً كما فعلت معي ولا تلمني على كلامي هذا فاني اخلص نفسي من الموت واخلصك ايضاً من لوم جثتك وغضب كسرى قال اني اعدك اني افعل كل ما تامرني به واسير اينما سرت فقط اخرجني من هذه الظلمة ولا تفعل لي شراً واعترف انك سيدي ومولاي واني ابقى من اتباعك الى الآخرة

قال اني سأقبل منك هذا الوعد وسأحلك من اسرك في هذه الليلة واسير واياك الى معسكر العرب واجعل لك مقاماً بينهم لكن اريد ان تبقى هنا قليلاً الى ان اتمم عملي فلا تضجر يا اخي فاغمض عينيك واجعل نفسك نائماً مقدار ساعة من الزمان فقط وبعد ذلك تعرف صدق قولي ثم ان عمراً فك باليد الواحدة اليد الثانية

فصار مطلق الايدي ثم مد يده الى محترك الباب وقال له اعطني مفتاح قيودي لاحلها من رجليّ فقال له اني اقسم اليك بمعبودك ان لا تضرني فاذا اردت ان تخلص فاخلص لكن خذني معك ولا تتركني هنا لان بختك سيقتلني لا محالة قال لا تخف سوءا وقد وعدتك ولا اكذب بوعدي فدفع له المفتاح فحل رجليه من القيود وصار يملك حريته وقد تخلص وهو لا يصدق وكاد يطير قلبه شعاعاً وقال في نفسه لا بد لي من اتمام العمل ثم خرج من المطبق في الحال بعد ان اقفله واخذ مفتاحه ومشى بضع خطوات وكان الوقت اذ ذاك نصف الليل فرأى شخصاً تحت نافذة قصر سمنهور صاحب المدينة واقفاً وعليه قميص من الحرير الابيض وشال من الكشمير الثمين فقال لا بد ان يكون هذا من الاعيان ووجوده هنا لسبب وقد خرجت لاحضر شخصاً اضعه مثالي ليقتله الاعجام فهذا قد توقفت به من اقرب الطرقات فتقدم منه عمر شيئاً فشيئاً وانزوى بقرب النافذة فسمع الشخص المذكور قد صفر واطياً ثلاث مرات فعرف ان تلك اشارة بينه وبين امرأة فاجابه بثلاث مثلها فقال الرجل لقد نزلت وانت هنا فقال عمر برفيع صوته نعم واني بانتظارك فقال اهلًا ومرحباً اعطيني يدك وهلمي قبل ان يرانا احد واراد يمد يده ويأخذ يد عمر فرأى عمر جيداً وعرف مقصده لانه كان يرى في الظلام جيداً وفي الحال انقض عليه ووضع منديل البنج على وجهه ولف راسه به وارماه الى الارض فوقع كالقتيل فحمله ودخل به الى المطبق حالاً وربط يديه ورجليه بالحبال والقيود التي كان مربوطاً فيها واذ ذاك تقدم من محترك الباب وقال له ماذا تقول يا اخي اني عولت على الرجوع الى العرب فهل تريد ان تسير معي وتكون برفقتي كل عمرك ويكون لك الخير العظيم فاطلقك من هذه الساعة او تريد ان تبقى في الجراب فاخذك الى هناك

فاقسم محترك الباب باعظم الاقسام وقال لعمر قلت لك ولا اكذب اني صرت اريد ان ابقى كل عمري في خدمتك فلا تحرمني من هذه النعمة واحفظ لي المعروف الذي فعلته معك واكد اني اجيبك الى كل ما تطلب واخدم سادات العرب بامانة

واقبــل دينك وارتاح من سمنهور واتخلص من عذاب بختك فتأكد عمر صدقه لانه كان يعرف الصدق من الكذب من لهجة القائل فاخرجه في الحال وقال له ماذا رأيت في الجراب قال عجائب غرائب ما رأيت مثلها عمريّ بطوله والحق يقال ان هذا الجراب جعل لخبثك ومكرك فسر بنا الان الى حيث شئت فاسير معك وصرت مثلك على دين الله وستراني اميناً صادقاً فقال عمر نعم سنسير في هذه الساعة لكن وهــذا الذي جئت به ماذا يا ترى يصير به من بعدنا فالتفت محترك الباب فرأى ذاك الانسان كانه عمر العيار وهو مقيد في مكانه . فقال له هذا يظهر انه مثلك فمن اين جئت به وكيف صار كذلك قال اني ذهبت الى هذه الغاية اي لافتش على رجل اقبض عليه ولم ابعد عن هذا المكان الا بضع خطوات حتى وجدته تحت ظلام الاعتكار وقد وقف عند نافذة هذا القصر وهو يصفر وعليه ملابس الكبار فصفرت له فتوهمني معشوقته فقال لي نزلت فاجبته نعم فاراد ان ياخذني ويسير بي فقبضت عليه وبنجته وكحلته وجعلته نظيري ولا يمكن لاحد ان يفرقه ان كان عمر العيار او لا . فعرفه محترك الباب وقــال له هذا ابن سيدي سمنهور واني اعرف اسراره واحواله حيث يطلعني عليها ويأتمني وفي كل ليلة ياتي هذا المكان لانه مولع بجارية لابيه وهي ايضاً مولعة به وتلك علامة بينهما فياتي ويصفر فتجيبه فياخذها الى مكان ملاصق القصر فتبقى عنده الى ما قبل الصباح فيرجعها وما من واحد اطلع على امره سواي . فقال له ويلك كيف توافق على الشر وترضى بمثل هذا العمل . قال كيف اقدر ان ابوح به فاني كالعبد فاذا بحت بهذا السر تقتل الجارية فقط ومن ثم ينتقم مني ابن سمنهور فماذا يعنيني. قال اذن يستحق المجازاة والقتل على خيانته بابيه لان جزاء الخائن الاعدام قــال وعلى ماذا عولت ان تعمل به قال مرادي ان ايقظه واتركه واسير وفي الصباح ياتون اليه ويرونه فيظنونه عمراً فياخذونه الى القتل ويقتلونه ولا يعرفونه الا بعد ان يموت وتفارق روحه جسده . قال حرام عليك فانه وحيد لابيه وليس له سواه . قال وهل من شفقة على الكافرين والخائنين فدعنا من القال والقيل

واذهب بنا من هذا المكان

ثم ان عمرًا اعطاه ضد البنج فانتبه مرعوباً وصاح اين انتِ فضحك منه وتركه على حاله وخرج واغلق الباب ولما صار في الخارج قال محترك الباب لقد نظرنا في كل شيء ولم ننظر في الاهم فاننا لا نقدر ان نخرج من المدينة والابواب مقفلة وما من نافذة ولا ريب انهم يقبضون علينا في الصباح وقد غاب عنا هذا الامر . قال سوف ترى من اين نخرج وانا اعرف مدخلًا لهذه المدينة فدخلته ومنه اخرج فتعجب منه محترك الباب وسار في اثره حتى جاء ذاك الدهليز فسقط فيه وزحف على بطنه نتبعه محترك الباب وبعد قليل وصلا الى الخربة وخرجا من ذاك المضيق وصارا في الفلا فزاد تعجب محترك الباب وقال له من اين اهتديت الى هذا المخرج فقد ولدت في هذه المدينة وصرفت عمري عيارًا اطوف البلد وابحث على كل منافذها فما رايت هذا ولا اظن ان احدًا يعرفه . قال ان كلباً اهداني اليه وساعدني فدخلت وجرى ما جرى ايقتل ابن سمنهور لان الله لا يريد ان يبقى على غيه ولا ينتقم منه . ثم ان عمرًا ذهب الى الفلاة وابعد عن المعسكر واقام في قفاهم . فقال له محترك الباب لما هذا العمل وكيف لم ندخل قومك . قال اريد ان ارياك محبة العرب لي فتشاهد بعينك ما يكون في الصباح وكيف ان الملوك والفرسان يفادون من اجلي وتتأكد ان العرب لا يتخاون عن رجل يخدمهم بامانة وانهم يسالون عن الصغير كما يسالون عن الكبير وعندهم الجميع بالسواء

فهذا ما كان من عمر ورفيقه واما ما كان من بختك فانه نهض في الصباح مسرور القلب والخاطر على موت عمر العيار وهو يظن انه سيقتله في ذاك اليوم ويقتل جانباً من العرب عند قتله وجاء الى كسرى وجلس في مقامه وجاءت الاعيان واحدًا بعد واحد واذ ذاك تقدم احد الحجاب من بختك وقال له ان بناء المصنع قد انتهى ولم يبق من عائق يعيق وكان قد احضر قواد العساكر فامرهم ان يقيموا على الاسوار برجالهم وعساكرهم وان يحملوا السهام والنبال وعند ما

تقبل العرب وتهجم على الاسوار يرشقونهم بالسهام ولا يقصرون ومن رجع الى الوراء كان جزاؤه الهلاك فاقامت العساكر على الاسوار وراى العرب عن بعد العساكر وقد صاروا فوق الاسوار فتعجبوا واجتمعوا عند الامير حمزة وتخابروا في هذا الشان وقالوا لا بد لقيامهم على الحصون من شان وسوف يظهر الامر . فقال حمزة اني خائف ان يكون قد اصاب اخي عمر شيء لانه دخل من امس المدينة وحتى الساعة لم يخرج ولا عرفنا عنه خبرًا وفيما هم على ذلك واذ سمعوا الصياح وسمعوا المناداة من على الاسوار وجاءت الحراس الى حمزة وقالوا له ان اخاك عمرًا اسير وقد اقامه الاعداء على السور ويريدون قتله الان وهم ينادوننا لنرى كيف يفعلون به فشعر الامير بان الدنيا انطبقت على راسه وصاح من الغيظ بالركوب ونهض هو الى جواده باسرع من لمح البصر فركبه واطلق له العنان وفعلت مثله باقي الرجال والفرسان وعساكر العرب برمتها وكان بختك بعد ان اخبر بان العساكر قد ترتبت على الاسوار امر ان يؤخذ عمر من سجن محترك الباب ويصعد بهٖ حالاً على المصنع دون ان يسمحوا له بكلمة او يمهلوه دقيقة ويقيموه على المصنع وينادوا العرب ان تاتي وتتفرج على قتله وعندما تاتي العرب وتقترب من السور يكون هو واقفاً هناك فيامر بقتله . وسار بختك وكسرى ورجال ديوانه الى السور الذي عليه المصنع واقاموا خلفه واذا بالحجاب قد جاءوا بابن سمنهور وهو يبكي ويصيح ويلكم كيف تاخذون ابن سيدكم وتقتلونه انا فلان بن فلان فاذا قتلتموني تندمون وهم لا يلتفتون اليه لانهم راوه نفس عمر فسحبوه ولما قرب من الاسوار جعل يصيح وينادي بابيه وبكسرى انو شروان فلم يلتفتوا اليه وراه بختك فتاكده انه عدوه الالد وكذلك كسرى فصاح في الحجاب ويلكم ان هذا مهذار كثير الكلام يريد تطويل اجله فاصعدوا به الى اعلى السور حالاً وبعد هجوم العرب قطعوه بسيوفكم ولا تشفقوا عليه ابدًا فاخذوه بالرغم عن انفه ولم ينفعه البكاء والنوح والاشتكاء حتى اوصلوه الى المصنع فرفعوه عليه وصاحوا بالعرب فجاءوا وهجموا هجمة الاساد وراى بختك

هجومهم فاراد الرجوع وسمع رجـال العرب تصيح وحمزة في اولهم وهو يقول ويلـكم سلمونا عمر العيار حياً فنعفو عنكم وعن حريـكم وبلادكم ونرجع من هذه النواحي ونترك لـكم الحرية فخاف ان يسمع هذا الـكلام كسرى فيسلم به ويتخلى عن عدوه املًا بالصلح فامر بالحال ان يهرم بضرب السيف وان تصيح الاعجام وترخي بنبالها على الاعداء ففعلوا وقام الصياح من كل ناح وبربرت الاعجام بلغاتها وتقدم الحجاب في الحال من ابن سمنهور واستلوا سيوفهم وقطعوه بها قطعاً وراى العرب هذا العمل فعميت ابصارهم وانفطرت قلوبهم ومرائرهم وصاحوا واحسرتاه عليك يا عمر يا فخر العرب وراسهم وعلة نجاحهم فوالله لا نرجع مالم ناخذ بثارك او تعود الينا حياً وراى بديع الزمان ذلك ورستم واندهوق وباقي الابطال وما منهم الا من كان يريد ان يفدي عمراً بنفسه لو امكن وهجموا على الاسوار وعمل ضرب النبال كانه زاخر الامطار وكذلك العرب اطلقت بنبالها وقومت بسهامها وهجم عيارو عمر وابناه الى الاسوار وعملوا غير مبالين بما هناك وجعلوا يتسلقونها وهم يطلبون الوصول الى الاعالي والحصول على الجثة اذا لم يبق به روح وكان ذاك اليوم عظيم الاهوال كثير الاخطار سالت به الادمية كالامطار ودخلت السهام والنبال في مقاتل الرجال فكنت ترى عساكر العرب تميل من جهة الى ثانية غير مبالية بالموت ولا الهلاك ولا فازعة من سهام الاعداء بل تلاقيهـا بصدورها وهي تود الوصول الى المطلوب وان لا يتركوا جثة عمر لاعدائهم فيحرقونها وكذلك كانت رجال الفرس التي تصاب من الاعالي الى الاسفل وهي تسقط كما يسقط ورق التين اليابس في زمن الصيف عند اشتداد هبوب الرياح

ودام هذا الامر الى المساء ورجع العرب عن القتال بدون جدوى وقد هلك منهم كثيرون وهم ينوحون ويبكون ويضربون على وجوههم من التحسر والاسف وقد عولوا على خراب البلد او الهلاك وقد خسروا في ذاك اليوم كثيراً من الرجال دون الحصول على نتيجة وراوا ان عملهم هذا كان عن طيش وعدم خبرة ومع كل ذلك لو خلصوا عمر لما كانوا يبالون بتلك المشقة وبفقد الرجال والعساكر ولم

يكن ولا واحد منهم يقدر على الكلام لشدة الحزن الذي حاق بهم بسبب موت عمر . واما اعدائهم فانهم بعد ان قتلوا ابن سمنهور وظنوه عمراً ظهرت حالته وتبينوا انه ابن سمنهور وعرف اباه بذلك فزق ثيابه وبكى وناح وكذلك امه لانه وحيد لها وقد كرهـا في الحياة وعملا له مناحة عظيمة وزاد غيظ الملك كسرى من ذلك وعظمت عليه الاحوال وحزن كل الحزن على ابن سمنهور ولا سيا عند ما شاهد افعال ابيه وجعل يشتم بختك وقال له انك السبب في اصل هذه البلايا كلها فلا تفكر بامر الا ويكون معكوساً علينا ومضراً بنا . فقال بختك وحياة النار ياسيدي ما قصدت هذا العمل الا لنجاحنا وقد نجحنا كثيراً وقتلنا من العرب جانباً عظيماً ولا اعرف كيف بدل عمر العيار بابن سمنهور مع انك انت وانا وكل الناس كانوا يقولون انه عمر العيار الخبيث المكار الذي لا يصطلى له بنار ولم يظهر الا بعـد ان قتل وزالت الروح عنه . ومن ثم عملوا مناحة في المدينة لابن سمنهور وحزنت عليه المدينة كلها

قال ولما استقرَّ العرب في صيوان اليون شاه عاد اليهم عمر ومعه محترك الباب ودخل على السادات وقد تزيا بزي الدراويش وتقدم من الامير حمزة وقبل يداه وقال له اني رجل من رجـال الله واهل الايمان وقد وصلت معسكركم في هذا اليوم على امل ان احظى بانعامك وانال اكرمك فقيل لي ان اخك عمراً مات فدخلت عليك اعزيك به وما ذلك الا بارادة منه تعالى فاعتاض عنه بالصبر الجميل ولاتحزن على ما فات وتسلَّ عنه باولاده وباقي رجالك واشكر الله على كل حال . وكان الامير حمزة ضيق النفس كثير الحزن وكذلك باقي الامراء ومـا منهم من يبدي كلمة وقد ثبت عندهم كل الثبوت انهم خسروا عمر العيار وان حالهم ستتاخر من بعده ومع ذلك اراد الامير ان لا يكسر بخاطر الدرويش فامر ان يعطى خمسين ديناراً . فقال له ما ذلك يا سيدي بانعام كاف من رجل عظيم مثلك قد انتشر صيته من الشرق الى الغرب وعادى الملك كسرى انو شروان فضلاً عن ان لي رفاق لو قسمت هذا المال عليهم لما اصاب الواحد منهم نصف دينار . فقال

الامير بصبر اعطوه مائة دينار . فقال وهذه ايضاً لا اقبلها فاني اريد منك جزاء شيئين اولاً انعامك واكرامك عما يخص ذاتك وثانياً اكراماً لروح اخيك عمر . فلما سمع الامير ذلك بكي وانَّ وشكى وحينئذ تقدم شيحان كبير العيارين من عمر ودفعه وقال له اخرج الى الخارج فيظهر انك ثقيل جداً فدع الامير في حزنه فضربه عمر في صدره القاه الى الارض على ظهره وقال له ما عرفنا ولا سمعنا ان العبيد تتكلم بحضرة السادات.فرحمة الله على الامير عمرلو كان حاضراً لكان سبب لي الغناء العظيم . ثم امر حمزة ان يعطى ثلاثمائة دينار فتضجر عمر وقال بقلة ادب ما هذا العطاء فهو لايصدر من ادنياء الناس عن روح ميت كعمر العيار الذي لولاه لكنتم هفيتم من زمان انسيت انه كان السبب باجتماع العرب وخلاصك من المصلب وارجاعك للحياة بعد ان كدت تفارقها فما انت بعد هذا برجل كريم بل يظهر انك قليل الوفاء . وكان الامير حمزة حد الطباع كما تقدم معنا في غير هذا المكان لا يتأنى عديم الصبر فضجر من عمر وصاح اخرجوا هذا المهزار الى الخارج واعطوه كل ما يريد ولا عدتم تروني وجهه والا ضربته بحسامي فقطعته قسمين . فصاح عمر كيف تفعل ذلك مع اخيك عمر ولا تطيقه ولاتحمل كلامه ولما قرب منه العيارون اظهر نفسه وهيئته فعرفوا الجميع انه عمر وصاحوا بصوت واحد من شدة الفرح ورمى الامير نفسه عليه يقبله وهو لا يصدق انه عمر العيار ودموع الفرح تتساقط على خديه وكذلك الفرسان فانهم تقدموا منه وجعل كل واحد يهنئه بدوره ويتعجب من وجوده في الحياة بعد ان شاهدوا موته وتاكدوا قتله على اعالي السور اي على المصنع الذي اقامه بختك

وبعد ان فرغوا من السلام عليه جاس في مكانه فسأله الامير عن امره فاعاد عليه القصة من اولها الى اخرها وكشف لهم عن باطنها وظاهرها وقال لهم هاكم محترك الباب فهذا صديقي وعزيز عليَّ . فقال له الامير لقد ارتكبت خطاء عظيماً وقتلت من العرب قسماً كبيراً لانك لو اظهرت نفسك قبل القتال لما خاطرنا بنفوسنا ولا اقتحمنا نبال الاعداء وقد عميت ابصارنا حتى توهمنا انا نقدر على

انزالك عن السور . قال كنت اقصد بذلك ان اري محترك الباب محبة العرب لي حتى اذا خدمهم يخدمهم بطيبة خاطر وامانة واني منذ هذه الساعة اقيمه رئيساً على العيارين فاذا غبت يكون مكاني واذا حضرت يكون على ما هو عليه وصرف العرب باقي السهرة بالفرح والمسرة ومن ثم تفرقوا للمنام وهم من التعب على جانب عظيم وبعد ان دخل كلٌّ صيوانه انطلق عمر كعادته بين الخيام يفتش فيها ويدور حواليها خيفة من ديدبان او عيار او محتال يطرق المعسكر

وفيما هو يطوف تحت ظلام الليل وقد وصل الى اطراف المعسكر واذا لاح له شخصان يتقدمان الى جهة الخيام فدنا منهما وقد اخذ خنجره بيده وعند وصولها تبينهما انهما رجل وامرأة فاوقفهما وقال من انتما وماذا تقصدان فقال له الرجل اني سمنهور صاحب مدينة خراسان وهذه امرأتي وانا نقصد الامير حمزة البهلوان لغرض لنا عنده فهل لك ان توصلنا اليه فاجابه اني اخو الامير ومدبر المعسكر فقل لي ماذا تريد فاقضه لك . قال لديَّ امرٌ اريد ان اطلعه عليه سرًا ولا احب افشاءه الى احد . قال اذا لم تبحه لي فلا تطمع في ان تصل به الى الامير لاني اخوه وامينه فاذا لم اعرف مرادك لا اسلم بوصولك اليه ولا سيما في هذه الساعة لانه نائم فاذا لم يكن الامر خطيرًا لا ايقظه الان فاحك لي امرك وعليك الامان وكن براحة من كل ما تخافه فقال سمنهور اعلم اننا اصبنا بمصيبة كبرى وهي قتل ولدنا بدلاً من عمر العيار ونحن لا نعرف ذلك ولا عرفنا الا بعد موته وكان وحيدًا لنا فاغاظنا ذلك جدًّا وعرفنا ان هذه المصيبة وقعت علينا بسبب كسرى انو شروان ووزيره بختك الخوان والا لولاهما لكان الآن بخير ونجاح وخفنا من ان نصل الى امر اعظم من هذا واشد مصيبة وربما اذا فتح العرب المدينة قتلونا واخذوا اموالنا فاردت ان اعرض على الامير فتح المدينة فاني اوصله الى ذلك اذا قبل واشرط عليه شروطاً نافعة مفيدة لي تكفل راحتي واموالي وبلدي

فلما سمع عمر ذلك كان يطير من الفرح لانه كان يعرف ان العرب اذا صرفت سنين كثيرة حول مدينة خراسان لا يتمكنون من فتحها بسهولة الا اذا كان

بامر فوق العادة ولذلك جاء بسمنهور حالاً الى اخيه فايقظه من نومه ودخل به صيوان الاجتماع ولما رآه سمنهور تقدم منه وسلم عليه واعاد عليه القصة وقال له اني اريد ان اهديك الى فتح المدينة فتدخلها بعسكرك وتفتحها عنوة واشرط عليك ان ابقى انا فيها وان لا تحرمني من الملك كما احرمت من ولدي الوحيد . فامر الامير عمراً ان يجمع السادات . فاجتمعوا الواحد بعد الاخر وهم مرتبكون لا يعرفون لما دعاهم الامير في مثل تلك الساعة . ولما اجتمعوا جميعاً اعاد عليهم حمزة واقعة الامر وقال لهم ان الرجل يريد ان يفتح المدينة وعلى ما يظهر لي ان كلامه صحيح ولذلك دعوتكم لاعرض عليكم هذا الامر لنعرف كيف يكون دخولنا البلد . فوافقه الكل على ذلك وحينئذٍ قال الامير اسمنهور كيف ندخل المدينة ومن اي باب وفي اي ساعة . قال قبل كل شيء اريد منكم ان تتعهدوا لي ان لا احد من العرب ينهب عقالاً او يسلب فلساً واني اعرف ان العرب اذا وعدت تفي فمن يكفل لي هــذا الامر فالتفت الامير الى قومه وقال من يضمن له ذلك فقال له اندهوق بن سعدون كيف يكون ذلك وهل من الممكن ان تدخل الجموع الى المدينة دون ان يمدوا بايديهم الى شيء منها ولذلك لا اظن ان احداً يضمن مثل هذا الامر غير انه يمكنك ان تأمر في المعسكر ان لا ينهب احد شيئاً من المدينة فيخف النهب واذا أُخذ شيء فيكن طفيفاً لان بين المعسكر كثيرين من الشحاذين والدروايش والادنياء وما شاكلهم . فقال عمر العيار ان كنتم انتم لا تكفلون ذلك فانا اكفله واعد سمنهور ان لا احد من قومنــا يمد يده الى امتعة المدينة غصباً بل من يريد شيئاً يشتريه عن تراض بالمال . فلما سمع السادات كلام عمر قالوا اذا كنت انت كفلت ذلك اننا نشاركك فيه لانك قادر على ذلك . فحينئذٍ قال سمنهور اعلموا ان كسرى عند باب البلد في الوقت الذي ترومون به الدخول الى المدينة افتح لكم الباب بدون اطلاع احد فتدخلون بغتة وتمتلكون المدينة . ثم ان عمراً اعطاه منديلاً وقال له خذ هذا المنديل وعلقه على باب البلد ليعرف الجميع انه لي واني كافل المدينة فلا يعود احد يقدر على نهبها واني سأنشر

العيارين بين المعسكر لتعرفهم ان المدينة دخلت تحت حمايتي . وقال الامير حمزة انئا في الغد نركب الساعة الثالثة ليلاً وندخل البلد من الباب الذي اشرت عنه فخذ الان معك عمر العيار ودله على الباب لنعرفه حين هجومنا فندخل منه والناس على غفلة . وبعد ان اتفق الامير وسمنهور على ذلك قدموا له كل اكرام واعتبار وواجب وتعهدوا له بكل خير ونجاح وان يبقى هو على ملكه سيداً عظيماً وودعهم ورجع مع زوجته ودخل البلد ونظر عمر الباب فرآه واسعاً كبيراً لكنه مصفحاً بالحديد السميك الضخم فانعكف راجعاً وتفرق العرب فناموا باقي تلك الليلة الى صباح اليوم الثاني نهضوا يدبرون امورهم وقد ذهب كل واحد الى معسكره يرتبه وينتخب منه الابطال والفرسان الذين سيدخل بهم المدينة واصدر عمر امراً مع عياريه ان البلد تحت كفالته فلا يمد احد يده الى ما فيها من الموجودات

وكان كسرى لا يزال داخل المدينة مع بختك وهو لا يظن ان العرب تقدر على فتح المدينة الا بعد ايام كثيرة اي بعد ان يفرغ الزاد والذخائر والمؤن فتحتاج الى الخروج او تموت جوعاً ولم يكن عندهم علم بما وقع من سمنهور وبختك الوزير يفكر في امر يخلص به المدينة ويبعد العرب عنها حتى كان في ليلة ذاك اليوم الساعة ٣ والناس في المدينة آمنين من نكبات الزمان واذا بالعساكر قد تقدمت من المدينة وفي اوئلهم عمر العيار فوجد الباب مغلقاً فدفعه فاندفع مصرعاه في الحال واذ ذاك هجمت العرب كالزنابير الخارجة من الاوكار ودخلوا افواجاً افواجاً كلهم فرسان وابطال واقاموا الصياح في كل ناح فاضطربت المدينة واهتزت من اربع اركانها وصاح الامير حمزة صيحات الاسود وفعل مثله ابنه بديع نادرة ذاك الزمان ورستم سيد الابطال والفرسان والاندهوق بن سعدون وكل فارس ميمون كالامير سعد اليوناني وامه طوربان والنجاشي وعمر الاندلسي وفرهود صاحب التكرور وبشير ومباشر وقاهر الخيل وهارون البطل المجنون والمعتدي حامي السواحل وملوك التركمان ومعقل البهلوان وكل فارس صنديد

وبطل عنيد واعملوا السيف في رجال كسرى واجروا الدماء نهوراً من صدور الاعجام وكانت ليلة عظيمة الاهوال كثيرة الاخطار لم تشفق العرب فيها على بني الانسان ولا رعت حرمة خليقة الله الديان ولا وعت الى مستجير ولا الى مستغيث ولا رحمت من وصلت اليه وكان جلّ غايتها خصم النزاع واسقاط هـذه الدولة الكثيرة الكفر والطغيان. واما كسرى فانه كان في قصره مع بختك فاضطرب عند سماعه الصياح وقال لبختك اظن ان العرب دخلوا المدينة وتملكوها لاني اسمع صياحاً عظيماً وعلى ما اظن اننا سنقع في ايديهم قريباً فهلم بنـا نختفي في مكان قبل ان يصلوا الينا

فقال له اني اراك تخاف اقل الاشياء فلو سمعت صوت العصفور يناغي لتوهمته حمزة والعرب فن اين تقدر العرب ان تدخل المدينة وهي حصينة جداً ولا يمكن لاعظم ملوك الارض ان يفتحها بالقوة وهـذه عادة العرب يهجمون ويرجعون بالخيبة والان قد هجموا على الابواب ظانين انهم يتصلون الى منفذ يمرون به فسكت كسرى وصدق ذلك واقتنع انه لا يمكن للعرب ان يفتحوا المدينة او يدخلوها لمتانة حصونها واقفالها. ودام القتل والذبح واشتد الصياح حتى وصل الفرسان الى القصر الذي فيه كسرى ووزيره واحتاطوا به من كل ناحية حتى تأكد كسرى افتتاح المدينة فطار صوابه وعدم عقله وتاكد وقوعه في يد حمزة ولكي ينتقم منه رفع يده ولطمه على خده حتى اعدمه الصواب وقال له ويلك ايها البوم المشؤم لقد اهلكتنا واوصلتنا الى حالة هي من اقبح الحالات وبعد دقائق قليلة نقع بيد العرب فيقتلوننا ويعدموننا الحياة وينتقمون منا على ما فعلت بالامير حمزة وتعليقه على المصلب فقبح الله اذنك الوخيمة وما اتم كلامه حتى كان دخل عمر العيار ومعه جماعته العيارون فقبضوا على كسرى وبختك واوثقوهما بالحبال ووقف عمر غفيراً عليهما وهو يقول لبختك كيف رأيت العرب لقد قدت نفسك الى الهلاك بيدك وسترى الى اين يصل بك المصلب الذي رفعت عليه حمزة والمصنع الذي صنعته لاجلي وما فعلت معنا منذ زمان طويل وقد قتلت

اولاد حمزة وزوجته وكنت سبب كل مصيبة وصلت اليه

قال وعند شروق شمس ذاك النهار دخل الامير الى دار الحكومة وبعث بالاوامر الى كل العرب ان تكف عن القتال وتمتنع عن ذبح الاعداء وان يعطى الامان لكل انسان في المدينة وان يخرج العساكر الى خارج المدينة ولا يبقى الا الفرسان العظام والقواد والامراء والخفراء والعيارون وبعد مرور ساعة بطل القتل وسكن اضطراب المدينة وجعل العرب تخرج منها الى خيامها وقد اروت غليلها وقتلت مقتلة عظيمة لكنها لم تنهب عقالاً ولا اخذت ما يساوي قيمة بارة وذلك لانهم كانوا يرون منديل عمر العيار معلقاً على الباب فيتذكرون ضمانته البلد فلم يمد احد يده الى حاجة من حاجات اهلها واخذت الفرسان في ان تجتمع الى قصر الاحكام واحداً بعد واحد وقد صبغوا بادمية الاعجام . ولما انتهى اجتماعهم وهنأ بعضهم البعض بالسلامـــة واذا بالامير عمر قد دخل يقود من خلفه الملك كسرى وبختك الوزير وحالما رأى الامير كسرى نهض واقفاً على قدميه ودنا منه وحل وثاقه وقبل يديه واعتذر له وقال يا سيدي اني متكدر مما وصل اليك من الاهانة واني لا ازل اتذكر حبك لي وخلوصك منذ الاول واني تربيت على نعمتك وتقربت منك بزواجي من كريمتك التي خطفتها يد الايام جوراً وقتلها ظلماً وزيرك ولو انك لم تسمع منه لما كنت رأيت من العرب الا طاعة وخضوعاً فجازاه الله على فعله بايشم الجزاء على ما اوصل لي من الاذى والاسى . فدنا كسرى منه وقبله بين عينيه وبكى على ما فات وكان يظن بنفسه قبل ذلك الحين انه اذا وقع بيد العرب اعدموه الحيـــاة وانتقموا منه حتى رأى تلك المعاملة الحسنة فسر كثيراً وتذكر طاعة الامير حمزة في الاول فادرك غلطه وتذكر بنته مهردكار فزاد في البكاء وقال له اني كنت منذ الاول اميل اليك وقد وعدتك بزواج بنتي عن رضى مني وطيبة خاطر لو لم يميلني هذا الوزير الخبيث الذي كاد يخرب مملكتي ويذهب بحياتي واني اشكرك على ما ابديته لديّ من لين الجانب ورقة الاخلاق فاعاد الامير تقبيل يديه ثانياً واجلسه على كرسي الرئاسة

وقال له انت الملك ولا نزال عبيدك وجل ما نريده منك ان تسمح لنا بقتل الوزير بختك لاننا لا نعفو عنه مطلقاً ولو سامحنا اياه منذ الاول ولما وصل بنا الامر الى هذا الحد

وكان بختك يظن ان حظه يكون كحظ كسرى لما رأى الامير قد لاقاه بالاعتبار والاحترام والوقار وقد ارتاح باله وصار ينتظر ان الامير يقرب منه ويفك كتافه ويعتذر اليه فجاء الامر بخلاف ذلك ولما سمع كلامه مع كسرى ايقن بالهلاك لكنه فكر انه باللين والاحتيال يتخلص من الموت. فقال للامير لا اظن انك تجازي الشر بمثله لانك كريم الاصل وتعرف جيداً ان الانتقام لا يكون الا عند اللئام وان العفوا عند المقدرة سيمته تتصف بها كبار الناس من اصحاب الرقة والعدل فكيف يخطر لك ان تنتقم لنفسك مني وتعاملني بالقتل بعد ان عفوت عن سيدي الملك. قال اما انت فاني ارى في قتلك رحمة للبلاد وراحة للعباد لانك طبعت على الشر والشر مكروه من رجال الخير فلذا من الواجب عليهم اقتلاعه من بينهم وان امكن من بين بني الانسان فلا عدت تطمع نفسك بالحياة بعد الان ولا بالرجوع الى المدائن مع مولاك كسرى وانا اعرف اكيداً انك اذا بقيت حياً تعود الى خبثك ولا تفكر بجميلي ولا ريب انك تتوصل الى هلاكي وربما الى هلاك اولادي فاعود الى الندامة واعض على كفي ولا اظن يتيسر لي فرصة اعظم من هذه لاخذ ثاري منك . فبكى الوزير وقال من اين تعرف يا حمزة ان عدوك بختك لا يصير صديقك ويخدمك كل حياته الباقية بكل خير ويوقف نفسه لامرك ولا ينسى لك جميلاً عملته معه . نعم اني ابيعك نفسي من هذه الساعة فاذا عفوت عني رأيت مني رجلاً اميناً صادقاً يخدمك بامانة فلا تضيع مثلي حيث اقدر ان انفع حياتك واكون غوثك وتكون قد خدمت الانسانية ببقائك عليَّ والان نتصالح ولا يعود احدنا يفتكر بما مر عليه في ماضي حياته وننسى سيئات بعضنا وها انا اشهد عليَّ هولاء السادات العظام واعترف امامهم بذنبي السابق واني عملت على عنادك لشري لا لكونك ممن يعادي فاغفر ذنبي

واعفو عن دمي اكراماً لالهك الذي اوصاك بالخير وحب القريب.ومنع سفك الدماء ظلماً ولا سيا دم الطائع والخاضع فقال حمزة طالما سمعت من مثل هـذا الكلام وكنت اؤمل بان اسمعه منك وانت في مثل هذه الحالة لانك الان تريد ان تبذل جهدك ومجهودك في خلاص نفسك وتطويل اجلك وكان يمكنك ان تحكي مثل هذا الكلام ما كنت بعيداً عن الموت لكان امكنني عند وقوعك بيدي ان اعفو عنك واترك لك جرائمك انسيت المصلب الذي رفعتني عليه اشهراً وانا بحالة الاموات ولم يشاء الله سبحانه وتعالى ان اموت ظلماً قبل ان انال غايتي من الظالمين او بالحري هل نسيت المصنع الدي قمته لاخي عمر العيار منذ يومين بقصد ان تهلكه وتهلك العرب معه فاي شيء مليح اتذكره لك

فاراد بختك ان يتكلم فشده عمر بالحبال وقال له اصمت عن الكلام اتظن لو عفا عنك الامير حمزة تعفو عنك ملوك العرب واذا عفت عنك الملوك هل يعفو عنك عمر العيار الذي له عليك اعظم ثار فان حقي كحق الامير واعظم وما اتيت بك الى هذا المكان الا لاجل ان اطلب من اخي الاذن بقتلك حالاً وان يعهد اليّ بذلك فقال حمزة افعل يا عمر ما انت فاعل وامته شر ميتة . قال اذاً ادعوكم غداً الساعة السادسة من النهار الى الفرجة على موته لتروا كيف يكون اعدام اهل الشر والفساد وكيف يعود كيد الظالمين والغادرين الى نحورهم . ثم جره بالحبل فخرج يجري كالكلب المربوط وقد انقطع صوته عن الكلام ولم يعد يفه ببنت شفة وايقن بالموت والفناء

واما كسرى فقد سمح بقتله وقال لحمزة اذا قتلته تكون قد جازيته على عمله قال اني اعرض امره عليك فاذا كنت لا ترضى بقتله اطاقه اكراماً لك لكن اخاف من عاقبة الامر فتعود العداوة الى حالها فيوقع امراً مكروهاً فاضطر الى الزحف على المدائن وعوضاً ان نرتاح من الحرب والقتال والقيل الذي وقع بيننا اكثر من ثلاثين سنة تعود الحرب ان يتجدد قال اني لا امانع في امره فافعل ما

تريده وكفى بانك عفوت عني وابجتني حياتي وساكافيك اذا بقيت حياً وازوجك من نسلي واعيد لك الزمان الذي كنت تؤمله بقربي وان كنت في زمن الكبر الان وسترى بعد عودتي الى وطني واستوائي على عرشي مايكون بيننا من الخير الذي يعقب تلك الشرور فشكره حمزة وقال يا سيدي لا اريد منك الا ان تراني بعين الرضا وتكلفني بكل خدمة اريدها واطلبها

ثم احضر الاكل فاكلوا معاً وزالت من بينهم الضغائن وعادت الى السلام والامان ولم يبق في قلب كسرى مقدار ذرة من البغضاء ونوى كل النية على مكافاته على معروفه وعزوا سمنهور على ولده واعاد حمزة ماسمعه من قصة عمر العيار ومحترك الباب وابن سمنهور على كسرى فتعجب وقال لحمزة لو لم يكن عمر بينكم لما فزتم على الفرس ابداً لانه طالما خلصكم وخلص نفسه واعاد النجاح لكم بعد الخسران باعماله الخداعية . ثم ان كسرى قصد السفر الى المدائن وقال لحمزة اني احب ان اسافر عن هذه البلاد من هذه الساعة كي لا ارى موت بختك ولا عدت احب ان اراه لا حياً ولا ميتاً . فاطاع حمزة امره وباقل من ساعة ركب الملك كسرى انو شروان وركب خلفه كل جماعته من الاعجام ومن بقي حياً من عساكره وحمل الذخائر والمؤن وكل معدات العسكر وخرج من المدينة بموكبه العظيم ونشرت فوق راسه الاعلام وخرج سمنهور واهل المدينة لوداعه وركب ايضاً الامير حمزة بابطاله وفرسانه وقد عادت الاحوال بينهما الى الحب والوفاق بعد تلك العداوة والشقاق وركب كل سيد وملك من العرب وتقدموا الى وداع الملك الاكبر عدة ساعات حتى بعدوا عن المدينة وهناك وقف كسرى وحلف على حمزة وقومه ان يرجعوا فقبلوا يديه ورجعوا فرحين بمصاحبته وكل واحد يومل العود الى بلاده قريباً حيث انتهى كل خصام ولم يبق من حرب بعد ذلك ولم يعلموا ما تخبي لهم في زوايا النسيان ودخلوا المدينة وقد زينت وقامت بها من كل ناح واعد سمنهور للامراء وليمة فاخرة وذبح الذبائح ونحر النحور

واما عمر العيار فانه اخذ الوزير بختك فجرّدوه من ثيابه واخذوا مقداراً من

الكبريت فمزجه بالزيت وجعل يدلك به بدن الوزير في كل ناحية ولما انتهى تركه بلا ثياب مقدار خمس ساعات حتى تاكد انه جف . ثم عاد الدلك ثانياً باكثر من الاول وصبر عليه حتى يجف وفعل ذلك عدة مرات الى ان كان اليوم التالي في الساعة المعينة دعا بالعرب الى ساحة المدينة فاجتمع كل رجل من غريب وقريب وازدحمت الاقدام وملئت الطرقات والسطوح والجدران ووقفت الناس فوق بعضها البعض حتى يتصور الرائي ان يوم القيامة قد قام وجلس الامير حمزة ومن حوله رجاله والملك سمنهور ينتظرون موت بختك واذ ذاك جاء عمر العيار يجر من خلفه عدوه الخبيث المحتال حتى قرب من الوسط وهو المكان الذي أعد لموته فرفع خشبة عالية وعلق عليها سلماً وتقدم ببختك ورفعه الى فوق وهو يبكي ويصيح ويستغيث بالامير وباولاده على ان يجيره واحد منهم فلم يلتفت اليه احد وكلهم يتمنى هلاكه ليطفي نار فواده وباقل من لمح البصر علقه عمر على تلك الخشبة وجاء بشعلة نار اشعل بها جسمه المتشرب من المواد الملتهبة فالتهب في الحال وانبعث منه النيران فجعل ينادي ويصيح ويشتم الامير ويلعن العرب وهو معلق بالهواء والنار تحرق جسمه وعمر العيار واقف امامه يتشفى بموته ويضحك من حاله وكلامه وقد صفقت العرب بايديها من شدة الفرح وارتفع لذلك ضوضاء وصراخ انقلبت منه الارض بينما كان بختك يتألم ويتوجع وينازع ثم فارق الحياة وبعد ساعات سقط عن الخشبة الى الارض ومابقي من جسمه يلتهب وتاكله النيران حتى صار رماداً . وحينئذ دعا الامير عمر ابنه الشاه ذئب وقال له اجمع رماد هذا الكافر واذهب الى البرية فاذر بها هناك في كل ناحية فساله حمزة عن ذلك . فقال له اعلم يا اخي اني اعرف ان كل واحدة من هذا الرماد ستخرج عقارب فتمتلئ الدنيا منها ولذلك اخرجها وابعدها عن المدينة رحمة لاهلها لان لا طاقة لهم على احتمال مفاعيل رماده. فضحك الامير منه وامر بانصراف الناس فانصرفوا مسرورين وتقرر في عقول العرب اجمعين ان بموت بختك تنقضي الشرور والحروب وينفرط سلك اجتماعهم ويرجع كل واحد الى بلده واهله

ثم ان الامير صرف ثلاثة ايام في تلك المدينة على الراحة والطمانينة مسروراً بما يتوهمه من صفاء الدهر وموت عدوه ومصاحبة الملك كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان.وفي اليوم الرابع جمع الامراء والملوك اليه وقال لهم اعلموا ايها السادات ان همومنا قد انقضت وعذابنا قد انتهى بنهاية حياة بختك وقد عشنا بعده ورأينا موته بعيوننا وانا اعرف ان كل واحد منكم يشتاق الى اهله وقومه ويرغب في المسير الى بلاده كما اني انا ايضاً ارغب في ذلك واشتاق الى ان ارى ابي وسائر اهلي ولذلك اريد ان يستعد كل واحد منكم الى السفر لنسير في الغد الى مكة المشرفة فتزورون البيت وتتبركون به وهناك نقسم الاموال والانعام التي جمعناها فيأخذ كل واحد نصيبه ويذهب الى حال سبيله . فشكره الجميع على قوله وذهب كل منهم الى رجاله يستعد للسفر حتى كان اليوم الثاني فخرج الامير من المدينة وخرج لوداعه كثير من اهلها وركب جواده اليقظان وعليه ثوب الملك سليمان ورفعت فوق راسه اعلام العرب وركب كل واحد من اولئك الفرسان وهم يؤملون الخير والنجاح والعود الى الاوطان وكل يعد نفسه بالاجتماع باهله واولاده وقومه وانتقل العرب عن مدينة خراسان وساروا في تلك البراري يقصدون مكة البلد الامين وقد ملئوا الارض بالطول والعرض حتى كان اولهم لا يعرف اخرهم طول ذاك النهار واليوم الثاني فنزل الامير بالعرب وامرهم ان يضربوا خيامهم ويرتاحوا في تلك الارض مدة يومين ففعلوا لانه كان يحب الرفق بالناس ويرى ان ما من شيء الى السرعة والاستعجال . وضرب له صيوان اليون شاه فجلس فيه وبعد ان جاءه عمر بالطعام واكل وشرب الماء وشكر الله اجتمع اليه السادات وجلس كل واحد في مكانه ودار بينهم الكلام وكل واحد يهنيء الاخر بالعود الى اهله . وفيما هم على ذلك واذا بعمر العيار قد دخل اليه ومن خلفه رسول من الاعجام فشعر الامير بخفقان قلبه وسأل الرسول عن حاله فتقدم منه، وبعد ان قبل يديه ناوله رسالة ففضها وما اتم قراءتها حتى اخذت الدموع تتساقط على خديه وتتدحرج فوق وجناته فسأله الامراء عن

سبب ذلك فقال لهم ان هذا المكتوب هو من فرمزتاج ابن كسرى انو شروان يخبرنا به ان اباه مات اثر مرض اشتد عليه في الطريق ويطلب اليّنا ان نسير اليه لنقره على كرسي ابيه ونحضر تلبيسه التاج وهذا الذي ابكاني لاني اعرف ان قلة حظي سببت موت الملك الاكبر ومع ما وقع بيني وبينه من الاحوال العدوانية كنت اعتبره بمثابة ابي لانه رباني من ماله واقامني في بداية حياتي بهلوان تحته وغفير بلاده وتزوجت بابنته واتصل حسبه بحسبي وصرت صهره وان كان بالرغم عليه ولما زالت العلة التي كانت تحمله على عداوتي وعزم على مكافاتي بالجميل والرجوع الى الحب والسلامة خطفه البين بغتة . فتأسف كل من العرب على الملك كسرى وعزوا الامير به وسألوه اذا كان يريد الذهاب الى المدائن . فاجابهم ان هذا لا بد منه لان فرمزتاج يدعونا اليه وارى ان ذلك لا يعيقنا زماناً طويلاً فنقيمه ملكاً على المدائن ونجدد العهد والسلامة بيننا وبينه ومن ثم نرجع من هناك على طريق العراق . فوافقه جميع سادات العرب على المسير الى المدائن لانها كانت قريبة من هناك

وفي اليوم الثاني حمل الاحمال وركب على اليقظان ومشى على المدائن بجميع العرب ولم تمض عليه الا ايام قليلة حتى وصل الى هناك فامر ان تضرب الخيام حول المدينة وان تنكس الاعلام حزناً على الملك ففعلوا ولما رأى الاعجام قدوم العرب خرجوا الى ملتقاهم وفي اولهم فرمزتاج واخوه فروخ فخرج الامير الى الى ملتقاهم خارج الصيوان وادخلهم اليه وعزاهم بالملك واجلس ولديه الى جانبه واستعاد منهم الخبر فاعادوه له فقال لهم ان موته كان من اكبر المصائب علينا غير ان حكم الموت لا يرد . وبعد ان بقي عنده الاعجام مقدار ساعتين ودعوه وسألوه الذهاب الى الايوان . فقال لهم هذا لا يكون لان فبعد ثلاثة ايام اعودكم واقيم الملك عليكم واجدد العهد معه ليكون السلام دائماً بيننا وبينكم ورجع الاعجام وهم يعرفون من ابني كسرى يريد الامير ان يقيمه على كرسي الاكاسرة وبعد ذهابهم سأل الامير الملوك والسادات قائلاً من نقيم من ولدي كسرى على

التخت لان كلاً منهما يؤمل بان يكون له فقال له الجميع عن صوت واحد ان الحق في ذلك للاكبر منهما . قال هكذا نويت لانه البكر واننا بعد ثلاثة ايام ننزل الايوان ونجلسه على العرش ونرجع حالاً

قال وكان لبختك ولد اسمه بختيار لم يكن اقل خبثاً ودهاء من ابيه بل كان يزيده في كل شروره وقد تربى على عداوة العرب وبغضهم وعرف انهم اماتوا اباه شر ميتة وان الامير لا يقبل ان يكون هو وزيراً في مكان ابيه فاراد ان يقرر الوزارة لنفسه ليتمكن من اخذ ثاره من العرب وليريهم انه اشد اقتداراً من ابيه على فعل الشر. فبعد ان انصرفوا الى المدينة صبر الى قرب غروب الشمس فركب بغلته وجاء الى قصر فرمزتاج واستاذن بالدخول عليه فاذن له فتقدم منه وبكى بين يديه وقال له انت تعلم يا سيدي ما كان لابي من المقام عند ابيك وما كان بينهما من الحب لانه كان يخدمه بامانة ويحافظ على ناموسه وناموس الدولة الكسروية حتى انه قتله العرب اخيراً جزاء على محبته لابيك الذي مات حسرة عليه فجمعت النار بينهما وجعلتهما في اشد مكان من اللهيب لانهما قد خدماها وحفظا عبادتها حق الحفظ وانت تعلم ان للامير حمزة مقاصد ومآرب وانا اخاف ان يخطر له اقامة اخيك على كرسي الاكاسرة وان يعين له وزيراً اخر غيري فنكون قد خسرنا مركزنا وهذا ارى لا بد منه لانه يخاف ان اقامك انت تعود الى عداوته وعناده كما كان ابيك او ربما اراد اذلال هذه الدولة فيتفق مع اخيك ويعطيه حقوقك ويشرط عليه طاعة العرب اما سمعته يقول انه يجدد معنا عهداً على الحب والسلامة كانه ملك بنسبة الفرس ومع انه اكيداً انك الوريث للعرش لم يخصك به بل قال ساقيم عليكم ملكاً ولذلك جئت اسعى في تدبير المسألة قبل الفوات . قال اني كنت اخاف من ذلك وانا في شتات عقل لا اعرف كيف اقدر ان اجلب الامير اليَّ . قال اني اعرف ان الامير لا يخالف ابنه بديعاً قط فيمكنك ان تذهب اليه سراً وتقع عليه وتعرض عليه واقعة الحال وتتخذه سنداً لك فاذا وعدك انك المالك كان ذلك لا محالة وعليه فاكون انا وزيرك دون

ارتياب ولاشك لان ماكان بين ابائنا يكون بيننا . فقال له انت تعرف حبي لك ولا يمكن ان يكون وزيرًا ومستشارًا غيرك وقد اشرت عليّ بالصواب واني في الصباح اذهب الى بديع وادعوه الى معونتي

ثم ان بختيار ودع فرمزتاج وذهب حالاً الى قصر اخيه فروخ فاستأذن ودخل فتلقاه بالترحاب وبعد ان اجتمع به قال له اعلم اني ما جئت اليك الا لامر خطير اريد ان اشور عليك به حباً بك وبصالحك وانت تعرف صدق مودتي واني اريد ان تكون انت الحاكم على كرسي المدائن ويضع تاج الاكاسرة على رأسك وبذلك احفظ لنفسي حق الوزارة لما بيننا من الحب والمودة . قال ولكن لكن من اين لي هذا ونظام بلاد الاعجام قد اختل واصبح تاج الاكاسرة الان بيد الامير حمزة فالذي يريده هو يكون الملك علينا وما فينا من يقدر ان يقاومه وليس لي من القوة ما ادفع اخي عن غايته وابطل ارادة الامير حمزة . قال ان النار قد قضت علينا بالذل الى ان نلم شعثنا ونجمع رجالنا فنعود الى قهر هذه الطائفة لان حظنا اعظم بكثير من حظ ابائنا وعليه فنرى من اللازم ان نخضع لارادتها وان نكرم العرب بقدر استطاعتنا ولذلك جئت اشور عليك لتتخذ منهم سندًا ومعيناً . فتتغلب على اخيك وتغتصبه التاج وتكون انت الحاكم المالك على العجم وصاحب النهي والامر . قال من اين اقدر على ان ارى لي سندًا وكيف ذلك . قال اذهب الآن تحت الظلام وادخل على الامير رستم فرتم ابن حمزة البهلوان وتوقع عليه وامدحه واسأله ان يكون لك سندًا ولا شك انه يجيبك على طلبك لان العرب لا يتركون نصرة مستجير واذا وعدوا لقلة عقلهم يهدرون دمهم في القيام بوعدهم فاذا قدرت ان تجلبه اليك وتحمله على ان يقسم لك باعانتك تكون انت الملك لا محالة

فاستصوب فروخ شاه هذا الراي ومدح من بختيار واقسم له بالنار انه اذا كان هو كسرى لا يكون وزيرًا سواه فسر من ذلك واطمئن باله وتاكد عنده ان مَن من الاثنين صار كسرى كان هو وزيره . ثم انه ودعه وذهب الى

حاله . وبعد ان ذهب نهض فروخ شاه ولبس ثيابه وركب وخرج ولم يكن ممنوعاً عليهم الدخول الى معسكر العرب ولا رجال العرب ممنوعاً عليهم الدخول الى المدينة بل كانت السلامة موجودة والاختلاط متواصل فبقي سائراً حتى وصل من صيوان الامير رستم فرتم فوجده لا يزال في صيوانه ولم يخرج فدخل عليه فترحب به وتلقاه بالبشر والاكرام وسلم عليه وسأله عن سبب مجيئه فقال له وقد اذرف دموع الانكسار والذل بين يديه اعلم ايها الامير والسيد الخطير ان ابي هو كسرى انو شروان كما تعلم انت وكل انسان واني وريثه كما ان اخي ايضاً وريثه ولي الحق ان اطلب الملك لنفسي كما يطلبه هو لنفسه لاني لا احب الذل والطاعة فاذا ملك اخي اذلني وقهرني وانا اعرف ان اباك يقيمه على كرسي الاكاسرة لا يلتفت اليّ ولا ينظر في حقي ولا يراعي في ذلك رأي الامة لان الفرس باجمعهم يريدونني وما منهم من يريد اخي الا ابوك ولم يكن لديه من يسأله ان يرجع عن عزمه فاردت ان اتخذك لي سنداً وغوثاً واكون لك عبداً وقد جئتك بالسر لا ارغب في ان يعلم احد بذلك واسألك بالله الذي تعبده وبطيبة اصلك ونخوتك ومروءتك ان تعاهدني بالايجاب وتكون لي معيناً ومساعداً وانا اعرف جيداً اذا قلت الى ابيك وسألته في قيامي لا يخالف لك طلباً ولا يرد لك سؤالاً فاغثني واجرني وارحمني فاني وقيع عليك الآن فتحركت مروءة رستم ولعبت النخوة العربية . فقال له لقد اجرتك واغثتك واني من هذه الساعة اعزم على مساعدتك ومعاضدتك فلا اضيع لك حقاً وسأحمل ابي على ان يقيمك ملكاً ولا يمكن ان يكون سواك ولو ارغمت الجميع الى ذلك واذا رأى ابي غايتي لا يخالفني فكن مرتاح البال من هذا القبيل فما انا ممن يقسم ويخلف في قسمه وقد وعدت فلا ارجع في وعدي ولو ذهبت روحي فاطمأن لذلك خاطر فروخ وتيقن بالنجاح ووعد نفسه بالملك وبعد ان قام مقدار ساعة عند الامير رستم رجع الى المدينة مسروراً فرحاً شاكراً من رأي بختيار وهو يقول في نفسه وحق النار وتربة اجدادي لو لم ينبهني بختيار الى هذا لم قدرت على نوال المراد ولا بد لي من ان

اجلس على التخت واكيد اخي الذي يظن بنفسه انه يكون الحاكم على بلاد الفرس وذهب الى قصره ينتظر فوات الوقت بفروغ صبر

فهذا ما كان منه واما ما كان من فرمزتاج فانه صبر الى صباح اليوم الثاني وركب من المدينة وخرج الى معسكر العرب وقد رآه اخوه فصار يضحك منه ويقول في نفسه انه ذاهب الى صيوان الامير ولا بد ان يلاقي فشله فان الامير لا يمكن ان يكرمه ويعزه على ابنه رستم ولا زال سائرًا حتى وقف امام صيوان بديع الزمان فعرف بوصوله فخرج الى ملتقاه وادخله بالترحيب والاكرام وبعد ان اقام عنده برهة من الزمان سأله عن غايته . فقال له اني ما اتيتك الا مستجيرًا وما جئتك الا مستغيثاً لعلمي انك لا ترد طلبي ولا ترجعني بالخيبة والفشل . قال ممن تستجير ولما ذلك . قال اني اخاف ان اباك يميل الى اخي فروخ شاه فيقيمه مكان ابي واخسر انا حقي من جهة الميراث لاني كبير اخوتي ولذلك خطر لي ان اتوقع عليك واتخذك لي سندًا حتى اذا خطر لابيك هذا الخاطر تسأله وتطلب اليه ان يرجع عنه لان الناس ترغب فيّ والجميع يريدونني . فقال له كن براحة فان ابي يريدك وقد قال عنك ولا بد ان تكون على تخت ابيك وانا اساعدك على ذلك واقسم لك عليه ولو خالفني في ذلك كل العرب لدعوت وما تركت غيرك ملكاً لانك جئت بيتي فلا اضيع حرمته ولا اتقاعد عن نصرة مستجير فشكره فرمزتاج ومدحه واثنى على حبه وعلق كل امل بوعده ثم ودعه وخرج مسرورًا كخروج اخيه من عند الامير رستم وذهب مصمم البال ينتظر مجيء الامير الى الايوان ليلبسه التاج وينادي باسمه في البلدان . وكان اعظم سروره من بختيار وقال في نفسه جازته النار خيرًا لانه محب مخلص وما اشار علي بذلك الا لاجل خيري وصالحي وسوف اكافيه على هذا الجميل العظيم بكل خير ونجاح وتوفيق

قال ولم يكن بديع قد عرف بسير فروخ الى رستم ولا رستم عرف بسير فرمزتاج الى بديع بل كل واحد من الاثنين نوي على مساعدة صاحبه الى ان كان

اليوم الثاني كان العرب مجتمعين في صيوان اليون شاه وقد قصدوا ان يتفرقوا الى الخيام للطعام فقال لهم الامير اعلموا ايها السادات انه لم يبقَ لنا في هذه الارض غير هذا اليوم وفي الغد ندخل المدينة فنقيم ملكاً عليها ونرحل في الحال الى مكة لاننا لا نرغب في الطويل وضياع الوقت باطلاً . فقال له الجميع اننا مطيعون لك سامعون لامرك فأي متى شئت سرنا . فعند ذلك اغتنم رستم هذه الفرصة وقال له على من اعتمدت يا ابي ان تقيم على تخت كسرى فاجابه بديع في الحال اهل يوجد غير فرمزتاج يستحق هذا التاج لانه كبير اخوته والشعب الفارسي يرضى به . فحملق رستم عينيه ونظر الى اخيه بغير وعي وقال له كيف يكون فرمزتاج وانا لا اريده ولا اريد ان يكون ملكاً وجل ما اريده هو ان يكون فروخ شاه لان الناس تميل اليه ولا يمكن قط ان يكون غيره . قال الامير هذا لا يمكن ابداً لان فرمزتاج يستحق التاج وهو البكر ومن المصطلح عند العرب واهل الله ان يكون الاكبر حاكما على الاصغر وليس الاصغر حاكماً في الاكبر ما زال الكبير عاقلاً راشداً فقال رستم اني لا اقبل الا بفروخ ولا يمكن ان يكون سواه ولو مهما جرى فاعترضه بديع وقال لا اسلم بذلك ولو راحت روحي لاني اعضد فرمزتاج واميل اليه ولا بد لي من ان اقيمه ملكاً بالرغم على كل معاند . وكذلك قال رستم . فالتفت الامير الى العرب وسألهم الحكم في ذلك . قالوا قلنا ولا نزال نقول الان وفي كل ساعة ان حق التملك لفرمزتاج . فقال الامير قاسم ابن الامير رستم لا يمكن ان يكون الا فروخ وهل كلكم باجمعكم توافقون ابن الصياد قليل الحسب والنسب الذي تربى على الذل ويدعي انه ابن جدي على ابي فزجره ابوه وقال له هذا لا يعنيك فاني اقدر ان انفذ كلامي دون ان احط من شأن اخي وشأن ابي . فقال الامير لا بد ان يكون كل واحد من الاثنين قد وقع على واحد منكم حتى تجهدا النفس الى مساعدتهما فقال بديع نعم يا ابي ان فرمزتاج جاء اليَّ فوعدته وعداً صادقاً ان احملك على قبوله . فقال رستم وانا ايضاً وعدت فروخاً ولا ارجع بوعدي ولا اظن ابي يرضى باحناثي . فقال

الامير ان هذا الامر لا يعنينا لاننا غرباء عنهم فاي مَلك منهما كان يكون ولو لم يكلفونا الى ذلك لما جئنا هذه البلاد في مثل هذا الشان ونحن لا نرغب في العاقة والان اراهما يقصدان النزاع بيننا على غير قصدمنهما لان الواحد لا يعرف ما فعل الاخر واما نحن فاننا ننظر في الحق والعدل وقد قرّ رأي الجميع ان يحكموا فرمزتاج ولا يمكن بعد التغيير عنه . فاشهر الامير قاسم السيف وقال لا يمكن ان يكون الا فروخ ولا ادع كلام الصياد ابن الصياد ينفذ وكلام ابي يداس فهلموا وانا اقيم فروخ بسيفي ومن خالفني اعدمته الحياة فتكدر الامير منه وغضب عليه وشتمه وقام اليه لينزع السيف من يده وضربه بقفا يده على كتفه فزاد حنق الامير قاسم وخرج الى خارج الصيوان وهو يشتم بديعاً وقال لجده والله يا جداه لا بد ان اقتل بديعاً واحرق قلبك عليه واجعلك تبكيه طول حياتك

فزاد غيظ الامير منه واشهر حسامه وخرج اليه وقامت الغوغاء بين الفرسان وخافوا من الامير ان يقتل ابن ابنه او ان بديعاً يلعب به الغضب فيعدمه الحياة . وراى الامير رستم الى ذلك فاغتاظ من ابيه ولم يرض ان ياتي بعمل وصاح على الصيصان مقدم عساكره وقال له اذهب وسر امامي بعسكري فما عدت احسن البقاء في هذه الديار ولا اريد ان الاصق العرب وركب على فرسه سلمى الدهماء وسار الى جهة معسكره وراى عمر العيار الى فعل اخيه حمزة فاعترضه ودخل بينه وبين قاسم وصاح ما هذا هل تريد ان تفرق شمل العرب كما فعلت اول مرة فكيف تفكر بكلام الامير قاسم وهو ولد ولم يكن عقله كاملًا فاتركه وادرك ابنك رستم فانه ركب يريد الرحيل . وفي الحال اسرع الامير والسادات الى جهة رستم فرأوه على فرسه مدججاً بالسلاح يريد الرواح فتقدم منه الامير حمزة وقال له لما ذلك ياولداه فانزع من قلبك الحزن ولا تشمت بنا الاعداء فلا طاقة لي على فراقك وانا اكلمك باللين واللطف . فقال له لا يمكن ارجع ولا بد لي من الرحيل فان ذلك افضل عليّ من ان ارى نفسي اخاصم بديعاً واكون بذلك معذوراً لان

انت ايضاً ما عـدت تنظر اليّ بعين الاعتبار حتى انك عملت على ضرب ولدي وقتله ولم تقل انه ضعيف العقل ولا فكرت بي . فاحاط السادات برستم وقالوا لا يمكن ان ندعك تبارح هذه الارض الا ونحن معك ولا ندع الحقد والبغضاء يعملان في قلبك فقال لا تتعبوا فلا بد من السفر فقال الامير حمزة ارجع يا رستم واسمع كلامي ولا تحرك غضبي عليك . فقال لاي سبب ذلك فانا لم اكن محقوقاً وارى نفسي محقاً وهو ذا السادات يشهدون على ما عملت . وفيما هم على مثل ذلك والامير مع ابنه في جدال وخصام والامراء يتعطفون بخاطره ويسألونه الرجوع عن عزمه والنزول عن جواده والا رأوا يداً انحطت على الامير رستم واقتلعته من بحر السرج وسمعوا صوتاً يقول . الى كنوز بهزاد الى محل الكهينة ذاجورة

قال ولما رأى الامير ذلك لطم على راسه ووقع الى الارض مغمياً عليه فاحاط به الناس وجعلوا يرشون الماء على وجهه حتى فاق وهو ينادي واولداه واحشيشة كبداه من الذي اختطفك يا رستم يا اعزّ من عينيّ واحب من نورها وعم العرب الحزن باجمعهم ودار البكاء في كل ناح وفيما هم على ذلك اقبل الوزير بزرجمهر على حمزة وقال له لاتتكدر ولاتخف على ابنك فانه لا يصاب باذى ولا بد ان يرجع اليك سالماً خفف عنك الحزن فان الله معه . وجعل يخاطبه بمثل هذا الكلام الى ان خف حزن الامير ووعى الى نفسه وصغى الى الوزير لانه كان يحترمه ويسمع كلامه ويخافه ويعتقد ان ما يقوله هو الصحيح ولا بد من رجوع ابنه اليه . واما الامير قاسم فانه لما رأى ما كان من امر ابيه لم يخضع ولا فعل فيه الحزن ما فعل في غيره بل بقي حاقداً على جده وعلى عمه ولذلك علا فرس ابيه واخذ عساكره ورحـل عن العرب وفي نيته ان يغتنم فرصة مناسبة ليوقع بعمه . وترك العرب الكلام بشأن كسرى لما راوا ماجرى بسبب ذلك وصبروا ينتظرون ما يجب ان يفعله هو بنفسه دون ان يحركه اليه احد

قال وداموا على ذلك مدة سبعة ايام حتى قـال لهم الامير اخيراً اني عزمت ن انزل المدينة وننهي عملنا بها ونرحل عنها فنبعد عن الشر وانا اعرف ان

المصائب لا تاتينا الا بواسطة الاعجام واعمالهم . ومن ثم ارسل خبراً الى المدائن ان الامير وجماعته سيدخلونها في الصباح فاعدوا لهم كل مـا يليق بشأنهم واحتشد الناس عند الباب والنساء من كل ناحية وقفن للفرجة على الامير ولا سيما على ابنه بديع ادي كسر الفرس وانزل اباه عن المصلب وفعل افعالاً تعجز عنها مردة الجان . وفي الصباح دخل سادات العرب المدينة فتلقاهم اهلها بالترحاب والاكرام ومشوا امامهم الى الايوان ودخلوا الديوان وجلسوا في اماكنهم وكان الامير منذ زمان ما جلس في ذاك المكان فتذكر الايام الماضية وبكى على كسرى وعلى ما كان يعمله معه من المليح في حياته وبعد ان شربوا الشراب واستقر بهم المقام امر الامير حمزة ان ياتوه بتاج الاكاسرة والصولجان والخاتم فاحضرت الى بين يديه فاخذ التاج وتقدم من فرمزتاج وهو بين سادات الفرس والشاهات والى جانبه اخوه ووضع التاج على راسه والبسه الخاتم في اصبعه وحمله الصولجان في يده وامر ان يرفع الى التخت فرفع واشتد فرح الناس بذلك.ثم ان حمزة قال للملك كسرى الجديد اعلم ايها الملك المعظم اني اريد منك امرين سهلين وهما ان تكرم اخاك وتشاركه في الرأي وتقدمه منك لانه ابن ابيك ووريث مثلك ولو لم تكن اكبر منه سناً لما جلست على هذا العرش العظيم وان تعقد شرطاً مع العرب ان لاتحاربهم وان لا يحاربوك فيبقى السلام محفوظاً بيننا وبينكم الى مـا لا نهاية واذا فرض ان احداً منا او منكم تعدى على الاخر فتجاريه حكومته على تعديه ارضاء للغير ونحفظ بذلك ادمية الخلق وعذابهم وراحتنا فلا نصرف ايامنا تحت الهلاك والموت الاحمر . فاجاب فرمزتاج الامير الى سواله ووافقه عليه . وقال له مرادي الان ان اقيم وزيراً ومدبراً لملكي يمكني ان اركن اليه في بعض الاحيان واتخذ آراءه واستشيره فيما اراه حسناً . فقال له الامير اختر لنفسك ما تشاء من رجالك وقومك لانك اخبر فيهم منا . وفي الحال دعا ببختيار ابن بختك وقال هذا الذي اريد ان اقيمه وزيراً . قال من هذا . قال هذا ابن بختك ولكنه ليس كابيه بل طبع على الخير والصلاح وانا اعرفه جيداً ولما سمع الامير بذكر بختك

اضطرب في داخله وشعر كأن نارًا التهبت في فؤاده ولذلك قال لكسرى لايمكن ان يكون هذا وزيرًا لك لانه بدون شك يكون متشرباً اخلاق ابيه ومنطبعاً على اطواره واذا جلس في مكانه تتبع اثاره واعماله فنعود الى الشر والعناد ويكون ذلك وبالاً اما علينا واما عليكم . فقال كسرى اعلم ايها الامير اني لا ارى احسن منه بين الفرس يليق بالوزارة على ان ما من علاقة بيننا وبينكم باقية فانتم ترحلون الان عنا ولا يعود بيننا وبينكم الا الحب والسلام واذا كنت تظن ان بختيار يكون كابيه فيسعى بالفساد والشر فما انا كابي لاسمع منه واذا رايت منه مثل ذلك خالفته ومانعته فكن من هذا الوجه في راحة وحل ما اريد في قيامه هو حفظاً لميزانية البلاد لانه من اشرافها العظماء ويعرف في تدبير داخلية البلاد اكثر مما يعرف غيره فارجوك ايها الامير ان تقبل به وزيرًا فاراد الامير الممانعة وقد حدثه قلبه وعقله انه سيكون كابيه لا بل اشد منه خبثاً وانه لا ينسى ان اباه قتل شر قتلة من يد العرب فيسعى الى اخذ الثار وهلاك العرب . غير ان سادات العرب خالفوه في ذلك وقالوا ما لنا ولهذا الشان فان كسرى يختار لنفسه من يشاء وزيرًا ونحن سنرحل الى بلادنا وقد وقع بيننا وبينهم شرط على الولاء والوفاء فلا نظن ان العداوة بيننا تعود الى ما كانت عليه من قبل فلندعهم وشانهم وقد دعونا ان نقيم منهم ملكاً فاقمنا والسلام

فسكت الامير ولم يكن عن طيبة خاطر وقال في نفسه ان السادات يرغبون في سرعة المسير والحق معهم في ذلك وجل القصد ان يحافظ الفرس على تعهدهم ان اقيم بختيار او غيره مع انه كان يتأكد ان السبب في وقوع الاختلاف بين بديع ورستم كان منه وتاكد ايضاً انه لو اقيم عوضاً عنه وزيرًا فبعد سفره يقدر الملك على ابداله وعليه فقد اجلسوا الوزير على تخت الوزارة وجددوا العهد معهم الا ان ذلك ما كان الا لتجديد الشر والعداوة والفساد لان بختيار كان ابن ابيه حقيقة وكان مجبولاً على الشر والخداع يتقن الفساد والحيل باكثر من ابيه فلعن الله الاثنين معاً . وصرف العرب كل باقي النهار في ذاك المكان على المسرة والحبور

والاكرام والاعتقار وفي المساء خرجوا الى خيامهم وبعث كسرى بالتحارير الى كل بلاده وعماله يخبرهم بجلوسه على كرسي ابائه واجداده فجعل الناس ترد اليه لتهنئته يحملون اليه الهدايا ويجددون خدمتهم له وطاعتهم لاوامره . واما العرب فانهم اقاموا في ضواحي المدينة خمسة ايام بعد جلوس كسرى ولبسه التاج ومن ثم ركبوا وحملوا احمالهم وساقوا كل انعامهم واغنامهم وقد سدت الارض بالطول والعرض ولم يبقوا عقالاً في ذاك المكان ومشوا شيئاً فشيئاً مقدار اربعة ايام ثم امر الامير ان ينزلوا للراحة ويسرحوا الاغنـــام والنوق والجمال للمرعى وضرب صيوان اليون شاه واركزت الخيام في تلك الفسحات وقطعوا ذاك النهار وتلك الليلة فيها ولمـــا كان صباح اليوم الثاني اجتمع الجميع الى صيوان اليون شاه ينتظرون امره ليعرفوا اذا كان بخاطره ان يسافر في ذاك النهار وما انتهى اجتماعهم حتى نهض بديع الزمان وقبل ايادي ابيه وقال له اعلم يا ابي اني لما فارقت مدينة زوال وكيوال لم اقم عليها حاكماً ولا ملكاً وبقي هذا الامر موضوع افكاري فاريد منك الان ان تسمح لي فاذهب بقومي واقيم ملكاً على المدينة وارى الذي رباني واعود اليك اما الى هذه الارض واما الى مكة المطهرة . فقال له الامير هذا لا يمكن يا ولدي لاني اخاف من وقوع حادث جديد لم يكن في الحساب وانت تعلم انه لم يبقَ لي من اولادي غيرك فاذا تواريت عن عينيَّ كيف تكون حالتي فدع زوال لاهلها فماذا يعنينا منها ولنا بلاد غيرها يهمنا امرها فان شئت تسمع مني لا تفكر بذلك . فقال بديع اعلم يا ابي ان المدينة قريبة من هنا فلا اغيب كثيراً ولا يهون عليَّ ان اتقاعد عن هذه المدينة لانها وطني وقد ربيت فيها ويعز عليَّ تركها تخرب على حالها فقال الامير ان كان ولا بد لك من الذهاب فاننا كلنا نسير معك ونقضي الغرض ونعود حالاً فقال ما من لزوم لذلك فلا يحتاج الامر الى ثقلة العرب اجمع فاذا شئتم ان تسبقوني الى مكة المشرفة او تنتظروني في هذا المكان فالامر قريب الاجراء ولا يشغل بالك من هذا القبيل . فاجاب الامير سؤاله وقال له اني انتظرك في هذا المكان الى ان ترجع اليَّ ولا يمكن لي ان اتحرك منه ما

لم تأتني بقومك سالماً من نوائب الدهر وغدرات الزمان ولا ريب متى عرفت اني بانتظارك ترجع حالاً

ثم ان بديعاً ودع اباه وقبل يديه وامر عبدالله مهرين ان يركب بالرجال والفرسان يقصدون مدينة زوال وكيوال فركبوا وساروا . وبقي الامير حمزة في ذاك المكان بانتظارهم وما برحوا سائرين مقدار ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع تقدم امام المعسكر واوسع في الفلاة على امل ان يدخل المدينة قبلهم وما بعد الا القليل حتى خرج اليه فارس من جانب الطريق وهو راكب على جواد عالٍ مدجج بالسلاح فصاح فيه وانحط عليه وقال له سلمني نفسك وما معك تسلم والا اعدمتك الحياة فلما سمع بديع منه هذا الكلام طار الشرار من عينيه وصاح فيه وانحط عليه وضايقه كل المضايقة ومد يده الى صدره واقتلعه من بحر السرج وضرب به الارض واراد ان يكمل عليه ويعدمه فصاح به اجرني ايها الفارس الصنديد واعفُ عن دمي . فقال له كيف اعفو عنك وانت من قطاع الطرق تتعدى على عباد الله تعالى وتسلب ابناء السبيل . فقال له اعلم يا سيدي اني لست رباط طريق ولم تكن تلك عادتي وما انا الا مظلوم طردت الى البراري والقفار فالتزمت ان اعيش او ان اجد لي معيناً وملجأ نال له كيف تكون مظلوماً ومطروداً ومن الذي ظلمك قال ان اسمي كرمان شاه صاحب مدينة المعادن وقد جلست على تلك المدينة بعد ابي وبدئت بالحكم والامر والنهي غير ان عمي واسمه معدن شاه كان اكثر نفوذاً مني واشد باساً فخرج عليَّ واتخذ حزباً من الاهالي فلم يكن لي طاقة على محاربته فهربت منه وملك الكرسي وجلس عليها وانا اتيت الى هذه النواحي خائفاً وقد خطر لي ان اقصد احد الملوك العظام فاتوقع عليه واستجير به ليرجع لي حقي من عمي ويكسب الاجر والثواب . ولما رأيتك طمعت فيك لانك وحيد فحاربتني على عملي وها انا بين يديك فان شئت اقتلني والا فاتخذني لك عبداً فاخدمك طول حياتي وانت خير لي من ملكي واموالي جميعها . فرق له بديع الزمان وقال له اني عفوت عنك ووهبتك نفسك وفوق كل ذلك فقد كدرتني

احوالك واردت انصفك من عمك واعيدك الى ملكك . فقال له ان كان لك اعوان تقدر على ذلك والا ولا مطمع لان الجيش كثير فضلاً عن ان المدينة حصينة وانا وانت لا نقدر على الاتيان بعمل قط . فقال له اعلم يا كرمان شاه اني بديع الزمان ابن لامير حمزة البهلوان قاهر كسرى انو شروان ومذل الجبابرة والفرسان وقد سرت في هذه الطريق وخلفي عساكري تسير وعما قليل يصلون الينا فليرتح بالك من هذا القبيل وليستكن ضميرك فما انا ممن يعجز عن فتح مدينة المعادن فلما سمع انه بديع الزمان عاد فوقع عليه تائبا وقال بجيرتك ايها الامير اجرني فانت وحدك الذي تقدر ان ترفع عني ظلم عمي وتعيدني الى ملكي

قال فطيب بديع بخاطره ووعده بالخير والنجاح وانه يسير به الى مدينة المعادن ويسترجع له الملك من مغتصبه . وبعد ذلك بقليل وصل عبدالله مهرين بالعساكر فرأى مع بديع ذلك الفارس فسأله عنه فاطلعه على امره وما جرى بينهما واخبره بانهم يسيرون الى نجدته ومن ثم ساروا يقصدون مدينة المعادن وقد عرجوا عن الطريق ولا زالوا في مسيرهم حتى اقبلوا عليها وكان قد بلغ معدن شاه قدوم ابن اخيه مع بديع ابن الامير حمزة البهلوان فخاف جداً واقفل ابواب المدينة وحصنها واقام على الحصار وعول ان لا يسلم ما لم يجبر على التسليم . وعند وصول العساكر كتب بديع كتاباً الى معدن شاه يعلمه به بوصوله ويأمره بالخروج والطاعة والتسليم الى ابن اخيه وبذلك يمنع خراب المدينة ويحفظ هرق الادمية فاجابه على كتابه بانه لا يسلم المدينة ولا يخرج الى الحرب وانه يبقى على الحصار الى حين الفرج وعليه فقد امر بديع ان تحتاط المدينة برجاله وخيله وان تقطع الطرقات الموصلة اليها وان يمنع المود وصمم بان لا يبرح من هناك ما لم ينال المقصود ويرغم معدن شاه على التسليم . وبقي على ذلك مدة ثلاثة ايام وعساكر المدينة تتحصن وتتجمع على الاسوار لتقوم في وجه المهاجمين اذا خطر لبديع الهجوم واذا ذاك رأوا عسكراً من وراء المدينة مقبلاً وهو يتقدم الى ناحيتهم

وكان اولئك جماعة الامير قاسم وهو عليهم وكانوا قد لاقوا العبر لقلة الزاد والمؤن وقد صرفوا ثلاثة ايام بدون ان يذوقوا زاداً الا بالتقطير القليل فعرجوا الى تلك المدينـــة املاً ان يصادفوا ما ينهبونه ويسدوا رمقهم ويطعموا خيولهم فوجدوا الابواب مقفلة والرجال على الاسوار فامرهم قاسم بالهجوم فهجموا فلاقاهم الرجال الذين على الاسوار بالنبال فرجعوا الى الوراء فبعث قاسم رسولاً يستخبر عن سبب حصار المدينة فقيل له ان بديعاً ابن الامير حمزة يحاصرهم . فلما سمع ذلك قال في نفسه لقدوصلت الىما اطلب ولا بد لي من قتله في هذه الديار . ثم طلب من رجل على الاسوار ان يدعوا له الملك وبشره بالخير والنجاح فذهب الرجل واخبر معدن شاه بجاءه وحاكاه عن السور فقال له الامير قاسم اذا شئت ان ادفع عنك هذه العساكر واقتل لك الذي عليهم ارسل لي علفاً لخيولنـــا وطعاماً لنأكل وسوف ترى منا ما يسرك في ثلاثة ايام . فقال له هل يمكنك ان تقاوم بديعاً ابن الامير حمزة العرب على اننا لو قاومناه وابعدناه لزحف علينا ابوه برجاله فيهدم البلد ويخربها فاجابه ان كنت لاتعرفني فانا اعرفك بنفسي انا الامير قاسم ابن الامير رستم فرتم بن حمزة العرب وهذا الذي تزعم ان ابن حمزة فما هو الا صياد ابن صياد جاء اليه واستجار به فاجاره فلا تخف منه قط وسوف ترى ما افعـــل لك به لتصدق كلامي وتعرف الحقيقة من المحال . فلما سمع معدن شاه كلامه لاح له وجه النجاح وحالاً امر بان يرسل اليه الطعام والعلف ما يكفيهم الى ثلاثة ايام ففرق العلف والطعام على المعسكر فاخذوا يأكلون وهم بحالة يرثى لها لا يصدقون ان ما بين يديهم هو طعام وكان بديع قد اخبر ان قاسماً قد جاء وانه اخذ طعاماً وعلفاً من المدينة فلم يرضوا ان يعارضوه فقال والله ان تلك نقمة كبرى ولا بد لهذا المجنون ان يأتي الى قتالي فالتزم ان ادافع عني ونقع في القال والقيل وقد تكدر من ذلك غاية الكدر وصار يتمنى ان لا يراه الى ان كان صبـــاح اليوم الثاني اقبل قاسم بجنوده فوقف تجاه بديع ولعب على جواده وطلب ان ينزل اليه بديع ليقتله ويعدمه الحياة وجعل يسبه ويشتمه ويهينه وهو صابر عليه فتقدم منه عبدالله

مهرين وقال له اتأذن لي ان ابارزه واعدمه الحياة فقال له لا اريد ذلك لاني اعرف انه من الجبابرة العظام وانك لا تقـدر على مقاومته ولا بد لي من ان اذله فلا يعود مرة ثانية الى الوقوف امامي وكان بودي ان اتركه وشأنه لكني اخاف من ان يهجم على رجالي فيقتل من يقتل منهم

ثم ان بديعاً اعتلى على جواده كانه الغزال وصال وجال وتقدم من الامير قاسم وقال اني اقسم عليك بجدك وابيك ان ترجع ولا تتعرض لنا لاننا غرباء في هذه الارض وعملك هذا يجعلنا اضحوكة للناس وما انت الا ابن اخي على كل حال فصاح به الامير قاسم وقال لا تزال تنسب نفسك الى السادات وما انت الا دني الاصل وابوك صياد من رعاع الناس فلا تطمع الان بالخلاص من يدي وهذه الساعة انتظرها من زمان واری في قتلك راحة كبرى لنفسي لانك عدوي الالد.فضحك بديع منه وقال صدقت اني صياد وابن صياد وها انا راحل عنكم فدعني منك فلا اريد ان تكون خصمي.فقال لابد من قتلك وان كنت قد خفت من برازي ايها الكلب وابن الكلب فانا لا ارجع عنك فسأقتلك بضربة واحدة. ثم استل حسامه وهجم عليه فالتزم بديع ان يحاوله في قتاله وان يطيل معـه النزال عساه يتعب فيرجع عن عزمه غير انه لما رأى منه عين الغدر وانه يقصد قتله واعدامه ويحاربه محاربة عدو صاح به وانحط عليه انحطاط الصواعق وضايقه كل المضايقة وقد قامت قيامته واحمرت عيناه وخرجت الزبدة على شدقيه وصاح بصوت مرعب حتى سقط السيف من يد قاسم وصار بين يديه كالعصفور الضعيف امام الباشق القوي ثم ان بديعاً مد يده واقتلعه من بحر سرجه ورماه الى عبد الله مهرين وهو ضائع الصواب فتناوله ذاك واخذه الى الخيام والتفت الى قومه فوجدهم قد تقدموا اليه طائعين وقالوا له اي ذنب علينا فما نحن الا مطيعين لامره كما ان رجالك تطيع لك ومع ذلك فاننا نعرف ان لا قدرة لنـا على حربك وقتالك ونصحناه كثيرا فلم ينجع النصح فيه

قـال فرجع بديع من الميدان ولم يرض ان يوقع بهم فعادوا الى خيامهم

ينتظرون ما يكون من امر سيدهم ولما دخل بديع صيوانه تقدم منه عبد الله مهرين وقال له اذا اطعتني اقتل قاسم وارتح من شره قال ويك يا عبد الله اقتل ابن اخي بيدي فماذا يا ترى اجيب ابي اذا سألني على ذلك فما هو على كل حال الا من لحمي ودمي وعلاقة القرابة تدعوني الى الشفقة عليه والعفو عن ذنبه ولابد ان يكون قد ندم على قتالي فاحضره اليّ لاوبخه على عمله . فحالاً احضر قاسم وهو مقيد ولما رآه بديع نهض اليه ليقبله ويترضاه فصاح لا لا اريد ان تقرب مني ايها الصياد الخبيث اتظن ان قلبي يصفو لك او ارجع عن قتلك فاذا اطلق سراحي اريك كيف تكون المكايد وكيف تسطو الرجال . فقال له بديع دع الحقد وانزع الشر من قلبك وارجع الى جدك فان عملك هذا يجعل معسكر العرب في اضطراب دائم وقلاقل لا تنقطع فقال صه يا قليل الاصل ايحق لك ان تفتح فاك على السادات وانت احقر من كلب فاغاظ هذا الكلام بديعاً وامر ان يضرب بالعصي عساه يذل ويعرف قيمة نفسه فاخذ عبد الله مهرين وجماعته في ضربه بدون شفقة حتى تخدش بدنه وسالت الادمية منه وهو لا يزيد الا سباً وشتماً وتهديداً ولما رأى بديع ذلك حركته الشفقة عليه فصاح بعبد الله ان يتركه وتركه فامر بعض رجاله ان يأخذوه الى معسكره وان يوصي رجاله بان تحمله وتذهب من تلك الارض ولا تبيت ليلة هناك . فاخذوه الى معسكره فحملوه واقلعوا من تلك الارض وهو غير واع الى نفسه واقام بديع في مكانه ينتظر قدوم اليوم الثاني ليهجم على المدينة وقدامر العساكر بالتهيؤ والاستعداد

ولما كان اليوم الثاني نهض عبد الله مهرين على نية القتال وتقدم من صيوان الامير بديع فلم يره فدخل وفتش فلم يقف له على خبر فخاف كل الخوف وبعث فتش في كل المعسكر فلم يقدر احد على ان يعرف مكانه فزاد خوف عبد الله مهرين وجمع قواد العساكر واستشارهم في ماذا يفعلون فقالوا له ان من الصواب الرجوع حالاً الى الامير حمزة وعرض هذا الامر عليه فيسعى في خلاص ابنه والا اذا تهاملنا نلام وربما خسرنا سيدنا فاستصوب رأيهم وركب في ساعته وترك مدينة

المعادن وهو بحزن عظيم وقد انتشر الخبر في معسكره فما منهم الا من بكي وحزن لانهم كانوا يحبونهُ كالهِ ويعبدونهُ كالمعبود لما يرونهُ فيهِ من كمال الصفات والشجاعة ولا زالوا يجدون في المسير حتى وصلوا الى وادٍ هناك واذا بعمر العيار قد خرج من ذاك الوادي وهو ينهب الارض جرياً كأنهُ السهم الطيار يكاد يسبق الريح في الجري وباسرع من لمح البصر وصل اليهم وسلم عليهم وسألهم عن بديع فحكوا له ما كان من امره فقال والله هذا خوف اخي . فقال له عبد الله وانت اين تقصد.قال اعلم ان اخي في الليل الماضي رأى حلماً مرعباً وهو انه كان نائماً في برية فرأى شجرة ذات اربعة اغصان لجاء الهواء وقصف منها غصنين فبقي فيها اثنان وكان يميل الى احدهما وينظر اليهِ فرأى فاساً تقطعهُ حتى اصبح على وشك القطع فشعر كأن روحهُ خرجت وصاح من الألم ولذلك انتبه من نومه مرعوباً ودعا بالوزير بزرجمهر واعاد عليه سيرة الحلم . فقال لهُ اعلم ايها الامير ان الشجرة هو انت واما الاغصان فهي اولادك وقد قطع الزمان منهما اثنين فبقي اثنين وهذا الذي تريده هو بديع ولا ريب انهُ بمصيبة كبرى على وشك الموت فزاد ألم الامير وحزنهُ وصاح بي وامرني ان اسعى خلف بديع واكشف اخباره واعود بهِ فسيروا انتم بتمهل حتى اذهب الى مدينة المعادن وابحث عن بديع . ثم انهُ تركهم وانطلق الى مدينة المعادن باسرع من هبوب الريح حتى وصل اليها وكان اهلها قد رأوا بعد بديع ورجاله فتعجبوا وفتحوا الابواب غير عالمين السبب حتى اتاهم الامير عمر فدخل على معدن شاه وصاح بهِ ويلك ايها الملك اكان من امرك ان تعاند حمزة العرب وتقدم على قهره وكيده اما خفت من ان يعود شرّ عملك عليك وبالاً . قال اني ما فعلت مع الامير حمزة امراً واني اخافه كثيراً وحر ما اعرفه ان ابنه بديعاً جاء اليَّ لينزع الملك مني لابن اخي فحاصرت ثم جاء ابن اخيهِ قاسم فحاربه وقهره وطرده ثم رحل بديع بقومه ولا اعلم لرحيله سبباً فقال ان بديعاً مفقود ولذا رحل قومه ولا بد ان يكون عندك علم فاقسم ان لا علم ولا خبر له بذلك فتأكد عمر صدقه وقال لا يمكن معدن شاه ان يقدم على عمل

خطير كهذا . ثم انه خرج من عنده وهو محتار في امره اين يذهب وفيا هو يفتكر خطرت على باله المرآة فاخرجها من جراب اسماعيل ودارها الى الهواء واقسم بما كتب عليها من الاسماء ان تظهر غايته ونظر فيها فرآها قد دارت من نفسها الى جهة وظهر فيها اثر قلعة تتصل بالطريق القائم فيه وهي خرابة قديمة فانطلق انطلاق النسيم حتى وقف في ابواب تلك الخربة وفتش فيها فلم يرَ احداً فتعجب من ذلك وخرج الى الخارج ونظر في المرآة فرآها قد دارت الى جهة القلعة وظهرت فيها تماماً . فقال لا ريب ان الامير داخلها فدخلها ثانية وجعل يفتش فيها الى ان اهتدى الى دهليز ضيق فدخل فيه فرأى في نهايته تراب وعفار وحجار داخل قبو قديم البناء مظلم جدًّا فأوقد شمعة كانت معه فسمع صوت هدير ماء فمال الى جهة الهدير ودخل من باب ضيق كان للقبو فرأى فسحة ونهر يجري من هنـاك وفي وسط النهر سد فنط عليه ونظر فيه فرأى بديعاً ملقى على ظهره وحجراً كبيراً فوق صدره وقد اغرب عينيه وضاع صوابه فطار من عيني عمر الشرار ورفع حالاً الحجر ورماه الى النهر واراد ان يرفع بديعاً من المآء فوجده مربوطاً بحبال واطراف الحبال تربط حجارة ثقيلة في المآء فحالاً نزع ثيابه وغطس في المآء واخذ سكيناً بيده فقطع الحبال وصعد الى وجه المآء حيث كانت تغمر بديعاً فحمله ووضعه في جراب اسماعيل وهو باكي العين حزين القلب لانه لم يرَ نفساً في صدره وهو كالثلج من شدة البرد ولما صار في الخارج جعل يقمز قمزات الغزال ويقطع الارض ركضاً حتى كاد يهلك وبساعات قليلة دخل بين العرب وكان الوقت ليـلاً فلم يرض ان ينبه احداً ولا ان يضيع الوقت عبثاً لكنه قصد صيوان الوزير بزرجمهر فايقظه من النوم واعاد عليه ما كان من امر بديع واخرجه من الجراب وقال له وهو يبكي انظر يا سيدي اهل فيه بقية حياة فنظر فيه الوزير ووضع المرآة على فمه . ثم صاح بعمر لا تخف فهو حي فاعجل بالنار فاضرمها بكثرة واحضر الاجر واحمه فان البرد كاد يميته ولم يتم الوزير كلامه حتى كان عمراً قد احضر كل ما طلب واخذ الوزير في ان يدفي جسم بديع ويسكب في فيه المنبهات الحارة ويفرك بدنه وقد

امر عمراً ان يفرك جسمه بقطع الصوف السميك وداوما على العمل حتى اخذت الحرارة في ان تعود الى جسمه والصقيع يفارقه ولا اشرقت شمس النهار التالي حتى فتح بديع عينيه ونظر الى هذه الدنيا بعد ان قطع رجاءه منها واذ ذاك سقط الهم عن قلب عمر العيار وثبت لديه نجاح عمله باقل من القليل وجعل يطمن بديعاً عن حاله فسأله بديع ابن انا الان فقال له لا تخف فانت في معسكر العرب عند ابيك وبعد قليل ياتيك وانطلق عمر الى صيوان اليون شاه ليجتمع باخيه ويطلعه على القصة

وكان عبدالله مهربن قد وصل في تلك الصباح بعساكر سيده وهو حزين على فراقه لا يعرف ابن هو ولما اجتمع به الامير حمزة ساله عن حال سيده وكيف رجع وحده فقال والله يا مولاي لا اعرف له مكاناً ولا اعرف كيف فارقنا لاننا غنا عند المساء وفي الصباح نهضنا فاذا هو مفقود فصفق الامير من الاسى وقال والله كنت من مثل هذا خائفاً ولا بد ان يكون قد وقع في امر وبيل او ان احد العيارين سرقه وجعل يبكي بالرغم عن تجلده وتصبره لانه كان يحب بديعاً كثيراً فصعب عليه الامر وكاد يخسر عقله ويرجع الى حالته الاولى بعد فراق مهردكار غير انه في تلك الساعة دخل عمر العيار وبشائر الخير والسرور على وجهه فقال له بشر يا عمر اهل نظرت بديعاً قال نعم وهو في معسكره منذ الليل في صيوان الوزير بزرجمهر ثم اعاد عليه واقعة الحال وكيف رآه على تلك الحالة المميتة فنهض الامير في الحال وتبعه الكبير والصغير منهم وساروا الى صيوان بزرجمهر ودخلوا على بديع الزمان فوجدوه على ما تقدم وهو في السرير والى جانبه الوزير فالقى الامير نفسه عليه وجعل يقبله وضمه الى صدره وفعلت مثله جميع الامراء والملوك وفرحوا ببديع غاية الفرح . ثم سأله ابوه عن سبب ذلك فقال لا اعلم ماذا جرى عليّ وجل ما اعلمه اني دخلت صيواني فنمت تلك الليلة وما عدت وعيت الا في هذا المكان . فزاد تعجب الجميع وقالوا من يا ترى فعل هذه الافعال وقدم على مثل هذا العمل العظيم مع ان لا عدوا لنا الان فقال بزرجمهر اني اظن ان العمل

كان من كسرى ووزيره ولا اغالط نفسي في ذلك

فاجاب الامير ان هـذا لا نتحققه وكيف يجسر كسرى على ذلك بعد ان عاهدناه على الولاء والحب وان لا نضر بعضنا فضلًا عن انه ضعيف الجانب الان قليل الجند قال ان ذلك منه تعالى لان المدائن ستخرب على يديك وتهدم الى الاساسات فاذا انتهى الصلح ولم يبد الشر منه لا يمكن ان تتعدى العهد فتبطل ارادة الله وحاشا من ذلك ولا بد ان تتأكد صدق قولي فقال انه يترجح لي ذلك ولكن يلزم ان نتحققه كي لا نندم فيما بعد على عمل نعمله فقال عمر اني اسير الى المدائن واقف على حقيقة الخبر واعود اليكم باقل من يوم وسأعرف ان كان هذا التعدي منهم او من غيرهم . فاذن له حمزة بالمسير ومن ثم انطلق على اجنحة الريح حتى جاء المدائن فتزيا بزي حجابهم ودخل الايوان ووقف بين الخدام دون ان يسمع لذلك خبرًا او يرى من ذلك اثرًا فبقي على حاله وما من واحـد يذكر العرب فارتاب في ذلك وقال لولا شكوكي بخباثة الفرس لحكمت ببراءتهم من هذا العمل وعندما خرج كسرى من الايوان خرج بختيار الى جانبه ووراءهما الخدم فاختلط بينهم عمر وقبل ان فارق احدهما الآخر . قال بختيار اني ادعوك يا سيدي في الغد الى وليمة عنـدي وهي وليمة اخذ الثار لان النار ساعدتني فلم تضيع دم ابي وابيك هدرًا ولا ان تساعدني الى النهاية . فقال ممن اخذت الثار اهل قتلت الامير حمزة . قال قتلت من هو اعظم منه وهو ابنه بديعاً وهلك اي هلاك . قال وكيف ذلك قال لا يمكن ان اشرحه لك الان خوفاً من انتشار الخبر لان الناس تشيع ذلك اذا عرفت به فيصل الخبر الى مكانه ويضيع تعبنا سدى ولكني في الغد احكي في بيتي . فاظهر كسرى سروره وحبوره وقال له انعم بك من وزير عاقل خبير حكيم فلو كان ابوك مثلك لما وصلنا الى هذه الحال ولكن النار عظيمة المقدار لا تدوم على غضبها فلما سمع عمر هـذا الكلام قال والله ان هذه المرة تكون آخرة الاعجام ولا ادع اخي يفارق هذه المدينة حتى يهدم اسوارها ويدك حصونها ويجعلها قاعاً صفصفاً فبئس الركون الى

هكذا قوم لا يعرفون الخالق الجبار ويؤمنون ببول الحمام وبلهيب النار ولا بد لي البقاء في هذه الديار الى ان اكتشف على حقيقة الاخبار

ثم ان عمرًا بقي تلك الليلة في المدينة وجعل همه التفتيش على مكان يتزوي اليه في بيت الوزير ليلة الغد فطاف من حواليه وتسلق جدرانه كانه فرخ من الجان حتى عرف منافذه وزواياه ومخابئه فقال في نفسه لا بد لي من ان اجيء في الغد الى هنا وانظر في اي مكان يسهرون فاقف في احدى النوافذ واسمع الكلام وانام في آخر تلك الليلة الى ان كان مساء اليوم القادم جاء الوزير بكسرى من الايوان الى قصره فدخلاه وحدهما ولم يكن بينهما ثالث فدار عمر من خلف القصر وتسلق الجدران وركب الحيطان وتخلل المنافذ كأنه عفريت من عفاريت سليمان حتى جاء المكان القائم فيه كسرى وبختيار فوقف تجاه نافذة في اعلاه وتعلق بيده وبقي صاغياً الى ان اكلا الطعام وشربا المدام وغسلا الايادي وحينئذٍ سأل كسرى وزيره عن معنى كلامه في الامس فقال اني احب ان لا يعرف احدًا ذلك حتى ولا الخدم ثم ابعدهم من الغرفة ولم يبقَ احد . فقال له اعلم يا سيدي ان دم ابي يصرخ اليَّ دائماً الثار فتمسكت بجبال النار وسألتها المعونة والمساعدة وصفيت لها كل نيتي ودعيت بجماعة من المياربن الذين كنت اذخرهم لمثل هكذا عمل وقلت لهم من قبل ان يرحل العرب من هنا يلزم ان تختلطوا بينهم وكل ما يجد شيء تخبروني به لاني اريد ان احرق قلب الامير حمزة على ابنه بديع الذي كان سبب هلاك الفرس وتأخيرهم عند المصلب . فاطاعوا كلامي وساروا مع معسكر العرب وصاروا كاناس منهم فالفوا الخدم وباعوا واشتروا الى ان رحلوا فرحلوا معهم ثم رجعوا واخبروني ان بديعاً سافر الى مدينة زوال وكيوال فقلت لهم وهل لم تصلوا اليه قالوا اننا كنا نخاف من عمر العيار لانه لا ينام الليل ولا يترك واحدًا في الطريق الا ويقبض عليه وينظر فيه فكنا نتزوي في الخيام خيفة منه ننتظر غيابه فلم يغب واما الان وقد غاب عنه عمر وصار يمكننا ان نسرقه فقلت لهم هيا اذهبوا بالعجل واذا قبضتم عليه فارسلوا لي خبرًا في الحال كي اسير اليه واعدمه

الحياة بنفسي واذيقه مرّ العذاب . فساروا وما غابوا الا قليلًا من الايام حتى جاءني احدهم واخبرني انهم وجدوه يحاصر مدينة المعادن فسرقوه وجاءوا به الى قلعة الخراب فسرت من هنا في الحال فوجدته مبنجاً وملقياً على التراب الى وسط النهر ووضعته على سد من الحجارة وربطت يديه ورجليه بالحجارة وانزلتها بالماء ووضعت حجرًا كبيرًا على صدره والماء تضرب فوقه احياناً وقلت في نفسي ان هذه اشد الميتة شوءماً من ميتة ابي فتشفى قلبي ونلت مرادي . فلما سمع كسرى هذا الكلام اظهر السرور والابتسام وقال لقد اصبت في عملك ولا ريب ان روح ابيك تتقلب على اشد جمرات النار فهو عبد طائع لها

قال ولما سمع عمر العيار هذا الكلام طار الشرار من عينيه وقال والله العظيم لا بد من هلاككما معاً وخراب هـذه الديار . ثم قفز الى الارض وانطلق من هناك يقصد معسكر العرب حتى ادركهم في ذاك المكان الذي تركهم فيه فدخل على اخيه وهو في صيوانه والى جانبه ابنه بديع وباقي الملوك والامراء والسادات يتباحثون بشأنه لانه وعدهم انه يرجع بيوم فبقي يومين ولما رأوه فرحوا به وسأله الامير اذا كان وقف على الحقيقة . فقال لقـد وقفت على عين الحقيقة وجعل يعيد عليهم ما سمعه حتى شعر الامير بان الارض قد انطبقت عليه وكذلك بديع فانه تحرك الى اخذ الثار والانتقام من عدوه الذي يريد قتله وقال والله يا ابي لقد قتلنا الحية وابقينا رأسها فما من امل بالرجوع من هنا الا بقتل بختيار . وكذلك قال باقي السادات والامراء واما الوزير بزرجمهر فقال لهم ان الراي الصائب الذي اراه هو ان تكتبوا كتاباً الى كسرى انو شروان تطلبون به ان يسلمكم بختيار في الحال فاذا اجاب قتلتموه ورحلتم ولكن ارى انه لا يمكن ان يسلمه ولو هلك الفرس باجمعهم فتسيرون تحت حجة انه خرق العهود والشروط وتحتجون عليه بخبثه وخداعه ولا بد ان كسرى يحتج ان لا علم له بما جرى على بديع وفي الحال كتب الامير كتاباً وارسله مع الشاه ذئب الى كسرى انو شروان يسأله تسليم وزيره بختيار وارساله في عاجل الحال . ولمـا وصل الكتاب الى كسرى

وقرأه شعر برجوع العداوة الى العرب ودفع الكتاب الى بختيار وقال له [illegible]
يا ترى يطلب العرب تسليمك وهم لا يعلمون انك عدوهم ولا يعرفون لك ذنباً.
فقال بختيار. كلا يا سيدي فليس انا قصدهم وجل قصدهم نزع الملك منك فجعلوا
ذلك بداية شر ووسيلة عناد ولا ريب انهم اجتمعوا الى بعضهم فاشار عليهم
بزرجمهر الخائن وقال لهم ان من الاوفق ان تكونوا انتم حكام المدائن فيلبس
الامير التاج ويصير هو كسرى ورأوا انفسهم قادرين على ذلك فوافقوا عليه. الا
يعلم انالفرس لا يخضعون للعرب ما زال فيهم بقية رمق وانا اعرف قصدهم اكيداً
والا اي قصد لهم بذلك مع اننا ما اذنبنا ذنباً وما اذنبنا الا كذنب ابن آوى مع
الاسد. قال وكيف كان ذنب ابن آوى مع الاسد

قال حكوا ان اسداً قصد السفر الى مكان بعيد فصادف في طريقه ابن
آوى فسأله عن حاله فاعرض عليه امره وسأله ان يصحبه فقال اني اخاف منكان
تغضب عليّ فتفترسني فاقسم له ان لا يفترسه ما لم يجترم ذنباً فقطعا سهولاً ورمالاً
وكثباناً حتى وصلا ارضاً صخرية لا رمل ولا تراب فيها وكانت قاحلة فجاع
الاسد واراد ان يختلق جريمة لرفيقه فالتفت وقال له ارفق بمشيك فقد ملئت
وجهي غباراً فاجابه ابن آوى لما كنا في الارض المرملة ما كنت تقول ملئت
وجهي غباراً فاين الغبار الان ونحن نمشي على صخور فاظهر الاسد غيظه وقال
اتجعلني كاذباً وهجم عليه فافترسه. وهكذا العرب يريدون ان يختلقوا ذنباً من
غير اصل ولكن الغاية نزع الملك منك فانظر الى نفسك والسلام. فاجاب
كسرى اني اعرف ذلك وقد خطر لي هذا الامر ولا بد لي من عنادهم ما زال
رستم غائباً وبديع قتل وما ذلك الا علائم السعد الطالعة في بروج افقنا فاكتب
الرسائل الى مملكتي واطلب اليها ان تسرع بالعساكر والجنود ولا بد ان اجعل
في هذه المرة انقراض العرب والتفت كسرى الى الشاه ذنب وقال له اخبر مولاك
بكل ما سمعت وانا لا نرحل اليه ولكن اذا جاء الينا دافعنا عن نفوسنا
وتركناه عبرة لغيره فقد طال امره واستفحل ولم يعد يحفظ زمام الوفاق الذي بيننا

فخرج الشاه ذئب وسار في طريقه حتى وصل الى العرب ودخل على الامير حمزة واخبره بكل ما كان من كسرى فزاد غيظ الامير وقال لقد اخطأ كسرى عليه فاني اقسم بالبيت الحرام وكل من طاف وسجد حوله وبالله العظيم إله الخليل ابراهيم اني ما رجعت عن المدائن ما لم ادمرها الى اساسها ولا بد من قتل بختيار ولو كان دونه جبال من نار لكن قبل كل شيء يلزمنا ان نختار ملكاً من العرب نقيمه عليكم لتكونوا تحت راية واحدة . فقال بزرجمهر هذا لا بد منه لان بعد قباط لم يقم غيره فاختاروا لكم ملكاً منكم . فنهض الملك النجاشي وقال لحمزة في كل مرة تقولون ان نختار ملكاً مع اني ملك قديم العهد وابني وريثي فيمكن ان تختاروه ملكاً . فقال الامير ان هـذا الامر لا يليق بي وحدي بل بسادات العرب فمن ينتخبونه عليهم يكون الملك . قال الامير عمر لا يمكن ان يكون ملكاً الا الذي استحق الملك بالهام منه تعالى لان اخي عند ما كان على المصلب يقاسي نزاع الموت قال اني اهب مملكة العرب لكل من يصرخ الصوت الاول تحت المصلب لخلاصي . فاول من صاح تحت المصلب الامير سعد ابن الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان والثاني بديع الزمان وغيرهما لا يستحق الملك والسيادة على الجميع . فقال الملك النجاشي اذا كنتم لا ترضون بي ولا بابني فاني ارحل عنكم ولا اقيم بينكم فاخذت الحدة الامير كسابق عادته وقال له اتظن ان العرب بحاجة الان اليك فاذا اقمت بيننا كنت العزيز الكريم والا فلا نحتاج اليك فخرج الملك النجاشي وابنه وركب بجماعته وكل عساكره وقصـد المدائن ليقيم عند الملك كسرى انو شروان فزاد كدر الامير حمزة منه وقال لا كان هو ولا من يحتاجه

ثم ان السادات قالوا لحمزة اعلم ايها الامير اننا كلنا نرغب في الامير سعد لان بديعاً لا يرغب في ان يكون ملكاً وما ذلك الا اكرامـاً لامه طوربان وتذكاراً لابيه الذي قتل في خدمة العرب لاسيما وانه من اشرف الناس بيننا فان اباه ابنك وامه من العائلة الكسروية وزد على ذلك انه استحق السيادة وفقـاً

لوعدك وفي الحال نادى الامير حمزة للملك سعد اليوناني ونشر ذلك في كل محل وعين قاضياً عليهم الوزير بزرجمهر وسألوا سعد في ان يختار وزيراً اخر من العرب فقال سعد من كان وزيراً في زمن ابن عمي قباط قالوا كان عمر العيار فقال واياه اريد ولا يمكن ان اقبل سواه فقالوا لقد اصبت وفي الحال رفعوا التاج على راس الامير سعد والبس الثوب الملكي واقيم له الخدم والحشم فصار يجلس في الصدر على التخت في مكان الملك قباط بن مهردكار . ثم ان الامير قال من الصواب ان نركب نحن في الاول ونقصد المدائن ومعنا الذخائر والانعام وبعد ثلاثة ايام يركب الملك بموكبه ويتأثرنا وبعد ان يتم اجتماعنا نهجم على المدينة فاجابوه الى ذلك فركب وركب الامراء وقسم عظيم من الجند وساروا حتى وصلوا الى المدائن فنصبوا خيامهم وسرحوا انعامهم واقاموا بانتظار الملك وقد رأوا عساكر المدينة وقد ملئت السهل والمدينة وعددها الف وسبعمائة الف مقاتل

وكان النجاشي لما وصل المدائن انزل عساكره في خارجها ودخل على كسرى انو شروان ووقف في حضرته وقال اعلم ايها الملك اني لما رأيت عمل حمزة وتعديه خالفته فلم يقبل النصح فتركته وجئت اليك لانضم الى عساكرك واقاتل العرب معك ولي امل تقبلني عندك كواحد من فرسانك ومعاونك وحينئذ قال بختيار اعلم ايها الملك الاعظم ان السعد قد اقبل وقلت لك مراراً فلم تصدقني مع ان في زمن اشتداد الحرب وضيقة العرب لم يترك احد الامير وينضم الينا واما الان وهم في حال السعة والفوز يتركونه وما هذا الا من الهامات النار وتوفيقها ولا بد ان يترك الامير كل قومه اللائذين به ولكن يركضوا خلف هذا يجب ان تقيم الملك النجاشي خفيراً بلادك وتسكب عليه انعامك وتخلع عليه الخلع السنية فيسمع بذلك باقي الفرسان فيأتون ركضاً . فاستصوب كسرى هذا الراي وانعم على الملك النجاشي وخلع عليه الخلع النفيسة وقربه جداً منه وجعله خفيراً لبلاده وحارساً وعين له الرواتب الباهظة وجعل الفرس يكرمونه ويعظمونه ويخدمونه لنفسه فهذا ما كان من النجاشي واما ما كان من الامير قاسم ابن الامير رستم فانه

بعد ان اخذته رجاله ورحلوا به وعى الى نفسه وقال لقومه ان ابن الصياد فازعليَّ هذه المرة ولا بد لي من ان اقتله واعدمه الحياة واجعل اخر ايامه من الدنيا فقالوا مالك وله فاننا الان في فاقة وفقر وليس عندنا ما ناكل او ما نلبس وقد كادت ثيابنا ان تعدم ولم يبق عندنا ما ناكله لاكثر من اسبوع فقال سيدبرنا الله وصار ينتقل بهم من مكان الى مكان حتى فرغ الاكل منهم واصبحوا عراة وتمزقوا ثيابهم واذ ذاك شكوا له حالهم وقالوا لم يبق في وسعنا ان نحتمل اكثر مما احتملنا فقال لهم مرادي ان ارجع الى جدي وانضم اليه فيقبلني ويجعلني عنده كباقي الفرسان فنشبع لان خيراته كثيرة وعنده ما يكفي اهل الارض بالطول والعرض. فوافقوه على ذلك وساروا حتى جاءوا معسكر الامير وهو قائم تجاه عساكر الاعجام فدخل عليه الامير قاسم وقبل يديه وقال له لقد جئت اليك طائعاً يا جداه فاقبلني واعف عن ذنبي ولا تفتكر باسيتي وقد قيل ليس للمجنون غير اهله وانت جدي وعندك خيرات كثيرة وانا وقومي نكاد نهلك جوعاً ولنا سبعة ايام لم نذق طعاماً . فلم يلتفت اليه الامير وتذكر عمله مع بديع فقال له ارجع من حيث جئت فانا لا ارغب ان اجمع اليَّ المجانين ولا يمكن ذلك فاذهب فان امامك معسكر الاعجام وفيه ما يكفيك ويكفي جماعتك الى الابد فلا تطمع بالقيام عندي بعد ان فعلت ما فعلت بعمك بديع وانا اعرف اذا بقيت هنا يغضب عمك ويلتزم ان يتركن ويرحل وانت لا يمكن ان تصبر على اهانته فارحل في هذه الساعة فقال له اسمح لي ياجداه ان ابقى عندك فاخدمك في حربك مع العجم واعوض عليك اضعاف الاضعاف ولا سيا الان جائع وليس لي ما اسد الرمق به فاملئ لي بطني واتركني . قال لا اسمح لك ولا بقطعة خبز يابس فارحل. فزاد هذا في غيظ قاسم وقال له انت لا تقبلني وتغفر ذنبي مع اني كنت تائه فاهتديت وضالاً فوجدت ولكني لا اترك خدمتك وستراني بين يديك دائماً . ثم خرج من عند جده والدموع تملئ عينيه بما جرح قلب الامير ولا زال سائرًا حتى جاء قومه فقال لهم ان جدي لا يشاء ان يقبلني فهلموا بنا نهجم على الاعجام

ونسلب منهم طعاماً لنا وعلفاً لخيلنا فاطاعوه . وفي الحال ركبوا خيولهم وهجموا على معسكر الاعجام واخذوا في ان يقتلوا الرجال وينهبوا الاموال ويدوسوا الاطفال وكانوا كانهم زنابير خرجت من اوكارها وقد استقتلوا من شدة الجوع فاهلكوا كثيراً من الفرس وتخللوا الخيام ونهبوا شيئاً كثيراً وكان كسرى مجتمعاً مع وزرائه واعيانه . فقال له بختيار اعلم يا سيدي ان لا يقهر قاسماً هذا الا الملك النجاشي فمره يخرج اليه ليقصف عمره وينهي امره ويريحنا من شره وفي الحال قال كسرى للنجاشي ارنا فعلك الان في هذا اليوم فقد اعهد اليك باذلال هذا المجنون فاجاب في الحال وركب بابنه وخرج الى ساحة المجال ومن خلفه عساكر الحبشة فوجد الامير قاسم على تلك الحال فحمل عليه فالتقاه وقال له ويلك يانجاشي كنت عند جدي الامير حمزة في ارفع مقام فماذا جئت تعمل عند الاعجام . فقال له لقد تركت العبد وتمسكت بالسيد ومن كان ذا عقل يفعل هكذا . فصاح فيه الامير قاسم وحمل عليه كانه الاسد الكاسر وضايقه كل المضايقة وخطفه من بحر سرجه وسلمه الى رفاقه وهجم على ابنه فاخذه اسيراً وعاد به وقال خذوهما الى جدي الامير حمزة ليعرف كيف يكون السيد وكيف يكون العبد ومن ثم عاد الى الاعجام يقتل ويذبح حتى تمكن من الذخائر والمهمات فاخذ مايكفيه ورجع بقومه ورجاله وقد حير الافكار وابهج الانظار

وكانت فرسان العرب تتفرج عليه وتنظر قتاله لان الامير حمزة بعد ان خرج من عنده تأثر من كلامه وحن اليه وقال لو لم يكن ابن ابني لما كنت ارضى عليه زماني بطوله على ما فعله مع ولدي بديع فاذهبوا في اثره حتى اذا رأيتموه مغلوباً مع الاعجام ساعدوه لئلا يصاب منهم بنكبة فاجابوه وتقدموا فرأوا افعاله فوقفوا يتفرجون متعجبين من اعماله وعادوا الى الامير فاخبروه بما رأوا فتعجب من قاسم وقال اني اعرف انه من الفرسان العظام لكنه قليل العقل حد الطباع ورجع قاسم الى المكان الذي ضربت خيامه به فجمع قومه وفرق عليهم الزاد والعلف واكل حتى شبع ومن ثم نهض وسحب خلفه النجاشي وابنه ودخل الى

صيوان جده وقال له اني لا احتاجك يا جداه فقد حصلت بسيفي احتياجي لكن لا اترك خدمتك وانت بالحرب مع الفرس وها قد جئتك بملك الحبشة وابنه تفعل بهما ما تختار لانهما خانا عهدك وخرجا عن طاعتك ليعرف كل من يريد الخروج من السادات ان عندك من يقهرهم وياتي بهم للتربية. وحينئذ رضي الامير على قاسم والتفت الى النجاشي وقال له من الذي طردك من المعسكر حتى فعلت هذه الافعال وصرت تؤسر وتهان مع انك طول عمرك عندنا في ارفع مقام ولم يصل اليك وها انا اعفو عنك الان ولا اطيق ان اراك في الاغلال وقد خدمت العرب واهل الايمان ثم امر عمراً ان يفكه فتقدم منه ومن ابنه وفكهما وارجع اليهما سيفيهما واعتذر اليهما . فتقدم النجاشي من الامير حمزة وقال له اسمح لي عن ذنبي فاني انا الجاني على نفسي ولو انك قتلتني لما لامك احد بل كان الجميع يعذرونك على ان الانسان اسود الرأس يقبل العوارض باقرب سهولة

فنهض اليه الامير وقبله في عارضيه وصالحه وقدمه من الملك سعد فاظهر له طاعته وقبل بسلطته وطلب من الامير ان لا يشيع امره الى ان يكون رجع بعساكره من بين الاعجام لئلا يوقعون بهم فاجابه وقال له اذهب من هذه الساعة وأتي بهم تحت ظلام الاعتكار دون ان يعلم احد بذلك فاطاع وذهب تحت الظلام حتى جاء المكان المقيم فيه رجاله فامرهم ان يرحلوا بالعجل دون ان يبدوا حركة او يتركوا الاعجام تعرف بهم وبوقت قريب صاروا بين العرب وعادوا الى ما كانوا عليه قبلًا وقد فرحوا بذلك غاية الفرح لانهم كانوا خائفين من سطوة الامير حمزة ورجاله ويعرفون اقدامهم وشجاعتهم وعملهم في الاعداء حين القتال ولا سيما الامير بديع الزمان

وادنى الامير حمزة الامير قاسم منه وقال له لا يجب ان تعود الى ما كنت عليه قبلًا واريد ان تريني عملك في الاعداء نهار الغد . فقال في نفسه اني لا اعمل معك شيئاً لانك جدي واما ابن الصياد فلا بد منه ومن قتله . ثم قال لجده اذا تركتني وحدي للاعجام فعلت كل مايرضيك وباتوا تلك الليلة الى الصباح وعند الصباح امر

الامير ان تضرب طبول الحرب فضربت وركب ورکب بنوه وفرسانه وتقدموا الى ساحة المجال ففعل الاعجام مثلهم ولما كمل ترتيب الفريقين صاح الامير حمزة واقتحم ساحة المجال فاجابه ابنه بديع الزمان بصوت كالرعد القاصف وارتمى على الميمنة وفعل مثله هارون البطل المجنون والامير قاسم واندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وكل بطل وفارس من العرب ولم يمض الا ساعة من الزمان . حتى اختلط الفريقان . وراج سوق الحرب والطعان . وقامت القيامة وكثرت الندامة وقلت السلامة واشتعلت نار القتال . وهاجت الابطال كما تهيج فحول الجمال.وجعلوا يقتتلون بقلوب مملوَّة من الاحقاد وبهمم اشد من همم الاساد وكان يوماً عظيم الشان . به سالت الادمية كالغدران . وتدحرجت الرؤوس على بساط الصحصحان . وتطايرت الرؤوس عن الابـدان . وتقطعت الايادي من الاكتاف . وسطا سلطان الموت والتلاف . وما جاء المساء حتى هلك من الفريقين عدد غير قليل ولا سيا من الاعجام . وعند اقبال الظلام . ضربت طبول الانفصال فعادوا الى الخيام ينتظرون مجيء الصباح ليعودوا الى ما كانوا عليه

وفي صباح اليوم التالي نهض الامير وتقدم بقومه وفرسانه فالتقاه رجال الفرس فكثر القيل والقال واتسع سوق المجال وارتفع الغبار . وغابت شمس النهار . واضطرمت نار الحرب وكثر القتل والضرب واجتهد فرسان الفريقين وحكم سلطان الموت في الطائفتين وكان ذاك اليوم اعظم من اليوم الاول وما جاء الظلام وفي المقاتلين بقية رمق واذ ذاك عادوا عن الحرب وقد اشفى الامير حمزة قلبه من اعاديه وقتل منهم مقتلة عظيمة وكذلك بديع الزمـان وهو يود ان يصل الى كسرى وبختيار ليأخذ لنفسه منهما بالثار غير ان كثرة العساكر والفرسان وازدحام الفرس كانت تمنعه فيلتزم ان يقتل فيهم ليقلل من عددهم وهم لا يزالون على ازدياد لتوارد المدد وتكاثر المدد

قال الراوي ودارت الحرب بين الفريقين في ذاك المكان مدة خمسة عشر يوماً على التمام وفي مساء اليوم الخامس عشر وهو اليوم الاخير الذي تنقرض فيما

بعده دولة الفرس وتهدم المدائن اجتمع السادات في صيوان اليون شاه عند الامير حمزة وفي صدر الصيوان سلطان العرب سعد اليوناني والوزير بزرجمهر وعمر العيار وحينئذ نهض بديع الزمان وقال يا ابتاه لقد طال علينا المطال ولم اكن راض من هذه الحرب التي هي بلا ترتيب ولا انتظام وقد اخذني الضجر واريد منك ان تصغي لي وتسمع لقولي لنجعل في اليوم القادم النهاية ونهلك هذه الطائفة الكافرة بدين الله سبحانه وتعالى واتوصل انا من غايتي وهي قتل بختيار وهدم المدينة فقال الامير هذا لا بد منه لاني اقسمت بالله وبالبيت الحرام اني لا ارجع ما لم اهدم المدينة واقتل بختيار فبماذا تشور قال ان الرأي عندي ان تقسم الفرسان والابطال حول معسكر الاعجام فيحملون من كل جانب ويوقعون بهم دفعة واحدة . قال لقد خطر لي ذلك مراراً لكن انهم عند ما يرون الغلبة يدخلون المدينة ويقفلون الابواب ولذلك ارغب في مطاولتهم قال اني اقسم لك بالله العظيم وبحياة جدي ابراهيم ان لااترك احداً يدخل المدينة فاني اسير في هذه الليلة برجالي على مؤخرة جناح الفرس الايمن وعند ما تحملون من كل الجهات احمل انا من تلك الجهة فلا ارجع حتى اقف عند باب المدينة وامنع العجم من الدخول وقبل ان يتمكن كسرى من الدخول اكون ملكت الابواب فلا تعود تقفل في وجهنا فاستصوب الامير هذا الراي وقال له اختر لك رفيقاً من الفرسان ليساعدك على ذلك. فقال اني لا احتاج الى مساعد واعرف من نفسي اني اقدر على هذا. ثم ان بديع الزمان نهض وركب بقومه تحت ظلام الاعتكار واقام في تلك الناحية التي وافقه ان يقيم فيها . وبعد ذهابه امر الامير ان يتفرقوا في ذاك الليل على الترتيب حول معسكر الاعجام وعند مايحمل هو في الصباح يحملون من كل ناح فلا يتركون من الاعداء واحداً قط وينهون العمل في ذاك النهار . فاخذ كل واحد من الفرسان والسادات قومه واقام في ناحية الواحد بعد الاخر وقد احاطوا بعساكر الفرس على شبه دائرة ولم يبق الا جهة المدينة فقط

قال الراوي وكان صباح اليوم الثاني صافياً رائقاً خرجت شمسه من خباها

وتجلت على البسيطة فرمقتها باقل من لحظة من مشرقها الى مغربها فخر لها رجال الفرس سجداً قبل ان نهضوا الى خيولهم . ثم نظرت الى تلك المتقاتلين حزينة عليهم وعلى ما يكون من امرهم في ذاك اليوم العظيم الشان مؤكدة ان الغبار سيحجبهم عنها بعد قليل فلا تعود تقدر على اختراقه لترسل اليهم باشعتها ولذلك ودعتهم وداع اليأس . لما رأتهم قد اعتلوا على خيولهم وتقلدوا بنصولهم وتقدم الفرسان الى ساحة الصدام غير عالمين بما تدبر لهم في خبايا الايام . واذ ذاك تقدم الامير حمزة على جواده اليقظان كانه البرج المشيد واشهر في يده الحسام ورفع راسه الى جهة السماء واستعان بالله سبحانه وتعالى كما كان يفعل في كل يوم وطلب منه المعونة والنصر ثم صاح بصوته المعتاد ليسمعه فرسانه انه باشر القتال وما حمل الفرس من ناحية الا رأوا الارض قد انطبقت عليهم من كل ناحية . وقام القتال واشتعل الصياح . وانحدرت المصائب من كل ناح . فقامت عليهم القيامة وايقنوا بقرب الرواح . وانه قد دارت عليهم دائرة الاتراح . فينقرضون انقراض الرياح وكان بديع الزمان . فارس فرسان ذاك الزمان . قد حمل حملة اسود خفان . واقتحم عجاج ذاك الميدان . وهو ينادي بافصح لسان ويلكم ايها الاعجام خلوا عن هذا المكان . واطلبوا الهرب الى البراري والكثبان . وتخلوا عن ماككم وبختيار الخوان فقد ادركتم بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان . وكان ينحط انحطاط القضاء على الكفار المستحقين غضب العزيز الجبار . فيقصف الاعمار . ويفعل افعالاً تبهر الانظار . وتحير الافكار . وهو يطرد الفرسان من بين يديه فتقع على الارض عند سماع صوته وتختبيء تحت بطون الخيول لتختفي عن عينيه وهو لا يسكن ولا يأخذ لنفسه راحة ولا زال مغيراً يفتح في الاعداء طريقاً حتى وصل من الابواب باقل من ساعتين فامتلكها واوقف بعضاً من رجاله عليها وحمل على مؤخرة الفرس ليدرك بختيار وكان حمزة قد فعل افعال الجان وهو يقتل في جماعة كسرى انو شروان حتى تراكمت حواليه القتول وصارت كالتلول العالية وهو يتطاير على جواده اليقظان من مكان الى مكان فيمدد بالرجال على بساط

الارض ويرسل بارواحها الى الحسبان في يوم العرض وكذلك الامير قاسم . البطل المزاحم وهارون البطل المجنون . واندهوق بن سعدون وملوك التركمان . والمعتدي حامي السواحل سيد الفرسان وفرهود صاحب التكرور البطل المنصان . وقاهر الخيل وباقي الرجال والشجعان . واما عمر العيار فانه ترك ابنه الشاه ذئب بين يدي اخيه حمزة يدور من حواليه وانسل بين تلك السيول كانه الثعلب وكلما عارضه فارس او راجل ارسل خنجره الى صدره فالقاه قتيلاً في الحال حتى وصل من ابواب المدينة فوجد بديع الزمان قد ملكها وهو يجول كانه الليث الاكول ويبتلع الرجال في سيفه فيزدردها باسرع من لمح البصر فقال في نفسه لله درك يا ابن حمزة فقد اشبهت اباك في القتال وفقت على سائر الابطال والرجال . فلو كنت معنا من اول عدواة كسرى لانتهى معنا الامر باقل من شهرين . ثم كرَّ راجعاً ينادي بصوت المعتاد ويخبر الاعجام بامتلاك البلاد فكانوا يسمعون صوته فيهجمون عليه فيلاقيهم . ويعدمهم الحياة ويرسلهم الى عالم الاموات واذا رآهم وقد كسروا واحاطوا به وضايقوه ضرب رجليه الى الارض ونط من فوق رؤوسهم كانه يركب الهواء فيطيعه كيف يريد ان يسير عليه

ولما رأى بختيار الى تلك المصيبة التي وقعت عليهم التفت الى كسرى وقال له ان الفرس قد اصيبوا ولا امل بالنجاة فانزل عن تختك واتبعني لننجوا بانفسنا ما زلنا قادرين الان والا اذ وقعنا بايديهم قتلونا لا محال . قال ادخل بنا المدينة لتقفل ابوابها . فقال وهذا لا نقدر عليه الان لاني اسمع العرب يقاتلون عند المدينة قتالاً عظيماً وربما ملكوا الابواب قبل ان نصل اليها فنقع في ايديهم ويمسكوننا مسك اليد فهلمَّ الان في الهرب الى البلد الاقرب فان البلاد واسعة واحلافنا كثيرون ولا بد ان نرى لنا ملجأ نأوى اليه . وفي الحال ركب كسرى جواداً وخرج من تحت الاعلام وابقاها في مكانها وانسحب هو ووزيره من بين تلك العساكر المضطربة التي كانت تميل تارة للغرب وطوراً للشمال ولا زالت رجال العرب تقتل وتضرب فيها حتى افنت اكثرها وسلم الباقون وما جاء المساء حتى

دخلوا المدينة بالفرح والزينة وصعد ملك العربان الايوان وجلس في الديوان وجعل الفرسان والامراء تجتمع من حواليه وبعد ان تم انتظامهم سأل الامير حمزة عن كسرى ووزيره اذا كان احد رآهما او نظرهما . فقال عمر اظنهما هربا في اول الامر لانه لما مالت الفرس او كادت تميل قصدت العلم الاكبر لاراقب حركة كسرى وانظر اذا كان يدخل المدينة لنقبض عليه عند الباب فوجدت العلم فارغاً منه وتأكدت هربه فقال الامير لا بد من التفتيش عليه والمسير في اثره ولو بلغ السبع الطباق وقد اقسمت على قتل بختيار فلا ارجع ابداً وان صدقني ظني يكون ذهب الى جهة الشرق فقال بزرجمهر نعم ان اكثر اعوانه وانصاره في تلك الجهة ولا بد انه سار في ذاك الطريق . وارى الان من المناسب ان نقيم في المدينة مدة خمسة عشر يوماً نخرج الاهالي منها وبعد ذلك نهدمها ولا نبقي لها اثراً فلا يعود ملوك الفرس يسكنون فيها فيما بعد ولا يرجعون اليها لان الله سبحانه وتعالى قد جعل هدم هذه المدينة على يديك منذ الاول وها قد آن الاوان وقسم ذلك العزيز الرحمن

قال وحينئذٍ امر الملك سعد ان تجمع الاموال والخزائن وكل الذخائر التي كانت مع الفرس وفي خزائنهم الى اموال العرب يقتسمونها عند سنوح الفرصة وقال لوزيره عمر العيار في الغد اخرج الى الاهالي وامرهم ان يبارحوا المدينة في مدة خمسة عشر يوماً فلا يبقى منهم فيها انسان فينقلون امتعتهم وكل مالهم دون ان يعارضهم احد لان مرادنا هدم البلد وخرابها فنكون بذلك قد اخلصنا ذمتنا مع الاهالي فلا تعدم الرحمة من قلوبنا فاستصوبوا الجميع هذا الراي وبقي العرب في المدينة خمسة عشر يوماً والناس تخرج منها باكية عليها نائحة على املاكهم وارزاقهم وعلى ما كانوا يرجونه فيها ودام الحال على هذا المنوال حتى انتهى الاجل المضروب فخرج العرب ولم يبق في المدينة احد وحينئذ امر الملك سعد اليوناني بهدم المدينة فاندفعت عليها الرجال واخذوا في خرابها وهدم ابنيتها واسوارها وقد امر حمزة ان يبقوا فقط القناطر التي كان عليها الايوان لكي يتذكرها كل من يمر من هناك

ويعرف فعل العرب رجال الله ببلاد الكفرة الظالمين وما مضى على العرب ثلاثة ايام حتى دمروا تلك المدينة الى اساساتها ولم يبقوا حجراً على حجرالارسم الايوان المذكور وحينئذٍ جلس على التراب وسجد لله سبحانه وتعالى وشكر من كرمه وفضله وفعل مثله كل العرب وكان يوماً عظيماً مقدساً عند العرب كثر فيه الصلاة والشكر لله تعالى . ومن ثم عادوا الى الخيام واجتمعوا الى صيوان اليون شاه الواحد الى جانب الاخر ليعرفوا كيف يسيرون وماذا يقصد الامير . فقال حمزة حينئذٍ اعلموا يا سادات اني اقسمت بالله وباجدادي اني لا ارجع عن قتل بختيار بخاطري وقد هرب من بين يدي مع الملك كسرى ولابد لي من المسير خلفهما لو بلغا مطلع الشمس ولذلك اريد ان اعرض عليكم واطلق لكم الحرية في ذلك وافوض اليكم بالامر فمن شاء منكم ان يسير معي يكون اكمل جميله ومن شاء ان يرحل الى بلاده فهو مخير فليخبرني لاعطيه قسمه من الاموال ويرحل من هذه الديار قبل قدومنا على الاسفار وانا متشكر منكم شاعر بجميلكم ومعروفكم وكرم اخلاقكم والذي فعلتموه معي لم يفعله اولادي ولا احفادي وانا اعرف انه قد طال المطال عليكم واشتقتم الى الاوطان والاهل والخلان . فلما سمع الفرسان كلام الامير قالوا له عن صوت واحد اننا لا نفارقك حتى تدخل مكة وتنام مرتاحاً من كل عدو وخصم وقد خدمناك منذ الشبوبية حتى صرنا كهولاً فاعتدنا عليك واوليتنا من الجميل مالا نقدر على وفائه واننا منذ هذه الساعة مصممين على المسير بين يديك حتى لو بلغت بنا اخر الدنيا فاما ان نموت عندك واما ان تنال غايتك وتقهر عدوك وتذله وترتاح من كل نكبات هذا الدهر فضلاً عن اننا نرغب ايضاً في ان نزيد الاموال التي بين يدينا فتتضاعف ونرجع فيما بعد باموال العالم اجمع . فشكر الامير حمزة من كلامهم وقال لهم اني اعرف صدق محبتكم لي وقتالكم بين يدي وبقي علينا ان نعرف الى اين توجه كسرى انو شروان ووزيره بختيار لنسير في اثرهم . فقال الوزير بزرجمهر لا يكشف لنا هذا الخبر الا الامير عمر العيار

فاجاب عمر امر الوزير وسقط عن كرسيه الى الارض وودع العرب وانطلق في جهات الله الفسيحة يستعلم عن المكان المقيم فيـه كسرى انو شروان وجعل يستنشق الاخبار ويستعلم من الدراويش ومن اصحاب الفنادق في الطرقات وبقي في مسيره حتى وصل الى مدينة كبيرة واسعة جدًا فدخلها وهو مغير زيه وطاف فيها فوجدها مقسومة الى ثلاثة نواح فتعجب من ذلك ورأى ان اهل الناحية الاولى يلبسون الابيض كلهم على نسق واحد واهل الناحية الثانية يلبسون الاحمر واهل الناحية الثالثة يلبسون الاخضر من كبير الى صغير ولا يتخلل تلك الالوان لون اخر الا اذا كان الغرباء فقط فزاد تعجبه واراد ان يعرف لذلك سبباً فتقدم من احد الشيوخ وقال له اريد منك يا سيدي ان تخبرني عن سبب انقسام هـذه المدينة ولبسهم وما اسمها واني غريب هنا مررت بها ولا احب ان افارقها قبل ان اعرف ذلك . فاجابه الرجل اعلم ايهـا الدرويش ان هذه المدينة تسمى دشتمغال وسبب قسمتها ليس بامر عجيب فان ملكها السابق كان مرتاحاً فيها فخرج عليه امير من امراء النواحي اسمه الصدام وكان فارساً شديدًا وشجاعاً عظيماً فقتل الملك وحاصر البلد حتى يفتحها فاجتمع الاعيان واتفقو بان يعلنوا في المدينة ان من يقدر على براز الصدام وقتله يكون الملك والحاكم والا فيسلمون البلد اليه فقام من المدينة رجل لم يكن يظن فيه الشجاعة اسمه بالكان المطال فتعهد بذلك وخرج اليه مع العساكر وقاتله فقتله وهزم قومه وعند رجوعه نادى الاهالي باسمه واقاموه ملكاً فجلس علينا لكنه خاف من ان يندم الاهالي لكثرتهم فيغدرون به ويخونونه ويجتمعون الى بعضهم ففصل بينهم وقسمهم الى ثلاثة اقساماً والبس كل منهم لوناً من الثياب كما ترى فلا يختلطون فصاروا كانهم ثلاثة شعوب في بلد واحد وكلهم يطيعونه لانهم رأوه شجاعاً باسلاً وقد وسع ملكه وامتدت سطوته وصار يعد اعظم من كسرى مالاً ورجالاً مع اننا كنا قبـلًا من اتباعه ورعاياه

فلما سمع الامير اظهر امامه التعجب ثم تركه وسار الى ديوان الملك بعد ان

ترياً بزي حجابه كي لا يعرفه احد وحال وصوله نظر في الصدر فرأى الملك جالساً وعن يمينه كسرى انو شروان ووزيره بختيار وهما يطنبان بمدح بالكان الهطال وهو يعدهم المواعد الحسنة ويظهر لهم انه لا بد من ان ياخذ لهم بالثار من العرب ويقتل لهم الامير حمزة ويبدد شمل رجاله فاقام عمر مقدار ساعة يسمع ويرى ثم خرج متعجباً من بسالة الملك ولا زال سائراً حتى وصل الى حد معسكر العرب ودخل على صيوان اليون شاه فترحب به الملك سعد وسأله اذا كان وقف على خبر من جهة كسرى ووزيره فاعاد عليهم ما سمع ونظر . فقال له حمزة كيف رأيت الملك بالكان قال اختبرته بمعرفتي فرأيتـــه شجاعاً مقداماً حتى كدت ان اميزه على فرسان هذا الزمان ولذا انصحكم منه ان تتحرسوا لنفوسكم فما هو كغيره من الفرسان فصاح فيه حمزة ويلك اتخيفنا الفرسان ونحن سادات هـــذا الزمان وسيوفنا صقيلة ورماحنا طويلة وقد اهلكنا الوف الوف من مثل بالكان. قال اني اخبرتكم بما رأيت وسوف تتأكدون كلامي وترون بانفسكم انكم ستتعبون معه ثم انهم باتوا تلك الليلة مصممين على السفر عنـــد الصباح وقد امر الامير بان في الصباح يركب كل فارس بقومه ويسيرون . ولما كان الصباح نهض الامير من صيوانه فوجد جواده اليقظان مسرجاً ملجماً فاعتلى عليه واذا بالملك سعد قد خرج بموكبه الى الوسط وانتشرت فوق رأسه الاعلام والرايات ومشى بين يديه الخدم والحجاب كانه كسرى في زمن عظمته وعلو شانه وتقدم الامير امام الجميع وبين يديه عمر العيار كانه السهم الطيار يتفحص الابطال والفرسان ولما انتهى ركوب الجميع تحركوا عن تلك الارض وزحفوا سائرين الى نواحي مدينة دشتمغال وكانوا يتقدمون شيئاً فشيئاً غير مستعجلين خيفة من تعب العساكر وبقوا على ذلك مدة ايام الى ان وصلوا من الوادي المودي الى المدينـــة فدخلوا وتقدموا فيه وقبل ان يصلوا الى نصفه واذا وقع عليهم من اعالي الجبـــل سهام ونبال كانها زخ الامطار فاضطربوا وارتعدوا وخافوا وايقنوا بالهلاك اذا بقوا سائرين على تلك الحال لانهم لا يتمكنون من الوصول الى الاعالي ليحاربوا من

هناك فضلًا عن انهم لا يرون احدًا وحالاً امر السلطان سعد بالرجوع ورجع هو في الاول ولما وصل الى السهل انتظر الفرسان فكانت تتراكض اليه هاربين من الموت وقد تشتت جانب ليس بقليل ولما ارتاح بالهم واطمأن خاطرهم جعل الامير يلوم عمرًا وقال له لقد قصرت في الفحص وكان من اللازم ان تصعد انت وعياروك الى الاعالي قبل مرورنا حتى اننا متى علمنا بهكذا خيانة وغدر دبرنا امرنا ونظرنا الى وسيلة نقطع بها هذا الوادي الذي لا طريق لنا الا منه وقد قلت يا عمر ان بالكان الهطال من الابطال فقد ظهر انه من الانذال الاوباش الذين اعتادوا على الغدر والخبث فمن كان شجاعاً لا يقاتل الرجال الا مصادمة ونزالاً ليعرف قيمة ومقدار نفسه من غيره قال اني قلت ولا ازال اقول وسوف تعرف ذلك عندما تختبره . واما الان فلبقوا هنا الى ان اصعد على جوانب الوادي وافحصها بنفسي وانظر من هناك وادبر طريقاً اخر نمر فيه ولا نصاب باذى ولا ضرر

ثم ان عمرًا ترك الامير وجعل يقفز قفز الغزال وباقل من دقائق قليلة صار في الاعالي ونظر فيها فلم يرَ احدًا من الرجال بل وجد الاثار موجودة فعرف انهم تركوا المكان ورجعوا ومع ذلك لم يرتح ضميره حتى تقدم قليلًا الى الامام فلم يرَ احدًا قط فثبت عنده ذلك ورجع الى اخيه واخبره برحيل الكامنين . فقال الملك سعد لا ريب ان بالكان الهطال يريد وصولنا اليه ومحاربتنا وجهاً لوجه والا بعد ان ابعدنا عن هذا المرور كان يقدر ان يمنعنا من الاجتياز فيه اذا وضع في اعاليه قليلًا من الرجال وبايديهم النبال لانه مضيق صعب السلوك . قال الامير اخاف ان تكون تلك مكيدة منه حتى اذا تنصفنا الوادي عادوا الينا وهم كامنين في جهات اخرى . فقال عمر لقد بعدت في البحث فلم ارَ احدًا ومع ذلك فاني اضع العيارين في الاعالي يديدبون لنا الاعداء حتى اذا رأوهم ودلوا نبهونا فنستتر الى ان نجتاز . قال حسناً ذلك وركب الامير في الحال بعد ان راقب العيارون جوانب الوادي وبساعات قليلة قطعوه آمنين دون ان يحصل عليهم ما حصل في الاول وحينئذٍ تقدموا حتى وصلوا الى مقابل مدينة دشتمغال فاتخذوا لانفسهم مكاناً

حصيناً اميناً نزلوا فيه وسرحو انعامهم وكتب السلطان سعد رسالة الى بالكان الهطال يطلب اليه ان يقبض على كسرى ووزيره ويرسلهما اليه في الحال وبذلك يرتفع من بينهما القيل والقال ولا يكون حرب ولا قتال لانهما عدوان له ولا يمكن ان يتخلى عنهما واذا ابى تسليمهما حاربوه وقاتلوه ونزعوا الملك منه واهلكوه ودمروا بلاده. ثم اخذ الكتابة سيار وسار حتى دخل المدينة وسلمها الى بالكان الهطال فقرأها علنا وكان بختيار يخاف من ان يجيب طلب العرب بعد ان عرف بما لهم من الصولة والاقدام حتى رآه تكلم فسأل الرسول من انت وما اسمك . فقال له اسمي سيار ابن عمر العيار . فقال ارجع الى سيدك واخبره ان ما يرجوه محالاً وان لا بد في الغد من الخروج اليهم فاخذ اكابرهم واسر فوارسهم وانكس اعلامهم واقتل كل عنيد منهم واذلهم الى اخر الزمان حتى يتأكدون بالكان الهطال ليس كمن لاقوا من الرجال . ثم كتب الجواب على هذا المنوال وارسله الى السلطان سعد فقرأه على رؤوس الفرسان وعرفوا منه ان بالكان الهطال شجاع وانه يريد حربهم وقتالهم ليختبر نفسه

وصرفوا تلك الليلة تحت مشيئة وارادة العزيز الرحمن وعند الصباح نظروا الى جهة المدينة فوجدوا ابوابها قد فتحت واندفقت منها الرجال كانهــا الزنابير الخارجة من الاكار وجعلوا ينصبون الخيام ويضربون الاطناب ويدبرون مراكزهم والعرب تتفرج عليهم وعلى مناظرهم وقــد تفرقوا الى ثلاث فرق كانهم ثلاث قبائل كل فرقة الى ناحية وكل منهم يلبس لبساً يخالف الاخر وكان عدد الذين خرجوا يبلغ الستمائة الف فارس وفي الاخير خرج بالكان الهطال بموكب عظيم كباقي الملوك والسادات ولما صار في الوسط ضرب له صيوان من الحرير الاحمر على عواميد من الفضة البيضاء وعلى اعاليها تفاحات من ذهب تدهش النواظر فنزل فيه وبعد ذلك ارسل رسالة الى العرب يسألهم فيها رفع الحرب بين العساكر وانه يريد ان يحاربهم فارساً فارساً فلا تضر العباد ولا تهلك الاجساد. فلما سمع الامير حمزة هــذا الكلام قال لقد صدق الامير عمر في مقاله ويظهر لي انه من

الابطال المعدودين وعلاوة على ذلك فانه عاقل وحكيم ويريد ان يرفع القتال ليحقن دماء العساكر الذين لا ذنب ولا جريمة عليهم وجل ما يريد ان يقاتل انفسه بالبراز وهذا الراي نجيبه عليه ويكون القتال بين فارس وفارس على الدوام فاجابه السلطان الى طلبه ووافقه عليه وباتوا تلك الليلة على نية المباكرة الى الركوب

وفي صباح اليوم الثاني ضربت طبول الحرب والكفاح فخرجت الفرسان من مراقدها الى خيولها فركبت عليها واعتلت على ظهورها وتقدمت بصفوفها افواجاً افواجاً حتى اذا بلغت الحد الاخير وقفت بترتيب وتدريب الواحد وراء الآخر واذ ذاك خرج بالكان المطال من صيوانه وهو مسربل بالحديد ومتضدد بالزرد النضيد كانه الليث الشديد فعلى ظهر الجواد وتعدل ومشى الى الامام حتى صار في الوسط ثم امر الخدم ان ترجع الى الوراء ليخلا له الميدان فرجعوا وحينئذٍ اطلق لجواده العنان ولعب به على اربعة اركان الميدان ثم وقف في الوسط واشار الى العرب بالبراز فاحدق به الامير وفحصه بخبرته فوجده من الفرسان العظام واذ ذاك برز اليه معقل البهلوان وصدمه صدمة جبار عنيد وبطل صنديد واخذ معه في القتال والصدام الى ان علت الشمس وتظاهر النهار وحينئذٍ طال بالكان المطال على خصمه فضايقه كل المضايقة وانقض عليه واخذه اسيراً وقاده ذليلاً حقيراً وعاد الى حومة الميدان واذا باصفران الدربندي قد التقاه وتجاول واياه مقدار ساعتين من الزمان فاخذه اسيراً وقاده الى رفيقه وعاد يطلب القتال وقد اعتز بنفسه وتوهم النصرة والظفر على الامير حمزة وما وصل الى الوسط حتى كان قاهر الخيل صار امامه فتجاول واياه وتبادلا الاخذ والرد والقرب والبعد والضرب والطعن حتى فات الظهر فهجم عليه بالكان وتناوله من بحر سرجه وحذفه الى الخدم فاخذوه الى رفيقه وعاد وصال وجال وطلب سرعة النزال وان تبرز اليه الفرسان فنزل اليه فرهود صاحب التكرور وكان كما تقدم من الابطال الصناديد فصال وجال ولعب جواده من اليمين الى الشمال . ثم صدمه واخذ معه في القتال . ودار بينهما دولاب الاعمال واشتدت المصائب والاهوال . وعظمت الاحوال

وكانا فارسين صنديدين وبطلين عظيمين حيرا بقتالهما الفرسان . واشغلا خواطر الشجعان . وما برحا على مثل ذلك الى ان قرب الزوال وعندها استطال بالكان على خصمه وخاف ان يفلت من يديه فزاد عليه العيار الى ان تمكن منه فانحط عليه واخذه اسيرًا وسلمه الى خدامه لاجل شده بالحبال ورجع من ساحة المجال كانه الاسد الريبال فتلقاه بختيار وكسرى وترحبا به وقد اطمأن خاطرهما وثبت لديهما انه سيأسر العرب اجمعين وينزل بهم الهلاك المبين واظهرا له ذلك وقال له كسرى من يوم نحن نقاتل العرب ما قدرنا نأسر منهم فارساً وقد اسرت اليوم اربعة من الروؤس العظام فقال لا بد في الغد وبعد الغد من اسر الباقين وحينئذٍ ترجعون الى بلادكم بالعظمة والمجد وتبنون مدينتكم وتأخذون اموالكم من العرب وفوقها كل ما تختارون فاثنيا عليه وصارا بنعمة وراحة . واما العرب فقد عادوا الى صيوان اليون شاه ودار بينهم الحديث والكلام فقال عمر الم اقل انه فارس عظيم فقال الامير نعم ولكن ليس كما قلت وقد اختبرته بنفسي فوجدته يعد بين الرجال والابطال لكن لا يقدر ان يثبت امام اشداء العرب وسوف تنظر بعينك اذا بارزته انا او بارزه ابني بديع ماذا يحل به فاراد اندهوق ان يطلب من الامير ان يعهد اليـــه بالقتال في اليوم الاتي غير ان الامير قاسم نهض واقفاً على الاقدام وسبق الجميع الى طلب قتاله وقال لجده اني اقسم عليك بالعزيز الجبار ان لا تدع احدًا في الغد يبارزه سواي لاريك ماذا افعل به وكان الامير يعرف ان قاسم من جبابرة ذاك الزمان وانه ربما يعادل بالكان المطال وكان قد صمم بعد ذلك ان لا يعود يكسر بخاطره ولا يمنعه من كل ما يطلبه . فقال له افعل ما انت فاعل وقد اذنتك ببرازه في الغـــد ففرح قاسم وتفرق العرب وهم على هذه الحال

ولما كان الصباح . وضاء نور الشمس ولاح خرج بالكان كاليوم الاول وفي ظنه انه في ذاك اليوم يأسر عشرة او عشرين من فرسان العرب وما لحق ان صال وجال حتى سمع صوت الامير قاسم وقد انحدر من بين عسكره وفاجأه في وسط

المجال . فالتقاه بالكان وسأله من تكون من الفرسان فقال ويلك اليوم اخر ايامك الا تعلم اني الامير قاسم ابن الامير رستم فرتم ابن حمزة البهلوان وقد خرجت لانهي امرك واعلمك كيف تفعل الفرسان فلا تعود مرة ثانية الى مخاصمة السادات الذين خدمهم الزمان . فقال له لقد قيل لي عنك مجنوناً فلم اصدق حتى رأيتك فاثبت واتق قتالي . ثم حملا على بعضهما البعض وتضاربا فوق تلك الارض . وقد ارتفع فوقهما الغبار حتى غابا عن الابصار . وهما في طعن شديد وضرب يفك الزرد النضيد ودامت بينهما الحال من الصباح الى قرب الزوال ولم يرَ احدهما نجاة الاخر طريق لنوال المرام وحينئذٍ خاف بالكان ان يرجع خصمه الى قومه فيحط ذلك من قدره لانه طول زمانه ما قاتل فارساً ورجع من بين يديه سالماً فاقتحمه ودار من حواليه وانحط عليه ولاح له فرصة فمد يده اليه واقتلعه من بحر سرجه لانه كان قد تعب وكل ومل وضعف عزمه ولم يقدر على الدفاع فسلمه الى قومه ورجع الى خيامه واخذ كسرى في ان يثني عليه وهو يعتز بنفسه ويتعاظم واما الامير حمزة فانه تكدر من ذلك كثيراً وقال لا بد لي من ان ابرز اليه بنفسي في الغد لانه يظهر شديد الباع ولا اريد التطويل معه . فقال بديع مهلًا يا ابتاه اتبارز انت فارساً وابنك بديع بين يديك فلا بد ان ابرز اليه في الغد وانهي هذا الامر وكان بودي ان امنع قاسماً غير اني خفت من شره ومن ان يهينني وتأكدت انه لا يرجع فقال السلطان سعد اني بامر جدي اذنت لك البراز في الغد وانا اعلم انك تأخذه اسيراً وتريحنا من شره ومن ثم نقبض على كسرى ووزيره ونرجع في الحال . فوافق الجميع على ذلك الراي وتيقنوا ان بديع الزمان يفوق بالكان المطال في ساحة الحرب والطعان

وفي اليوم الثالث خرج بالكان على جواده مدججاً بالسلاح محفوفاً بالخدام والحجاب وبعد ان اصطف الصفان وترتب الفريقان خرج الى ساحة المجال ومال الى جهة الشمال يلعب على جواده في ساحة القتال . وفي عاجل الحال خرج بديع الاسد الريبال واطلق لجواده العنان الى جهة اليمين واعاد يتقلب الواناً واشكال .

حتى حير عقول الرجال وبعد ان حمي جواد كل من الاثنين وقفا في الوسط ترمقهما كل عين . وحينئذ قال بالكان لبديع من انت ومن تكون من الفرسان لانه يظهر لي انك من الابطال الشداد مع ان لك جسم الاولاد . قال ويك انا بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان وما قصدت الخروج اليك الا لينفصل بيننا الامر في اقرب وقت وليس من الصواب ان يطول الى اكثر من ثلاثة ايام.وقد اوصاني ابي ان لا اضر بك وآذيك وهو يمدح من شجاعتك واقدامك ولكن يتعجب كيف منعت عليه خصميه . قال انهما دخلا تحت زمامي فامنتهما واجرتهما ولذا التزمت ان لااسلمهما الا متى قهرت وغلبت فيكون ذلك بالرغم عليّ لا بارادتي ولا باختياي على اني اعرف من نفسي اني اقدر على اسر العرب اجمعين وحينئذ اكون قد قمت بوعدي وكان من الصواب ان يخرج اليّ ابوك وبذلك تفصل الحال فاما ان ياسرني واما ان اسره . فقال ايتنازل ابي لقتال من مثلك وعنده من الفرسان كل واحد يلقى العشرة الاف والعشرين الف فبعد ان تبارز الصغار يعود الى قتالك الكبار وانا لا اصلح عبداً لغيري من الفرسان في البراز وسآخذك بعونه تعالى في هذا اليوم اسيراً وادعك تعترف بفضل العرب

ثم ان الاثنان صاحا وهجما وبربرا ودمدما . والتقيا واصطدما . وقد قوما الرماح واكثرا من الصياح وتقلبا على ظهور الجوادين . كانهما اسدين صنديدين . وقد وسع عليهما المجال . وكثر في حقهما القيل والقال . ومدت الى نحوهما اعناق الرجال ليروا كيف تنتهي بينهما الحال . وهما في صدام وجولان . وضرب وطعان. وقد تطايرت من اسنة رمحيهما النيران . وامتد فوقهما رواق من الغبار . كانه غيمة كثيفة واسعة الانتشار . فاحتجبا عن الانظار . واختفيا عن الابصار فلم يعد احد يراهما كالواجب بل يلوحان كشبحين تحت تلك الكثافة التي كانت تزيد وتسمك كلما امتد النهار وتقدمت الشمس الى وسط الزرقاء ولا يسمعون الا الصياح من الاثنين هذا وبديع الزمان مع خصمه في قتال شديد وطعن يفك الزرد النضيد وهو يجول ويدور من حواليه كانه الغول . ويزيد عليه العيار واذا لقي منه ضربة

ضربه عوضها اثنتين وكان في الاول يطيل بروحه عليه ولو كان مراده قتله لقتله في مـــدة ساعتين لكن اراد ان يتعبه ويكربه ويهجم عليه فيأسره ورأى بالكان ان بديعاً ليس هو كباقي الفرسان بل هومن الابطال الذين يندر وجودهم او الذين قيل عنهم انهم يقاتلون الجان . ولما توسط النهار لحظ بديع ما حل بخصمه من التعب والملال . وقد اشرف على شفير الهلاك والوبال . فهجم عليه كالاسد الريبال . وانحط عليه كقضاء الله المتعال . وقد صاح به فخبله وضيع وعيه وعقله وصاح بصوت ارتجت منه الجبـــال والوديان . وطرق كل اذن من آذان اولئك الفرسان . وقد سمعوه يقول وينادي بفصيح اللسان . لعينيك يا حمزة البهلوان . سيد ملوك العربان . ومذل الجبابرة والشجعان . فانظر الى فعل ابنك بديع الزمان . ثم مد يده وانتشله من عن ظهر الجواد . وهو ضائع العقل حائر الفؤاد وخرج من تحت الغبار كانه الاسد الكرار يحمله فوق يـــده كما يحمل الليمونة وعاد الى العساكر وقد فرح به الجميع ونادوا بالفرح والسرور ومامنهم الا من تعجب من فعل بديع ومن شجاعته وهم متيقنون انه واحد ذاك العصر واشد من نقل الحسام . ثم انه القاه امام ابيه فهجم عليه عمر العيار وشد كتافه وقاده ذليلاً حقيراً ورجع العربان الى الخيام واجتمعوا في صيوان اليون شاه وهم فرحون بهذا النصر على بالكان المطال لانه كان قد ارعبهم عمله وخافوا ان يطول امرهم معه

واما ما كان من كسرى وبختيار فانهما عند ما رأيا بالكان اخذ اسيراً ايقنا بالهلاك فارادا ان يهربا ولذلك قالا لاعيان المدينة هلموا بنا ندخل البلد ونقفل الابواب وننظر في خلاص سيدكم فرجع العساكر طائعة لهما فامراهم ان يتفرقوا على الاسوار والابواب وانفرد بختيار بكسرى وقال هلم نهرب من الجهة الثانية ونخرج في الحال والا هلكنا وراحت منا الارواح فما من رجاء بعد في هذه المدينة وقد اسر حاكمها وهو الان اما يسلم فيطلق واما يكابر فيبقى في الاسر وتحيط العرب بالمدينة فيفتحونها ويقبضون علينا فاخذا ما يحتاجان اليه من النقود وخرجا من الباب الثاني وتركا المدينة وهما لا يصدقان بالخلاص بزمـــان العرب ويلعنان

حمزة وتلك الايام التي اوصلتهما الى هذه الحال يسيران في الطرقات كاللصوص

فهذا ما كان منهما وسنرجع الى ذكر حديثهما بعد قليل واما ما كان من الامير حمزة فانه دخل صيوان اليون شاه وجلس في مقامه وجلس كل فارس على كرسيه واستوى السلطان على عرشه وهو يمدح من بديع ومن بسالته ثم ان الامير امر باحضار بالكان فخرج اليه عمر واحضره فدخل من الصيوان ونظر الى الجميع غير خائف ولا وهمان وجعل ينتقد الفرسان واحداً بعد واحدٍ وهو باسم السن ضاحك فاغتاظ منه الامير حمزة وصاح به ويلك اهل انت داخل الى جماعة من النسوان . فلما هذا الاحتقار . فاجاب كيف لا افعل ذلك وممن اخاف . قال الا تعلم انك الان تحت طائلة القتل والعذاب وبعملك هذا تقتل وبعملك تخلص قال ومن يقدر او يجسر على ان يؤذيني او يمد اليَّ يداً . قال الذين انت في اسرهم . قال اني لا اخاف منهم ولا احسب لهم حساباً ما زال لي من يحميني من غدرات الزمان ويدفع عني نكبات الايام ويقطع كل يد تمد اليَّ . فزاد عجب الامير من كلامه وجسارته وقال من ذا الذي يحميك ويعضدك قال اعلم ايها السيد ان لي جدٌّ عظيم المقدار لا نظير له في هذا الزمان قد انتشر صيته من الغرب الى الشرق وخضع لديه كل جبار عنيد وفارس صنديد وسيد مجيد وتمنت الملوك الكبار ان تكون له من الاعوان والانصار . وفضلًا عن ذلك فان لي اباً اذا توسط الميدان ذلت له جبابرة هذا الزمان وخافته الاسود في مرابضها ودانت له تحت ركابه وتخدم جنابه . فضلًا عن ان عمي الليث الكاسر والبطل القادر اذا صاح بصوته مالت الجبال . او اشهر سيفه سجدت له عظام الملوك والابطال . فهولاء مع عائلتي الشريفة الذي ضرب لها في هذا الزمان طنب على رؤوس السلاطين والاعيان . فقال اوضح من هم اهلك وذووك فلم اسمع بطول زماني قط عن اناس كالذين تعني عنهم فمن هو جدك وابوك ومن يكون عمك الذي تتهددنا به وتتفاخر بصولته وبسالته . قال اما جدي فهو الامير حمزة البهلوان مذل الجبابرة والفرسان . واما عمي فهو بديع الزمان الذي اشتهر امره لدى العيان . وابي رستم واني انتقد

الفرسان عساي اراه واعرفه قبل ان يعرفني فلم اعرفه حتى الساعة

قال فلما سمع الامير هذا الكلام نهض واقفاً على الاقدام عن غير قصد وقد اخذه العجب من هذا الامر وقال لبالكان اوضح جلياً من اين انت وكيف ان رستم فرتم والدك ومن هي امك فقد ادهشني امرك واشغلني . وفي ذاك الوقت دخلت امرأة من باب الصيوان وهي تقول العفو ايها الامير فلا تمدد يدك الى حفيدك فتندم لانه ابني من ابنك رستم فرتم فقال لها من انت . قالت انا حسانة بنت هندام زوجة ابنك كما تعلم وقد ولدت هــذا الغلام فلما سمع ذلك تقدم والقى بنفسه عليه وجعل يقبله وفك قيوده بيديه وقال له لما عملت هذه الاعمال وكيف لم تعلمنا بنفسك في الحال قبل ان يقع عليك منا الاذى فتندم . قال ارجوك المعذرة يا سيدي فان الطمع قد لعب برأسي واني كنت اعرف انك جدي وان العرب قومي واهلي غير اني اردت ان ابارزهم جميعاً كعدو فلا يعرفونني قط وفي نيتي اني اقودهم اليَّ اسارى ومن ثم اظهر لكم نفسي فيصير لي الحق ان افتخر عليكم جميعاً غير ان الزمان ارجع مقاصدي بالخيبة والفشل فوقعت بين يدي عمي بديع الزمان

ثم ان الامراء تقدموا من بالكان الهطال وسلموا عليــه وهنوه بالسلامة وفرحوا به الفرح الذي لا يوصف وحينئذ سألت حسانة عن الامير رستم فقال له الامير هو حي وقد غاب عنا ولا نعرف الان في اي مكان لكن لا بــد من رجوعه الينا وعودته علينا فكوني مع ابنك براحة وطمأنينة الى ان يرجع واخبريني كيف كان حديثك كل هذه المدة وكيف عاش ابنك وكبر وعند من تربى وما الذي اوصله الى هذه الديار . فحكت له حسانة كل ما جرى عليها وتوقع لها من الاول الى الاخر

وذلك بعد ان كان تزوج الامير رستم فرتم بحسانة كما تقدم معنا في بابه في جزائر هندام وتركها ورحل وبقيت عند ابيها وكانت حامل بهذا الغلام وبعد ان رحل العرب عاد هندام الى عبــادة الاصنام ونكران الرحيم الديان ومال الى

السجود الى النار كما كانت عادة اكثر اهل اولئك الازمان غير ان حسانة بقيت على عبادة خالقها سبحانه وتعالى فكانت تعبده سرًا وتصلي في خلوة ولاتدع احدًا يطلع على امرها . ولما تمت اشهر حبلها وضعت غلاماً بديع المنظر جميل الخلق كانه ابوه رستم . فسمته بالكان وجاء اليها ابوها واوصاها بان تكتم عن ابنها امر ابيه وان لا تخبره ان العرب قومه وان أباه منهم لئلا يعرف قومه فيلحق بهم ويقتل في احدى حروبهم فوافقت أباهـا على ذلك وجعلت تربيه وتدربه على حسب معرفتها ومشتهاها لكنها كانت تقول له ان اباه الامير هندام ولا زال يكبر ويترعرع حتى شب وخرج آفة من الافات شديد الساع قوي الذراع وقد تعلم العلوم باجمعها ورأى هندام منه ذلك وشاهد قوة بأسه ومقدرته اجتهد بان علمه جميع أبواب الحرب والقتال وفنون الطعان والنزال وكلما زاد في العمر تقدم في الشجاعة والبسالة حتى فاق على رجال بلده من الكبير الى الصغير وصار لا احد يقدر ان يقف في وجهه أو يثبت أمامه وقد انتشر صيته حالاً بين الخاص والعام فأخضع به هندام البلاد واذل العباد ووسع ملكه وارهب به كل بعيد وقريب ولم يبق له خصم قط الا وقصده واذله واخضعه لسلطانه وهو فرح جدًا من بالكان وبالكان يظنه أباه ولا يعلم انه جده ففي ذات يوم دخل على والدته في وقت النهار حيث لم يكن عندها احد فوجدها منتصبة على ركبتيها ساجدة لله سبحانه وتعالى تصلي فروضها فرجع الى الوراء مندهشاً وقال لها لمن تصلي ولمن تطابين فلم أرَ بين يديك شيئاً لا معبودًا ولا صنماً على اني لم ارمنك ذلك عمري بطوله . فقالت اني اصلي الى الله سبحانه وتعالى الذي تنزه عن ان يظهر للعيون ويبان امام النظار . فقال وهل يوجد في الدنيا الهة تعبد غير النـار ذات الشرار التي تحرق بلهيبها قلوب الكفار . قالت ما هذه بمعبودة بل هي تضرم بارادة الانسان قد جعلها الله الذي اعبده عنصرًا مخصوصاً لخدمته فاذا شاء اضرمها وانتفع بها واذا شاء سكب عليها الماء فاطفاها وهل يعبد الاله الذي يزيله بول الحمار الا ترى اذا كانت النار مضرمة وجاء الحمار وبول عليها انطفئت فهل تكون

هذه إله يعبد فوقف متعجباً . وقال من اين اتصلت بك هذه العبادة ومن الذي علمك اياها . قالت وصلت الي من ابيك وهو علمني اياها فوجدتها نعم العبادة

فزاد عجب بالكان وقال ماذا تقولين يا اماه فاني كثيراً ما رايت ابي يصلي وشاهدته يسجد للنار ولم اره قط ذات مرة فعل كفعلك ولا طلب من إله غير النار فهو يبجلها ويكرمها ويرفع شانها وفي هذه الساعة كنت واياه في بيت الاصنام فبعد ان طاف بها وعظمها وتقدم من بيت النيران وسجد لها ثلاثاً وسألها المعونة على الاعداء واستمد منها البركة والنعمة . قالت ان هندام هو ابي وليس اباك وكيف يمكن ان يكون ابي واباك بوقت واحد فاذا حققت وجدته جدك . قال فاذاً من هو ابي واين هو . فقالت ان اباك هو رستم فرتم ابن الامير حمزة البهلوان سيد سادات هذا الزمان الذي خضع لدولته كل ملك وسلطان وخافه الملوك العظام وقهر كسرى انو شروان واخضع كل عاص ورد كل طاغ الى عبادة العزيز الديان . ثم انها اعادت عليه قصة ابيه من الاول الى الاخر واطلعته على الباطن والظاهر . فتعجب عند سماعه كلامها وقال لها انا اسمع ان العرب يحاربون كسرى انو شروان وقد فازوا عليه مراراً وانتصروا كثيراً حتى اني كثيراً ما كنت افكر ان اركب على العرب واوقع بهم اكراماً لخاطر كسرى فلا يوافقني ابوك ويمنعني ويقول ما لنا ولهذا الفضول فالقوم اعداء بعضهم ونحن لاسبب يدعونا الى ذلك . قالت لان جدك لا يوافقه ذلك لانه يعرف متى وصلت الى العرب تتعرف بهم وتعرف اباك فتلتزم ان تضم اليه وتعبد عبادته وتؤمن بالله العزيز الجبار الذي اذا قال للشيء كن فيكون . فقال لها لو لم تكوني امي وقد وجب عليّ اكرامك لاخذت ثاري منك الان لانك صبرت عليّ ولم تطلعيني على امر ابي وعودتيني على عبادة النيران ومرادك ان اهلك في هذه العبادة الباطلة وانت عاملة على الصلاة والعبادة فعلميني ماذا اقول لاخلص فعلمته كلمة الايمان وعلمته الصلاة واعادت عليه ما يجب عليه معرفته من الفروض فشعر بلذة لا توصف وقال لها ارى نفسي قد ولدت الان جديداً ولذلك سأذهب الى جدي الملك هندام وادعه يترك عبادة

النار ويعتنق عبادة الله سبحانه وتعالى . فقالت له حسناً تفعل لانه كان بالاول قد خدع اباك وعبد الله

ثم ان بالكان بقي سائرًا حتى وصل الى جده فدخل عليه وحياه فتلقاه بالبشاشة والاكرام وادنه ان يجلس فقال له ليس الان وقت جلوس واريد منك ان تترك ما انت عليه من العادة وتعمل على عبادة الحق وتامر اهل المدينة ان تهدم معابد الاصنام وبيوت النيران . فلما سمع ذلك خس ان الدنيا انطبقت على راسه وقال لا بد ان تكون العائشة قد اخبرتك بذلك وحكت لك عن اصلك وقومك . فقال له نعم لقد اتضح لي الحق وبان ولم يبق الا السعي وراء ابي وقومي فاصغ الي واهدم بيوت النيران فاظهر هندام الحمق والحنق وطرده من امامه وقال له اخرج من المدينة فاذا بقيت هنا هذه الليلة قتلتك لا محالة فاعجل وخذ امك وارحل فاغتاظ بالكان واشهر في يده الحسام وصاح بجده هل لاتزال مصراً على عبادة النيران قال هي معتقدي وعليها اموت فضربه بسيفه على محكم رقبته قطع راسه عن جسده وكان الاعيان ورجال الدولة واقفين فخرجوا في الحال ودعوا العساكر اليهم وقالوا ان ابن رستم يريد ان يبطل عبادة النار فهلموا اليه فخير لنا ان نموت من ان نترك ديننا وما تم اجتماعهم تماماً حتى كان بالكان ادركهم وصاح فيهم ان يعبدوا الله الحي القيوم . فقالوا كذبت فان لا الهة الا النار ولا نريد عبادة الا عبادتها فمال عليهم بصارمه البتار وانزل عليهم نوازل البلاء والدمار وجعل يقتل فيهم ويجري الادمية كالانهار . وهم يتجمعون حواليه ويصيحون فيه ويتكاثرون عليه وقد سدوا الطرقات وضيقوا عليه من كل الجهات وهو صابر وكلما ازدحموا ووقفوا في طريقه وارسلوا اليه رماحهم وسيوفهم فانحط عليهم واستقتل وباع نفسه في محبة الله فيفرقهم ويفتح له مجالاً بينهم فيمر فيه غير ان عساكر البلد كانوا كثيرة جداً وكلما قتل منهم عشرة جاء عشرين وكذت امه حسانة قد وصلت فجعلت تدافع عنه وتسأل الاعيان ان يتركوه ويامروا العساكر بالرجوع فلم يصغوا لها ولا سمعوا لتوسلاتها حتى وصلت من ابنها وهو يقاتل ويناضل

وقد وصل من باب البلد فدعته للخروج وقالت له اخرج الى الفلاة فان المجال واسع هناك ومن لحق ذلك كان جزاءه الاعدام . الا انه لما صار في الخارج اقفلوا الباب وقالوا اذهب عنا الى اهلك فما عاد لك عندنا مقام . فوقف بالمكان وقال لها وان كنت قد قتلت كثيرًا من رجال المدينة الا اني لم اشف فوادي قط منهم . قالت كفى ما فعلت فيهم . وقد اقفلوا الابواب ولم يبق في وسعنا ان نرجع الى المدينة او نقيم حواليها وليس لنا الان ما ناكله ونلبسه فهلم بنا نسير من قرية الى ثانية ومن بلد الى اخر والله يدبرنا الى ان نصل الى اهلك ونجتمع بابيك فهناك الخيرات الكثيرة والانعام الغزيرة وعساكر ابيك اكثر من مائة الف فارس فضلًا عن ان عساكر جدك التي تبلغ الف الف واكثر فتقيم هناك معظمًا مكرمًا فقال لها لا يمكن ذلك يا اماه ولا اذهب الى ابي واهلي على هذه الحالة ولا اذهب اليهم الا سيدًا واميرًا ومولى عظيماً لكي يكون مقامي عظيماً ولا اكون ادنى من سواي فهلمي واتبعيني والله الذي عبدته اخيرًا إله ابي واجدادي لا يتركني ولا يتخلى عني

ثم انه مشى ومشت والدته الى جانبه يتنقلون من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد ولم يبتاعون ما يحتاجون اليه من الطعام مدة ايام حتى وصلوا الى مدينة دشتمغال فدخلوها وقد اعجبت بالمكان فقال لامه مرادي ان اقيم في هذه المدينة وقتاً لارتاح وادبر نفسي وانظر كيف يكون من امري واسأل اين اهلي فقالت له افعل ما تريد فان معي حليّ من مصاغي نقدر على بيعه ونصرف ثمنه وهو يكفينا الى سنين واعوام . وقال اني اشتري حصاناً من ثمنه وثياباً البسها عوضاً من ثياب التي تمزقت من ضرب العساكر وقد صبغت بالدماء . فقالت افعل ما تشاء فباع الحلية واشترى كل ما يلزمه وبالقضاء والقدر حاصر المدينة الاعداء وقتل ملكها فبقي داخلها وهو لا يريد ان يظهر نفسه ولا يتعرض الى ما لا يعنيه حتى تبين وجه الاقبال ورأى ان اعيان البلد يطلبون واحدًا يقتل عدوهم فيرفعونه ملكاً عليهم فخرج وجرى ما جرى وصار ملكاً على المدينة كما تقدم وجعل يرتبها

وقسمها الى اقسام ولما اطمأن باله جعل يستخبر عن العرب ليعرف مكانهم ويقصدهم ولايعرفهم بنفسه قبل ان يجربهم واذا بكسرى ووزيره قد وصلا اليه واحتميا به فقال في نفسه لا بد ان تاتي العرب الى هنا فلا اعرفهم بنفسي وابارزهم وكان يظن بنفسه انه افرس فرسان العرب وان لا بد له من ان ياسرهم ولو عرف انه يوجد بينهم من هو كبديع لما تجاسر على ذلك ولا اشهر في وجههم الحسام

ولما سمع حمزة والعرب ما جرى على حسانة وابن ابنه بالكان هنوهما بالسلامة وقال له الامير انهض يا ولدي الان وسر الى المدينة واقبض على هذا الخبيث بختيار وكسرى قبل ان يهربا فلا نعود نصل اليهما ونحتاج ان نلحق بهما وهما لا يعرفان انك عدوهما وانك من سلالة العرب فاجاب في الحال وركب ورجع الى المدينة وضرب الباب ففتح له ولما رآه قومه فرحوا به كثيرًا وسألوه عن حاله فقال قبل كل شيء يلزم ان نرى كسرى ووزيره اين هما قالوا دخلا قصرهما وما عدنا نظرناهما فسار حتى وصل القصر الذي عينه لهما ففتش عليهما فلم يجدهما فطاف المدينة وهو يسأل عنهما فلم يفده احد فتأكد انهما هربا وفازا بنفسيهما فتكدر من ذلك وقال ياليتني من اول الامر قبضت عليهما وابقيتهما تحت الحفظ لكن ليس في ما فات رجوع . ثم حكى لاعيان المدينة خبره وقصته من العرب وقال لهم اني اخفيت عنكم نفسي منذ الاول فانا ابن رستم فرتم ابن الامير حمزة البهلوان والعرب هم آبائي واجدادي وهـذا الذي اخذني اسيرًا هو عمي من لحمي ودمي فصفقوا من الفرح وقالوا هذا لا ريب فيه لان هذا الشبل لا يكون الا من ذاك الاسد فقال اسعوا في تزيين المدينة عند دخول جدي ورجاله في هذا المساء يدخلان ثم انه رجع الى العرب ودخل على جده وقال له ان عدوك قد هرب وفاز بنفسه مع وزيره وفتشت المدينة فلم ار لهما اثرًا . فتكدر الامير وقال من هذا كنت اخاف ولا بد لنا من ان نسير خلفهما ولا اعلم في اي ارض يسيران والى اي ملك يلتجئان . فقال اعذرني يا جداه فقد قصرت في تدبير الامر غير ان هذا بسماح منه تعالى

ثم ان بالكان دعاهم في الدخول الى المدينة فاجابوه ونهضوا وساروا معه وفي مقدمتهم الملك سعد ملك العرب والامير حمزة وكل فارس وسيد وعند وصولهم الى الابواب لاقوهم وترحبوا بهم ودعوا للامير ولدولته بالعز والاقبال ومن ثم جاءوا القصر فوجدوه مزيناً وقد اعدت لهم كل الوان الطعام فقدم فاكلوا وزينت المدينة في اليوم ذاك وتلك الليلة واطلق بالكان الفرسان الذين اسرهم واخاه قاسماً واعتذر اليه واخبره بانه اخوه فقال له الحمد لله الذي لم ياسرني غريب وان الذي اسرني هو اخي من ابي واقاموا في المدينة مدة للراحة وهم في ولائم وافراح وبالكان يلازم بديعاً لا يفارقه ولا يبعد عنه وقد تعلق به واحبه كثيراً فاغاظ هذا قاسماً وجعل يتململ بنفسه من اخيه وقال لا ريب انه يجهل امره ولا يعرفه ولا بد لي من ان ابعده عنه ثم انفرد به ولامه على ذلك وقال له اني لاعجب منك لانك سيد وابن سيد وربيت عند الملوك وكيف تتقرب من ولد صياد ربي عند صياد ودعي بابن الصياد مع انه كان من الواجب ان تنضم اليّ ونكون نحن الاثنين سوى فانت اخي وانا اخوك بلا ارتياب . وكان بالكان يسمع منذ كان يسأل عن العرب وفرسانهم انه مجنون فاعرض عنه بعد ان جبر بخاطره واراد ان يصلح بينهما فدخل على جده واعاد عليه ماسمعه من اخيه قاسماً وسأله ان يلومه على كلامه فقال له دعه فاني وبخته كثيراً ولمته كثيراً وفي كل مرة يغضب فياخذ قومه ويرحل ثم يعود اليّ ذليلاً جائعاً ولهذا لم ارض بعد الان ان اغيظه ولو كنت اغيظ بديعاً من اجله لان قلبي مفطور من اجله واجل عقله وحاله ولااعرف كيف افعل . قال حسناً تفعل فمن كان مثله يحتاج الى الشفقة

وبعد ذلك التفت الامير الى اخيه عمر وقال له اتعرف ابن سار كسرى وفي اي طريق ذهب قال لا اعرف ذلك لكن اريد ان اذهب فافتش في البلدان التي هي على الطريق الواقع من خلف البلد فقال له سر ولا تبطيء علينا . فذهب عمر من المدينة وسار الى جهة الشرق الانه ما بعد مسافة قصيرة حتى رأى رجلاً ملقى الى الارض ملفوفاً بعباءته فتقدم منه ونظر فيه فاذا هو الامير عقيل فايقظه وقال

له لما انت نائم في هذه الارض وما الذي اوصلك اليها قال له منذ ما ضربنا بالنبال في ذاك الوادي شرد بي الجواد فاستلمت طريقاً الى جانب الوادي وضعت ولم اعد اهتدي والان انا بحالة يرثى لها فقال له قم واذهب الى البلد واجتمع بالامير فقال له اني ضعيف القوى لا اقدر على المشي فحمله ووضعه في جراب اسماعيل ورجع به الى المدينة ودخل على اخيه واخرج له الامير عقيل وقال له اني وجدته في الطريق فتعجب الامير وسأله عن حاله فقال اطعموني اولاً ومن ثم اسمعوا ما جرى لي فاني بحالة الضعف والتعب فامر الامير ان يقدم اليه الطعام والشراب وبعد ان اكل وشرب وارتاح جسمه قال اسمع ايها الامير ما صار لي وهو اني بعد ان شردت من الوادي وتشتتت خيفة من النبال سار بي الجواد في طريق الى جانب الوادي على خط واحد وكان الجواد يركض فقطع في مسافة ساعتين تقريباً وهناك وقف بي لانه تعب على المشي ودفع الى الارض مائتاً فتكدرت كثيراً من هذه الحالة واردت الرجوع فقلت في نفسي ان المسافة التي اوصلني بها الجواد ركضاً الى ذلك المكان ليست بطويلة لكن اذا اردت ان ارجع ماشياً ربما لا اصل بيوم كامل وربما لا اجدك فوقعت ببلاء وارتباك وجعلت افكر بنفسي ماذا افعل واذ لاحت مني لفتة فرأيت عن بعد قصراً شاهقاً قائماً في وسط برية ومن حوله الجنائن والبساتين والرياض الزاهية فقلت لا بد ان يكون هذا القصر لاناس كرماء فاقصدهم تلك الليلة وابيت هناك وفي اليوم الثاني ارجع الى التفتيش عليكم فسرت الى ذلك القصر حتى وصلت منه فتلقاني الخدم وسألوني عن حالي فقلت لهم اني غريب وضائع ولا اعرف مكاناً في تلك النواحي وقد رايت هذا القصر عن بعد فاردت ان ابيت فيه الى الصباح فهل لكم ان تقبلوني عندكم . فقالوا اعلم ان هذا القصر هو للست حسن بنت الملك العنيد صاحب مدينة الشمق وليس عندها رجل ولا يمكننا ان نقبل احداً الا باذنها فاصبر لنسألها ولا ريب انها تقبلك ضيفاً لانها كريمة ذات رقة ولطف عجيبين لا نظير لهما في الدنيا . فبقيت صابراً الى ان دخل الخدم الى الست حسن واستاذنوا لي بالمبيت فقالت لهم ارسلوه الي

لاسأله عن حاله ومن اين هو - فاخذني الخدم اليها ولما وقفت بين يديها امرتني بالجلوس فجلست وانا اتامل فيها وجعلت تسألني وانا لا اعرف ما اجيبها لانها بديعة في الحسن والجمال لم تر عيني اجمل منها ولا ابهى ولا اكمل من صفاتها لانها ذات وجه ابيض صاف كالبلور تخالطه حمرة بهية زاهية تزيده رونقاً واشراقاً وان كان صغيراً لكنه مدوراً اشبه الاشياء بالقمر عند تمامه وعيناها السوداوين وسيعتان جارحتان تشق القلوب قبل الجلود اذا نظرت بهما بتذبل ولولا رقة قلبها لامكنها ان تقتل بسهام تلك اللواحظ كل يوم الف قتيل ومن فوق ذينيك العينين حاجبان مخططان بقلم العناية سوادهما حالك وهذين الحاجبين اقيما كحارسين فوق العينين فضلًا عن انهما يزينان جبهتها اللامعة المشرقة التي هي اشبه شيء بالهلال وعلى تلك الجبين تنحدر غرة من شعر ذهبي اللون طويل كانه قيود القلوب وقد فاتني ان اذكر لك ايها الامير اني رايت في وجهها انفاً اقنى دقيق غير ثخين صغير وتحته فم صغير تعوّد على التبسم في كل لحظة لا يفتر الا عن در منتظم ومنتهى ذاك الحسن المجموع في ذاك الوجه العجيب يتصل بذقن لطيفة مدورة في وسطها غماز صغير بقدر حبة اللوءلوء يجمع اليه كل حسن وجمال فضلًا عن انها لم تكن ضخمة الجسم ولا غليظته بل رقيقة نحيفة بقامة معتدلة لا طويلة ولا قصيرة فسبحان من خلقها واني لو وصفتها لك ياسيدي لاحتاج الامر الى الف يوم فلا اقدر ان اكفي فسبحان من خصها بهذا الجمال وجعلها فتنة بين ربات الجمال وقد صدق من قال في ذاك الجمال

بالجفن سقم وبالاهداب اعياء ... وفي اللواحظ تحذير واغراء
وبالحواجب نون والعذار به ... لام وخالاه مع وجناته تاء
والقد كالغصن لولا نبل حاجبه ... غنت عليه اذا لم يخش ورقاء
لله در الثنايا كم لسلسلها ... لدى الرواة احاديث وانباء
من بعدما اخضر عيشي اغبر رونقه ... وادمعي لبياض الغور حمراء
والجفن اهدى لنا بالانكسار جوى ... وكيف صح لذي الاسقام اهداء

وما هذا بوصف جزء من محاسنها ولكن سبحان من جعل سناءها ينادي

ان كان موتك من قسي حواجب　　كالنون او من سحر جفن ذابل
او غرة مثل النهار وطرة　　كالليل او من جور قدّ عادل
او من لحاظ تسحر الالباب اذ　　تروي لنا سلب النهى عن بابل
فهي التي فعلت ولم اشعر بما　　فعلت فكيف تلومني يا سائلي
انا ما قتلت وانما انا آلة　　في القتل فاطلب ان ترد من قاتل
ومتى اريد قتال سيف او قنا　　هل من سميع مثل ذا او قائل
والله قد خلق الجميل ولم يقل　　هيموا بعادل قده المتمايل

ولو كنت اقدر على وصفها يا سيدي لكنت تراني افصح الشعراء وافضل الناثرين واوصف الواصفين فما فيها من عيب قط وفي كل جارحة من حسنها قمر وكان الامير يسمع هذا الكلام في بادئ بدء بتأن الا انه لما التفت الى ابنه بديع فوجده صاغ بكل سمعهِ اليه وقد اخذت جبهته بالعرق وعيناه تغزل ولونه يضطرب ولحظ بانه شغل في الهوى على ذاك الوصف وفي الحال زجر الامير عقيل وقال له ما معنى هذا الكلام فاقصر عن الوصف واخبرنا ماذا جرى لك هناك . قال يا سيدي اني صرفت ليلة عندها اتمتع بالنظر الى وجهها واتعجب من جمالها وسنائها ورقتها وحلو مبسمها وعذوبة الفاظها ونعومة حديثها وطيبته فهي كريمة ووالله يا سيدي ما رأت عيني في كل المدن التي طفناها من الشرق الى الغرب مثل الست حسن في جمالها فصاح به الامير وقال له اقصر عن الوصف ودعك من الهذيان فماذا جرى لك بعد ذلك قال والله يا سيدي اني اتكلم الحق واذ كنت كهلًا رجع اليّ زمن الشباب فصرت كالهائم بها لو كنت ممن يهيم ومع كل هذا فانها عند الصباح صرفتني فخرجت من عندها وروحي بقيت هناك وصرت هائمًا في البراري والقفار لا اعرف اين اقصد واسان حالي يردد هذه الابيات عن ذاك الغزال

روحي بقربك قد نالت من الارب　　ما ترتضيه فما في الهوى تجب

فضع عينك فضلاً فوق مهجتها ... تكف بالكف ما عانته من وصب
لا تنكرنَّ مزايا الحب ان له ... في الراحتين لراحات من التعب
وانظر ترى الصب ملقى لاحراك به ... بالكِ تردد بين الماء واللهب
من روح ربك روح قد خصصت بها ... فأنعشن بها قلبي من النصب
وقل لانسانك الجاني على تلفي ... باي ذنب لقتلي زدت في الطلب
نصبت لحظاً لقلب معرض كلف ... فصار في الحب مهدياً الى الرحب
بوسم الانس سيف اللحظ جرده ... وهز نحوي قواماً في الدلال ربي
ألزمته وهو وسنان الهوى ديتي ... فاسدل الهدب لي عجباً ولم يجب
جدواك بالعفو مذ جلت مآثرها ... تسمو على كل ما يسمو من الرتب
نحن الخلود من العشاق ان رشفت ... تلك الثنايا وما في ذاك من عجب
رشفاً شفاهك منه الصب يا املي ... فيه عمىً عن طبيب حاذق وغبي
اعزك الله يلغ ما اتيت به ... بعـادل لو تثنى قيل انت نبي
وزمرة العشق لاقوا في الغرام لظى ... كأنما قد تبنَّاهم ابو لهب
اتوا لحبك والابصار شاخصة ... يتعوذون بذاك العادل الرطب
فادرأ بعفوك ما لاقوه من سعر ... واحكم كما ترتضي في الحب وانتخب
بعزة الحب قل لي هل رايت بهم ... ماقد رأيت من لمحسوب في النسب
حبٌ وصبرٌ وحرمان وحر جوى ... ومدمع وسهاد دائم الوصب
لا تلفني بسعيد انني دنف ... فيا شكوت الهوى والوجد لم اعب
اعيذ لطفك من ظلم تكون به ... بين الانام شهير الاسم واللقب
اعاذك الله من يوم اراك به ... مثلي وحوشيت من اني اقيسك بي
حيث النفوس اقرّت بالتي صفت ... وهم سكارى لا يخشون من عطب
وحق حبك لو في البحث يمكنني ... كتم الشهادة لم اخرج عن الادب
لكنني باعتذار منك في خجل ... اذ قال لاتكتموا للعجم والعرب
فقال لي برموز من لواحظه ... بعد ابتسام وما ابداه من طرب

اراك قد جئت عما قلت معتذرًا وان عذرك للاحسان لم يصب
أبحت يا معشر العشاق فاستمعوا دمي لهذا الرشا طوعاً وحق ابي

فهذه هي حالتي مع هذا الغزال وقد رضيت الموت ولا ارضى ان يكون في غير قومنا فهو ممن يوصف ويمدح ورأى الامير ما كان من امر بديع الزمان وقد زادت حاله وصار مشغل البال ولم تخف حالته عليه وعلى كل الامراء فخاف عليه واعترض الامير عقيل وقال له كفى ما قلت فاخرج اذًا ولا نريد ان تزيدنا اكثر من ذلك فما هذه الا شقشقة لسان واحقر نساء العرب افضل من التي رأيتها فما انت الا مجنون فنهض الامير عقيل وخرج وهو يقول والله ما صرت مجنوناً الا عندما رايت حسناً فهي تأخذ بجامع القلوب وتسلب العقول وانشد وهو خارج:

يا حسن كل الحسن في معناكِ جلَّ الذي كل البها اعطاكِ
فقت البدور بحسنك الباهي وقد اخجلت شمس الحسن في الافلاك
لك وردة في الخد ما ذبلت وما برحت يزين تحتها خداك
وسهم لحظك قد شككت حشاشتي اني قتلت وقاتلي لحظاك
يا حسن حسنك سالب ألبابنا وقلوبنا ملسوعة بهواك
ولقد عطيت الحسن منحة مانح جوَّاد فوق نسائنا علّاك
ما شمت مثلك يا مليحة غادةً بالعرب والاعجام والاتراك

وبعد ان غاب الامير عقيل عن الصيوان وهو على ذاك الشان التفت الامير الى ابنه بديع واخذ يشاغله عن ذلك بالاحاديث ليلهيه عما سمع فادرك بديع غاية ابيه فاجهد نفسه بالكتمان واخفى الحب وتظاهر بالسلوان لانه كان مدركا الا انه اصرَّ في نفسه انه لا بد ان يسير الى ذاك القصر ويشاهد السيدة حسن وينظر ما حكى الامير عقيل عنها فاذا كانت كما قال تزوج بها بالرغم على كل ممانع ومخاصم فاما عمر فسار في طريقه الاول

وكان الامير قاسم لما سمع اول كلام الامير عقيل خرج وانسحب من الصيوان ولم يدع احدًا ينظر فيه او ينتبه اليه وركب على فرس ابيه سلمى الدهماء وسار

الى الطريق التي جاءوا فيها حتى جاء الوادي ثم استلم الطريق الذي الى جانبه وسار فيها يقطع الارض ركضاً حتى تبين القصر المذكور فوصل اليه بعد ان كادت الشمس تغيب فسرّ سروراً لا مزيد وتقدم منه حتى وقف عند بابه وضرب الباب فخرج اليه الخدم وسألوه عن اسمه وماذا يريد فقال انا اسمي الامير قاسم ابن الامير رستم فرتم ابن الامير حمزة البهلوان وقد قصدت هذا القصر لازور صاحبته فانظروها فقالوا له اصبر لنسألها اذا كانت تريد ان تقبلك عندها هذه الليلة ودخلوا عليها واعادوا عليها ما سمعوه من قاسم. فقالت دعوه يدخل فاني لا امنع ضيفاً زارني في بيتي ولا ارد طلباً من امير خطير وابن سيد عظيم عن ضيافتي فعادوا اليه وادخلوه الى سيدتهم فترحبت به واكرمته وبجلته واجتمع حواليه جواريها وقد عجبن منه لانه كان جميلاً باهر الصورة غير ان السيدة حسن كانت ذات ذكاء مفرط وتعقل وحكمة فبعد ان امتحنته واختبرته ثبت لديها انه مختل الشعور فقطعت رجاءها منه وعلمت انه لا يصلح ان يكون بعلاً لها غير انها ابقت ذلك في داخلها ولم تظهر له شيئاً احتراماً لضيافتها ولكرامة اخلاقها مظهرة له الترحيب والاكرام وامرت ان تصف بواطي المدام والنقولات وان يسقينه جواريها وجلست هي على جانب مظهرة كل رزانة وادب غير ان قاسماً ظن ان تلك المعاملة التي تعامله بها صادرة عن حبها له فجعل يطنب في نفسه ويفاخر في شجاعته وهي جالسة تضحك في داخلها الا انها كانت تعجب في الظاهر مظهرة السرور منه ومن اعماله منتظرة النهاية

قال فهذا ما كان منه واما ما كان من بديع فانه صبر الى المساء فخرج من الصيوان ودعا اليه الامير عقيل وقال له اي الطرق اقرب الى القصر فقال له آه يا سيدي اني ما اشتهيت ان تكون السيدة حسن الا لك فانها بدعة هذا الزمان وفريدته اعطيت من الحسن والعقل ما لم يعط لغيرها . قال اني سأسير اليها فانظر ما يكون من امري وامرها فاذا رأيتها كما تقول سألتها الزواج فاذا اجابت كان خيراً والا فاني ارجع الى هنا دون ان يعرف احد فقال اذا لم تقبل فانت قادر

ان ترغمها وتجبرها وتاتي بها الى هنا ولا يقدر لا ابوها ولا احد غيره يتزعها منك ويمنعك عنها . قال ويلك يا عقيل اهل يكون الحب بالرغم فهذا لا افعله مطلقاً ولا ارضاه وكيف اجبر فتاة على التقرب حتى هي لا تهواني الا تعلم ان القليل من النساء اللاتي يملن ميلًا غريزياً طبعاً واكثرهن يحببن لاغراض واميال فهذه تميل لذاك لشجاعته وتلك في مواصلة هذا والتقرب منه طمعاً بامواله او جاهه وعلو منزلته غير ان متى زالت تلك الاسباب زالت المحبة فانا لا بد لي ان امتحنها على ذلك وانظر كيف اطوارها . قال سترى الى كل ما قلته لك فاذهب اليها في الحال وسر على هذا الطريق فانه اقرب الطرقات ويودي الى القصر رأساً ولا يلزم ان ترجع الى الوادي وتسير من هناك فاستلم بديع الطريق وسار فيه دون ان يبدي كلمة وكل افكاره متجهة نحو القصر يشخص في فكره ما هناك وقد طبعت في ذاكرته صورة حسن قبل ان يراها على وصف الامير عقيل وصار يتمنى الوصول والقرب منها وان يراها ويحادثها ويسمع عذوبة كلامها ورقة الفاظها ولما وصل من القصر كان الوقت ليلًا وقد مضى قسم من الليل غير قليل وعند وقوفه على الباب وجد فرس ابن اخيه قاسم فاستعاذ بالشيطان وقال ان هذا القرنان قد سبقني الى هذا المكان ولا بد له ان يتصدى لي ويهينني و يرجع الى عمله فالتزم الى تاديبه ويقع بيننا القيل والقال وتضحك علينا الست حسن ووقف برهة صامتاً يتبصر في امره وقد فكر مرارًا بالرجوع الى مدينة دشتمغال والعدول عن محبة حسن وان لا يتعرض لابن اخيه ويدعه على حظه وسروره غير ان الهوى فعال ياخذ بالعقول والقلوب ويذهب بالصواب وكلما اراد ان يميل براس جواده ويرجع خالفه قلبه ودفعه الى الامام وهوّن عليه الامر واشغله العشق عن كل صعوبة

واخيرًا طرق الباب على غير وعي فاضطربت السيدة حسن وقالت من الذي يضيفنا في مثل هذا الوقت واخاف ان يكون ابي فقال لها الخدم لا يمكن ان يصل ابوك في مثل هذه الوقت ولا بد من ان يكون غريباً ضائعاً فقالت انزلوا اليه وعودوا فاخبرونا عنه وعن اسمه لترى من يكون فخرج الخدم وفتحوا الباب

فراوا الامير بديعاً على جواده فتعجبوا منه وسألوه عن حاله فقال اني ارغب ان اضيف صاحبة القصر باقي هذه الليلة ومن ثم ارجع فاسألوها هل تقبل ذلك فقالوا عرفنا نفسك ومن انت . قال كنت احب ان لا اذكر اسمي ولكن لا امتنع ان اخبرك به بغير كذب فأسمي في قومي بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان واما في هذا المكان فما انا الا طفيلي اتطفل على سيدتكم واذا امتنعت رجعت من حيث اتيت غير ناكر عليها ذلك لانها سيدة المكان ومطلقة في قبول ضيافة من تريد. فتعجبوا من فصاحة كلامه ورقة معانيه مع انه بديع الزمان الذي اشتهر صيته ووصل الى كل مكان . وعادوا الى سيدتهم وقالوا يا سيدتنا ان الطارق هو رجل الكرامة والكمال وشجاع هذا العصر الذي ضربت به الامثال الامير بديع الزمان ابن الامير حمزة العربان وقد طلب الينا ماهو كذا وكذا ينتظر امرك بالدخول والا يرجع من حيث اتى شاكراً لك على كل حال وفي كل حال قد تعجبنا من دعته وتواضعه . فلما سمعت هذا الكلام وقعت في الاضطراب وشعرت من داخلها بميل طبيعي وقالت في نفسها لا بد ان ذاك الغريب الذي بات عندنا ليلة قد سار الى العرب ونشر بينهم خبر جمالي فتقاطر اليَّ الامراء حتى بديع الزمان نفسه قصدني وما ذلك الا من سعادتي واتمنى ان انال عنده قبولاً واوقع في عينيه حسنة . واما الامير قاسم فانه تكدر من هذا الخبر ورأى السيدة حسن صاغية فظن انها كارهة في ذلك فقال لها بالله عليك يا ملكة الجمال مري خدمك ان ترجعه ولاتاذن له لانه ثقيل المعشر غليظ الطباع ردي الاعمال فيكدر علينا ليلتنا فيحوجني ان اقتله واعدمه الحياة فزاد عليها الحال الا انها قالت لا ارى من الصواب ان امنع عني ضيفاً مثل بديع الزمان وهو عمك فيبات باقي ليلته ويذهب في الصباح ولا بد انه كان في الصيد فضاع عن الطريق حتى وصل الينا في هذا الوقت وقد انصرف قسم من الليل ثم التفتت الى الخدم . وقالت لهم اسرعوا الى ضيفنا فادخلوه حالاً على الترحيب والاكرام. فسار الخدم وفتحوا الابواب ودخلوا ببديع الزمان واصعدوه فناء القصر وجاءوا به قاعة الجلوس فراى السيدة حسن

جالسة كانها البدر في تمامه تضيء على المكان بما اعطيت من البهاء والجمال ومن حواليها جواريها وهن يتعاطين كؤوس المدام ويتناشدان الانغام وعلى جانب صفرة المدام الامير قاسم فوقف في الباب تادباً ينتظر امر السيدة حسن ووقف يحدق بها ويتأمل جمالها وكانت السيدة حسن قد نظرته ونظرت الى ادبه وفعله فطار صوابها واول نظرة وقعت منها عليه كانت الوسيلة الى رميها في بحر العشق والغرام فنهضت كالملهوفة التائهة وقالت تفضل ياسيدي الامير فقد شرفت خادمة لا تستحق مثل هذا التشريف والقت نفسها عليه واخذته من يده على غير انتباه ولا وعي ماخوذة بجماله وكماله وكان بديع الزمان بديعاً جامعاً بين كل الصفات الحميدة لان كثيراً من الرجال كانوا يعشقونه ويحبونه بتعبد فكم بالحري النساء والبنات ولما دخلت به اجلسته بالقرب منها وترحبت به باكثر من العادة وانشدت قائلة :

جاء البشير ونور الصبح قد لحا ... لدى القدوم باب اليمين قد فتحا
اهــلًا بنور على نور بطلعته ... بهاء السرور وصدر الدهر قدشرحا
فيا له قادماً قرّت به مقلٌ ... حتى بد الدمع في اماقهــا فرحا
ويا له مقبلًا سرت به مهجاً ... كادت تذوب بنيران النوى ترحا
وافى فاوطاننا بالبشر باسمة ... تهتز انساً وتزهو بالهنــاء مرحا
واصبحت السن الاقبال ناشدة ... هذا العزيز اتى والدهر قد سمحا

ولما جلست الى جانبه وجعلت تحدق به وتنظر اليه متعجبة مما تنظر فيه اما هو فانه نظر فيها نظرة المغرم الهائم غير انه استدرك نفسه معتذراً اليها وقال يا سيدتي لقد تطفلت عليك باتيان في مثل هــذا الوقت الا ان دواعي القلب لا تدفع والمرء على الدوام ينقاد الى قلبه فاعذريني واسمحي لي عن هذه الذلة التي ارتكبتها بالتثقيل عليك وتصديع خاطرك في وقت انت به على الحظ والسرور . فزادت هياماً به وسكرت من عذوبة الفاظه ورقة معانيه وقالت في نفسها هذا هو المطلوب وهل يتوفق لي احسن منــه لو طفت الارض بالطول والعرض . ثم

اجابته اي ذنب اذنبت يا سيدي وقد شرفتني وجبرت بخاطري واسرتني بسحر لفظك وعذوبة معناك حتى اخذت مني عقلي بالرغم عن جلدي وما جئتني الا لسعادتي وراحتي ولا بد ان باقي ليلنا يكون بوجودك نهاراً منيراً فقد اكملت حظنا ومسرتنا وها انا بين يديك عبد طائع انتظر امرك يا روحي وراحي وريحاني وانشدت :

ملك الفواد وما هجر	بدر المحاسن مذ ظهر
عذب اضاب مهفهفٌ	يسبي المتيم بالحور
ما حيلتي في حبهِ	الا الخضوع لما امر
من منجدي وجفونهِ	منها المحب على خطر
واحيرتي في حبه	واطول شجوي بالجفر
اشكو الغرام يشتكي	جفن تعذب بالسهر
يا قلب حسبك ما جرى	احرقت جسمي بالشرر
رام الحبيب لك الضنا	لم ذا وانت مقر
لكن تعذيب الهوى	ما للشجي منه مفر
قابلتهُ متثنياً	ناهيك عن غصن خطر
ورأيته متبسماً	كالبدر لما ان سفر
يا بدر حكمك الهوى	فاحكم ونفذ ما امر
القِ الوشاح وخلني	اصلى سعيراً في سقر
وعن العذار فلا تسل	ولانت اولى من عذر
ودع الظلام على الضيا	واستر بطرتك الغرر
سامت بها الثغر الذي	يفتر عن غالي الدرر
واصدع بحسنك وافتخر	تيهاً بجيدك والطرر
فالشمس تخجل عندما	تبدو ويستحي القمر

وكان الامير قاسم قد شاهد هذا المنظر فزاد به الغيظ والحنق وتاكد ان

السيدة حسن مالت الى بديع الزمان وترحبت به اكثر منه ولا عادت لا هي ولا جوارها التفتن اليه فقز واقفاً على الاقدام وقال ويلك يا بديع يا ابن الصياد اينما ذهبت تتبعني وفي اي طريق توجهت تتأثرني فالى متى هــذه الحال وانا صابر عليك ساكت عن قتلك فاي شيطان جاء بك الآن واي عفريت اوصلك في مثل هذه الساعة حتى تكدر عيشي وتقلب افراحي الى اتراح . فضحك منــه بديع وقال له والله يا ابن اخي ما قصدت كدرك ولا عرفت منذ الاول انك هنا ولو عرفت لما جئت على اني لا اكدر لك عيشك فابقَ على ما انت عليه من الحظ والانشراح واني اشاركك في هناك واقطع هذه الليلة معك فاجلس في مكانك ولا تأتِ بعمل مغيظ فنحن من سادات العرب ولا يجب ان ندع النساء تضحك علينا ويشمت الاعداء بنا . فقال اتريد ان تسكن من غضبي وتعتذر اليَّ ولا بد ان ارى السيدة حسن فعلي وفعلك فتعرف من منا الشجاع من الجبان . ثم استل سيفه وهجم عليه وضربه به قاصدًا قتله فمال عنها بديع وتناول طارقته ووثب يزأر كالليث الخارج من اجمته وقال له قلت لك ارجع عن عزمك والاَّ احوجتني ان انزل بك العبر فلم يقنع ولا رجع بل جعل يهجم عليه ويدور من حواليه حتى اغاظه واهاج حنقه واجبره الدفاع عن نفسه ورأى ذلك الجوار فارتعبن وخفن من عاقبة الامر وقامت الضجة في القصر ونظر الخدم الى هذه الحال فقالوا والله هلكنا وربما ان احد الاثنين تكدر من الاخر وفاز عليــه وانتقم من سيدتنا فقتلها وللحال بعث كبير الخدم بواحد الى الملك العنيد يطلب اليه الاتيان حالاً ليكون هناك عند الصباح . وبقي ينتظر النهاية وقد تناول قضيباً من الحديد وفعل مثل ذلك باقي الخدم وقالوا من جاء الينــا لاقيناه ودافعنا عن نفوسنا الى ان يدركنا الملك ابو حسن

وكانت كما تقدم معنا ان السيدة حسن قد جمعت كل صفات الكمال ولم تكن قليلة الشجاعة بل ملكت شيئاً من قوة الجنــان ولذلك صاحت ورمت نفسها في الوسط وقالت ما هذا الحال أانتم في عداوة وخصام فارجعا عن القتال

وارحلا من هذه الديار واقصدا معسكركما واقتتلا هناك ولا تلبسانى ثوباً من العار فيظن الناس بي السوء وافتضح عند الكبير والصغير . واني لست براضية ولا بواحد منكما وقد قالت ذلك ارضاء لخاطر قاسم لتسكن من غضبه وتبعده عن قصرها . ولما سمع بديع ذلك رجع عن القتال وقال والله يا سيدتي اني ما جردت سيفي الا لاجل الدفاع ولا اريد ان اوقع به احتراماً لمحلك غير انه لا يزيد الا عتوا وخسافة عقل وها انا اكراماً لك راجع عن قتاله وسأرحل في الصباح فلما سمع قاسم هذا الكلام اطمأن باله وقال في نفسه يجب ان اصبر عليه الى ان يرحل لانها طردته وابعدته وسأسير واياه في الصباح . ومن ثم اعود وحينئذٍ اغمد سيفه الى غمده وجلس غضوباً دون ان يفوه بكلمة ومضى ساعة على ذلك وحسن تنظر الى الاثنين وقد عظم عليها الامر ان يقع القتال عليها بين قاسم وعمه واذ ذاك امرت الخدم ان ترفع بواطيء المدام وان يفرش في كل غرفة سرير لواحد من ضيفها ليذهبا عنها الى المنام . وكان كل واحد منهما يتمنى ذلك لان بديعاً كان يتمنى فصل الحال بينه وبين قاسم فلا يقاتله لئلا يلتزم ان يقتله وحينئذٍ يتكدر كاس العرب ويغتاظ جده الامير حمزة وقاسماً كان يرغب ان يبعد بديعاً عن حسن ولو بعد هو ايضاً . ومن ثم ذهب كل واحد الى فراشه فنام الى الصباح . وكان قلب بديع في هذه المرة قد امتلأ حنقاً وعول عند رجوعه الى المعسكر في اول اشارة تغيظه ان يرحل عنهم ويبعد عن قاسم الذي لا ينفك عنه ولا يتركه وربما غدره ذات مرة فيقتله وهو لاهٍ عنه

قال وما اشرقت شمس ذاك النهار الا وكانت خيل الملك عنيد قد وصلت واحاطت بالقصر وهو في مقدمتهم ومعه اعيان قومه وكان الخادم قد وصل اليهم واخبرهم ان الامير قاسم والامير بديع ضافا السيدة حسن وكل واحد منهما يريد ان يأخذها لنفسه فهجما على بعضهما يقتتلان وقد تركهما على تلك الحالة واسرع اليه لاجل ان يدرك بنته لئلا يوقعا بها . فنهض العنيد واعيان قومه وركبوا وساروا على عجل حتى وصلوا الى ذاك المكان ودخلوا على السيدة حسن فتلقتهم

ولم تكن تعرف ان الخادم اخبرهم بذلك فسألت اباها عن سبب مجيئه في ذاك الوقت فقال اعلمي اني احبك بقدر ما يحب الانسان معبوده وقد ابتنيت لك هذا القصر وابعدتك عن المدينة خيفة عليك من كيد الشبان ورجال الخلاعة الذين يغرون النساء بزهوهم وقصفهم وخلاعتهم وانتظرت ان ارى لك بعلاً كاملاً على طريقة شريفة والان قد عرفت ان اميرين من العرب جاءا اليك يطمعان فيك فجئت لانظر في ذلك . فقالت نعم وهما الان في فراشيهما وكانا ضافاني فترحبت بهما كالعادة فاقتتلا فوبختهما وقصدت طردهما قبل الصباح ان لم يرجعا فرجعا وفرقت بينهما . فجلس ودعاهما اليه فحضرا فسلم عليهما وهو يضمر الشر وبعد ان جلسا امر ان يؤتي بالشراب وكان اوصى الخدم ان تضع به البنج ففعلوا وحالما شرب بديع وقاسم سقطا الى الارض كالاموات فامر حالاً ان يشدا بالكتاف ويربطا جيداً بالحبال ومن ثم ايقظهما فاستيقظا ورأى بديع نفسه على ذلك فاغتاظ لكنه صبر صبر الكرام والتفت الى الملك العنيد وقال له لما فعلت بنا هذه يا سيدي . قال لانكما قد طمعتما في بنتي وقصدتما اغتصابها فقال لا تصدق ذلك ايها الملك فاننا لم نقصد ذلك وما جئنا هذا المكان الا كضيوف بتنا الليل على افضل شرف وناموس والان راحلين الى معسكرنا . اجاب لو كنتما كما زعمت لما كنتما اختلفتما ولو قتل احدكما الاخر لاغتصب ابنتي لا محالة واوقعني بالعار مدى العمر . واما الآن ماذا تريد ان اعدمكما واخلص ثاري فلا يعود احد يتعدى عليّ فصاح به الامير قاسم وقال له ويك ايها العنيد اتجسر ان تمد يدك اليّ وانا الامير قاسم وجدي الامير حمزة البهلوان سيد سادات هذا الزمان ومذل الجبابرة ومبيد الاكاسرة قال لو كنت ابن كسرى انو شروان لا ابقيت عليك حفظاً لناموسي وشرفي وارى في قتلك الواجب فقال اذا قتلتني تخرب ديارك وتهدم بلادك وترمل نساءك وتوخذ بنتك سبية وانت تعرف فعل العرب ولكن اذا اطلقتني ووهبتني بنتك كان لك الخير العظيم والنجاح العميم فغضب العنيد من كلامه وشتمه فاعاد اليه الشتيمة وسبه ولعنه وقال له اترك لي يداً واحدة لاريك كيف اسحب روحك

من بين جنبيك

وفي الحال ركب الملك العنيد وركب قومه وقادوا الاثنين بينهما فاغاظ هذا الامر السيدة حسن وتقدمت من ابيها وحكت له بالتفصيل كل ما جرى وقالت له ان قاسماً جاءني من اول الليل واما بديع فانه جاء في وسط الليل ولا ريب انه كان يتصيد في احدى الجهات فرأى هذا القصر فمال للمبيت دون ان يقصد شراً فظنه ابن اخيه لجنونه مزاحماً فقصد قتله ولما زجرتهما وطردتهما رجعا فقال اني ارى بديعاً لطيفاً رقيقاً واما ذاك فقاسياً خشناً ولا بد من هلاكه واطلاق بديع ثم سار بهما الى بلاده وعرض امرهما على مجلسه فحكم بموت قاسم لانه كان يشتم ويسب ويلعن ويتهدد الا ان بديع الزمان كان يلطف كلامه ويتكلم بزانة وحكمة . وكانت العادة ان الذي يريدون ان يعدموه يذهبون به الى شاطئ البحر فيرفعونه الى مكان عال وينزعون ثيابه ويرمونه الى اسفل الماء فان كان عمره طويلاً نجا والا فيموت ويكون موته بقصر عمره وفي الحال امر الملك بان يطلق بديع ويقذف قاسم الى البحر فاخذ العساكر الاثنين فأطلقوا الاول وساروا بالثاني مسافة ثلاثة ايام حتى جاءوا مكاناً عالياً مرتفعاً تضرب تحته الامواج فجردوه من ثيابه وحالما قطعوا كتافه دفعوه بالعجل الى البحر فسقط يهوي الى ان ضرب في الامواج ثم غرق في الاسفل وبعد قليل عاد فطاف على وجه المياه وكان يحسن السباحة ولم يكن الله يريد موته فسبح واجتاز تلك الناحية وغاب عن المكان الذي رمي منه وصرف اكثر من ساعة حتى وصل من مكان ممتد في البحر فصعد اليه وهو على تلك الحالة عريان لا شيء يستتر به وايس له ما يأكله الا انه تأمل بالخلاص وعلق الرجاء بالحياة وقلبه مملوء من الغيظ والحنق من الملك العنيد لانه رماه وقصد قتله واعدامه ومن عمه بديع لانه تاكد انه لابد ان يرجع الى قصر السيدة حسن فيأخذها لنفسه ويحرمه فزاد بغضه له وحسده وتمنى ان يكون واصلاً اليه ليمص دمه ثم تقدم على البر فوجد حدائق كثيرة متنوعة وعليها اثمار ناضجة وغير ناضجة فجعل يلتقط منها ويأكل ويسد رمقه

موقتاً لبينما يأتيه الفرج ويتخلص من ذاك المكان

فهذا ما كان منه ونتركه هناك عرياناً وقتاً قليلاً قصاصاً له على رداءة طباعه ونرجع الى بديع الزمان اذ ليس من العدل ان نتركه بلا زواج كل هذا الوقت فانه بعد ان اطلق سبيله اظهر على نفسه انه يقصد مدينة دشتمغال وسار في طريقها ولكن قلبه بقي في مكانه لان السيدة حسن ليسن ممن ينسى وهي اجمل فتاة وجدت في ذاك الزمان وقد تعلق بها تعلقاً خارقاً للعادة وصار لا يلهج ولا يفكر الا بها وعوّل على ان يرجع اليها وقد تاكد عنده انها هي التي خلصته من الموت غير انه كان حزيناً على ابن اخيه وكان يفكر تارة انه بعد ان يستولي على حسن يذهب الى العرب ويقصد بعد ذلك مدينة الشفق ليأخذ لابن اخيه بالثار وطوراً يتردد في ذلك ويقول كيف اقتل ابا حبيبتي وآخذ الثار منه مع ان قاسماً كان علة شر وفساد وطالما قصد اهانته واذلاله لا بل قتله ولما كاد يصل الى مدينة دشتمغال عرج عن الطريق ورجع في طريق القصر الذي تسكن به ذات الجمال وسار على ذاك الطريق وقلبه يكاد يطير شعاعاً الى ان وصل من القصر وحينئذ خفق قلبه وجعل يهلع ويفتكر كيف انه يدخل على السيدة حسن وهل تعود الى حبه او ترجع بعد ان عرفت عدم رضى ابيها بذلك غير ان شجاعته واقدامه وما رأى فيهما من حسن الملتقى وبث لواعج الوجد على اول وهلة دعاه الى التقدم بقلب قوي وثابت لا يتزعزع من ضربات الوهم . وكانت السيدة حسن كما تقدم معنا قد تعلقت ببديع وخافت من ان يقتله ابوهـا متأكدة انه اذا قتله تخرب بلاده وتهدم الى الاسس ولا يبقي الامير على واحد من اهلها وارسلت خلف ابيها خادماً من خدمها ينظر ما يكون من امر بديع . ولما رجع الخادم واخبرها ان بديعاً اطلق وقاسماً رمي الى البحر فرحت كل الفرح وقالت لابد لبديع من العود وجعلت في ان تهيئ نفسها وتحضر لوازم الحظ لتصرف وقتاً بالهناء معه وهي في كل ساعة تنهض من مكانها وتأتي نافذة القصر المطلة على الطريق وترسل بنظرها الى الآخر فلا ترى احداً حتى كادت الشمس ان تغيب فاقفل قلبهـا واسود

واظلمت الدنيا في عينيها وصارت في هم ونكد وقالت في نفسها لاريب ان بديع الزمان قد رجع عن عزمه وقصد العرب متخلياً عني وتاركاً حبي لما لحق به من الاهانة والحقل ولا بد له ان يجمع رجاله ويقصد ابي وينتقم منه على ذلك ودون شك صار يعتبرني عدوة له وبنت عدوه . ثم القت بنفسها على كرسي من الحرير في قصرها وجعلت تفكر في ماذا تصنع وقد تراكمت عليها الاحزان والاوهام وصارت بحالة يرثى لها ومن ثم خطر لها ان ترسل احد خدمها الى مدينة دشتمغال الى بديع وتسأله ان يزورها ولو ساعة لتترضاه وتعتذر اليه عن ابيها ولما خطر لها هذا الخاطر تنورت ابصارها وارتاح ضميرها نوعاً وقالت بنفسها لا بد له ان ياتي ولو كان من حجر اصم لان جمالي وسناني يشفعان لي عنده ولا بد مهما قسى قلبه ان يكون جامعاً لقليل من الحب فلم ينقلع الى آخره ولا بد من اثر فيه . وبينما هي على مثل هذا الامر وقد عولت ان تدعي اليها احد خدمها لترسله الى بديع واذا بالخادم قد دخل وقال لها اتأذنين يا سيدتي لبديع الزمان ان يدخل عليك فما صدقت ان سمعت هذا الكلام حتى قفزت واقفة على الاقدام وقالت لهويلك اهل من اذن لبديع وهو مالك الارواح والاجسام فدعه يدخل في الحال واقفلوا بعد ذلك الابواب لئلا يدخل علينا احد يكدر صافي عيشنا فقال لها لقد اصبت يا سيدتي فربما جاءني رجل مجنون مثل ذاك يريد المبيت عندنا وقام بينهما القتال فنلتزم ان نسرع الى ابيك ونأتي به خوفاً عليك فقالت اياكم ان تذهبوا الى ابي بدون معرفتي ومن فعل ذلك قتلته ثم نهضت وتدرجت الدرج وكان الباب فتح ودخل منه بديع الزمان فرمت بنفسها عليه وقالت له لو لم تأت اليَّ لكنت ارسلت اليك برسول فانت غايتي وسؤلي وجل ما اتمنى وارجومن حياتي . وخفت من يكون ان قلبك قد قسي من عمل ابي . قال لها لا يمكن ان يمنعني عنك ياسيدة الملاح ونور الصباح فما دعي اسمك بالسيدة حسن الا لكونك نزعت الحسن من كل العالم وجمعته بك فصرت انت الحسن وباقي ربات الخدور شناعة ولو رأينك لحسدنك على ما اعطيت وها انا بين يديك اتمنى ان انال منك العفو عما وقع مني

في السابق من العناد بقتال ابن اخي . فقالت اني اعرف ان قاسماً مجنون وقد تعدى ولو اردت قتله لقتلته الان الآن قد مضى مامضى ولم يبق بيننا لارقيب ولا عذول وقد وضعت يدها بيده فوصلت الى غرفتها وجلست وجلس هو بجانبها وامرت ان يؤتى له بالشراب اللذيذ من شراب الليمون فأتي له فشرب وجلس نحواً من ساعة حتى ارتاح ورجع اليه سروره الاول لانه رأى من كان يزاحمه في حسنه قد بعد وصار عدواً لها وصارت كلها برمتها له وهي تقدم له محبتها وتسر من حضوره وتعامله بكل انس ولطف لا يوجدان الا في قليل من النساء العربيات الشاميات

وبعد ذلك امرت خادماتها ان تأتي اليها بصفرة المدام وان يضعن عليها كل ما هو لذيذ عندها وجميل من المشروبات والنقولات والزهور الزكية فاحضر كل شيء بوقت قليل . ثم جلس بديع على تلك الصفرة وقد طاب له الوقت وراق وابعد من بينه وبين من احبها كل واش ورقيب ولم تعد ولا عين تنظر اليهما غير عيون المصابيح والازهار التي كانت تنير وقد صدق من قال في ذاك المقام :

قد مال كالغصن في روض الصبا الساقي — والناس للميل قد قامت على ساق
دارت سواقي عيون الناظرين له — كما جرى النهر من جفني وآماقي
والنرجس الغض غضّ الطرف من خجل — ومال ميلة ذي خوف واشفاق
ولاح في حالة الشجو البنفسج اذ — بدا بثوب من الاحزان غساق
والزنبق اغتاظ من ضحك الورد وقد — شق الخدود فلم يلق له واق
واغمضت باقة النسرين من اسف — فصار من روعه يشكو الى الباقي
والماء لما رأى حال الزهور غدا — يجري بقلب عظيم الشوق خفاق
وشمال الروض حول الغصن دار وقد — تلي عليه لخوف رقية لراقي
ان كان ذلك حال الزهر من عجب — فكيف حال اخي وجد واشواق
افديه لما صحا من سكره سحراً — وللطلي اثر في خده باقي
وقام يخطر والارداف تقعده — وخصره يشتكي سقماً لمشتاق
وقال لي بلسان السكر خذ بيدي — فعذت من لحظه الماضي بخلاقي

وقت بالامر والالحاظ تنشدني لاق عظيم الجوى من فتنتي لاق
اما رأيت غصون الروض راقصة والنجم الافق حيتنـا باشراق
وقد تعانق روح السر من طرب وكاد يلتف ذاك الساق بالساق

ولم يكن قد مر على بديع الزمان مجلس طرب مثل ذاك المجلس فانه كان منفرداً بالسيدة حسن وهو ينادمها وتنادمه وتغني له برخيم صوتها العذب وتترحب به وتقبله ويقبلها وتسكب الخمر وتسقيه ويسكب الخمر ويسقيها . ولا ريب ان كل من قرأ قصـة الامير حمزة العرب احب بديع الزمان ومال الى شجاعته وصفاته ولذلك لا يتكدر من وجوده في مثل هكذا مقام ولا سيا اذا طولنا عليه وصفه لنطيل عليه هناءه وراحته فانه كان يظن من نفسه انه موجود في نعيم الخلد وبين يديه تلك الحورية التي لا نظير لها بين جواري الجنان فهي صنعت بيد العناية الالهية لكن جملتها بحلي البهي والجمال والحسن والكمال وكانت تسر عند ما ترى سروره فتزيده من الغنج والدلال والرقة وعذوبة الالفاظ والثناء والمدح وقد انشدته بصوت رخيم على عود كانت تضرب عليه :

ما الفواد لغصن بالنسا ثمل من ميله لعبت يد النسيم به
امال جيد الظبا من لينه شغفاً والميل في الظبي من اقوى مذاهبه
وارت ذوائبه شمساً فغرته تحت الشعور كليل في غياهبه
شب الجوى بين احشائي لرؤيته فقمت والحظ يصمى في مضاربه
سألته رحمة في لحظه فابى وزاد قلبي تريحاً بحاجبه
من سحر اجفانه هاروت قابلني ومد في صدغه احدى عقاربه
وكنز مبسمه الزاهي ولؤلؤه مرصد باذع من ذوائبـه
لما رأى حيرتي فيه انثني عجباً وقال ان الهوى يودي بصاحبه
فقلت ياهارتاً يا اصب تعرف ذا ما بال قلبك لا يعنو لواجبه

وكان المكان يصفق عند سماعه رخيم صوتها والجدران تهتز راقصة من الطرب وصاحبنا بديع يتمايل من الشمول وهو كانه في نعيم الى ان قرب الصباح

وحينئذ انشد يختتم المجلس بالميل الى الكؤوس قبل اجتيلاء ثمرة العروس مردداً قول من قال :

لاح الصبوح وبهجة الاوقات فاشرب وعاط الصب بالكاسات
واجلب براحك للقلوب تروحاً فالراح تبدع نشأة اللذات
وانهض فديتك فالزمان مراقبي ما الحظ لي في كل يوم آت
ودع الوشاة وما تقول عواذلي فالعين عيني والصفات صفاتي
دعني وما لاقى الفواد بحبها لما صبا بشقائق الوجنات
لاغرو ان كان الرشيق يديرها في معهد الغزلان والبانات
فانا الاسير بظل روض كرومها ولو ان في عنقي شهي حياتي
وانا الشهيد بحب ذوق عصيرها ان كان في حب الكؤوس مماتي
جهل العوازل ما تريد بشربها نفسي وماتلقى من السكرات
فتسلياً عن جفوة ام صبوة لفوادي المضنى من الحسرات
شتان بين ظنونهم وسرائري والله يعلم منتهى غاياتي
كم باتت الاحداق يسعى طلها روض الجوى وحدائق اللوعات
يا عاذلي كف الملام فانني صب بدت بين الورى آياتي
قل ما تشاء فان قولك مطربي وحديث من اهوى دوا بجلاتي
ان شئت لمني او فهدد وانهني فاليم لومك في الهوى لذاتي
لعبت بي الاشجان حتى انني لم ادر من اهوى ومن هي ذاتي
وسار بي الشوق المذل لمعهد اهو اللظى ام غرفة الجنات

ثم ان بديع الزمان بعد ان تمكنت منه الخمرة وغرق في بحر من الشمول يكاد لا يصحو منه الا بنوال المراد قال لحسن اعلمي يا سيدة الحسان وكوكب اللطف وبدر الظرف اني ما اتيت هذا المكان الا لاجلك اني قد علقت بك على السماع على امل ان اتخذك لي زوجة وحليلة وقد شاهدتك ورأيتك فوق ماوصفت لي وبالحقيقة قد صرت كما ترينني فانظري في ما تريدين فقد كاد الليل يذهب

ونحن على هذا المذهب وانا في حاجة للعود الى الارطان لان ابي في ضجر من اجل غيابي واريد سرعة الرجوع بعد ان انهي امري معك وتكوني زوجة لي على حسب اعتقادي فقالت واي مانع يمنعني من ان اكون زوجتك وقد ارتفع بيننا كل حجاب وصرت لي وانا لك ألست انت راض بذلك وتملك نفسك . فقال اني راض بذلك واعرف انك راضية به بل نزيد ان نتعاهد على الوفاء ونقسم الايمان ان يكون احدنا للاخر فتنظرين الي نظر الزوج وانظر اليك نظر المرأة فاقسمت له واقسم لها وتعاهدوا على الولاء والحب وان لا ينكث احدهما الحب ثم نهض بديع وصلى فرضه وسأل الله التوفيق والنجاح ومن ثم دخلا حجرة المنام ليقوما بالعمل التام وقد صارا جسداً واحداً وما جمعه الله لا يفرقه انسان على ما يقال لكن واحسرتاه فان مدتهما غير طويلة كما سيظهر بعد قريب من نكبات الانسان وقد فكر ان يبقى عندها مدة ايام يقضي فروض الزواج اذ ليس من العدل ان يتركها من اول يوم مع ان اباه براحة من المدينة ولا بد ان يعرف بمكانه وان اباها بمأمن منه لانه ذهب الى اهله ولم يعد يرجع اليها واقام على الهناء والسرور

وكان الامير قاسم يقاسي العناء والاكدار والعذاب وهو عريان في تلك الجزيرة التي وصل اليها وصعد عليها . وفي المساء فكر في نفسه اذا نام على بساط الارض لا يأمن الخطر فربما ادركه وحش او افعى فيأذيه وهو نائم ولذلك خطر له ان يصعد الى اعلى احدى الشجر ويصنع له سريراً هناك ينام فيه فنظر في كل الشجر الى ان راى شجرة ذات فروع كثيرة فصعد عليها واخرج منها اغصاناً فجمعها الى بعضها والقاها على الاغصان الغير مقطوعة وجلس عليها مستتراً من رطوبة الليل وكان نور القمر يضيء الارض ويظهر كل ما عليها وما تقدم الليل قليلاً حتى خرجت الوحوش من مرابضها وصار يسمع اصواتها من كل ناحية وهو على سريره غير خائف من ان يراه او يصل اليه احدها الا انه في خلال ذلك الليل رأى اسداً قد وصل الى عين ماء محكمة تحت مكانه واراد ان يشرب منها

فراى خيال سريره في الشجرة مع انه لم يكن يراه قبل فوقفه وزأر زئيراً عالياً فطل قاسم من فوق السرير ونظر الى الاسفل فتبينه الاسد تماماً فزاد في ضربه وزئيره فجعل يضحك منه غير خائف منه وجعل يشتمه ويهينه فزاد حنق الاسد وجعل يدور حول الشجرة يطلب الصعود اليه فلم يقدر وحينئذٍ تقدم من الشجرة ووضع كتفه فيها وجعل يشد فامالها وحركها فاغتاظ الامير قاسم وقامت عيناه في ام رأسه وصاح بصوت من اعالي الشجرة ويلك كلب البرية اتظن اني تخليت عنك خيفة منك حتى طمعت بي وتريد افتراسي فستلاقي شر عملك في الحال ثم عمد الى احد فروع تلك الشجرة الكبيرة وتمطى به فانقطع من اسفله وكان ثخيناً وكبيراً فحمله في يده وقفز الى الارض كانه عفريت من عفاريت السيد سليمان وصاح بصوت اشد من صوته الاول وانحدف على الاسد بقوة عظيمة فطمع فيه الاسد لما رآه عرياناً وجمع قوائمه وانحذف عليه والتقاه فاخذ قاسم في ان يحاوله ويراوغه حتى تمكن منه بضربة وقعت على ام رأسه اضاعت صوابه وكسرت دماغه والقته الى الارض ينازع فاردف الضربة الاولى بثانية حتى اماته وذ ذاك تقدم منه وجعل يخاطبه قائلاً ويلك يا قط البرية الا تعلم اني ابن الامير رستم مرتم ابن الامير حمزة البهلوان . فلو كان عليَّ سلاحي والتقيت بعشرة مثلك لما تركتهم يقتلون امامي ثم اعتز وتعاظم وقال في نفسه لا بد ان اصل الى عمي بديع الزمان الغادر الخوان وافعل به ما فعلت في هذا الاسد

ثم انه اكمل ليله ساهراً ولم يعد ينام بل بقي يتقلب فوق الاسد يستدفئ بجلده ينتظر الصباح حتى جاء في اليوم الثاني فنهض من مكانه وخرج الى ساحة الجزيرة وكان جائعاً فجعل يقطف من تلك الاثمار ويأكل ايسد بها رمقه الى ان صارت الساعة الثالثة واذا به يرى قارباً يمخر البحر مجتازاً من ناحية الجزيرة يبعد عن الشاطىء نحواً من خمس اذرع فامل بالنجاح وتقدم من الشاطىء وجعل يصيح ويطلب النجدة ورأى في القارب المذكور جماعة من البنات وعندما رأينه خفن منه وطلبن البعد عن الشاطىء فاعاد الصياح وقال لهن بالله عليكن لاتتركني

في هذا المكان فاني غريب غرقت فسبحت حتى وصلت الى هـذه الجزيرة ولا اري ملجئاً وخلاصاً الا بكن فرمينا له بعضاً من ثيابهن ليستتر بها ثم قربْن من الشاطىء وسألنه عن حاله فقال لهم اني كنت في مركب فغرق فسبحت مقدار يوم حتى وصلت في مساء الامس الى هنا فنمت والآن كما ترينني . فقالت له كبيرتهن وكيف نمت في هذه الجزيرة وبقيت حيا الى الآن فان فيها اسداً كبيراً اهلك كثيراً من الرجال ولم يقدر احد عليه - فقال لهم اني قتلت ذاك الاسد وانا عار من الثياب فلم يصدقنه وحينئذٍ ذهب الى محل الاسد وجر شلوه الى الشاطىء فرأينه وتعجبن كثيراً من عمله ونزلن الى الشاطىء ومشين في البر وحينئذٍ سألهن عن حالهن وكيف جئن الى ذاك المكان . فقالت له اكبرهن وكان اسمها زهر المحاسن اعلم ايها الشاب اني بنت ملك الغيوم صاحب مدينة الكسيم وجبل الغرار ولم يكن لابي سواي وعندما كنت صغيرة اعتراني مرض اعيى الاطباء شفاؤه الى ان اخيراً جاء طبيب من بلاد الغرب فوصف لي علاجاً بسيطاً وهو ان يذهب بي في كل يوم في البحر مقدار ست ساعات فانتفع من ذلك فأخذ ابي في الاول ان يجرب ذلك الى ان رآني استفدت وانتفعت من هواء البحر فسر جداً وكان يعرف هذه الجزيرة فجاء هذه الناحية منها وزرع بهـا اشجاراً من كامل الانواع وجعلها محل نزهة لي فصرت اجئها في كل يوم بجماعة من قومنا وعشر بنات من بنات الاعيان لتسليني غير ان في آخر الايام وصل من براري الجزيرة اسد وتقدم الى المحل الذي انشأناه فخفنا منه وهربنا الى القارب وعدنا الى ابي وعرضنا عليه ذلك فبعث بالعساكر والفرسان فما كان ولا واحد منهم يقدر ان يقف في وجهه فقتل كثيراً وحشم كثيراً حتى ان ابي اخيراً منعني عن المجيء فصعب علي ذلك غير اني رجوته ان ابقى على عادتي من السير في البحر على قاربي لاني انتفع في ذلك وارى راحة في بدني . وصرت اجيء بالقارب فأمر من هنا متحسرة على هذه الرياض التي زرعناهـا . وكثيراً ما كنا نوقف القارب وننزل البر فنقطف ما تصل اليه ايدينا من اثمارها ونرجع في الحال خائفين ان يشم رائحتنا فيفتك

والان لقد فعلت جميلاً معنا لاننساه لك الى آخر الايام ولابد انك اذا وصلت الى ابي وعرف ما فعلت انعم عليك واغناك واجابك الى كل ما تطلب . قال لا اريد منكم الان الا ان تصلوا بي الى مكان يكون به عالم من بني جنسي واتخلص من هذه المصيبة بالانقطاع عن الناس والانفراد في هذا المكان واني لا اخاف السبع ولا الوحوش فهي عندي كالهررة

وحينئذٍ اخذته الى القارب واخذن من ثمار الجزيرة شيئاً كثيراً وقطعن آذان الاسد ورجعنا الى مدينة الكسيم وبساعات قليلة وصلنا اليها وصعدنا البر وخرج معهن الامير قاسم وهو يلبس ثياب البنات وعند وصوله من قصر الملك جاءته بنته بثياب الرجال فلبسها ودخلت على ابيها وعرضت عليه كل ما رأت من الامير قاسم واخبرته بموت الاسد وارته آذانه فكاد يطير من الفرح وسر سروراً لا مزيد عليه وادنى منه قاسماً واكرمه مزيد الاكرام وسأله عن حاله وقال له لقد وجبت علينا ضيافتك واكرامك فاطلب ما شئت فلا نمنع عنك شيئاً . وكان قاسم لا يرغب الا سرعة الرجوع الى قصر السيدة حسن ليرى ما ذا جرى فيها وما كان من امر عمه بديع وهو يؤمل ان كان عمه تركها ورجع الى ابيه فيأخذها لنفسه وان كان تزوجها فاصر ان لا بد من قتله وقتلها ولذلك قال للملك غيوم اني انا الامير قاسم وجدي الامير حمزة البهلوان سيد سادات هذا الزمان وقاهر كسرى انو شروان واما ما اريد منك فهو اني ارغب ان تعطيني جواداً وعدة جلاد فقط لارجع الى اهلي ويكون لك بذلك الاجر والثواب والشكر مني على طول الزمان . فلما سمع بانه من نسل الامير حمزة نهض واقفاً على اقدامه اكراماً له ولجده وقال له لقد شرفتنا على غير انتظار وبالحقيقة انك سيد وابن سيد ومن اللازم ان تقيم عندنا اياماً لنقوم بالواجب لديك فتذكر عملنا امام جدك . قال اني لا ارغب في التطويل فان قومي في ارتباك لغيابي وكفاني ما عملته معي من المعروف باحيائي بعد الموت والمجيء بي من تلك المكان المقفر ومع كل ذلك فاني ابقى عندك الى صباح اليوم القادم

ففرح به الملك والاعيان وشاع الخبر بان الذي قتل الاسد هو الامير قاسم حفيد الامير حمزة فجعل الناس يأتون اليه افواجاً ليسلموا عليه ويشكرونه على جميله ويتفرجوا على هيئته لان ذكر الامير حمزة في ذلك الزمان كان ملأ الارض طولاً وعرضاً فلم تبق ولا قطعة من الارض الا ووصلت اليها اخبار سطوتـه تخافه الكثير من الملوك والسادات . واعد الملك وليمة عظيمة للامير قاسم وزين المدينة اكراماً له وصرف ذاك اليوم على الراحة والهناء . وفي اليوم الثاني نهض وجاء الى الملك فوجده بانتظاره وقد هيأ له كل ما طلب فركب وتقلد بالسلاح فأخذ معه كل ما يحتاجه في طريقه من الزاد والمونة وودع اهل المدينة وخرج يقصد بلاد الشفق ليسير منها الى قصر السيدة حسن التي احبهـا من كل قلبه وبقي مولعاً بها وكان شخصها لا يزال واقفاً أمامه ولا نقول ان هذا الحب الموجود في الامير قاسم هو عن كرامة اخلاق او عن حسن مزايا بل انه تولد فيـه من جراء ما جمعته حسن من الحسن والجمال وتمكن اكثر فأكثر كيداً لبديع فصارت بالرغم على اطواره البديعة معشوقة من افكاره وصار يتقدم شيئاً فشيئاً وهو يتمنى ان تكون له اجنحة الطيور ليصل بوقت قريب ويعرف ما ذا جرى عليها . ولما تمادى به الوجد جرب ان يقول الشعر فجاء معه ولداعي الوجـد فأنشد متغزلاً :

اعاتبكم يا اهل ودي وان بدت ... دلائل صدق منكم وملالي
واعذركم ثقلت حتى مللتم ... واسرفتم في هجري المتوالي
فهونني من كان عندي مكرماً ... وارخصني من كان عندي غالي
سأحمل عنكم كل ما فيه كلفة ... واقنع منكم في الكرى بخيال
ليسلم ذاك الود بيني وبينكم ... فلست على شيء سواه ابالي
ويأتيكم ما عشت يا آل مهجتي ... سلامي اليكم دائماً وسوالي
ومن عجب عتبي على الحسن الذي ... لدي وعنـدي جوده متوالي
ولكن بدا منها جفاء فساءني ... وذلك شيء لم يمر ببـالي

فان تنس عهدي لست انسى عهودها   وان تسل عني لست عنها بسال

وبقي في مسيره مستعجلًا على الحالة المذكورة ينهب الارض ركضاً على ما تقدم فهذا ما كان منه واما ما كان من امر بديع الزمان فانه بقي على حاله عند السيدة حسن وقد نسي اهله واباه ولم يفكر فيهم واهتم بصفوه ولهوه غارق في بحر العشق والغرام وهي كذلك يصرفان كل وقتهما لشرب العقار ومناشدة الاشعار وضم وعناق ولف ساق على ساق الى ان وصل الخبر الى الملك العنيد ابي حسن بان بنته تزوجت من بديع وانه عندها ليلًا ونهارًا فغضب الغضب الزائد وقامت عليه القيامة وقال قبح الله البنات فانهن علة كدر للاباء وكنت في الاول عفوت عنها ظاناً براءتها واما الان فلا بد لي من قتلها وقتله ثم جمع عساكره وسار على عجل حتى وصل من القصر ورأى بديع ان طلائع العساكر قد اقبلت فعرف القصد واراد ان ينزل في الحال الى ملاقاتهم فتمسكت به حسن وقالت له لا تخاطر بنفسك بل خذني وراك على جوادك واهرب من امامهم ولا يأتي علينا المساء حتى نكون في مدينة دشتمغال . فقال هذا لا ارضاه ابدًا ولو مت على اسنة العدا على اني اعرف من نفسي اني كفوء لعساكر ابيك برمتهم فقالت له ان جيش ابي كثير فاذا رأى الغلبة جر اليك كل عساكره وهي بعدد الرمل والحصى وانت وحيد وقومك بعيدون عنك ولا اظن انهم يعرفون بضيقك فيأتون لمعونتك . فقال اني باذن الله لا احتاج الى معين غيره وسوف تريني وما افعل لك بقومك . ثم نزل وركضت هي الى النافذة فوقفت فيها آيسة من الحياة وقد وطدت كل عزمها على انها عند ما ترى وقوع بديع بايديهم او بالحري قتله القت بنفسها وماتت ولا ترى اباها وتحتمل لومه وتعنيفه وعذابه فضلًا عن انها لا تريد الحياة بعد حبيبها

هذا وقبل ان تصل العساكر من القصر ركب بديع على جواده واطلق له العنان فخرج يجري كانه السلهب ثم عاد به جرياً حتى حمي وصار يخطف الطير في سرعة جريه وقد ارغى وازبد وحينئذٍ صاح بصوت اهتزت له السهول والجبال

والقى الرعب في قلوب الرجال وقال ويلكم انذال غير اقيال . فقد جاءكم قضاء الله المتعال وسيد الرجال والابطال بديع الزمان ابن حمزة البهلوان الاسد الريبال واشهر بيده الحسام وانطرح على تلك الجموع انطراح الصواعق وجعل ياخذ الرجال بصدر حواده فيمددها على بساط الرمال ويضرب بسيفه رؤوسها فينزعها عن الابدان . ويرسل بها الى عالم الهلاك والقلعان ولما رأى الملك عنيد فعله خاف منه ومن ان يبطش بالذين معه فيصل اليه ولذلك صاح برجاله ان تثبت في وجهه وتتكاثر عليه وبعث ببعض الخدم يطلب كل ما في المدينة من العسكر وقال لو لم يكن بالقرب من بديع الزمان من يساعده لما تجاسر على قتالنا وهو وحيد . وما برح السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل وبديع كانه فرخ من فروخ الجان لا يهتم بالعساكر ان كثرت او قلت بل يضرب بسيفه فيقطع اثنين او ثلاثة ثم يستأنف الضرب باليمين والشمال . فيفرق من حواليه الرجال ليتسع عليه المجال وبقي على ما تقدم الى ان اقبل الظلام وقد اهلك من الاعداء قسماً كبيرًا وعند المساء عاد الى جهة القصر وهو كانه الاسد الكاسر وقد اهلك اكثر الموجودين ولم يبقَ الا نحو خمسمائة نفر منهم وهم مرعوبين من سيفه وتاخر الملك العنيد ينتظر وصول عساكره الكثيرة وقد اخذته الدهشة من عمل رجل كبديع وندم على محاربته غير ان الحمق زاد في رأسه ونوي ان لا يتركه حياً ولو خسر بلاده ومملكته ورجع مقدار ساعتين عن المدينة خوفاً من ان يكابسهم بديع في الليل فيكمل على الباقين غير ان بديعاً لم يكن حاسباً هذا الحساب ولما وصل من باب القصر تلقته حسن بالترحيب والاكرام وقبلته ما بين الاعيان واخذته الى صدرها وقالت له مثلك تكون الرجال والا فلا وحيث الان قد قضيت الغرض وشفيت المرض وصار لك ما طلب فهلم بنا نرحل في هذا الليل قبل ان تحل بنا المصائب فان قلبي على الدوام يحدثني بالويل والدمار ولا اعرف لي راحة الا بالفرار . قال وي فرار بعد ان فعلت ما فعلت بابيك اتظنين يا حبيبتي وحياتي ان في العرب من يعرف الفرار او يألفه فالموت خير من الهرب . قالت انك وحيد

وربما جاء ابي بعساكر واحتاط القصر في هذه الليلة فلا نعود نقدر على الخروج . قال اذا منعونا عن الخروج منعناهم عن الدخول فلا اترك واحداً منهم يصل الى القصر او يدخل ببابه ولكن لا يجسرون على هذا العمل على ان عساكر ابيك لا تصل قبل الصباح لانها كثيرة وتحتاج الى وقت لتجتمع وتسير

وبعد ان قفل الباب وادخل جواده الى الداخل طلب الطعام فاكل واياها وهي تكاد تطير فرحاً به وبما رأته من اعماله متأكدة ان الزمان قد اعطاها ما لم يعط لغيرها من ربات الخدور والبنات فانها تزوجت برجل من اشرف سادات ذاك الزمان اباً واماً وافرسهم واشجعهم اذا اجتمع الفرسان تحت راية الحرب والطعان . واجملهم وابدعهم وجهاً اذا باحت النساء بمحاسن رجالهم . واعقلهم واكملهم اذا تعرض بالرزانة والادب وبعد ان صرف السهرة معها نهض الى سريره ونام واياها وكان ذاك الوداع الاخير بين ذينك البدرين وعند طلوع الصباح نهض بديع الزمان فوجد العساكر مقبلة عن بعيد كانها الجراد المنتشر فعرف صعوبة الامر وقال لحسن اني الى مثل هذا اليوم انتظر وسترينني ما افعل لك في رجال ابيك فتحدرت الدمعة فوق خدودها وارمت بنفسها عليه تقبله ولم ترد ان تفارقه وهي تقول له والله يا حبيبي واعز من مهجة فؤادي ان قلبي يحدثني ان لا اجتماع بعد هذه الساعة فارفعني وراك وخذني معك فاذا فزت فزت واياك واذا قتلت اقتل معك . فرفعها عنه بلطف وقال لها هدي روعك واحسني ظنك ولا تخافي سوء فان الله سبحانه وتعالى يدبر عباده بما يريد فلا تحزني على امر لم نصل اليه بعد ولي رجاء باني افتك بكل هذه العساكر ولا ارجع عنها ما لم ابددها وان كنت تخافين كثرتها فهذا لا يهمني فاني خلقت من الحديد فالذي اقدر ان افعله مع خمسمائة نفس اقدر ان افعل مثله واكثر منه خمسماية الف نفس لان اكثر من هذا العدد لا يقدر ان يصل اليّ ويقرب مني وانا لا اعرف التعب ولا الملال فلا تضعف قوتي ولا ينحط عزمي وسوف ترين ذلك . ثم نزل من السلم حالاً الى جواده وهي تنظر

اليه نظر المودع الولهان وتحدق به احداق اليأس وقطع الرجاء

قال وباقل من نصف ساعة كانت وصلت العساكر فحمل عليها بديع الزمان حملة اسود خفان وجعل يفتك اي فتك ويقتل اي قتل ويجول ويصول ويطعن الفرسان ويعددها في العرض والطول وكل ما قربت الفرسان منه وتكاثرت عليه صاح فيها وفرقها والقى بالرجال على بساط الرمال وانزل بهم المصائب والاهوال. واراهم الموت في راس رمحه العسال. وهو ينادي ويصيح ويفاخر بنفسه ويتكنى بابناء جنسه وفيما هو على مثل تلك الحال وقد تعجبت من افعاله رجال الملك العنيد واحتالوا من قتاله فقال الملك في نفسه والله انه نادرة هذا الزمان ووحيد العصر والاوان ولو كنت ذا عقل لترضيته وملكت به الارض بالطول والعرض واذا بالامير قاسم قد وصل في تلك الساعة ورأى الرجال تزدحم على عمه وهو يفرقها ويشردها ذات اليمين وذات الشمال غير مكترث بكثرة الرجال والفرسان والابطال. فصاح من شدة الفرح وقال والله هذه فرصة لا يجب ان اضيعها والان اخذ بثاري من ابن الصياد واعدمه الوعي والارشاد. واريه كيف يكون العناد. وحمل عليه حملة الاسد الريبال. ولما راه بديع الزمان استعان بالعزيز الرحمن وتاخر الى الورآء وقرب من قاسم وهو يستتر من ضرباته وطعناته وقال له ويلك ياقاسم ليس الان وقت شماتة ولا عناد فانك بعملك هذا تنزل من شان العرب وتحط من قدرهم فتصير الناس تضرب بنا الامثال ونصبح معيرة عند الكبير والصغير. فقال من انت تنتسب الى العرب واذا قتلت فقد قتل احسن منك من العرب واعظم ولم يحط من شأنهم ولا انزل من قدرهم واشهر بيده الحسام وضربه به فتلقاه وكانت العساكر قد عادت الى الازدحام والضرب والطعان فجعل يدافع عن نفسه مدافعة الاسود الى ان زادت عليه الرجال ورأى الموت عياناً وشاهد قاسم التضييق وانه ان صبر عليه يقتله ويعدمه الحياة فقامت عيناه في ام راسه وصعد الزبد على اشداقه فصاح صياح الابطال وانحط بضربة على قاسم قاصداً قتله فالتقاه بهمة عربية وكان يساعده زيادة العساكر وكثرتها. وتلك الساعة سمع

الصياح والصراخ من جهة البر وسمع صوت ينادي ابشر يا بديع الزمان بالخلاص من هذه الشدات فقد اتاك حمزة البهلوان فخر العرب ومزيل الكرب ومن خلفه فرسانه وابطاله وكان صياح الامير عمر العيار وقد توسط بنفسه بين بديع وقاسم ولما رأى قاسم ذلك وسمع ما سمع ايقن بالفشل وضياع الامر وخاف من جده فرجع عن عمه وترك له المجال وحده فعاد الى العساكر وانحط عليها انحطاط النوازل فاخترق الصفوف وتوسط الميئات والالوف . وقد اشتد غضبه وايقن بالمساعدة وببعد الامير قاسم الخائن الغدار فمدد الرجال وداسها بحوافر جواده . واذا بالامير حمزة قد حمل وحمل من وراه بالكان المطال وباقي الفرسان والابطال فجعلوا يقتلون ويطعنون حتى اتسع المجال على بديع وصار كانه اللولب يدور من مكان الى مكان وقد القى الرعب في قلوب الفرسان

قال وكان السبب في وصول الامير حمزة في ذاك اليوم هو انه كان لما غاب عنه في اليوم الاول تاكد انه قصد مكان السيدة حسن بنت الملك العنيد وتأمل انه يرجع بعد ان يقيم هناك بعض ايام ولما مضى عشرة ايام ولم يرجع خفق قلبه وخاف ان يقع بمصائب الزمان وانتظر عمر الى ان عاد فأرسل يكتشف له الاخبار . فقال عمر اني ما صبرت الى الان بلا بحث ولا توان وقد ذهبت في اثره لما تأكدت ان قاسماً قد خرج من المعسكر وخفت من هذا الامر وقصدت القصر واحتلت في الليل الى ان وصلت الى اعاليه دون ان يرني احد فوجدت بديعاً مع السيدة حسن على سفرة المدام وهما في اهنى عيش وانعم بال يتناشدان الاشعار ويتطارحان الغرام ولم ارَ قاسماً هناك فعدت من حيث اتيت وانا لا اريد ان اكدر عيشه ولا اضيع راحته وليس من العدل ان اكون السبب في كدره ومنعه عن محبوبته بعد ان وصل اليها وصار عندها وهي تحبه كما احبها وما من عذول ولا رقيب بينهما . فقال الامير اذا كان الامر كما ذكرت فاتركه على حاله لكن اريد في كل ليلة ان تقصد تلك النواحي وتكون على محافظته خيفة من نكبات الزمان لان السرور ينتهي على الدوام بالهم والمصائب حيث ان مدته قليلة جداً .

واني اصبر عليه شهراً او شهرين حتى يفرغ من هناه ويشبع من محبوبته فانه يستحق اكثر من هذا ومن الضرورة ان من يصرف وقته بالحروب والغارات يحتاج الى الراحة والسعادة ولا سيما من كان كاخي بديع في اول عمره ولم يذق قبل الان لذة الحب والهوى . قال لقد اصبت يا اخي وهكذا اريد منك ولا اظن ان احداً من الفرسان يتكدر من طول الاقامة في هذه المدينة فهم براحة ويرغبون في هناء بديع . فأظهر كل من الفرسان رضاه بذلك . ثم قال حمزة لعمر ايضاً : اريد منك ان تبحث على مكان الامير قاسم فانه غاب ولا نعرف مكانه ولا في اي ارض هو . فاجاب ذلك وصار منذ تلك الليلة يأتي الى تلك النواحي فيطوف حول القصر ثم يتسلق اعاليه وينظر بديعاً على حاله فيرجع مسروراً بعد نصف الليل أي عند ما يتأكد انه دخل الى حجرة النوم وما برح الى ان كانت الليلة الماضية فوصل عمر الى تلك النواحي فرأى القتلى حول القصر ممددة على بساط الارض وهي كثيرة فخفق قلبه والتفت الى جهة البر فرأى الانوار في ناحية قريبة من القصر . فقصد تلك الناحية ورأى ان هناك العساكر التي قاتلها بديع الزمان في النهار وانزل بها الذل والبوار فتخللها واجتمع باحد العبيد وسلم عليه وتحابا . ثم سأله عن قيام قومه في تلك الارض فأعاد عليه العبد القصة بتمامها من الاول الى الاخر وقال له في آخر الكلام اننا بعدنا عن القصر خيفة منه ان يكبسنا في هذه الليلة قبل ان تصل الينا الفرسان واننا على يقين ان في الصباح تدركنا عساكرنا وهي بعدد الرمال فنقبض عليه ونقتله ونطفي من الدنيا خبره ويرتفع الذل عن ملكنا لان هذا العربي قد دخل بنته على غير علمه ولا ارادته

فلما سمع عمر هذا الكلام قال في نفسه لقد ارتكبتم غلطاً فوالله العظيم لا بد من جر عساكر العرب اليكم وهلاككم عن آخركم . ثم فارق العبد وانسحب الى ناحية القصر فتسلقه على عادته ورأى بديعاً مع محبوبته وهو بهناء وراحة على حسب عادته غير مكترث عما صار في النهار ولا حاسب ما سيصير في اليوم الاتي الا انه رأى السيدة حسن مهمومة حزينة باكية العين تظهر عليها دلائل

الاضطراب والقلق وهو يسليها ويطيب بخاطرها ويعدها بتفريق الجموع لو كانوا الوفاً ومئات الوف . وهي تلح عليه بالمسير الى ابيه والهرب تحت سواد الليل وهو يمانع ويقول لها اكون بديع الزمان بن الامير حمزة البهلوان واهرب خوفاً من الجنود والفرسان . فنزل عمر عن القصر وانطلق الى جهة مدينـــة دشتمغال حتى دخلها وجاء الامير حمزة فأيقظه من نومه وقال له انهض وسر الى قصر السيدة حسن فان العساكر محيطة به ولو لم يكن ابنك من عجائب المخلوقات لاخذ في هذا اليوم . ثم اعاد عليه ما فعل وما سمع من العبد وما سمعه منه ومن السيدة حسن وقال له لو كنت اعرف انه يأتي لاتيت به لكن سمعت منـــه ما منعني ورغبت في بقائه فهو فخر العرب ومجدهم ولا بد في الصباح من كثرة العساكر فهلموا بنا لندركه قبل ان يقع باسر يصعب عليه الخلاص منه لان كثرة الرجال تغلب اشد الابطال . فلما سمع الامير حمزة كلام اخيه لم يصبر ان يجمع الابطال اليه بل اسرع الى عدته فلبسها وجواده فركبه بعد ان امر عمراً ان يـــدريهم ويحضرهم واحداً واحداً وان يخرج بعساكر بديع فقط فانها تكفي لنوال المراد وبساعات قليلة مشت الرجال عن المدينة قاصدين تلك الناحية فوصل اليهـــا قبل منتصف اليوم التالي ورأى القتال عاقداً وبديع على تلك الحالة وشاهدوا قاسماً على ما تقدم فطار الشرار من عيني عمر والخطف باسرع من البرق وجرى ماجرى

قال ولما رأى الامير قاسم خذلانه وفشله عظمت عليه الاحوال وشعر بانفطار مرارته وتذكر مزاحمة بديع له وكيف انه اخذ منه محبوبته فغاب عن الهدى واطلق لجواده العنان وخرج من ساحة الميدان قبل ان يباشر جده القتال . ولما صار بعيداً وقف يفكر في ماذا يصنع وصار يسمع اصوات بديع وهو يزاحم الفرسان ويبددها فزادت عزيمته في قلبه وعول على الرجوع الى الحرب ثانياً عساه يصل منه فيقتله غير انه خاف من جده والفرسان لانه رآهم وقد باشروا القتال فعرف انهم لا بد ان ينتصروا على الملك العنيد وان لا بد ان يرجع بديع الزمان وياخذ حسناً فيموت كيداً واذ ذاك عول على قتل السيدة حسن ولما خطر له هـــذا

الخاطر دار بجواده لنحو القصر واطلق العنان وبدقائق قليلة صار تحت النافذة ورأى حسناً واقفة فيها وهي كانها القمر بتمامه وعيونها الجارحة تبرق من الفرح والسرور وهي ناظرة الى المعمعة غير ملتفتة اليه فصاح فيها وقال بشراك يا سيدة الملاح فقد وصل جدي الامير حمزة برجاله وسيخلص بديعك في هذه الساعة ويرجع اليك فحولت بنظرها اليه وعرفته ولم تكن ضاغنة عليه لان كما تقدم كانت رقيقة الطبع لا تعرف الغش والخداع ولا تميل الى الكذب والنفاق والمرايات . فقالت له بشرت بالخير يا قاسم فاني ارى الفرسان وقد طردت عساكر ابي وارى بديع حبيبي ينزل بهم النوازل فجزى الله العرب عني خيراً . ثم تركته وحولت بنظرها الى جهة القتال وهي باسمة السن راضية مما ترى وتسمع فاغتنم قاسم هذه الفرصة واخذ الرمح في يده وهو على ظهر الجواد وحكمه من السيدة حسن واطلقه فخرج من يده كالنشاب ووقع في صدرها فصاحت من الالم قطعت يدك يا غدار وانطرحت الى الارض تختبط بدمها ورأى قاسماً ذلك فانسر وشعر كأن هماً عظيماً سقط عن قلبه وقال لقد بلغت المراد ولا بد لبديع من ان يحزن ويقهر واراد ان يدخل القصر فأسرع الخدام واقفلوا الابواب في وجهه وصعدوا الى القصر فرأوا سيدتهم تنازع على آخر رمق فبكوا عليها فنظرت اليهم من الالم وقالت لاحدى جواريها اقري بديع الزمان مني السلام وقولي له اني قضيت وانا مسرورة من اعماله وان النصيب لم يكتب لي ان اعيش كثيراً معه واني اقسم عليه بحياتي ان لا يحزن عليّ كثيراً وان لا يضر بالامير قاسم لان موتي هو بسماح منه تعالى وهذه ارادة الباري جل وعلا وكرري عليه ذلك . وكانت السيدة حسن وهي باخر رمق من حياتها لم تفقد عقلها وحكمتها فارادت ان تذكر بعد موتها بالخير فلا تكون وسيلة لتفرق العرب لعلمها ان بديع الزمان يقتل قاسم بدون ريب ولا شك. واما ما كان من الامير قاسم فانه بقي في مكانه واقفاً الى ان سمع البكاء والنوح فتأكد موتها وفراق روحها عن جسدها . فرحمها الله رحمة واسعة وسار من هناك الى مدينة دشتمغال وحده

وكان بديع الزمان والامير حمزة قــد قتلوا كثيراً من عساكر الملك العنيد واخيراً قتلوه وشتتوا قومه وانزلوا به العبر وبعد ذلك رجع بديع الى ابيه فقبل يديه فقبله بين عينيه وتقدمت منه كل الفرسان وسلموا عليه واحداً واحداً ولا سيا بالكان الهطال فانه القى بنفسه عليه وقبله وبكى من شدة الفرح ثم سأل الامير ابنه عن قاسم وكيف كان يقاتله فأخبره بامره من الاول الى الاخر حتى وصل اليه في الاخر وقصد قتله وهو يساعد الاعداء عليه وقلبــه لا يطيعه ان يقتله فغضب الامير من عمله وقال لا يزال على حاله وكان الاحرى بنا ان نطرده لولا الشفقة والحنو وتأكد خبافة عقله . ثم قال لابنه اريد منك ان تذهب الى قصر السيدة حسن فننظرها هل هي كما قيل لنــا عنها ونحملها ونرجع الى البلد فاننا نرغب في السفر حالاً فأجابهم وعادوا الى جهة القصر وعندما وصلوا الى بابه وجدوه مقفلاً والصياح والنواح داخله فخفق قلب بديع وطرق الباب فأسرع الخدم ولما تأكدوه فتحوا فسألهم عن سبب هذا الصراخ فقالوا هلم فانظر ما فعل الامير قاسم فاسرع الى فوق ومن خلفه الفرسان وابوه ولما رأى حسناً على تلك الحالة غاب صوابه ولطم على وجهه وصاح واحبيبتاه واعزيزتاه لقد هــد ركن حياتي وانهدمت بيوت آمالي ثم القى بنفسه فوقها مغمياً عليه غائباً عن الوجود لا يعي الى احد . وكان الامير قد نظر الى حسن القتيلة وهي على الارض ولم يتغير شيء من حسنها وجمالها والدم ينفجر من صدرها وقد تضرجت به فحزن كثيراً ونزل الدمع على خديه وكذلك باقي الفرسان وما منهم الا من بكى وانفطرت مرارته وشتم قاسماً وتمنى ان تكون قطعت يداه او هلك قبل ان مد يده الى ذاك البدر الفريد . وتقدم الامير عمر فرفع بديعاً واحرق في انفه خرقة ورش ماء الزهر على وجهه وسقاه من شراب السكر الى ان وعي الى نفسه وهو يلعن قاسماً ويشتمه ويندب حسناً ويلطم على خدوده ويتوعد انه لا بد ان يقتله ويعدمه الحياة . وحينئذ تقدمت الجارية منه واخبرته بما قالت سيدتها عند آخر كلمة من حياتها وانها تقسم عليه بحياتها ان لا يحزن وان لا يجازي ابن اخيه فصغى

الى كلامها وقال نعم انت علة خير ومقصد فضل في موتك وحال حياتك فلم تعد تلد النساء مثلك . ثم انشد يرثيها :

ان سال من غرب العيون بجور فالدهر باغ والزمان غـدور
فلكل عين حق مدرار الدما ولكل قلب لوعة وثبور
ستر السنا وتحجبت شمس الضحى وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذي اهوى وجرعني الاسى وغدت بقلبي جذوة وسعير
يا ليته لما نوى عهد النوى وافى العيون من الظلام نذير
ناهيك ما فعلت بنار حشاشتي نار لهـا بين الضلوع زفير
قسماً بفيض محاجري وتلهفي مـذ غاب انسان وفاق نورر
وبقبلتي ثغراً تقضى نحبه فحرمت طيب شذاه وهو عطير
والله لا اسلو التلاوة والدعا ما غردت فوق الغصون طيور
كلا ولا انسى زفير توجبي والقد منك لدى الثرى مدثور
قد كنت لا ارضى التباعد برهة كيف التصبر والبعاد دهور

ولما رأى ابوه منه ذلك تقدم منه ومسح دمعته وقال له لا يليق بالرجال ان يحزنوا كما تحزن النساء على ان الله لم يرض ان تكون من نصيبك فبعث لها ذاك الخبيث فقتلها وليس في عناد الله من فائدة فاقتصر عن الحزن وودع زوجتك فاني ازمعت ان ادفنها التراب ونرجع في الحال واذا كنت تحفظ عهدها وترعى مودتها فلا تحزن زمانك عليها فقد اوصت في ذلك وما برح هو وباقي الفرسان حتى خجل وترك الحزن وقبل ان توارى ونظر اليها مودعاً اياها الوداع الاخير متزوداً منها باخر نظرة الى ان تقدم الامير عمر وحملها بعد ان لفها بالقماش وانزلها التراب وبنى عليها بعض احجار كقبر واذ ذاك تقدم بديع الزمان وبكى فوق القبر واعاد وداعه لانه شعر برحيله عن تلك الارض والديار وربما لايعود اليها بعد ذلك ابداً وانشد قائلاً :

يا من اتى للقبر يقرأ طرسه مهلاً فليس كتابه بمداد

واعد له نظرًا فان حروفه كتبت بذوب العين والاكباد
ما خضبت كفاً ولكن اهلها قد خضبوا راحاتهم بسواد
ما زينوا بملابس منقوشة ابدًا ولكن زينوا بحداد
تباً لدهر خانها واغتالها من خدرها كفريسة الآساد
وفريدة لم تدر قيمتها الورى قد باعها الاوباش بيع كساد
نظمت بعقد الموت وهو مفصل بجواهر في نظمهن جياد
وجدت واعدمها الزمان حياتها ما اقرب الاعدام للايجاد
اواه من فعل الزمان ومكره مكر الزمان يزول بالاطواد
بلغ العدو مع الحسود مراده واحسرتاه اذا لم افز بمرادي
فبقيت بعد حياتها تنتابني نوب الردى حتى ازمت وسادي
أاحبتي كيف الرضا بتشتت قد ضرّ بالاخوان والاولاد
يا قبر مهلًا قد حظيت بدرة جلت عن الامثال والانداد
انا بي الى ما قدضممت تشوق يا ليتني اسعدت بالترداد
كنز اللآلي كيف يختم درجه يا ليتها شلت يد الاوغاد

وبعد ان فرغ من انشاده نظر الى القبر مودعاً وضرب برجليه بالارض وقفز الى ظهر الجواد ودار براسه الى ناحية مدينة دشتمغال ولم يعد يفكر بالقصر ولا بمن فيه ثم امر الامير حمزة عمرًا ان ياتي بما في القصر من الجواهر والاموال ومن اراد من الخدم والجوار ان يتبعهم ياتي به ومن امتنع يتركه وسار هو في الحال على اثر ولده وتبعه كل من كان من الابطال والفرسان في ذاك المكان وكان الجميع يظنون ان بديعاً سيأخذ لنفسه بالثار من قاسم الغدار ولذلك قصدوا ان يدركوه ولا يبعدوا عنه فيمنعوه عن ذلك على انه لم يكن يفكر بذلك بل سمح له ولم يضمر له شرًا وجل ما نوى عليه ان في اول فرصة يفارق العرب ويبعد عنهم فلا يعود يرى قاسماً وعرف انه ربما في ذات يوم غدره وهو مشغل عنه وتاكد انه ما زال بينهم لا يستقر خاطر قاسم ولا يهدأ ولا يرجع عن غيه ما زال يراه وينظر

اليه ويتحرق من عمله ويتحسر على السيدة حسن التي افجعه بهـا وبساعات قليلة وصلوا الى دشتمغال ودخلوها على ما هم عليه ولما اجتمعوا في الصيوان جاء الامير قاسم غير خائف ولا وهمان وجلس في مكانه فسأله الامير عن عمله وكيف قتل السيدة حسن فقال قتلتها لانها تستحق القتل قال ما هو الذنب التي فعلته فاستحقت القتل لاجله قال لانها تركت ابن السيد والامير وتمسكت بابن الصياد الحقير فاني جئت اليها قبله وكنت اود ان اتزوج بها قبل ان يصل فجاء ونكد عيشي وميلها اليه وبسببها كدت قتلت وصار لي ما هو كذا وكذا ورميت الى البحر وهو يعرف ذلك . وقد رايت من الحسن ان تموت فلا تكون لا لي ولا له فهو لا يستحقها واني كنت عازماً على قتله واخذها منه لو لم تاتوا الي نصرته فعفوت عنه في هذه المرة واما في المرة الثانية فلا بد من قتله . فلما سمع بديع كلام الامير قاسم ارغى وازبد واحمرت عيناه وتمنى ان ياكل لحمه باسنانه واحترم اباه والحاضرين فلم يجبه بشيء . وراى ذلك الامير حمزة فخاف ان الغيظ يخنق بديعاً او ينفجر الدم من انفه فتلافى المسألة وشتم قاسماً وتهدده بالقتل والموت وانه يشفق عليه وقد سامحه في هذه المرة اما في مرة ثانية يحكم عليه بالقتل ولا يعود يشفق عليه او يفكر انه حفيده . ثم التفت الى الامراء والسادات وقال لهم حيث انه لا بد لنا من السفر في اثر كسرى انو شروان فكونوا على اهبة السفر لنرحل في الغد ولم ارد ان اقيم في هذه البلاد اكثر من هذا الليل فقط فقال بالكان اني اطلب منك ان تاذن لي بالمسير معكم وقد نويت ان اقيم وكيلاً على المدينة واسير اينما سرتم . فقال لا يحتاج الامر الى ذلك بل ابق مع والدتك . فقال لا بـد لي من السفر معكم ثم اقام وكيلاً على مملكته وجمع جيشه وضمه الى جيش عمه بديع لانه كما تقدم كان يحبه كثيراً وقد اغاظ قاسماً وعند الصباح خرج الملك سعد بموكبه واعلامه ومن خلفه الابطال والفرسان وقد ركب كل واحد بجيشه وتقدموا في الطريق الذي يقودهم فيه عمر العيار حيث كان قد استخبر عن كسرى انه سار فيه مع وزيره يقصدون بلاد السبائل

ولا زال العرب في مسيرهم مدة خمسة عشر يوماً وفي اليوم السادس عشر انتهوا الى ارض فيحاء ذات اشجار وازهار واطيار كانها نعيم فامر السلطان ان يضربوا خيامهم في ذاك المكان ويسرحوا بانعامهم في ضواحيه ويستريحوا الى ان يعودّ اليهم عمر بما كان من امر كسرى في كل هذه المدة وباي بلد استقر في تلك الجهات فضرب الجميع مضاربهم وضرب صيوان اليون شاه في الوسط واركز عند ابوابه الاعـلام واجتمع العرب باجمهم واذ ذاك امر الامير ان يسير عمر يستقصي اخبار عدوهم فاجاب وسقط في الحال الى الارض عن كرسي الوزارة وانطلق في طريقه ينتقل من مكان الى مكان يستنشق الاخبار ويقف على الاسرار حتى وصل الى مدينة واقعة على شاطىء البحر فدخلها وانخرط بين اهلها فراهم كالوحوش يركضون ويشتغلون لا يهمهم الا البيع والشراء والاخذ والعطاء وتوسيع المتاجر واستجلاب البضائع وكانت تلك المدينة واسعة كبيرة وبنيانها متقن جداً فتعجب منها وتقدم من احد الاهالي وسلم عليه وقال له اريد منك يا سيدي ان تخبرني عن هذه المدينة وما هو اسمها وما اسم ملكها . قال ان هذه المدينة تدعي برزامين واسم حاكمها طرا البرزاني فماذا يا ترى تقصد في ذلك وقد يظهر لي انك غريب قال نعم اني غريب من بلاد المدائن من جماعة الاعجام وانا دائر افتش على سيدي الملك كسرى انو شروان ووزيره بختيار وقد عرفت انهما جاءا هذا المكان ليسيرا الى جهة السبائل فسألت عن ذلك لاعرف اذا كانت هذه المدينة هي السبائل . فقال له كلا بل السبائل قريبة من هنا وقد جاء سيدك كسرى الينا وذهب الى السبائل يتشرف بالمثول لدى إلهنا الخوند حاكمها الذي نعبده فيحميه من عدوه ومن كل من يريد له الاذى . فسأله عمر هل الذي تقول عنه انه الاله الخوند هو انسان . قال نعم هو مثلنا لكن له القدرة والعظمة اللتين استحق لاجلهما ان يكون الهاً ويعبد من كل اهل هذه البلاد . فقال اذن انت تتأكد ان كسرى هناك . قال لا ارتياب في ذلك وقد تحققته وكل اهل المدينة يعرفون الان بوجوده عند إلهنا . فرجع عمر وهو متعجب من هذا الاله الجديد

متحيرمن كل ماسمع عنه ويتمنى ان يراه . ولما وصل من اخيه الامير حمزة اعاد عليه كل ماسمع ورای فاندهش حمزة والتفت الى بزرجمهر وقال له هل تسمع بهذا الاله الخوند فاني طفت الارض برمتها وما سمعت بذكر انسان يدعي الالوهية ويعبده ابناء جنسه فقال له الوزير نعم اسمع بذلك واعرفه واعرف ان في مدينة السبائل ملك اسمه الخوند يدعي بنفسه انه خالق الوجود وانه يعرف كل شيء ويعلم علم الاستقبال فصدقه قومه لبساطتهم وتوحشهم فاتخذ لنفسه سماء من البلور بجنة من الزهور والاشجار ذات الاثمار الطيبة فيقيم فيها واتخذ ايضاً جحياً يلقي فيه الذين يغضب عليهم واستحقوا العذاب الاليم . فشعر الامير كأن شعر راسه قد خرق العمامة وقال اعوذ بالله من شر الانسان فقد وصل به الكبر وقادته القحة الى ان صار يزاحم خالقه ويدعي بنفسه انه المعبود وعليه فاني ما عدت الان اسأل عن كسرى ووزيره بقدر ما صرت اسأل عن هذا الخوند فاني لا اصبر عنه ولا بد من هدم سمائه واخفاء جهنمه وهلاكه وارجاع قومه الى دين الحق وعبادة الله سبحانه وتعالى خالق الخلق الذي لا يعبد الا هو ولا يسجد لغيره وهو بدون شك طويل الروح غزير الرحمة والا كان انزل على هذا وقومه ناراً وكبريتاً فا كلتهم وجعلوا مثالاً لغيرهم فيصيبهم ما اصاب قوم لوط . فقال الوزير اعلم ان الله لا يهلك الجهلاء على جهالتهم بل يرسل لهم من ينذرهم ولذلك قد بعث بك كنار وكبريت على هذه البلد فتحرق كل طاغ وكافر وتعفو عن كل طائع ومهتدٍ

قال وكان كسرى ووزيره بعد ان هربا من امام العرب من مدينة دشتمغال افتكرا اي مكان يقصدان فقال بختيار انه يخطر لي ان نسير الى السبائل ونحتمي بالخوند فهو عظيم السلطان نافذ الكلمة يدعي الالوهية . وقومه يطيعونه فيرمون بانفسهم الى النار من اجله . فضلًا عن ان تلك البلاد بعيدة ولا يمكن ان يعرف العرب بوجودنا فيها فقال لقد اصبت فنعم الملجاء ولا بد ان تقصدنا العرب الى هناك لان عمر العيار لا يتقاعد عن الاستطلاع على اخبارنا ولا بد في النهاية من كشف امرنا لكن اذا جاء بقومه الى تلك الديار يكون كمن القي بهم في اتون

نار . ومن ثم سار الاثنان يقطعان البلدان ويتنقلان من مكان الى مكان حتى وصلا بالاختصار الى مدينة السبائل واستأذنا بالدخول على الخوند فاذن لهما فدخلا عليه وقبلا يديه ورجليه ومرغا خدودهما عند قدميه فاجلسهما في عرشه وهو مسرور من طاعتهما وسألهما عن حالهما فقال له بختيار اعلم ايها الاله العظيم صاحب العرش والمجد ان الوهيتك لا بد ان تكون عرفت افعال العرب لانه لا يخفى على من كان مثلك الهاً امراً مما يحدث من العاصين غير الطائعين تحت ظل اقدامكم بانهم اي العرب قد قتلوا ابي بختك الذي كان وزيراً لكسرى ومن ثم هدموا المدائن ومات كسرى ابو سيدي فرمزتاج فقصدنا العرب وهدموا المدائن ومعابد النيران وقصدوا قتلنا فقلت لسيدي كسرى ان في مدينة السبائل الاله العظيم الذي نعبده عن بعد ولا نعرفه فلنذهب اليه ونطرح نفوسنا عند قدميه ونستمد منه البركة والمعونة ونحتمي به حتى اذا قصدنا العرب الى هناك انزل بهم غضبه ومحقهم بكلمة واحدة فضلًا عن ان جيوشه كثيرة ورجاله بسلاء فيبدد العرب عن آخرهم . فقال الخوند صدقت يا بختيار فاني كنت اعرف كل ذلك وعرفت ما جرى عليكم أليس ان العرب هدموا المدائن ويطلبون قتلكما الآن وهربتما من امامهم فقال نعم يا سيدي لقد عرفت كل شيء فبئس لمن ينكر الوهيتك فتعظم الخوند في نفسه وقال لا بد لي من هلاك العرب عن آخرهم وابادتهم ومحو آثارهم فقال بختيار اننا نتأكد هذا يا سيدي ونتأكد انك نويت على هلاك ملكهم الملك سعد اليوناني ابن الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان عدونا الاكبر الذي انزل بنا العبر ونويت ايضاً على قتل بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان وقتل اندهوق بن سعدون وجعل يعد فارساً بعد فارس ليعرفهم الخوند وهو يزيد ويطنب في مدحه ولما فرغ قال لقد اصبت ايها الرجل العاقل فقد نويت على كل ذلك وانك عرفت ما بنيتي من عظم ما انزلت عليك من بركة رضائي وكان قوم الخوند الذين يقدمون اليه يتعجبون من كلام الههم كيف عرف ما احكى دون ان يكون حاضراً وزادوا في تعظيمه وسجدوا له وكان بختيار لخبثه وشره

يضحك في قلبه عن بساطة قلوبهم غير انه كان يفعــل كفعلهم فزادت فيه محبة الخوند وامر احد خدامه ان ياتي بقبعة واسعة من الاسفل ضيقة من الاعلى وان يعلق بها ستة اجراس فالبسها الى بختيار وكانت طويلة نحواً من ذراع ثم امر الخوند ان يؤتى بحذائين يربطان بخيط ويعلقان برقبة بختيار فعلق برقبته الحذائين وكانا قديمين . ثم قال الخوند هيا يا بختيار اقد اعجبتني فانعمت عليك وجعلتك احد شياطيني ولا بد ان ارقيك فاجعلك كبير الشياطين ولا تعود تفارق جهنم من الان وصاعداً ولا بد ان اهل بلادي يكرمونك اكراماً لي فالتزم ان يصبر على هذا العمل وان يلبس تلك القبعة الطويلة في اعلى راسه عالماً بان الخوند ياخذ بثاره من العرب ويرجعهما الى بلادهما واذ ذاك لا يعود يراه ويبطل ان يكون من شياطينه وجعل كسرى يضحك منه ويبارك له في الظاهر ويقول هذا لبس ظريف جميل طول عمرك ما لبست مثله فبورك في هذا الاله العظيم المتعالي الذي عرف مقامك فالبسك القبعة بالاجراس في راسك والاحذية في عنقك . فاجاب لا ريب انه يخلع على الناس اللائذين به من مقامه والبسني هذه الملابس فضلاً منه وبقي كسرى انوشروان ووزيره بختيار عند الاله الخوند ينتظران ، ايكون من العرب وماذا يجري منهم وهل ياتون السبائل ام لا

فهذا ما كان منهم واما ما كان من العرب فانهم تقدموا بعد ان عرفوا بمكان وجود عدوهم كسرى ووزيره في تلك النواحي يقصدون السبائل وداموا في مسيرهم مدة عشرة ايام حتى وصلوا من ضواحي برزامين فنصبوا خيامهم هنــاك ونزلوا للراحة وقد رأوا الارض خصبة واسعة فاعجبتهم جداً وبعد ان استقر بهم المقام كتب السلطان سعد رسالة الى طرا البرزاني يطلب اليه ان يسلمهم البلد ويرفع الشر والخصام والا افتتحوها عنوة ونهبوها رغماً على اهلها فلما اطلع على تلك الرسالة وقرأها بعث بها في الحال الى الخوند يسأله اذا كان يسلم المدينة الى العرب او يخرج الى قتالهم وكتب جواباً الى العرب يقول لهم اطلب منكم ان تصبروا عليّ مدة ايام لاجاوبكم لاني بعثت بكتاب الى الاله الخوند اسأله في

تسليم البلد ومتى جاءني الجواب اجيبكم . ولما سمع الامير والعرب ضحكوا وصبروا وقد قال لهم السلطان سعد لا بد من الحرب لان الخوند لا يسلم البلد واني لاعجب من عقول هؤلاء الناس كيف يقبلون ويسلمون بان يعبدوا بشراً مثلهم ولا بد ان نجذبهم الى عبادته تعالى اذ ليس من العدل ان يتركوا على جهالتهم ومتى عرفوا الدين الصحيح مالوا اليه حالاً فلنصبر الان الى ان ياتينا الجواب من طرا فلا نفاجئه بغتة ولا نظلمه . وبعد ذلك جاء الجواب من الخوند ان يخرج الى حرب العرب وقال له في آخر الكتاب وحال وصول كتابي اسجد لاجلي فاني اباركك وانصرك واغضب عليهم واكسرهم ولا بد هلاكهم لاني لم اخلقهم ولا اريد ان اعرفهم ومن يكون عاصياً عليّ فليس جزاؤه الا الفناء والمحو من دفتر خليقتي وبعد ان تناول هذا الجواب خرج في الحال وخرجت من خلفه العساكر كانها البحور الزواخر واقامت تجاه العرب بقصد قتالهم وبعد ان ضرب خيامه هناك كتب رسالة الى السلطان سعد يقول له بجواب الخوند ويسأله ان يترك العناد ويؤمن هو وقومه بهذا الاله القادر ان يبيد ويخلق ويكسر وينصر وانهم اذا آمنوا عفا عنهم وقبلهم اليه ولا يعود يهلكهم لانه اصر ان لا يبقي منهم انساناً لا ذكراً ولا انثى

ولما قرأ الامير هذه الرسالة ضحك ضحكاً عالياً والتفت الى قومه وقال لهم . اسألكم عند وقوع القتال بيننا ان تشفقوا على هؤلاء الناس لانهم بسطاء القلوب كالحيوانات ولا بد من رجوعهم الى الدين الصحيح فنكسبهم الى عبادة الرحمن ونزيل عنهم ضربة هذا الاله الذي يدعي الالوهية والعظمة . فوعدوه انهم يتجنبون هلاكهم بقدر الامكان وباتوا تلك الليلة في انتظار الصباح ولم يجيبوا طرا البرزاني على كتابه . وفي اليوم التالي نهضوا الى قتال اهل البلد واصطفوا تجاه بعضهما ثم حملا حملة واحدة وكانت رجال العرب كالسباع امام اولئك الصعاليك فاخذوا اكثرهم اسارى وحاطوا بهم من كل جانب ومكان واخيراً قبضوا على طرا البرزاني واكابر قومه ودخلوا البلد فاوصوا السلطان بملاطفة اهلها ومعاملتهم باحسن معاملة

وقد عزم ان يتخذ تلك المدينة مركزًا له عند وقوعهم في الضيق فيلقون محبتهم في قلوب اهاليها فيعرفون ان الاله الذي يعبدونه هو الاله الحقيقي الذي يعلم السلام والذي وحده يقدر ان ينصر ويكسر . وبعد ان اقاموا في قصر الاحكام امر الامير ان يقدموا اليه طرا وقومه فقدموه اليه ولما وقفوا بين يديه اكرمهم وامر ان تحل وثاقاتهم وان يجلسوا في كراسي بين جماعته فتعجبوا من تلك المعاملة وكانوا يظنون ان العرب تقتلهم وتعدمهم في الحال وهم متكدرون من الههم الخوند كيف لم يبد لهم العرب وقد اوقعهم في ايديهم

ثم ان الامير قال لهم قد صرتم الان في حوزتنا وتحت امرنا وصار من الواجب علينا اكرامكم وحبكم والعدل فيكم والحلم عليكم لان إلهنا الذي نعبده اوصانا بذلك فهو قادر على كل شيء ولم يكذب قط بوعده حيث وعد ان كل من يؤمن به ينصره على الكافرين بخلاف الهكم الذي لا يعرف شيئاً وما هو الا بشر مثلكم فاذا كان له الحق ان يكون معبودًا فكل واحد منكم يقدر ان يدعي بنفسه إلهاً مثله ومن العجب ان يكون العابد والمعبود من جنس واحد وفصيلة واحدة ولا ريب انكم اذا فكرتم في ذلك تعرفون الحقيقة وتعون اليها وما برح الامير يقدم ويؤخر لطرا وقومه حتى دخل في عقولهم ان الخوند كاذب وانه من جنسهم وقال طرا لجماعته لو كان يقدر على ما يدعي لما انكسرنا وانتصر العرب واوقعنا بايديهم ولو شاؤا الان لقتلونا وما قدر ان يحامي عنا او يدافع على ان إله العرب اعظم وافضل واكرم وانه وعدهم بالنصر فنصرهم وما كسرهم ولا مرة ودائماً ينصرهم حتى هدموا مدينة كسرى انو شروان . ومن تلك الساعة اخذ اهل المدينة يتعلمون الصلاة وعبادة الله سبحانه وتعالى ومالوا الى العرب ميلًا اكيدًا وصاروا كانهم منهم واختلطوا بينهم وجعلوا يعلمونهم يوماً بعد يوم وتزوجوا من المدينة وصاروا كانهم عالم واحد حتى مضى على العرب ستة اشهر وهم مسرورون جدًّا من اهلها ومتعجبين كيف ان مثل هولاء الناس يتخلى عنهم

الله سبحانه وتعالى ليهلكوا مع انهم جهلاء لا يعرفون الهاً ولا حكى لهم احد عن الاله الحقيقي الى ان صاروا الى تلك الحالة وكان في كل هـذه المدة ينزل العرب في القوارب والمراكب ويركبون البحر وينقولون من مكان الى مكان وقد تعلم كثيرون منهم الملاحة والسباحة وسوق المراكب في البحر الى غير ذلك

وبعد مرور الستة اشهر وفيما العرب على حالهم واذا تبينوا مراكب عن بعد قد نشرت قلوعها وهي كثيرة العدد وتقدمت شيئاً فشيئاً الى جهة الشطوط الواقعة الى جانب البلد فجعل العساكر تنزل منها والعرب لا يعرفون هؤلاء من اين اتين بل صبروا عليهم ولم يرضوا ان يضروا بهم او يمنعوهم عن النزول الى البر وقـد قال لهم الامير لا ريب انهم من جماعة الخوند فاذا صبرنا عليهم كسبناهم فيعبدوا الله ولا يلزم ان نضر بهم لانهم كالحيوانات كيف تديرهم يدارون وبعد ان انتهى انتظام العساكر واجتمعوا الى بعضهم ضربوا خيامهم في تلك الجهة ومن ثم كتب القائد رسالة الى العرب يقول لهم فيها ان الاله الاعظم والسلطان الاكرم قد عرف بانكم استوليتم على المدينة بينما كان يشتغل بخليقة ارض ثانية وقد صبر عليكم لتدخلوا الى بلاده لعلكم تعرفون الحق فتعبدونه ويصير الصلح والسلام بيننا وبينكم غير انه لما رأى عملكم مع المدينـة وانكم حولتم اهلها عن عبادته غضب كثيراً وبعث بي انا اسطاين ذي الانف وبعث معي بالعساكر وعددها مائتا الف نفس لاقبض عليكم بامره واكتفكم وارسلكم الى السبائل وهناك هو يجازيكم على عملكم الا انه اوصاني ان اعرض عليكم اولاً الطاعة والعبادة فاذا وافقتم عفا عنكم وقبلكم فاختـاروا لنفسكم الامر الذي تريدونه .

وبعث هذا الكتاب مع رسول الى العرب وطلب الجواب ولما قرئ على الفرسان ضحكوا وقال الامير تمهلوا في قتاله فاننا نقدر ان نهلكه وقومه بنصف ساعة الا ان هذا لا اريده وجل ما اريده ان تترفقوا بهم لنرى النهاية كيف تكون مع هولاء القوم الذين تتلاعب بهم ايدي الجهالة من غير وعي ثم بعث بجواب

الكتاب بلطف وانهم يخرجون الى الحرب في الغد . وفي الغد خرج بعض فرسان العرب مع بعض العساكر الى ساحة القتال ولما اصطف الصفان وترتب الفريقان . برز اسطاين ابو انف الى الحرب يطلب القتال من العرب وقد دعي بابي انف لان انفه كان كبيراً بقدر كوز الرمان الكبير . وفيما هو يصول ويجول برز اليه بديع الزمان عروس الميدان وعند ما رآه ورأى حالته ورأى كبر انفه ضحك من ذلك ونوي على قطعه ثم هجما على بعضهما واسطاين يظن انه يقدر على قتل بديع او اسره في الحال فما قدر ان ينال منه منال لانه راه كالصخر الثابت لا يتزعزع وهو يقاتله ويحاوله ويضحك من قتاله كانه يلاعبه في ساحة القتال كما تتلاعب الاولاد في الاكر وفيما هو على ذلك تمكن منه بضربة خفيفة من راس حسامه فوقعت على انفه فقطعه واصبح بلا انف فصاح من الالم وطلب الاقالة عن القتال وتوقف وقال لبديع اصبر عليّ يا انسان فقد قطعت لي انفي على ان الهي الخوند ما اخبرني انك تقطع لي اياه بل قال لي اني اقتلكم واسركم وانهي امركم فقال له ان الهك يكذب وليس هو باله بل انسان مثلكم لا يقدر ان يصنع شيئاً ولا يعرف ما يصير وسوف تروننا عنده فنقطع انفه وايديه وراسه ولا يقدر ان يدافع عن ذاته فكيف يكون الهاً . قال اصبر عليّ فان مرادي الرجوع الى السبائل وارى حالي الى الخوند واسأله ان يعمل لي انفاً جديداً فاذا قدر على ذلك كان خيراً والا فاني ارفضه ولا اعود وارجع اليكم واعبدكم لانكم تقطعون لانوف وهو لا يقدر على منعكم . فزاد ضحك بديع الزمان وقال له هل تصدق اذا كان لا يعمل لك انفك ترجع اليّ . قال انا لا اكذب وسوف ترى فتركه بديع ورجع الى ابيه وقومه ضاحكاً وهم في وسط الميدان واخبرهم بما كان من امر خصمه فقال الامير دعوه وشأنه ليرجع الى سيده ويراه قومه فان الضلالة اخذت في ان تجلى عن ابصارهم وسيعرفون الحق شيئاً فشيئاً ورجع العرب الى المدينة ونزل اسطاين الى المراكب وسار الى مدينة السبائل حتى جاء سماء الخوند

فوجده يتعظم فيها والناس العظام تأتي وتقبل رجليه فوقف ولم يفعل كما يفعل غيره وقال له ايها الاله انت بعثتني الى العرب لاحاربهم وقلت لي انك تنصرني عليهم وتوقعهم في يدي فتكافيني على ذلك بالاحسان وما اخبرتني انك قدّرت عليّ قطع انفي فانظر كيف صار بي حتى صرت بلا انف . قال له انا اعرف ان انفك كبيرًا فاردت ان يصغر واعرف ايضاً ان ايمانك ضعيف فجربتك ليصير ايمانك كغيرك من ابناء جنسك لانك حضرت اليّ وما قبلت اقدامي فقال له ان انفي كبيرًا ولكني راض منه فلماذا ما اخبرتني بذلك قبل بوقت وقد قطع كله وما بقي منه ولا اثر ولذلك اسألك ان تصنع لي انفاً اخر فلا ابقى بلا انف واكون شنيع المنظر قبيحه ولا يوجد ولا واحد مثلي في قومي . قال اصبر الى السنة القادمة فاني اصنع لك انفاً عظيماً احسن من الذي كان لك واما الآن فاني مشتغل بخلق البقر والغنم لاننا محتاجون كثيرًا اليها وهي قليلة في عالمي . فقال لا بل افرغ نفسك يوماً واحدًا واصنع لي انفاً وفيما بعد ترجع لخلق الذي تريد . فغضب الاله منه وقال له اخرج من امامي فقد قلت لك اني لا اصنع لك انفاً الا السنة القادمة وحيث تعاند فما عدت اليّ امرت بقتلك فتركه اسطاين ورجع وجعل يخبر الناس بعجز الاله وان العرب احسن منه ولا بد ان يعملوا لي انفاً مليحاً ثم نزل في البحر وجاء الى العرب ودخل على الامير وقال له قد صدقتم فان الخوند إله كاذب وقد سألته ان يعيد وجهي كما كان فلم يقدر ولا قدر ان يخلق شيئاً صغيرًا فيه وقد قال لي انه مشغول بخلق البقر والغنم فرجعت اليكم لاعبدكم لانكم اقدر منه ولا بد انكم تقدرون على عمل الانوف . فقال له الامير اننا نحن مثلك لا نعبد ولكن الذي يعبد هو خالق السماء والارض وما عليهما وهو يسخرنا الى ان نصنع لك انفاً فآمن به فهو محتجب عن العيون وقد وعدنا بالنصر فلا يتركنا قط وقد آمن به كل اهل هذه المدينة وهم الآن براحة وقد تنوروا وعلمناهم علم الدين وعلم الاداب وصاروا يفهمون الحق من البطل . فقال اني أؤمن بالذي تأمروني به ولا بد ان يكون حقيقياً فاخذ الامير في ان

يعلمه عبادة الله والصلاة وهو يعي الى ذلك حتى وعاه وعرف ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وظهر جلياً فساد ادعاء الخوند والوهيته وصار يبغضه من تلك الساعة

ثم ان الوزير بزرجمهر قال له اني اجتهد في ان اصنع لك انفاً احسن من الذي كان لك اولاً وسوف ترى وذلك لسبب الحكمة التي اعطيتها منه تعالى. ثم اخذ اسطاين اليه واطعمه معجوناً مشغلاً بالبنج فغاب في الحال . فرفعه على خوان عال بقدر نصف قامة الانسان فالقاه على ظهره واخذ مبضعاً وجرد اثار الانف القديم من اللحم فلم يبقَ هناك الا العظم النابي تحت الارنبة ومن ثم جعل يسلخ جلد خديه من جانبي الانف بعجلة كلية حتى فصله من الجهتين عن اللحم ثم جذبهما من الجانبين الى بعضهما ووضع طرفيهما فوق العظم وجاء بقالب من الفضة بقدر الانف فالبسه عليه وكان القالب مثقوباً من جهتيه ثقوباً رفيعة فسمر بها مسامير رفيعة من الفضة ايضاً ليمسك بها القالب الجلد فوق العظم وبعد ان انتهى من هذه العملية دهنه بمرهم وايقظه فانتبه وقال ما هذا فقال له اصبر بعد ايام ترى انفك احسن مما كان وصار كل يوم يدهن الانف بمرهم حتى ختم الجرح واجتمع الجلد على بعضه وصار بحالة ثابتة فاخذ في ان يقطع المسامير عن محلها ثم رفع القالب واذا بانف اسطاين احسن كثيراً مما كان وهو يشبه غيره من الانوف الحسنة وجاء بمرآة واعرضها عليه فرأى فسر سروراً لا مزيد عليه وقال لو لم تكونوا اعلمتموني بالاله الحقيقي لكنت اقول بلا ريب ان الاله هو بزرجمهر الذي يعرف ان يصنع الانوف وبقي اسطاين بينهم وبقوا مدة ايام في المدينة

قال وفي ذات يوم وهم على الشاطىء واذا رأوا مراكب عن بعد تتقدم الى جهة المدينة فعرفوا انها آتية من السباتل فوقفوا بانتظار ما فيها وبعد ما وصلت الى الشاطىء نزل من فيها الى القوارب وجاءوا البر وهم يحملون صناديق كبيرة ولما نزلوا على اليابسة وضعوا الصناديق وجعلوا ينادون العرب ويصيحون عليهم

ويقولون لهم يا ايها العرب ان إلهنا الخوند صاحب القدرة والعظمة والجبروت غضبا
عليكم ولذلك بعثنا اليكم بهذه الصناديق يطلب اليكم ان تجمعوا ارواحكم
في الحال وتضعوها فيها وترسلوها اليه فيضعها في سمائـــه والا فيبيدكم عن آخركم
ويحرق اجسادكم ويهلك ارواحكم فيها اسرعوا قبل ان تجازوا بالهلاك المبين .
وكان الامير حمزة يسمع ويضحك ويهز برأسه واما بديع الزمان فانـــه اغتاظ
الغيظ العظيم وقال لابيه الى متى هذا التطويل ونحن نصبر على هؤلاء الوحوش
فدعنا نهلكهم ونذهب الى السبائل فنمتلكها ونقتل الكبير والصغير فيها فقد
ضقت صدراً مع ما انا عليه من سعة الصدر . فقال الامير دعهم يفعلون مايريدون
فاني لا اريد ان اهلكهم والا فأكون ظلمتهم وجل ما اريده ان اطيل بروحي
عليهم وسوف ترى ان كل هذه الالوف والمئات الالوف من اهل الايمان وهذا م
يسر القلب ويرضي الله فان من ارجع كافراً الى دينه تعالى يجاريه الله بالخير فان
ذلك افضل من مائة مؤمن عنده لان المؤمن له وفي يده واما هذا فكان هالكاً
وقد عاد الى ربه وعرف شريعته . ثم ان الامير تقدم من اولئك الرجال وقال لهم
ارجعوا الى الخوند وقولوا له كفاه ضلالاً وجبراً وعتواً فما هو الا بشر مثلكم
يدعي الالوهية تعدياً على حقوق الاله الحقيقي الذي خلقه وخلقنا وخلق كل م
في السموات وعلى الارض فاخبروه ان يرجع عن كفره ويعبـــد الله ويرجع الي
عدوي كسرى ووزيره والا سرت اليه وقتلته وخربت مملكته واحرقته بالنار
جزاء له على اعماله فتعجب الرجال وقالوا كيف تقول هكذا عن الاله فهو يبيدك
فصاح بهم لو كان الهاً لقدر ان يبيدني قبل ان جئتم انتم فارجعوا اليه والاقتلتكم
وهو لا يقدر ان يحامي عنكم اذا اردتم ان تعرفوا ذلك فاني ابرهن لكم عن
ثم ضرب احدهم بسيفه فقطعه الى نصفين . قال هكذا الهي فاين الخوند ليدافع
عنه فلما رأى الباقون ذلك خافوا على نفوسهم وايقنوا بالموت والهلاك ولم يبـــدو
كلمة واخذوا الصناديق ورجعوا الى الخوند واخبروه بما كان فهزَّ برأسه وقال
كنت اريد ان اهلك العرب وابيدهم عن آخرهم ولكن اريد ان اريهم شفقتي

ورحمتي واعفو عنهم اذا رجعوا اليَّ وعبدوني ولا بد من ان اعمل بهم اعمالاً تذكر فيعرفون نفوسهم

ثم انه امر ان تؤخذ الواح من الجوز وتنعم وتبردخ ودعا بالمصورين الخاصين به وقال لهم اذهبوا الى العرب وصوروهم واتوني بصورهم لاراهم وادبر شغلي معهم فأجابوه بالسمع والطاعة واخذوا الدهونات وما يلزمهم الى مثل هذا العمل وركبوا المراكب وجاءوا مدينة برزامين ونزلوا البر وتقدموا من العرب وقالوا لهم ان إلهنا امرنا ان ناخذ صوركم ونرسمها على هذه الالواح ليراكم فمانع الامير في ذلك فقال السلطان سعد لا بأس ومن المناسب ان ترسلوا صوركم الى الخوند وانتم مسلحون ومتى رآكم يقع الرعب في قلبه ويخاف وما من ضرر في ذلك. فأجاب الجميع بالايجاب واخذ المصورون في تصويرهم واحداً واحداً حتى فرغوا من الجميع وحملوا التصاوير وسافروا في المراكب حتى جاءوا البر الثاني وكان عند الشاطىء قصور الملك سنجاب صاحب مدينة السنجام وفيها بنته كوهين وكانت ذات قد واعتدال وحسن وجمال وهي اي تلك القصور مقاماً تقيم فيها بعض الاحيان السيدة جهانة بنت الخوند فلما وصلوا الى القصور سألت كوهين عن تلك الالواح وما عليها فأخبروها ان عليها صور ملوك العرب وفرسانهم فطلبت ان تراها فاجابوا طلبها واعطوها اياها لتتفرج عليها فجعلت تنظر من الواحد الى الاخر حتى وصلت الى صورة بديع الزمان وحالما رأته شعرت بالخلال في اعضائها فأحدقت به وفي معانيه وهي متعجبة من ذلك وقالت للمصورين هل صاحب هذه الصورة كما هي والا زدتم عليها فقالوا لا زدنا ولا قللنا فهو كما ترينه فزاد غرامها وقالت في نفسها ايوجد انسان في الدنيا مثل هذه الصورة وما ذلك الا من عجائب الزمان ونوادر الايام وجعلت تمعن فيه وتتأمل في معانيه حتى طبع رسمه في ذهنها وعلى الواح قلبها وصار لا يبرح منه ولم ترد ان تظهر عليها غير ان من كان حاذقاً وذاق الغرام ورآها في تلك الساعة عرف ما هي عليه . ثم جاءت بدور بنت الخوند ونظرت في الصور فوقعت محبة الامير قاسم بن رستم فرتم في قلبها ووقع

بها ما وقع على كوهين بنت سنجاب وصارت تود ان ترى الامير قاسم وبعد ذلك اخذ المصورون الالواح وصعدوا في البر حتى جاءوا السبائل وكانت مدينة حصينة جدًّا مربعة طولها وعرضها سوى وارتفاع اسوارها اكثر من ٢٥ ذراعاً وفيها على الدوام من العساكر ثلاثة آلاف الف ولها ١٢ بوابة فلا يقدر احد ان يجتازها او يفتحها ودخلوا بالصور على الخوند ورفعوها اليه فأخذها ونظر فيها واظهر عدم الاكتراث وقال ابقوا هذه الصور الى حين اجيء بالعرب فاقتلهم وابيدهم

فهذا ما كان منه واما ما كان من العرب فانهم بقيوا في مدينة برزامين مدة طويلة وهم يتعلمون فن الملاحة ويركبون المراكب ويمخرون البحر ويبعدون ساعات عن المدينة وقد تولعوا في ذلك ولا سيما بديع الزمان فانه كان في اكثر الاحيان يركب البحر في مركب مخصوص اتخذه لنفسه يسير عليه طائفاً كل الجهات ثم يعود في المساء ففي ذات يوم وهو في ظهر البحر رأى مركباً آخر آت من جهة ثانية فقال للملاحين اقصدوا هذا المركب لنرى من عليه لانه غريب فاجابوه واقترب المركبان من بعضهما وتلاصقا ورأى بديع ان اهله غرباء فسألهم عن حالهم فلم يجيبوه بل قالوا له رح الى عملك والا اهلكناك ولا تتعرض الى ما لا يعنيك فلما سمع ذلك امر النوتية ان تلقي بالشناكل على المركب وتجمعهما الى بعضهما ففعلوا وحينئذ قفز الى مركب الاعداء واشهر الحسام وصاح ويلكم يا اوباش غير كرام لقد وقعتم في يد بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان ثم ضرب الاول فالقاه قتيلًا ومال على الثاني فالحقه به وعول ان يفعل بالباقين مثلهما ولا يترك احدًا في المركب واذا باب حجرة في المركب فتحت وخرجت منها صبية كانها الشمس المضية او كانها البلورة الصافية النقية وحالما رأت بديعاً صاحت بصوت عظيم وقالت هذا هو هـذا هو بديع الذي نظرته بالصورة . فلما سمع بديع هذا الكلام ورآها وشاهد حسنها وجمالها اندهش وتعجب ووقف يفكر فيها وفي معانيها وفي كلامها وهي تتقدم اليـه حتى صارت بجانبه وقالت له رد

سيفك يا حبيبي فاني بنت مسافرة الى بلدة برزامين لاجتمع بك واخـذك اليّ . قال من انت ومن اين تعرفينني وكيف تدورين عليّ . قالت انا بنت الملك ستجاب صاحب مدينة السنجام وهي على الشط الثاني من هذا البحر ولما اخـذ المصورون الصور من عندكم الى الخوند مروا من مدينتنا ونزلوا عند قصري وقصور بدور بنت الخوند فرأيت الصور جميعها فاعجبتني انت جدًّا ووقعت في هواك وطبعت صورتك في ذهني وصرت لا انام الليل حباً وميلًا للاجتماع بك وانا متيقنة انكم لا بد ان تذهبوا الى بلاد الخوند إلهنا فأذهب واسلم امري اليك فطال المطال ومضت عدة شهور دون ان انال المراد فخطر لي ان اركب هذا المركب واسافر عليه واجيء الى بلدة برزامين زائرة ومن ثم اتوصل اليك ولما كان قصري على شاطىء البحر يبعد عن المدينة اكثر من ساعة طلبت مركباً لاركبه وانا لم اعلم احدًا بغايتي بل جعلت قصدي النزهة وقد صدفتك وهذا من حسن حظي فارحمني واقبلني جارية عندك ولك الاجر والثواب وعرج بي الى قصري فهو قريب من هنا فنقيم فيه وتتزوج مني ونصرف وقتاً على الحب والوفاء . فزاد هيام بديع بها وكان بعد حسن لا يميل الى فتاة غير ان المثل الدارج يقول : اعزب الدهر ولا ارمل شهر . ولاسيما ان الرجال اقل وفاء من النساء ولا يمكن لرجل مهما كان حسن السريرة صافي المودة طيب القلب صافي النية ان يحب زوجته وعشيقته بقدر ما يمكنها ان تحبه وتخلص له الود هذا اذا شاءت ان تكون وفية وما ذلك الا كما تقرر ان قلوبهن ارق من قلوب الرجال واكثر شعورًا واحساساً منهم . وعليه فقد قبل بديع الزواج منها والاتيان معها فسألها ما اسمك قالت اسمي كوهين . قال اني اجيبك الى طلبك واسير معك لكن هل عليّ من باس فاني لا اخاف احد قط حتى ولا من رجال العالم باسرها اذا اجتمعت عليَ في وقت القتال لكن في مثل هذه الاحوال تجب مراعاة الاباء والامهات قالت لا بأس عليك فان ابي في المدينة ولا يأتي اليّ مطلقاً واذا اراد الاتيان اليّ يرسل لي خبرًا قبل بيوم . على اننا لا نقيم هناك الا خمسة ايام ثم نركب المراكب ونأتي بنا في القصر ونعود

الى قومك اذا شئت ذلك و ترجع انت وابقى انا فتصير تزورني في كل اسبوع الى ان تأتوا بلادنا ونرى ما يكون بينكم وبين الخوند . فقال لها هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب . ثم التفت الى من كان معه في مركبه وقال لهم ارجعوا الى ابي واخبروه اني بعد خمسة ايام ارجع اليه فليكن مرتاح البال من نحوي ولا يشغل له فكر

قال وبعد ذلك ركب في مركبها وسار وهو مولع بها وقد سلم اليها زمام ارادته وحبها حباً عظيماً وصار يتمناها ولا يصدق ان يصل الى قصرها لينال غرضه منها وكانت بديعة جميلة بهية المنظر رشيقة القوام ناعمة البدن باسمة الثغر وما مضى عليهما الا نحو ساعتين وقد وافقت الريح المركب حتى وصل الى القصر المقيمة فيه وهو القصر الذي على جانب قصور الست جهانة بنت الخوند وهي تأتي اليها في السنة ثلاثة اشهر فقط والباقي تقيم في قصورها بالقرب من مدينة السبائل ولما صعد بديع الزمان القصر اعجبه جداً ووجد فيه كل اسباب الحظ فجلس للراحة من عناء البحر واحضر له وحبيبته الشراب الممزوج بالليمون والسكر فشربا ثم دار بينهما الحديث والكلام ومطارحة الغرام الى ان اتصل الى اللمس والعناق واخيراً قالت له يا سيدي ها اني بين يديك وقد اخذتك زوجاً لي ولم يبق بيننا من حاجز ولا مانع فهل ترفض ذلك . قال كلا فاني احببتك كما احببتني ولم يعد شيء في الدنيا يفصلني عنك الا شيء واحد وهو اذا كنت لا تعبدين الهي وتتمسكين بديني وتتركين دينك الفاسد لا اقرب منك ولا تكونين زوجتي وارجع من حيث اتيت لان الدين عندنا نحن العرب افضل كل شيء فلا يفصلنا الحب ولا المال ولا الحياة عن انفاذ مقاصد الله الذي خلقنا فلو كنت اعبدك حباً وغراماً وكنت لا تعتنقين الايمان الحقيقي تصيرين كألد عدو لي فاخبريني قبل كل شيء هل تقبلين ذلك او تصرين على دين الخوند . قالت اني عاقلة وحكيمة واعرف ان الزوجة ملزومة ان تتبع الزوج لانها تحت سلطانه ونفوذه ومطلق ارادته والامرأة التي لا تخضع لزوجها خضوعاً تاماً وتعتبر اوامره نافذة فيها حتى الموت

لا يحق ان يقال عنها زوجة بل خليلة واكثر من ذلك . وها انا اعبد الاله الذي تأمرني ان اعبده . قال اعلمي ان إلهنا عادل وحق ولا يقبل من يؤمن به على هذا الوجه اي انك تؤمنين اكراماً لي كوني زوجك . بل يقبل ويرضى عمن يؤمن من تلقاء نفسه عن طيبة خاطر لا بالجبر ولا بالاكراه بل حباً به وبشريعته المطهرة . قالت اني آمنت بالله عن طيبة خاطر وقد اخبرتك اني درست كثيراً وعرفت احوال قومي فلم يعجبني جهلهم ويخطر لي مراراً ان الخوند لا يكون الهاً صحيحاً بل كذاباً فهو مثل ابي في شكله ولونه وصفته وكلامه ونفسه وجسمه ولحمه ودمه وطالما فكرت ان بالطبع يلزم ان يكون الاله المعبود بدرجة تترفع كثيراً عن المخلوق والعابد . فاستصوب كلامها وعلمها كلمة الايمان فنطقت بها فقام اليها وضمها وعانقها وعانقته ودخل واياها الى سريرها وتراضيا على الزواج واذا هي بنت بكر فامتلأ من حسنها وصرف ليلة من ليالي السرور لم يصرف مثلها منذ زواجه الاول بالسيدة حسن وكان لسان حال كل منها يتداول الانشاد بهذه الابيات سروراً وطرباً وشكراً للذة تلك الليلة الجميلة الطيبة الاعمال :

وزائرة زارت وقد هجم الدجا وكنت لميعاد لها مترقبا
فما راعني الا رخيم كلامها تقول حبيبي قلت اهلًا ومرحباً
فقبلت بساماً لغيري ما اجتنى ووجهاً مصوناً عن سواي محجبا
ولم ترَ عيني ليلة مثل ليلتي فيا مهري فيها لقد كنت طيبا
جزا الله بعض الناس ما هو اهله وحياه عني كل ما هبت الصبا
حبيب لاجلي قد تعنى وزارني وما قيمتي حتى مشى وتعذبا
وفى لي بوعد مثله من وفى به ومثلي فيه عاشق هام او صبا
فانقذ عيناً بالدموع غريقة وخلص قلباً بالجفاء معذبا
سأشكر كل الشكر احسان محسن تحيل حتى زارني وتسببا
وما زارني حتى رأى الناس نوّما وراقب ضوء البدر حتى تغيبا

وصرف تلك الليلة بلا نوم الى الصباح وكوهين هذه تروح حامل منه بغلام

ذكر يدعى نور الدهر وسياتي له كلام في غير هذا المكان عند ما يشيب ويكبر ومضى ذاك النهار واليوم الثالث والرابع وما بعده وكوهين مع بديع في حظ وانشراح وسرور وافراح غارقين في بحر الهوى غير عارفين ماايجري في غير ماايريان وكان الخدم في باديء بدء ظنوا ان بديع ضيف عند سيدتهم حتى راوا اخيراً انه معشوق منها ومعشوقة منه لا يفارقان بعضهما فاخبرا وكيل القصر بذلك فقال صار من الواجب ان نخبر اباهــا به لئلا نقع في اللوم والعتاب وياتي هو الى بنته والا فيما بعد نهلك ولا نقدر على خلاص نفوسنا ولا بعذر من الاعذار . ومن ثم ارسل رسولاً الى ابيها يعلمه ان بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان هو عند بنتك منذ اكثر من ستة ايام وحتى اليوم غارق معها بالحب والعشق لا يفارقها ولا نعلم ما بينهما فاقتضى اعلامك بذلك فلما سمع ابو كوهين هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وقام وقعد وارغى وازبد وحلف بالاله الخوند لا بد من ان يهدم القصر عليهما .وفي الحال بعث بعشرة الاف فارس من فرسانه مع قائدين اخين اسم احدهما ليث والاخر حيث فسارت العساكر تتقدم وبقليل من الوقت صارت حول القصور وفي ظنهم انهم سيقبضون عــلى بديع الزمان ويرسلونه الى الاله الخوند ليعذبه لانه عدوهم . وعلمت كوهين بقدوم العساكر فاغتاظت وخافت على بديع من القتل ووقع الرعب في قلبها وصارت بحالة الموتى فقال لها لما هذه الاعمال وممن تخافين عليّ قالت اخاف عليك من كثرة الرجال لانك لو قاومت عشرة او عشرين اوثلاثين او المائة لنجحت اما الان فاني ارى الوفاً وانت وحيد ليس من يساعدك على القتال وعليه فقد عزمت على قفل الابواب والمحاصرة داخل القصر الى ان ياتينا علم من عند ابيك لانه يعرف انك هنا ومتى رآك وقد طال امر رجوعك ياتي بالعساكر للتفتيش عليك . فلما سمع ذلك ضحك وقال اتظنين اني اخاف من عشرة الاف نفس وقد خافت قتالي الانس والجان وسوف ترينني وانا افرق الرجال اني ضربة من الله على كل طاغ وكافر وجل ما اريد جواداً اركبه فمانعته واجتهدت لتمنعه عن القتال فلم يقتنع فدفعت اليه جواداً من خيول

القصر ووقفت في النافذة تنظر ما يكون من امر بديع ورجال ابيها وعينيها جارية كالغدران

قال وركب بديع وكان قد اشتاق الى شرب الادمية واراد ان يري فعله الكوهين فتعرف ان فرسان العرب اسود وليسوا كرجال ابيها ولما وصل منهم صاح فيهم وانحط عليهم وجعل يخترق الصفوف ويطعن في صدور المئات والالوف وهو يكر كرات الجبابرة المشهورين ويرمي بالرجال عن ظهور الخيول وينادي معتزًا باسمه واسم ابيه والعرب وراى ليث وحيث افعال بديع فجعلا يحركا الفرسان ويناديان فيهم ويلكم انحطوا عليه ومزقوه بسيوفكم ولا تتركوه يرجع حياً فان الاله الخوند يساعدكم ويحميكم ويحفظ ارواحكم في سمائه ونعيمه وعلى قولهما كانت العساكر تنحط وتكثر من الطعن والضرب غير ان بديع ما كان كباقي بني الانسان بل كعفريت من عفاريت السيد سليمان اذا قصد فارساً لحقه في الحال واذا لحق غاب في ساحة المجال وله اياد في ضرب الحسام لا تدرك حركتها الانظار ولا تراها العيون وبقي على مثل ذلك وهو يطعن الفرسان ويلقي بها على الارض ويصيح وينادي في الرجال فتشرد حتى وصل من ليث وحيث قائدي العساكر فحملا عليه حملات الاسود وفي ظنهما انهما يقبضان عليه او يقتلانه فما تركهما يجولان حتى رفس الواحد برجله فالقاه الى الارض مرضوض العظام وارمى الثاني عن الجواد بضربة من سيفه صفحاً وانقض على الباقين فطاروا من بين يديه وهم يصيحون ويتعوذون بالخوند من فعل هذا الانسان ولم يكونوا يروا او يسمعوا ان رجلًا يفعل مثل هذه الافعال ولما بعدوا عنه رجع الى ليث وحيث فوجدهما لا يزالان على الارض فنزل اليهما وشدهما الى بعضهما وهما ضائعان عن الصواب خائرا القوى ولما دخل بهما القصر وضعهما في حجرة لوحدهما وتقدم من كوهين فلاقته مسرورة الفواد باسمة السن وقلبها مملوء من الفرح لانها شاهدت قتاله وتاكدت انه اوحد رجل في العالم وانه يقدر على ما يقول واكثر واخذته الى صدرها وقبلته ومدحته ودخلت به الى غرفة الراحة وجاءته بالماء

فغسل وجهه ويديه ثم جاءته بالشراب فشرب وارتاح وجاءته بالطعام فأكل واياها حتى شبعا ثم احضر ليثاً وحيثاً وقال لهما لقد نويت الان على قتلكما لارتاح من شركما فقال له ليث ليس هذا بكثير عليك يا بديع فانا نستحق القتل والعذاب فاذا قتلتنا يكون ذلك بحق لاننا اخصامك وقد قصدنا قتلك او القبض عليك ولو قدرنا على ذلك لقدمناك الى ملكنا غير اننا صرنا الان في قبضة يدك ولك الحق والخيار في قتلنا اوالعفو عنا اما انا فاني اريد ان ابقى طول عمري في خدمتك وتحت امرك وقد تركت خدمة ملكي وصرت انت سيدي ومولاي ومالكي فاجعلني كعبد عندك ولا اقول لك ذلك طمعاً بالحياة ورغبة بالبقاء والتمتع في هذه الدنيا غير ان قلبي مال اليك وتعشقتك ولااطلب الحياة الا لاجل خدمتك ولاجل ان ابقى بقربك . قال بديع ان من صفات العرب الحلم والرقة والعدل فانك تطلب العفو فلا احرمك منه لكن لا اقدر ان اعفي عنك ما لم اراك قد تركت دينك واتبعت الهدى وامنت بالله سبحانه وتعالى خالق ما في السموات والارض. قال اني امنت به وبعظمته ولا عدت اعبد الهاً غير الله الذي تقول عنه لاني اعرف ان الخوند كاذب لا يقدر على نصرة قومه وعبدته . قال لقد قبلت منك ذلك فهل يقبل به اخوك ايضاً فقال حيث اني اريد ان اكون كاخي والذي يجري عليه يجري عليّ فنهض بديع وحلهما من الوثاق وامر ان يقدم اليهما الطعام والشراب فقدم فاكلا وشربا وعين لهما بديع الزمان غرفة بجانب غرفته وصار يعتبرهما كصديقين له

ولما اختلى ليث بحيث قال الاخير هل تظن اننا نبقى طول عمرنا في عبادة الله ومع عبادة بديع وهل نخلص له ونخدمه بامانة قال اني نويت على ذلك وما عدت ابعد عنه ولا بد ان اموت بين يديه . فقال لقد اخطأت في ذلك واننا قادرون على هلاكه فندخل عليه في هذه الليلة او الليلة التي بعدها وهو نائم في فراشه فنقتله ونرجع ونتخلص منه قال لا يمكن ان افعل ذلك فقد احببته ولا اسلم بضره فاصغ اليّ واسمع مني واخلص له الحب فتنال النجاح ويكون لك بين

العرب رفيع مقام ويصير بديع من احسن المحامين عليك واكد ان لا بد للعرب في الاخير من قتل الخوند وهلاك قومه قال انك غلطان في ذلك وغير مصيب ومع هذا فانت حر واما انا فلا ارجع عن ديني ولا اريد ان اكون على دين بديع ولا بد من الرجوع الى قومي فسكت اخوه عنه في تلك الليلة وناما ونام بديع وزوجته في حجرتهما وهما بفرح لا يوصف وما مضى على بديع في فراشه مقدار ثلاث ساعات تقريباً حتى استيقظ على سماع اصوات بالقرب منه وقرقعة وعراك وغوغاء وحركة قوية فقفز من فراشه الى الارض والتفت الى حواليه ثم خرج الى خارج الباب فرأى عند الباب ليثاً واقفاً والسيف بيده يقطر دماً ورأى اخاه ملقى الى الارض يختبط بدمه وقد قارب الفراق فارتاع من هذا العمل وقال لليث لما قتلت اخاك قال قتلته لانه استحق ووجب عليه ان يحرق بالنار لان من خان سيده يعدم ويقتل ولا بد انك تعذرني على عملي هذا قال وماذا عمل ليستحق القتل قال انه آمن بالله عن خيانة وكذب وقصد يوقع ان بك واعلمني بذلك فنبهته وزجرته ونصحته ان يتمسك بالصدق ويبقى بخدمتك فابى وسكت فخفت ان يكون قد قصد شرًا وبقيت نائماً مستيقظاً الى ان تأكد نومي فنهض واخذ السيف وخرج من الحجرة قاصدًا حجرتك ليدخل عليك ويقتلك وانت نائم فغاظني هذا الغدر واخذت سيفي وادركته وقصدت قتله فمانع الى ان تمكنت منه وفضلت موته على ان اطيعه واوافقه على الخيانة وثبت لديَّ ان كلمة الايمان لم تزرع في قلبه كالواجب وانه ليس فقط غشك بل غش الله سبحانه وتعالى . فاندهش بديع من كلامه وقال له لله درك فقد قتلت اخاك من اجلي فبالحقيقة انك رجل امين وصادق ولا اعرف بماذا اكافيك ولا بد من ان اعترف لك بهذا العمل امام السادات والابطال وانهم يتعجبون من صدقك وامانتك ودعا الخدم في الحال ان ترفع حيثاً وتدفنه في التراب وعاد الى زوجته كوهين واخبرها بعمل ليث فشكرت الله وقالت له لقد نجوت من خطر عظيم لانه لو تمكن منك وانت نائم لقتلك لا محالة قال لا تخافي فان الله لا يتركني ولا يسلم بقتلي فلو كنت بين الوف الوف من

الفرسان لحفظني ونصرني لانه الاله الحقيقي ثم نام تلك الليلة

قال وكان قد وصل العساكر الذين هربوا من امام وجه بديع الى سيدهم ابي كوهين واخبروه بما وقع عليهم من بديع الزمان فزاد غضبه وقال لا بد لي من الذهاب بنفسي وهلاك هذا العاتي الذي فضح بنتي واغتصبها ولا ريب لو كانت قادرة ان تمانع عن نفسها لما وصل اليها ثم امر ان تجمع العساكر وتسير في اليوم الثاني الى قصر بنته ليأخذ لعساكره بالثار ويزيل عنه ما لحق به من العار . وعند الصباح نهضت كوهين وسألت زوجها ان يسافر بها الى بلاده ويتركوا القصر وتلك المواطن فقال لها هذا لا يمكن لي ولا بد من المسير الى ابيك اذا ما سار اليّ فاجتهدت في اقناعه فلم يقتنع وكان قد مضى اليه الامير ليث فقال له اعلم يا سيدي اني اعرف ان الملك سنجاب سيأتي في هذا النهار الى هنا بكل عساكره ومن الراي والصواب ان نذهب الان انا وانت ونكمن في ضواحي المدينة حتى اذا خرج الملك والعساكر منها دخلناها وملكناها ولي فيها جماعة من الاحزاب فنقيمهم على اسوارها وندع الملك يدخلها فيما بعد . فاستصوب بديع هذا الراي وركب في الحال ومعه الامير ليث وسارا على طريق منفرد حتى وصلا من المدينة فنظر عن بعد العساكر خارجة منها سائرة الى ناحية القصر فصبروا الى ان انقطع الخروج وقفلت الابواب وحينئذٍ تقدم ليث ومعه الامير بديع حتى وصل من احدى الابواب فطرقه وعرف حارس الباب بنفسه ففرح به وفتح له ودخل من خلفه بديع وسارا الى القصر وكان وكيل الملك ورجال الديوان فيه فهجم بديع عليهم وصاح فيهم ويلكم لقد جاءكم القضاء المنزل ووقعتم في يد بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان فارس برية الحجاز فسلموا حالاً ومن مانع انزلت به العبر واهلكته فصاحوا كلهم الامان وكانوا قد سمعوا بفعله وعرفوا انه وحده كسر عشرة الاف واسر ليثاً وحيثاً فجاس بديع وامر ليث ان يؤتى بجماعته وكان اكثرهم من الاشقياء فوعدهم بالمال الغزير والخير الكثير وعرض عليهم خدمة بديع فاطاعوا . وفي الحال ذهب بهم واقامهم على الاسوار وامر منادياً ينادي في

المدينة انها قد صارت بيد العرب وان بديع الزمان دخلها وجلس على كرسيها وان الامير ورجاله اتون على الطريق فجعلت قلوبهم ترتجف خوفاً وما منهم من قدر على المقاومة او مانع واظهر الخلاف

قال وكان الملك سنجاب قد وصل بالعساكر الى قصر بنته وطلب بديعاً فلم يجده فسألها عنه فقالت له انه سار الى المدينة ولا اعرف لما ذا فوضع على بنتــه الحراس وكرَّ راجعاً نحو المدينة حتى وصل من ابوابها فطرقها وامر الحراس ان تفتح فقالوا لا نقدر ان نفتحَ لك بدون اذن بديع الزمان فقال ويلكم انا ملككم وحاكمكم واي متى كان بديع الزمان يامركم وكيف دخل المدينة فقالوا له ان ليثاً الذي ادخله فقال افتحوا لاقتل الاثنين معاً فقالوا لا نقدر على ذلك ما لم تخبره فهو امرنا بذلك . ثم ارسلوا فاعلموا بديعاً فركب على الجواد واعتد بعدة الحرب والجلاد وخرج من المدينة وحده ومن خلفه الامير ليث يحمي ظهره فابلا عساكر الملك سنجاب وكانت كثيرة جدًا فصاح وحمل عليها وهو غير مكترث بهـا ولا مهتم بما يكون منها وباقل من ساعة التقاها برحابة صدره الواسع وجعل يضرب فيها ضرباً لم يبقِ ولم يذر وصار كانه شعلة نار تلعب في يابس القش يعدد الرجال على بساط الرمال والرجال تزدحم عليه وتزيد من حواليه والملك سنجاب يصيح فيهم ارفعوه على اسنة الرماح وضايقوه من كل ناح فلا بد ان ياخذه التعب او يقتل من تحته الجواد وهو غير مبال بهذه الاعمال ولا ملتفت الى كثرة الرجال بل كان يضحك كمن في وليمة وكلما زادت عليه الرجال صاح فيها وشردها واخذ في ان يدوس الجثث بحوافر جواده وكلما مدت نحوه الاشطان براها بضربة سيف واحدة فتقــع قطعها عشرات عشرات الى الارض ثم ينحط على اصحابها فيرميهم فوقها وبقي على مثل هذه الاعمال الى ان تناصف النهــار وقد عظمت الاخطار وتفاقت الخطوب وكثرت الضغائن في القلوب وضاق المجال على بديع الزمان لكثرة الفرسان لان ليثاً كان يحمي ظهره لـكنه لم يـكن من الفرسان المعدودين وكثيراً ما يلزم ان يحامي عنه ويدافع من وصول الموت اليه وفيما هو على مثل

ذلك واذا بصياح الامير حمزة البهلوان قد اقلق جوانب ذاك المكان واهتز له الجبـــال والوديان فانحط على اولئك الفرسان ومن خلفه بالكان الهطال الاسد الرئبال واندهوق بن سعدون ساقي الاعداء كاس المنون وهارون البطل المجنون وباقي الفرسان وباقل من ساعة اتسع المجال على بديع وقد سمع صوت ابيه يدوي كانه الصاعقة في اعماق الوادي فانتعش وصار يدور كاللولب ويحمل حملات الاسود ويطعن الفرسان ويحوم عليها كالعقبان وهم يطلبون الاختفاء من بين عينيه والامير وفرسانه يفعلون كفعله حتى وقع النقص في عساكر المدينة وتأخرت الى الوراء وفي ذاك الوقت وصل بالكان الهطال من الملك سنجاب فضربه بسيفه القاه قتيلاً الى الارض وبعد ساعة تفرقت كل رجاله ولم يبقَ منهم ولا واحد

قال الراوي وبعد ان انقطع حبل الحرب والقتال اجتمع بديع بابيه وهناه بالسلامة فاخبره بما كان من امره وامر كوهين وامر ابيها فقال الامير لقد انتظرتك اياماً فلم ترجع وكنت اعرف مكانك فقصـــدت ان اسافر على المراكب اليك لانظر ماذا جرى عليك وارى اذا كان يمكننا ان ننقل الى هذه الجهة من مدينة برازمين بحيث نقرب من السبائل اكثر ولما وصلت الى القصر علمت بانك مع سنجاب بالحرب والقتال فادركتك وقد انتهى الامر . قال اني اشكرك يا ابي واسألك ان تاتي بالعساكر الى هذه المدينة وتتركوا الان مدينة برزامين وتقيموا هنا فان المدينة صارت لنا وقد ملكتها بسيفي وصار اهلها تحت امري فاستصوب الامير هذا الراي وقال اني سارجع الى برزامين واجيء بالعساكر الى هنا فتبقوا الى ان اعود ودخل بديع والفرسان الى المدينة ودخل الامير معهم فارتاحوا باقي ذاك النهار في المدينة وزينت اكراماً للعرب وجاء اهلها الى الامير وسلموا عليه وسلم عليهم وعرض عليهم ان يعبدوا الله ويتركوا عبادة الخوند فاجابوه وصارت كل اهل المدينة من رجال الله . وفي اليوم الثاني رجع الامير الى برزامين وجاء بالعساكر فحملتها المراكب وصارت تنقلهـــا من شاطىء الى شاطىء اخر وبقيوا على مثل هذه الحال مدة ثلاثة اشهر حتى نقلت العساكر والمؤن والذخائر والاموال

وصارت جميعها في الجهة الثانية من الشط اي في مدينة السنجام وفي ضواحيها . وبعد ان انتهى كل شيء سأل بديع اباه ان يجمع سادات العرب وملوكها الى وليمة هناك . ففعل واجتمع الجميع وذبح لهم الذبائح وروق الخمرة وصرفوا وقتاً بالهناء وعندما وضعت صفرة الطعام وجلس السادات من كل الجهات وبينهم ليث نهض بديع الزمان وحمل كاس الشراب وقال للسادات انني نذرت على نفسي خدمة الامير ليث على مرأى منكم اعترافاً له بفضله لانه قتل اخاه من اجلي واعاد عليهم قصته مفصلة . فلما سمع الامير ذلك تعجب ومثله باقي الموجودين وما منهم الا من اثنى على ليث ومدحه وقال حمزة بالحقيقة ان كلمة الايمان قد زرعت في قلبه تماماً ومن كان على دين الله حقاً لا يمكن ان يخون ولو قتل نفسه ولا يقبل بان يصادق على الخيانـة وسنكافيه بالخير ان شاء الله تعالى فقال ليث اني لا استحق هذا العمل يا بديع فقتل اخي لا يحسب بشيء بالنسبة لعفوك عنا وعملك الخير والجميل معنا فانك كنت قادراً ان تقتلني وتقتله ولك الحق في ذلك وما من احد يمنعك فعفوت وركنت لنا كل الركون وسلمت الينـا نفسك لاني لو طاوعت اخي لسهل علينـا قتلك غير ان الله لم يرضى بذلك فانت سليم القلب ومن كان مثلك لا يضر ولا يؤذى واخي على كل حال فهو مقتول لانه لو لم يخدعك بل قال لك اني باق على ديني لكنت قتلته لا محالة فقتله من يدي او من يدك على حد سوى فارجوك يا سيدي ان تجلس ولا تتنازل الى خدمة عبد من عبيدك مع انك ابن اشرف العرب وسيدهم

قال وكان الامير قاسم يسمع كل هذه الاقوال وهو يتحرق في قلبه من ليث كيف ما ترك اخاه ان يقتل بديعاً وصبر الى ان سمعه قال ما قال فلم يعد يقدر على الصبر لان البغض في قلبه كاد يفطر مرارته فقال لاعجب اذا كان ابن الصياد يخدم السادات وليس بكبير عليه ولا يغرنك بقوله انه امير وابن امير فما هو الا دخيل علينا قبله جدي رقة ولطفاً منه على انك لو تركت اخاك يقتله لما حصل امر مهم بل كانوا ابكوا عليه موقتاً ثم نسوه . فاغاظ هذا الكلام بديعاً واحمرت

عيناه ونظر الى قاسم بغضب ولو لم يحمله الصبر وسعة الصدر على السكوت لنهض اليه وقتله وارتاح من امره غير ان الامير حمزة لحظ على ذلك وخاف ان يقتل بديع قاسماً وتأكد تعديه فنهض اليه وهو من الغضب على جانب عظيم وضربه بيده ودفعه الى الخارج وقال له لا عدت اريد ان اراك وفي كل مرة انت تنكد عيشنا وتكدر صافي كاسنا والى متى هذه الاعمال ومن اللازم ان نفرق بينكما فلا يجتمع احدكما بالاخر . فاغاظت هذه الجملة بديعاً وقال في نفسه خير لي ان ارحل انا بقومي من ان يطرد قاسماً لانه ضعيف العقل والراي يحتاج الى الشفقة والمعونة غير ان الامير قاسماً لم يسكت بل قال لجده تضربني من اجل ابن الصياد قليل الاصل كثير الفساد . فوالله لا بد ان اذهب الى الخوند واقيم عنده لاتمكن من قتل بديع واعدامه ولان اريه كيف تكون الرجال . فزاد حنق الامير وقال له « حدك جهنم » اذهب الى حيث شئت ولا ترني وجهك مرة ثانية فركب قاسم وسار الى جهة مدينة السبائل ليدخل على الخوند كيداً لعمه وقبل ان وصل الى مدينة السبائل وقف مفتكراً وقد وعي الى نفسه وصار يتأمل كيف يدخل على الخوند وربما ظنه جاسوساً فيقتله ومن اللازم ان يتأنى في عمله او يعود الى معسكر العرب . وفيما هو واقف رأى قصوراً شامخة الى جانبه فمال اليها ليرتاح فيها وينظر من هناك وحال وصوله الى احدى تلك القصور طرق الباب فخرج اليه الخادم فقال له هذا القصر لمن قال له هذا لجهانة بنت الخوند وهي الان فيه . قال اني غريب وتائه واريد ان اكون ضيفاً في هذا القصر فهل هي ممن تقبل الضيوف وتكرمهم قال بلاريب اذا كان الضيف من الكرام وسأسلها في ذلك فما اسمك والى من تنتسب قال انا قاسم ابن الامير رستم فرتم ابن الامير حمزة البهلوان فارتجف الخادم عند سماعه هذا الاسم واسم حمزة وقال في نفسه لا ريب انها تقبله وتقبض عليه وترسله الى ابيها او انها تطرده وترده من حيث جاء ولما وصل اليها سألها عن قبول الامير قاسم فنهضت واقفة وكانت تتمنى ان تراه لانها مولعة به من حين شاهدت الصورة وبقيت مؤملة ان العرب لا بد ان تأتي السبائل فتحتال لان تجتمع به

وتصل اليه وتتزوج به ولو تركت اباها وقومها . ولما سمعت بوصوله اليها لم يعد لها صبر وحسبت ذلك من عجائب الصدفة وقالت لخادمها ادخله لاراه وامنع الخدم والضيوف وكل الناس ان تدخل اليّ الا بطلب مني . فرجع الخادم وادخله الى سيدته فلاقته الى الخارج وحالما وقعت عينها عليه تأكدت انه نفس الرسم الذي رأته في الصورة وكانت بديعة بالحسن والجمال كاملة التركيب تعجب الناظر وتلقي بقلبه سهام الحب من اول نظرة فاصاب قاسم سهم الغرام وهش في وجهها وبش فقالت له اهلاً وسهلاً بمن احبه نظري ومال اليه قلبي وشغل به عقلي منذ زمان . فتعجب الامير قاسم من كلامها وسلم عليهافاخذته من يده وادخلته غرفتها فسألها قبل كل شيء كيف علقت بحبه منذ زمان فحكت له ما كان من امر الصورة وكيف رأته بها ومالت اليه واحبته دون باقي العرب وبقي رسمه في ذهنها الى ان وصل اليها

فلما سمع الامير قاسم هذا الكلام افتخر بنفسه وتعظم وقال انك احببتني منذ زمان وها انا الان احبك وكلانا من شرفاء العالم وقد جرى على مثالك مع كوهين بنت الملك سنجاب فانها رأت الصور واحبت بديع الزمان وهو من اغلظ الناس واقبحهم منظراً وفعالاً وهذا من العجب العجاب اما انت فقد نظرت موضع النظر وستلاقي مني اكثر مما تؤملين واخلص لك الحب والود . ولا يعجب مطالعوا قصتنا هذه اذا رأوا ان السيدة جهانة تميل الى قاسم ولا ننسب ذلك الى جماله وشجاعته وقد قيل في العالم ان من القلب الى القلب سبيل . والقلوب شواهد الى غير ذلك وقد خطأ كثيرون هذا الرأي وقاوموه اي مقاومة وصدقه كثيرون واتخذوه برهاناً على صدق المحبة غير اننا نقول ان ذلك وان كان يصدق احياناً فهو يخطىء احياناً ولا يمكن ان يكون من قلب العاشق الى قلب المعشوقة سبيلاً الا اذا وجد ان كلا المتعاشقين متعارفين او خليين من الحب لم تدخل قلبيهما دواعي العشق قبل ذلك فضلاً عن انه يلزم ان يكون وفاق كامل بين اطوار كل منهما فيتفقان بالاطوار والامزجة والعقل وعليه فقد يمكن ان يميلا الى بعضهما من اول

نظرة ومن اول تعارف واما اذا كانا مختلفين في المزايا والسجايا فلا يكون قلب الواحد كقلب الاخر ولم يكن للامير قاسم عند السيدة حسن التي احبها وتعشقها كثيرًا ومال اليها ما كان له عند جهانة فان الاولى كانت مترفعة المزايا كاملة الآداب والاوصاف حليمة رقيقة واسعة الصدر وهو بالعكس فلم يتفقا كما اتفقت مع بديع الزمان غير ان جهانة لا ريب بانها اقرب اليه بخصالها واطوارها من سواها ولذلك كان الحب مكيناً بينهما حتى انهما كانا بلذة عظيمة من النظر الى بعضها والملتقى في ذاك المكان . ولما استراح وطاب له الجلوس امرت فأحضرت بواطي المدام وصفتها امامها واقفلت الباب وجلست وهو الى جانبها وجعلت تشرب الخمرة وتسقيه مسرورة من وقتها تنشد :

يا من لعبت به شمول   ما الطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال   كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه الكلام لكن   قد حمل طرفه رسائل
ما اطيب وقتنا واهنى   والعاذل عنا غائب
عشق ومسرة وسكر   والعقل ببعض ذاك ذاهل
والبدر يلوح في قناع   والغصن يميل في غلائل
والورد على الخدود غض   والنرجس في العيون ذابل
والعيش كما نحب صاف   والانس بما نحب كامل
مولاي يحق لي باني   عن مثلك في الهوى اقاتل *
لي فيك وقد علمت عشق   لا يفهم سره العواذل
في حبك قد بذلت روحي   ان كنت لما بذلت قابل
لي عندك حاجة فقل لي   هل انت اذا سألت باذل
في وجهك للرضى دليل   ما تكذب هذه المخاتل
لا اطلب في الهوى شفيعاً   لي فيك غنى عن الوسائل
من وصلك بالقليل ارضى   الطل من الحبيب وابل

وكان كل ما يراه الامير قاسم ويسمعه يراه عجباً لانه مسكين ووقع بسل تين على قول المثل فجعل يشرب بكثرة وهي كذلك حتى كادت تغيب عن الهدى ثم سألته ان يأتيها ومع ان الامير قاسم كان في كل اعماله اهوج ولا سيا في تلك الساعة فانه كان ضائع العقل بفعل الخمرة والعشق معاً فامتنع وقال لها بالله عليك يا قرة العين ان تسمعي لي وتصغي الى قولي فاني احبك وحبك خارق فؤادي غير ان لا خفاك اني اعبد الله العزيز الجبار خالق الليل والنهار وديننا هذا يحرم علينا ان نقترب من نساء على غير ديننا ولا سيا ان بديع الزمان تزوج بحسن فقادها الى عبادة الحق ثم تزوج بكوهين فعبدت الله تعالى قبل ان دخل بها فلا اريد ان يكون اكثر ميلاً الى دينه مني مع اني اشرف منه وارفع مقاماً عند الناس وبين العرب فاذا كنت تتركين عبادة ابيك الفاسدة وتعبدين الله عز وجل كان بيننا ما يكون بين الزوج والزوجة والا فارجع من حيث اتيت . فقالت له اعرض عليّ دينك فاكون عليه وقد جحدت ابي وقومي وكل اهلي من اجلك فسر منها وعلمها كلمة الايمان فآمنت . ثم دخل بها وصرف باقي ليلته معها على الهناء والسرور والافراح الى غير ذلك حتى اشرق النهار وقد اصبح لسان حال كل واحد يقول :

وليلة كأنها يوم اغر	ظلامها اشرق من ضوء القمر
كأنها في مقلة الدهر حور	ما قصرت لو سلمت من القصر
حين اتت مرت كلمح البصر	ليس لها بين النهارين اثر
تطابق العشاء منها بالسحر	الذ من طيب الكرى فيها السهر
قطعتها ولا تسل عن الخبر	بصاحب حلو الحديث والسمر
تحضر كل راحة اذا حضر	في الجد والهزل جميعاً قد مهر
نعم الرفيق في المقام والسفر	وبشادن فيه من التيه خفر
حلو الثنايا والتثني ان خطر	من اطرب الناس غناء ووتر
وفيه اشياء واشياء اخر	وقهوة تسد ابواب الفكر

اشرف شيء عنصرًا ومعتصر … وتضعف في ادراكه قوى البشر
رقت فما يثبتها حسن النظر … فلم تزل حتى اذا الفجر انفجر
وغرقت منه النجوم في نهر … وايقظ النائم انفاس السحر
وخمش النسيم اغصان الشجر … وفتت يد الصبا مسك الزهر
قمنا وهل طاب نعيم واستمر … قد ستر الليل علينا وغفر
وما لذيذ العيش الا ما استتر … لليل عندي فنن اذا اعتكر
يلحفني منامه عند الحذر … كم حاجة قضيت فيه ووطر
اودعته سر الهوى فما ظهر … رقّ عليّ قلبـه لما كفر
اشكره وان مثلي من شكر

وجهانة هذه تروح من قاسم حامل بولد ذكر يدعى الخواجه فرج وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وبقي الامير قاسم على ما هو عليه من الحظ والانشراح من زوجته الجديدة غير مفتكر باحد ولا مهتم باحد

قال ولنترك جهانة مع زوجها مدة من الزمان ونرجع الى العرب فانهم بقيوا في المدينة السنجامية مدة من الزمان تقارب السنة وحينئذٍ قال السلطان سعد لجده الامير حمزة لقد طال علينا المطال فهل نحن آتين لنقيم في هذه المدينة طول العمر وأرى من الصواب ان نباشر الحرب والقتال فنركب الى السبائل ونرى ما يكون بيننا وبين الخوند . فوافقه العرب اجمعون على طلبه وحينئذ امرهم الامير ان يستعدوا للرحيل ويهيئوا نفوسهم حتى اذا دعاهم للركوب يركبون فجعلوا يهيئون لوازمهم حتى مضى عليهم ثلاثـة ايام وفي اليوم الرابع دعوا بالامير ليث فأقاموه ملكاً على المدينة وركبوا وركب السلطان سعد وخرج العرب من تلك المدينة كانهم الزنابير وما منهم الا من يتمنى نهـاية الحال ويريد ان يرجع الى اهله وداموا في مسيرهم طول ذاك اليوم واليوم الثـاني بتمهل وفي مسائه وصلوا تجاه مدينة السبائل فتفرقوا في سهولها وضربوا خيامهم وقد بعدوا عن المدينة مقدار ساعة تقريباً وسرحوا انعامهم في جبالها ووعورها ومراعيها وساروا كانهم سلاطين

تلك الارض وصاروا يدبرون احوالهم وينتظرون الفرج ليطلبوا من الخوند تسليم كسرى وبختيار وان يأتيهم طائعــاً او يخرج الى حربهم غير انه في صباح اليوم الثاني رأوا الابواب قد فتحت واخذت العساكر في الخروج فايقنوا ان الخوند قد علم بجيئهم فخرج الى حربهم وقتالهم فاستبشروا بالخير والنجاح واملوا انهم عن قريب يدخلون السبائل وينالوا ما هم طالبون . وبعد ان انتهى خروج عساكر المدينة وضربت خيامهــا خارج البلد خرج الخوند بنفسه والناس تزدحم من حواليه وضرب له صيواناً عالياً من الذهب الوهاج لم يكن مثله الا صيوان اليون شاه فنزل فيه وامر عساكره بالصباح ان تباشر الحرب والكفاح وتهجم على العرب دفعة واحدة

وكان الامير قاسم لمــا راى وصول العرب الى هناك وشاهدهم عن بعد من قصور السيدة جهانة ركب وجاء اليهم ودخل على جده معتذراً فسأله اين كان كل هذه المدة . فقال اعلم يا جداه ان الله لم يقطع بي فقد جئت هذه النواحي وتزوجت من جهانة بنت الخوند ولي كل هذه المدة وانا عندها ثم اعاد عليهم القصة من اولها الى اخرها فقال له الامير حيث قد صار الخوند عمك ابا زوجتك فصار من اللازم ان تذهب اليه وتقيم عنده . فقال اني لا اتقرب به ولا اميل اليه لانه كافر طاغ يستحق القتل ولو لم تتركه بنته وتعبد الله لما وافقتها على الزواج بل كنت تركتها ووصلت الى غير جهة ففرح به الامير وسر منه وتذكر اباه فبكى وقال في نفسه لو كان رستم عندنا لكنت مسرور الفواد وقــد طال غيابه ولا اعرف ماذا جرى عليه واسأل الله ان يرجعه سالماً وكان قد ولد في هذه المدة غلام للامير قاسم فلم يخبر جده به بل اخفى امره وكتمه وبات العرب في تلك الليلة وقبل ان اشرق الصباح سمعوا اصوات طبول الخوندتضرب معلنة بالحرب والقتال فاجابت طبول العرب بمثل ذلك ونهض الفرسان من الخيام وتبادروا الى الخيول بعد ان تعددوا ولبسوا الاسلحة الكاملة واصطف الصفان قدام بعضهما البعض وفي الحال حملت الفرسان والابطال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وعظمت

الاحوال وزادت الاهوال . وكثر القيل والقال . وزادت فرسان العرب بالقتال . مؤملة النصر والفوز في الحال . غير انه قد خابت منها الامال . ووقعت بالوبال . وهي تقاتل من اليمين ومن الشمال . وتقتل في رجال الخوند بهمة الابطال ومع ذلك كان يقتل منها كثيرًا ورأى عساكرها تتبدد وتميل من ناحية والفرسان تقاتـــل وتهاجم وهي تضطرب وتختبط ببعضها ولا تستقر في مكان ولا تعلم لذالك العمل سبباً والامير حمزة مشهرًا بيده الحسام ينحط على الرجال فيبددها ويضرب في صدورها فيخرقها ويلقي بها على بساط الصحصحان ويرجع الى عساكر العربان فيراها راجعة الى الوراء تقاتل وتقتل وتقع على وجه الارض كورق الشجر ودام القتال على مثل تلك الحال الى قرب الزوال وامل الامير ان عساكر الخوند ترجع الى الوراء وتترك القتال بواسطة حلول الليل فخاب ظنه لان القتال اتصل الى ما تحت الظلام فعظمت عليه الامور ووقع بالاكدار واجهد نفسه في القتال ومع كل ذلك فانه كان يرى عساكره تتقهقر وترجع الى الوراء راكضة لا تعرف من اين تهجم عليها الاعداء

قال وكان السبب في هذه المصائب التي وقعت على العرب ان الخوند كان يلبس خاتماً مرصود به مارد من مردة الجان فكان يخفي امره ولا يظهره لاحد كي لا يفقد النفوذ والعظمة فيعرف الناس ان كل ما يجريه منه وليس من المارد ولذلك عند ما قصد الهجوم على العرب جمع قومه وقال لهم اني وانا في صيواني سأرسل شجاعتي بصفة عملاقي فيقاتل بينكم فمتى رايتموه يقاتل ابذلوا جهدكم في القتال ولاترجعوا حتى افني العرب عن اخرهم ثم دعا بالمارد فحضر بين يديه فقال له اريد ان تقاتل العرب بهيئة الانس العمالقة وتفتك بهم ولاترجع ما لم تبيدهم عن اخرهم واجعل كل قصدك الامير حمزة العرب سيدهم فاذا قتلته تفرق قومه فاجابه بالسمع والطاعة وعند ما اشتبك القتال كان يقاتل ويناضل ويسحق الرجال تحته كانـــه جبل من الجبال وما برح طول ذاك النهار والعرب لا تعرف السبب والمارد يصول ويجول ويحاول ان يتمكن من الامير حمزة فلم يقدر لانه كان يقاتل بالسيف

المرصود فيخاف منه ويبعد عنه الى ان اقبل الليل فأمل انه يتمكن منه من جهة من الجهات او يراه قد تعب وكلّ وملّ فيقتله وينفذ امر سيده غير ان الامير لم يكن كباقي الرجال بل كانه قطعة فصلت من الجبال لا يعرف التعب ولا الملال ولا سيا لما راى ما حل بقومه فزاد في القتال لتشتد به قلوب الابطال وقد فرق العساكر وسحقها تحت ضربات حسامه ولو كان الفرسان بيدهم سيوف كسيفه لفرقوا الاعداء وحدهم وما برح الدم يبذل والرجال تقتل ونيران الحرب تشعل والفرسان تقع من هنا وتقوم من هناك حتى تاخرت العرب الى ناحية وبعدت عن المدينة كثيراً ورجعت الى الخيام وصار القتال في وسط الخيام ولما اشرق الصباح راى العرب ما حل بهم فعظم عليهم الامر وايقنوا بالهلاك ولاسيا الامير فانه جعل يصيح وينادي وانحط علي عساكر الاعداء فطير الروس واخمد النفوس وكان بديع الزمان قد صار في ناحية اليمين فانحط عليها انحطاط الصواعق وفرق الرجال ونوى ان لا يرجع الا بالموت والهلاك وكذلك الامير قاسم وقد اعجب جده قتاله وراى هذه الاهوال دائماً بين يديه يبدد الرجال ويشردها وبقي القتال متصلاً طول النهار حتى كلت العرب وملت ووقعت باليأس والضيق وشاهدت الموت الاحمر من فعل ذاك المارد الذي لم تكن تعرف انه من المردة وصارت الفرسان تقع وتختفي منه تحت بطون الخيول وهو يطعن ويضرب الرجال بعضها البعض فيدخل من اول العرب حتى يصل الى اخرهم والسيوف لا تعمل في جسده والرماح لا توثر فيه ولم يقدر الامير حمزة ان يتمكن منه لانه كان عندما يقرب منـــه يسرع في الهرب فيبعد مقدار الف ذراع باسرع من لمح البصر وفيما العرب على ذاك الضيق وقد ضاقت في وجههم المذاهب وايقنوا بالهلاك وملاقاة المصائب والا باسما بري قد سقطت من الجو الاعلى وكانت قدرات المارد يفعل تلك الافعال فقالت هلكت العرب وحق العزيز المتعال خالق الليل والنهار وصرخت بصوت عظيم فسمعها وراهـــا ساقطة فاختفى وفر من امامها واختبأ عن اعينها وحينئذٍ صارت العرب في خير وباقل من ساعتين ارتفع عنهم الضيق وراوا بانفسهم يتقدمون الى الامام ويقتلون

في عساكر الخوند وهي ترجع الى الوراء من بين ايديهم واغتنم الامير حمزة فرصة هذا النجاح فجعل يصول ويجول ويطعن بالفرسان ويصيح فيها صيحات مردة الجان وفعل مثله ابنه بديع الزمان وابن ابنه بالكان والامير قاسم المجنون . واندهوق ابن سعدون . حتى ارجعوا رجال الخوند الى خيامهم وقد ملأوا الارض من قتلاهم وانزلوا عليهم البلايا وميازيب الرزايا وظهر مارد الخوند امامه وهو يرجف ويرتعد فسأله عن ذلك وقال له لقد فعلت في الاول افعالاً اكسبتنا الفخر فلما هذا التأخير وكيف تخليت عن عسكري حتى تمكن الاعداء فيهم وانزلوا عليهم العطب وافنوا اكثرهم بوقت قريب ولم تقتل حمزة ولو قتلته لكان انتهى الامر وفزنا بالنجاح فقال اني حاولته كثيراً فلم اقدر ان اقرب منه ولو تركته يصل الي لضربني بسيفه وقتلني غير اني فعلت بقومه العجائب ولو طال المطال يوماً آخر لافنيتهم جميعهم غير اني وانا على نجاحي اطرد الفرسان واقتل الشجعان واذا باسما بري ملكة الجان قد سقطت من الجو الاعلى فنظرتها عند ما سمعت صوتها فايقنت بالهلاك والموت الاحمر وخفت من ان تقتلني فلا تعود تراني فالتزمت ان اهرب واختفي عن عينيها ولهذا فاني من الان وصاعداً ما عدت انفع بشيء مع العرب ولا اقدر ان اجتاز معسكرهم خيفة من اسما بري والا فانها تعدمني لانها زوجة الامير حمزة ولا يمكن ان تتخلى عن العرب . قال حسناً فعلت بهربك واري من المناسب الان الهرب والدخول الى البلد وقفل ابوابها وندعهم الى الابد خلف اسوارها يتشورون ويتقلون لان عساكري كادت تفني وتاخرت كل التأخير ثم انه دخل هو في الاول واخذت الرجال تهرب من قتال العرب وتسرع الى المدينة لا تصدق بالخلاص من امام تلك النار التي كانت تلتهم اجسادهم وتحرق ارواحهم والعرب يجدون الطعن ويزيدون الضرب وفي مقدمتهم الفرسان العظام وما امسى ذلك المساء حتى كان العرب قد اشفوا قلوبهم وفرجوا كروبهم واوصلوا اعداهم الى الابواب وقد اقفلت في وجوههم فعادوا فرحين منصورين وجمعوا الاسلاب والغنائم وما تركه الاعداء خارج المدينة وضافوها الى غنائمهم ورجعوا الى خيامهم

بالفرح والسرور ودخل الامير صيوانه ونزع عنه ثيابه واغتسل من كثرة ما سال عليه من ادمية الفرسان وكذلك باقي العربان ثم اجتمعوا الى صيوان اليون شاه ليهنوا بعضهم بذاك النصر المبين بعد ان كانوا قد تشتتوا وتفرقوا في كل النواحي وفقد منهم عالم كثير وكان من جملة من فقد ابن الامير قاسم الطفل فانه خطف من يد امه وهي في قصرها ولم تعلم من خطفه وقد اخبرت بذلك اباه فاغتاظ لكنه لم يهتم بذلك كثيراً وجعل يطيب بخاطر زوجته وقال لها اكتمي هذا الامر ولا تظهريه لاني اخفيت عن جدي امر ابني ولا اريد الان يعرف بانه فقد ولابد من التفتيش والوصول اليه ولو عرفت ان الذي اخذه هو من عفاريت الجان لالقيته بالذل والهوان فسكتت ولم تبد اشارة وصبرت على انها تلاقيه فيما بعد

وعند ما اجتمع العرب الى بعضهم قال الامير لقد قتل منا اكثر من خمسين الف فارس وتأخرنا كثيراً في اليوم الاول والليل الذي بعده ولا نعرف السبب الذي وقع علينا مع اننا كنا نحارب محاربة الاسود ونرجع الى الوراء دون ان ننال المقصود غير منذ ظهر هـذا النهار ونحن نتقدم وقد تاخر رجال الخوند ولا اعرف ايضاً السبب الذي دعانا الى التقدم ودعاهم الى التأخر بعد ان ادخلونا الخيام وعساكرنا تفر وتهرب ومن ثبت يقتل ويقع الى الارض فقال اكثر الفرسان اننا كنا نرى فارساً طويلاً لم نرَ زماننا مثله بين الانس يفعل العجائب ولا يقدر فارس ان يلحقه لسرعته قال رأيته كثيراً وما تمكنت منه لانه يدنو مني وعند ما انحط عليه يغيب باسرع من البرق فلا اعود اراه وبينما الامير والفرسان في مثل هـذا الشان واذا باسما بري دخلت الصيوان وقبلت يدي الامير فترحب بها كل الترحيب وتعجب من حضورها الى ذاك المكان ومثله باقي العربان وقال لها في اي وقت جئت قالت جئت عند ما كنتم في الميدان وقد انحط عليكم ذاك المارد الشيطان وانتم في ضيق عظيم منه فقال اي مارد تعنين واي شيطان تقصدين قالت اقصد مارد الخوند فانه كان يقتل فيكم ويشتتكم وانتم لا تعرفون ولا تعون اليه ولا يمكن ان تدركوه ولا ريب انه نوي على هلاك رجالك في الاول حيث رأى

لا سبيل للوصول اليك غير اني لما رأيت فعاله وقد انزل بكم العبر فصحت به ففر من بين يدي واختفى فساعدتكم على الاعداء وما كان وصولي الا باذنه تعالى كي لا تصابون بالفناء والضيق

فزاد عجب الامير وقال نعم بامر الله فانه يحب العرب ولا يسلم بهلاكهم ودمارهم وخرابهم والان اريد منك ان تكملي معروفك فاذهبي وساعدي اخي عمراً والعيارين على دفن القتلى من رجالنا ورجال الاعداء ولا تبقوا جسداً بالارض لئلا يفسد الهواء وتفشى بيننا الامراض فاجابته بالسمع والطاعة ورجعت الى الميدان واجتمعت بعمر العيار وسلمت عليه وسلم عليها وحكت له ما فعلت لاجل نجاح العرب فشكرها وفيما هي تساعده قالت له اريد منك يا عمر ان تساعدني بشيء واحد فلا انسى جميلك ومعروفك . قال وما ذاك الشيء قالت ان ترجو الامير ان ينام معي ويقبلني عنده ولو اسبوعاً واحداً . قال ان اخي لم يفكر بالنساء منذ موت مهردكار ولا اظن انه يجيب طلبي . قالت اني اطمنه بان زوجته مهردكار لم تمت وانها لا تزال في قيد الحياة . قال ويلك اتكذبين على الامير وعلينا وقد شاهدنا موتها ودفنت في مدينة حلب ولا يزال قبرها هناك . قالت اني اؤكد لك ذلك واذا اخبرتك بالقصة تصدقني . وهو اني جئت مدينة حلب في ذلك الوقت وانا استرق نظرة من الامير لاني احبه وانت تعرف ذلك واتمنى ان اكون العمر عنده لو كان يقبلني ودخلت القصر الذي كانت فيه مهردكار فوجدت الامير مغمياً عليه ومهردكار تنازع بالقرب منه وقد كادت تفارق هذه الدنيا فشفقت عليها كثيراً ولم يطلعني قلبي ان اتركها تموت وانا قادرة على خلاصها غير ان غيرتي منها كانت تمنعني عن ذلك وفي الحال طرق فكري امر حسن جداً وهو ان اهتم بها وابعدها عن الامير وكنت اخاف ان ينتبه الامير قبل ان يتم عملي فاسرعت الى امرأة تسكن بالقرب من قصر مهردكار فخنقتها حالاً والبستها ثياب مهردكار والقيتها الى جانب الامير عالمة بانه اذا انتبه الى نفسه ينظر فيراها فاقدة الروح فيظن ان الموت قد غير هيئتها وان السم سود قليلاً من بياضها النقي الصافي

وطرت حالاً بتلك الفاقدة الحاسة الى بلاد الغرب الى حكيم هناك اعرف انه من اعظم حكماء العالم وكان يستخدم طائفة من الجان لقضاء مصالحه فتأتي له بالحشائش من بلاد الانس والجان الى غير ذلك ولما دخلت عليه القيتها بين يديه وحكيت له واقعة الحال وسألته المعونة وبينت له اذا شفاها غمرته بالعطاء الجزيل وكنت له ساعداً على طول الزمان فشفق عليها لما رآها ونهض في الحال وباشر عمله وما مضى الا ساعات قليلة حتى ترجح فيها الامل فوعدني بالخير وانه في مدة ثلاثين يوماً اعود اليها فاراها عنده متعافية فتركته وصرت اتردد عليه حتى رايتها فجازيت ذاك الحكيم بان وضعت له عشرة من خدمي في خدمته واحضرت له من الجواهر ما يكل عنه القلم واوصيته ان يبقيها عنده الى ان اطلبها فاجاب وقد قلت في نفسي اني اجبر الامير بواسطتها ان يبقى عندي فاذا وعدني بذلك وفعله احضرتها اليه واعدت له فرحه والا فاني ازيده حرقة بحيث يعرف انها حية ولا يقدر ان يصل اليها . فتعجب عمر عند سماعه هذا الكلام وكاد لا يصدق كلامها وظنه كذباً وانها تقصد ان تغش الامير لتسحبه اليها وقال لها هل تزال حتى الساعة في قيد الحياة قالت اذا امر الامير نظرت في ذلك لاني منذ مدة طويلة ما عدت ذهبت اليها وقد شغلت في ملكي كل هذه المدة حتى جاء الامير على بالي فاردت ان اجتمع به عساه يتذكرني ويتذكر اني زوجته واريد منك التوسط بيني وبينه . قال لا اكثر في ذلك لكن اي معروف عملته معي فانك على الدوام تاتين وتذهبين الى بلادك وما فكرت ذات مرة بان تأتيني بهدية او تذكريني بمنفعة فلو فعلت معي جميلاً مرة لما كنت انساه لك الى الابد . قالت نعم اني كنت قبل الآن اقصر في حقك وما اكرمتك مرة لكني في هذه المرة قد اتيتك بذخيرة لم تر مثلها عمرك بطولها ذهي توافقك واحسن من كل الهدايا التي تؤمل ان اهديكها اياها فتتوصل بواسطتها الى كل ما تطلب وتحصل على كل ما تشتهي وتنال السعادة والاقبال وهي قبعة الاخفاء . فلما سمع عمر بهذا الاسم حملق عينيه ومال باذنيه لانه كان يسمع بالحكايات عن قبعة الاخفا ولم يرها قط فقال لها اين هي وكيف

استعملها فاخرجتها من جيبها وقالت له هذه هي فاذا لبستها على رأسك اختفيت عن العيون وما عاد احد يراك

قال فتناولها من يدها حالاً ووضعها على راسه وقال اني ذاهب الان الى للديوان لانظر ان ما قلته صحيح واذا صح اجبرت اخي ان يبقى عندك اسبوعاً ويوماً فصفقت من الفرح وقالت له ستري واني الاقيك الى هناك ومن ثم سار حتى وصل الى صيوان اليون شاه فدخله ووجد السلطان جالساً في صدره والامراء جميعاً في حضرته ولم يره احد منهم فنظر اندهوق ابن سعدون جالساً في جانب هارون البطل المجنون فتقدم من اندهوق ورفع يده ولكزه في وجهه فالتفت ولم يرَ الى جانبه الا هارون فقال له لما هذا العمل فاني استغربه منك ونحن الآن بحضرة الامير والسلطان فاندهش من كلامه واجابه ما هذا الكلام يا ابن سعدون واي عمل عملت حتى توبخني قال اما لطمتني على خدي قال ما لطمتك ولا رايت احداً فعل ذلك فسكت اندهوق ولم يرضَ ان يزيد على ذلك خشية من القال والقيل واذا بعمر العيار قد رفع يده مرة ثانية ولكزه في وجهه من الجهة الثانية فاحتدم اندهوق غيظاً وقال كفي يا هارون اهل تفعل ذلك مناحاً فالمزاح للاولاد وليس للفرسان الاجواد فاجابه ذاك بغيظ واحتدام لما هذا التهكم اهل جننت فاي متى كنت امزح معك على اني اقسم بالله ما مددت يدي اليك واتعجب كيف تشعر بذلك ولم ارَ احداً يمد اليك يداً فتقدم عمر اذ ذاك من هارون ولطمه على خده قوياً فنهض واقفاً وقال له اظنك جننت يا ابن مسعود فضربتني لتأخذ تارك مع اني ما مددت اليك يدي فصاح الامير حمزة فيهما وقال لما انتما في نزاع وجدال وماذا حدث عليكما فحكيا له القصة وانكر اندهوق انه ما مد يده الى هارون فقال لا تخافوا فعلى ما اظن ان اسما بري احضرت معها شياطينها وسأفحص منها عن ذلك فان اعاد احد شعر بذلك ليخبرني وكان عمر يضحك منها وتأكد في نفسه ان ما احد رآه فقال يلزم ان افعل مثل هذا في حضرة الخوند او احضره اسيراً واقبض على كسرى وبختيار ولما ثبت عنده هذا الفكر لم يظهر نفسه بل بقي على

حاله وصبر الى النهار وسار من صيوان اليون شاه على طريق المدينة حتى وصل من الباب فوجده مقفلاً لكن وجد في جانبه نافذة صغيرة يقدر الانسان ان يمر منها وقد فتحها اهل المدينة ليروا حركات العرب ويشاهدوا ما يفعلون واذا هجموا يقفلونها ويخبرون الههم او بالحري ملكهم فدخل من تلك النافذة بكل ضيق نفس ولما صار في الداخل جعل يتمشى في الاسواق على امل انه يصل الى سراية الخوند ودام في التفتيش حتى وصل اليها فرأى الحجاب والعبيد والجنود تزدحم عند باب القصر وكلهم بالسيوف الصقيلة فاجتاز بينهم وهو متيقن ان لا احد يراه حتى صار في الفناء وكان يتعجب من عظم ما يرى من اتقان ذاك القصر وكثرة جنوده وكبره العجيب وما برح على مثل ذلك حتى وصل من المكان الداخلي الذي يقيم فيه الاله فوجد عند ابوابه نحواً من مائتي حاجب مشهورة السيوف كل مائة الى جانب وفي وسطهم عشرة يلبسون القبعات الطويلة وبرقابهم الاحذية وهم يقبلون مسائل الناس ليدخلوا بها الى الخوند واما الى نوابه وعليهم الملابس الذهبية والفضية المزخرفة فدخل عمر غير مكترث فيهم واجتاز حتى الداخل فكان يرى رجال الدولة هناك وكلهم بالملابس الفاخرة العجيبة ثم رأى باباً من النحاس الاصفر اللامع وجانبيه من الفضة البيضاء ومن عتبته وما بعدها الشالات الصوفية والحريرية ممدودة على الارض ليمر عليها الخوند عند دخوله ذاك المكان فمر في الباب من دهليز يبلغ طوله عشرون ذراعاً وانتهى الى قاعة مفروشة بالبسط وجدرانها مصفحة بالنحاس الاصفر النقوش وفيها نحواً من عشرة ابواب وكلها مفتوحة فجعل ينظر في داخلها فرآها مفروشة بالاثاث الفاخر الذي لا يوجد عند غيره من الملوك حتى ولا عند الملوك العظام ككسرى وغيره وفيها اسرة من الذهب على الفرش الحريرية والمخملية ورأى في كل غرفة امرأة كالقمر من اجمل ما رأى في حياته وكل امرأة لديها من الجوار ثلاث فعلم ان ذاك المكان هو لنساء الخوند فوقف متحيراً لا يعلم في اي جهة يسير ليرى مكان الخوند وسمائه وقال في نفسه لا يمكن ان يكون بعد هذه طريق بل يجب ان تكون الطريق من

مكان اخر قبل الدهليز لان الذي يقصد الخوند لا يمكن ان يمر على حريمه ولذلك قفل راجعاً من الدهليز وخرج من الباب الذي دخله ونظر الى جانبه فرأى باباً ايضاً كبيراً عليه ستار من الحرير المنقوش بالذهب والفضة فرفع الستار ودخل فرأى دهليزاً طويلاً فقطعه الى آخره فرأى نفسه في روضة فسيحة كثيرة الاشجار والاثمار والاطيار الجميله معلقة بهـا وكلها تناغي باختلاف اصواتها المطربة فقال هذه الجنة التي قيل انه متخذها لنفسه ولا بد ان يكون موجوداً داخلها ورأى في وسط الحديقة قصراً من البلور فتدرب اليه حتى وصل من ابوابها فمشى عليه بخفة وقد رآه عجيب التركيب وبالاختصار تقدم حتى وصل من الخوند فوجده جالساً على كرسي عال من الذهب مرصع بالجواهر النفيسة التي لا يمكن ان تثمن بثمن والى جانبه اثنان دونه في الارتفاع يستدل من حالتهما انهما وزيراه وعليهما الملابس الذهبية وجماعة من العبيد تخدمهم جميعاً وكان جدران المكان من البلور وارضه من المرمر مفروشاً بالبسط السميكة الصوفيـة وكذلك الجدران مغطاة بالاقمشة الكشميرية البديعة الالوان وحينئذٍ لاحت منه التفاتة فرأى كسرى جالساً الى جانب على حاله وبالقرب منه بختيار وعلى راسه قبعة طويلة معلق بها الاجراس وفي رقبته عقد الاحذية مدلاة على صـدره ورقبته فضحك منه وقال لا ريب انه ارضى الخوند حتى انعم عليه والبسه هذه الخلعة النفيسة

ثم ان عمراً ارتفع على الكرسي الموضوع تحت ارجل الخوند فوقف عليـه واخذ مقطعاً وقطع جنباً من لحيته فشعر به حالاً وصاح من الذي قطع لحيتي ولم ارَ احداً وكان عمر نزل الى الارض وجعل يضحك منه ثم عول ان يرتفع ثانيـاً وينطع شعر لحيته من الجنب الثاني الا انه شعر كان يداً مدّت الى راسه وخطفت القبعة عنه وفي الحال ظهر تماماً للعيان وعرف من نفسه بانه ظهر وقد رأى الخوند احدق به ونظر اليه وفي الحال اخذ الشعر الذي بيده وجعل يفرك وجهه وعينيه ورقبته وصدره فقال له الخوند من انت ولما فعلت ذلك وكيف تدهن وجهك

بشعر ذقني وكيف وصلت الى لحيتي ولم ارك . قال له اعلم يا سيدي اني من العرب ودائماً كنت افكر بك واني اعبدك لعلمي انك الاله الحقيقي ولا ريب انك تعرف افكاري وما كنت انوي عليه قال لي اني كنت اعرف ذلك فقال فمرضت منذ ايام بالدوار وخفت ان اموت ولا اصل اليك وانال البركة منك وفي هذا الصباح وانا على فراشي نمت وغرقت في بحر الاحلام فرأيت نفسي كاني دخلت المدينة واجتزت قصرك وطفت فيه ثم وصلت من سماك وانا ارتجف فقال لي الوحي امدد يدك وخذ شعرة من ذقن الاله وادهن به وجهك وجسمك فتشفى فمددت يدي وقطعت خصلة وجعلت افرك نفسي واذا انا كما تراني واتعجب من حضوري اليك وقد صرت صحيحاً ولا ريب ان عظمتك وكرامتك وقدرتك سحبتني من فراشي وانا في حلمي لاتبارك منك ومن ثم ارجع الى العرب واعرض عليهم حالي واخبرهم بك وبجلمك وحبك للعالم واني الآن اعترف انك الاله العظيم تقدر ان تأتي بالعجائب الذي لا يمكن لغيرك من البشر ان يأتي بها فتأتي بالانسان من معسكر العرب وهو نائم الى ما بين يديك حيث تعرف انه يأمن بك وبانك له قال صدقت فاني كنت اعرف انك مريض وتأمن بي فاحضرتك بقدرتي وانا راض عنك وكان بختيار يرى الى عمر وهو متعجب من وجوده بغتة ولكن لما راى الخوند وقد خدع وغش بكلامه وقبل ان يرضى عليه طار عقله وقال انه يكذب يا سيدي فهذا عمر العيار جاسوس العرب ودليلهم وما جاز هذا المكان الا لامر شر ويريد ان يغشك فالتفت اليه عمر وقال من انت ايها الانسان لتعترض على حضرة الاله اهل تعرف انت الكذب من الصدق وما انت الا بشر مع ان الاله العظيم يعرف ما في الزوايا والقلوب وقد عرف ان كلامي صحيح لا كذب فيه وانت تريد ان تحط من قدره وتزعم انه لا يعرف ما في قلبي على ان لا لوم عليك لانك تعبد النار ذات الشرار ولا تعرف بعبادة الاله الجبار ولو لم يعرف صدق نيتي لما جذبني من فراشي ليجعلني من عبيده الاخصاء الامناء . فقال انك تكذب وما جئت هذا المكان الا لقتل الاله واقتلنا . فصاح عمر وصفق

بيديه وقال انظر يا سيدي واسمع فانه لا يزال يعترضك في حلمك ويحط من قدر الهويتك انت الذي بنيت هذا السماء وزرعت هـذه الجنة وقد نويت ان اخدمك لاكون من اكبر ملائكتك فيها كما جعلت بختيار من اكبر شياطينك فلله درك من سيد عظيم فلقد عرفت ان قلبه شريراً فلبسته شيطاناً وتعرف ان قلبي طاهراً فستلبسني ملاكاً فاين يوجد إله مثلك يا ترَ كلّا كلّا لا يوجد نظيرك من يقدر ان يفعل مثل هذه الافعال وانت لا يمكن ان تصدق غير معرفتك التي لا تحد . واخذ عمر يزيد في تفخيم الخوند وتبجيله وهو يتعاظم ويباهي وبختيار يتحرق ويقول له لا تصدق كذبه يا سيدي هذا عمر العيار يريد هلاكك وعمر يشتمه وينسب اليه اهانة الخوند حتى اعتاظ الخوند وامر احد وزرائه ان يضربه عشرين حذاء على لحيته وقال له انا الاله ولست انت واعرف هذا الانسان وصفاء قلبه وقد احضرته من فراشه لافعل عجيبة في العرب فيصدقونني ويعبدونني الم ترَ يا حمار انه لم يدخل لا من باب ولا من نافذة بل وجد امامي بغتة وقد قص من شعر لحيتي ولم تره انت ولا غيرك ودهن نفسه فشفي حالاً من يقدر ان يعمل هذه الاعمال فاذا عدت تكلمت احرقتك بالنار او طردتك من بلادي . فسكت وفي قلبه لهيب النار وهو خائف من عمر وقد قال له كسرى دعه يفعل ما يشاء ولا عدت تتكلم والا اغتاظ منا فيسلمنا الى العرب . وبعد ذلك قال عمر للخوند اريد منك يا سيدي ان تسمح لي هذه الليلة بالمنام في هذا المكان لازيد بركة ويتقوى جسمي الدي كاد ينحل من شدة المرض . قال لقد سمحت لك ان تنام هنا وفي كل مكان من بلادي ومن هذه الساعة البسك رئيساً لملائكتي ثم امر ان يؤتى بثوب ابيض من الحرير الناعم فالبسه اياه وعلق له برقبته عقداً من الحجارة الكريمة وصار على مقام عنده وهو يمدحه ويزيد في اطنابه لما رآه يرغب فى المدح والتعظيم وبقي على ذلك الى المساء واما بختيار فانه قال لكسرى يجب ان نغير مكان نومنا في هذه الليلة لاننا اذا بقينا هنا قتلنا هذا الشيطان لا محالة

وكان السبب في خطف قبعة الاخفاء عن راس عمر العيار هو ان اسما بري كانت قد اغتاظت من عمر لانه راح وخلاها وما وفيَ بقوله ولا اخبر اخاه بما اخبرته وقد وعدها تخلف بوعده فاغتاظت منه ودخلت الى صيوان الامير فقال لها هل احضرت معك احداً من ارهاط الجان قالت كلا قال لا بد من ذلك لان وقع في الصيوان اليوم ما هو كذا وكذا وما عرفنا الذي فعل ذلك ولولا القليل لوقع ضرب السيف فقالت له هذا من عمر العيار وحكت له انها اعطته قبعة الاخفاء فلبسها ودخل ثم دخل على الخوند وهو الان هناك فقال لها كيف اعطيته اياها وما اعلمتنا قالت هي هدية احضرتها له لكي يترجاك تقبلني عندك هذا الاسبوع لاني مشتاقة اليك كثيراً فوعدني بذلك فقال لها وهل انا من تحت امره فما هذا الكلام الذي تبديه وقد يظهر لي انك ضعيفة العقل فقلي من مثل هذا الكلام ولا عدت تفكرين بما كنت تفكرين به وانا في حال الصبوة لاني صرت كبيراً وصار من الواجب ان اتوب الى الله فقالت له انت زوجي وما اقمت عندي الا القليل ولي الحق فيك كما لغيري فلا تحرمني من حقوقي فقال لها اذا اردت ان تبقي كل عمرك عندي فاهلاً بك لكن كضيفة لا تتكلمين بغير معنى ولاتفكرين بما لا تنالينه فقالت وكانت اسما بري تريد ان تخبره بخبر مهردكار غير ان الغيرة منعتها وفكرت في نفسها انها اذا اخبرته يقول لها احضريها لاراها فاصدقك واذا رآها ينشغل بها ولا يعود يفتكر بغيرها فكتمت الامر وقالت اذا كنت لا تحب سوالي ولا سوال عمر فاني اخذ القبعة التي اعطيته اياها فصاح فيها من الغيظ وقال لها خذيها فلا رجعت لا انت ولا هي فزاد حنقها منه واسرعت الى سماء الخوند فوجدته على تلك الحالة التي تقدم ذكرها فخطفت القبعة عن راسه وجاءت الى موقدة من النار مشعلة فالقتها فيها واحرقتها كيداً لعمر وللامير ورجعت الى معسكر العرب وكان عمر قد ظهر وجرى عليه ما جرى كما تقدم ولو لم يختلق تلك الحيلة لكان قتل ووقع بيد الاعداء

ولما كان مساء ذاك اليوم خرج الخوند من سمائه الى قصر نسائه بعد ماسمح

لعمر ان ينام هنــاك وانسحب كسرى وبختيار خيفة ان يسطو عليهما في الليل ودخلا غرفة هناك واقفلاها وطول ذاك الليل وهما ساهران وكلما سمعا حركة او نسمة هواء يقولان جاء وامــا عمر فانه صبر الى ان تنصف الليل فنهض الى كرسي الخوند فاقتلعه ووضعه في جراب اسماعيل وكان مرصعاً بانفس الجواهر وفتش على كل ما هو نفيس هناك فاخذه ودنا من الحائط فكسره وفتح له عمراً وخرج ولم يعد من الطريق الذي جاء منها لانها مملوءة بالعساكر بل سار اطراف الحديقة حتى وصل من حائط هناك عالٍ وبقربه شجرة فتسلقه وصعد الى اعاليه والقى بنفسه في الهواء بخفته العادية فجاء واقفاً على الارض كانه العفريت ولم يصاب باذى وسار من هناك حتى وصل الى الباب الذي دخل منه فوجد النافذة مفتوحة وعليها حارس ينظر الى الخارج ليرى حركات العرب اذا كانت تدنوا من المدينة فقرب من الحارس وقال له هل الاعداء بعيدين فقال له لا يزالون على حالهم فقال له ابعد الان فان سيدي الخوند ارسلني اليهم بامر سري فتركه يمر وهو لا يعرفه ولما صار في الخارج ايقن بالفرج وسار حتى جاء معسكر العرب ولم يدخل على الامير بل صبر الى الصباح حتى اجتمع الجميع في صيوان السلطان وجلس كل على كرسيه فدخل عمر ورأى اسما بري في الديوان وهي حزينة كئيبة فعلم ان الامير غير راض عليها وتذكر فعلها معه فاحمرت عيناه وسحب خنجره واراد يقتلها فصارت تضحك منه ودخلت خلف الامير ورآه حمزة على تلك الحالة فصاح به وقال له لما هــذه الاعمال الا تعلم انك في حضرة السلطان قال اني مدبر السلطان ووزيره واعرف نفسي وان كنت عياراً في بعض الاحيان لكني لست ادنى منكم مقاماً ولا نسباً وزوجتك هذه قد قصدت هلاكي واذا هلكت تتفرق العرب ولا ترون لكم ثانياً من ياتيكم باخبار العرب او يزيل عنكم الضيقات في يوم الشديد. قال كيف كنت قتلت اغمد خنجرك واخبرنا بخبرك فانــنا لا نعرف ماذا عملت قال لا يمكن ان اخبركم الا اذا قتلتها واخذت بثاري منها . فقال له السلطان لا يمكن ان تقتلها فاخبرنا بامرك وامرها ونحن نقضي عليها اذا كانت مذنبة ونقاصها

على ذنبها . فقال انت تعلم اني لا اتعدى على احد ولست بمعتمد عليها قط وجل الأمرانها اعطتني قبعة الاختفاء ففرحت فيها ولبستها وجئت هذا الصيوان لامتحن اذا كان كلامها صحيحاً ففعلت ما فعلت مع اندهوق بن سعدون وهارون البطل المجنون ولما تاكدت ان ما احد نظرني قلت لابد لي ان اذهب في الحال واسرق الخوند واوضعه في جراب اسماعيل وارجع به وبكسرى وبختيار ونتخلص من العذاب دفعة واحدة فتكدرت من ذلك وحالما وصلت الى سماء الخوند وقصصت جانباً من لحيته شعرت بيدها قد مدت الى القبعة فاختطفتها وللحال ظهرت كما انا وعرفني كسرى ووقعت في شرك الموت فتعجب السلطان والامير حمزة من ذلك واستقبحوا عمل اسما بري لانها رمت به الى الموت وتخلت عنه

ثم سأله الامير كيف عدت تخلصت من الخوند فان قصتك هذه عجيبة واعجب من عجيبة. فاعاد عليهم الحيلة التي احتال بها حتى رضي عنه الخوند وصدقه واهان بختيار الى ان عاد اليهم فصار الجميع يضحكون من اعماله واقواله وهم مندهشون من حيلته وحذقه . وبعد ذلك قال عمر اني لا اعفو عن اسما بري الااذا كانت تعيد اليَّ القبعة وتعتذر لي عن ذنبها . فسأل السلطان اسما بري عن ذلك فقالت له نعم اني اخذتها منه وقد امرني الامير ان اخذها خطفتها في الحال والقيتها في النار فانا وهبته اياها ثم استرجعتها لانه وعدني وعداً وكذب به ومع كل ذلك لو لم يقل لي الامير خذيها منه لا رجعت لا انت ولا هي لما اخذتها . قال لها الامير كان من اللازم ان تصبري عليه الى ان يتخلص من الخوند وقد تركته في الضيق وتحت خطر الموت ولهذا فانت مذنبة بحقه فارحلي من بيننا والاَّ اقتلك لا محالة اذا بقيت هنا ولم اعد اريد ان ارى وجهك مرة ثانية فاغتاظت اسما بري من كلامه وعزمت على الذهاب وقالت في نفسها الاوفق لي ان اذهب واتركه ولا بد بعد ذهابي ان يخبره الامير عمر بخبر مهردكار فيقع في الندم على طردي ويحتاجني ويلزم ان يرحل الى جبال قاف بطلبي لادله على زوجته ولذلك خرجت بدون وداع وقد نويت ان لا تعود اليه فيما بعد

وبعد ذهابها جعل الامير يترضى عمرًا وقال له اني المذنب في ذلك لكني لم اكن اعرف الحالة التي انت فيها ولا قلت لها ايضاً ان تحرق القبعة فقد احرقتها كيدًا فقال ان كل همي على القبعة لانها لو بقيت لنا لانتفعنا بها كثيرًا غير ان الله لا يرضي بذلك ثم جعل السلطان يسأله عن الخوند وبلاده وعظمته وسلطنته فجعل يحكي له كل ما رأى ثم اخرج من جراب اسماعيل الامتعة التي جاء بها والكرسي التي كان يجلس عليها فتجعب الجميع من هذه العظمة والمباهاة واخذ الكرسي السلطان وفرق من باقي الجواهر والامتعة على الفرسان فكان شيئاً كثيرًا وابقى معه جانباً من الذهب فدعا اليه عياريه وخرج الى اكمة عالية في وسط البرية وجعل ينثر عليهم من الذهب الذي جاء به ومن الحجارة الكريمة وهم يزدحمون لالتقاطها ويختبطون ببعضهم وهو يضحك حتى فرغ من الجميع فاغتاظ وقلب الضحك الى حزن وعاد وهو يقول لهم والله العظيم لو بقيت لي القبعة لاغنيتكم جميعاً وجعلتكم ملوكاً

قال فهذا ما كان من عمر واما ما كان من الخوند فانه نام تلك الليلة وهو مسرور بعمر العيار وبما سمعه منه من الاطناب والمدح وهو يتعجب كيف وجد بغتة في ديوانه وقال في نفسه لا بد ان تكون الوهيتي صحيحة صادقة لا سيما وقد شني الدوار وصار عبدًا واميناً وسأبعثه في هذا النهار الى العرب رسولاً يخبرهم عني ويدعوهم الى طاعتي ومن الواجب ان اعدهم بتسليم كسرى وبختيار فيرضون بذلك ويسرعون الى عبادتي واذا اطاعني العرب كنت اعظم مما انا بكثير لانهم يخلصون لي الطاعة ويخدمونني وارسلهم الى محاربة العالم شرقاً وغرباً فمن لم يعبدني يقتلونه وبوقت قليل يصير الناس عليٰ ادتي واصير انا مالك الارض باسرها واكون قد اشتريت ذلك بكسرى ووزيره الفضولي المحتال وصرف اكثر الليل على مثل هذه الافكار وفي نيته ان يغمر عمرًا في الصباح بالانعام والذهب ويرسله الى العرب وعند شروق شمس النهار لبس وخرج من قصر الحريم فوجد الناس في قاعة قصر الاحكام بانتظاره فخرج الجميع وسجدوا له ثم رفعوا رؤوسهم واستمدوا

منه الرأفة والتحنن حتى مر فتبعه الوزيران كسرى وبختيار وخدمة السماء فاجتازوا الحديقة وقربوا من باب السماء البلورية وتقدم الخوند ففتح سماءه ودخل ودخلوا من خلفه وفي ظنه انه يرى عمراً في الحال فيسجد له فرأى امتعته مسروقة وبعضها مكسرة متروكاً فوق بعضه وجدار السماء الزجاجي مكسوراً وكرسيه الذي يجلس فيه مفقوداً فطار صوابه ولم يعد يعرف بماذا يتكلم وصاح من شدة الالم من تجاسر وفعل مثل هذه الافعال ولم يحسب حساباً لغضبي عليه وكدري منه وكان بختيار قد عرف ان هذا العمل هو عمل عمر العيار لانه يعرف خبثه وخداعه فاغتنم هذه الفرصة وقال له الم اقل لك ياسيدي لا تأمن الى هذا الخبيث الغدار الذي لا يصطلى له بنار فلم تصدقني ونسبت اليّ الفضول فزاد كلامه غيظ الخوند وقال لهلا زلت تتعرض في ما لا يعنيك فقد كنت اعرف ان عمراً عبدني من قلبه غير انه كان يخاف منك ولم يرضَ ان يبقَ مع عدوه هنا ففعل ما فعل وهرب ولا بد لي من موته وحرقه بجهنم واما انت فجزاؤك الضرب ثم امر ان يضرب خمسين حذاء على ذقنه حتى حلف انه ما عاد يتعرض للخوند بشيء طول زمانه وقال له كسرى تستحق اكثر من هذا فافعل مثلي ولا تتكلم فيما لا يعنيك ولا تتعرض لاننا ضيوف عنده فاذا امر بضربنا من يا ترى يقدر على منعه فهو مستبد بكل اعماله فحلف بختيار انه ما عاد يتعارض ولو خربت السبايل وما بقي منها ولا انسان واحد وصار من ذاك الوقت يظهر كل محبة وصداقة واكرام الى ابن الخوند وكان اسمه ياقوت فمال اليه وصار لا يفارقه ولما تمكن الحب بينهما قال له بختيار انا اعرف ان السبائل لا بد ان تؤخذ عاجلاً كان او آجلاً لان العرب لا ينفكون عنها حتى يفتحوها وابوك لا يصغي الى شور احد وهو يظن ان العرب كقومه ومن اللازم ان نأخذ لانفسنا الحذر ونتدبر منذ الآن لئلا نقع بيد الاعداء فقال له اعلم ان ابي يملك خاتماً مرصوداً يخدمه مارد وقد اطلعني ابي على امر الخاتم والمارد واوصاني ان املكه من بعده فمتى رأينا الضيق اخذت الخاتم من ابي وامرت المارد ان يحملنا فنذهب ونطير الى اقاصي الارض ولا يمكن

للعرب ان يتبعونا فكن براحة فان اعدائك لا يصلون اليك فاطمأن بختيار وكسرى وبقيا في السبائل بناء على وعد ياقوت ابن الخوند وهما يعرفن ان العرب اذا حاصروا المدينة مائة سنة لا يقدرون على فتحها الا بالحيلة والخداع فصارا ينتظران ما يكون وبالحقيقة ان العرب بقيت خارج المدينة لا يرون سبيلًا الى فتحها الى ان كان ذات يوم قال الامير اني اريد ان اكتب كتاباً الى الخوند وارسله إليه مع رسول العرب . فقال عمر اكتب الرسالة وانا اوصلها اليه فقال لا يمكن ان تاخذها له انت لانك اذا وقعت في يديه يقتلك ولو كنت رسولاً ولا يمكن ان ينسى عملك معه واذ ذاك قال اندهوق بن سعدون اني احب ان اتفرج على السبائل واشاهد هذا الخوند واتشوق الى النظر على كل ما وصفه لنا عمر واكون بذلك بصفة رسول ومن المقرر ان الخوند يكرم الرسل فاجاب الامير سؤال اندهوق وفي الحال كتب تحريرًا الى الخوند يقول له فيه انك شاهدت فعل العرب وقوتهم ونظرت حربهم ولا بد من انهم يفتحون المدينة بمساعدة الاله العظيم فلكي تدفع عنك هذه الضربة العظيمة وترفع عن بلادك الشر والويل والخراب ينبغي عليك ان تسلمنا كسرى وبختيار وارجع انت عن كفرك وطغيانك وادخل في عبادة الله فترى السلام والامان ولا يمكن لنا ان نتركك على هذه الدعوة فهلك الوفاً من خليقة الله وعباده وهم لا يعرفون ما انت عليه . ومن ثم نرجع عن بلادك ونعود من حيث اتينا ولذلك انذرناك لتكون على وثيقة والسلام .

وبعد ان فرغ من كتابة المكتوب سلمه الى اندهوق فاخذه وسار الى السبائل وهو بعدته الكاملة خيفة من الغدر او من حادث لم يكن يظنه ويفكر به ولما وصل من باب البلد ضربه بدبوسه فارتج السور وسمع للباب صوت قرقعة قوية فصاح به الحرس ماذا تريد فاخرج التحرير وارآهم اياه وقال بيدي كتاب الى سيدكم من سلطان العرب اريد ان اوصله اليه واخذ منه الجواب ففتحوا له وسار بعضهم معه ليوصله الى قصر الخوند فمشي في الاسواق والناس تتفرج عليه

وكانو يتعجبون من كبر جثته وضخامة رأسه وهم يقولون لبعضهم البعض ان هولاء العرب لم يكونوا من خليقة المنا فهو لا يعرفهم ولا يخلقهم ولا بد ان يتعب معهم . ولما بلغ السرايا دخلها وهو يتفرج عليها مندهشاً من عظمتها واتساعها وزخرفتها وبقي يجتاز من غرفة الى دهليز ومن دهليز الى غرفة حتى وصل من حديقة السماء الجالس فيها وهناك وقف ودخل الحاجب فاخبر الخوند بوصوله وان معه كتاب من سلطان العرب فاذن له بالدخول فدخل وجعل ينظر في ذلك المكان وهو مأخوذ من اتقانه ومن التحف الفاخرة الموجودة به والزينة والزخرف المزخرفة به الجدران والسقف والارض . واما الخوند فانه بقي يحدق وينظر في مشيته والارض تهتز من تحت رجليه ويتعجب من رجال العرب وكبر اجسامهم وبطشهم وبسالتهم ولما وصل اندهوق من الخوند وجده على تلك العظمة والى جانبيه الوزراء وكسرى وبختيار فنظر فيه وقال في نفسه اهلكه الله ملا كافر طاغ فما هو الا من احقر خليقة الله ويدعي عن نفسه بانه إله وخالق الخليقة وواجد الوجود . ثم قال له اني رسول من سلطان العرب اليكم بهذا الكتاب واريد منك جوابه في الحال لارجع اليه

قال فاخذ الخوند الكتاب وقرأه بواسطة وزيره ثم جعل ينظر الى اندهوق ويمعن به النظر من رأسه الى قدمه . فقال له مر لي بالجواب فاني اريد الذهاب . فقال . هم . هم . شلوف . شلوف . شلوف . فاذهب من حيث اتيت . وامر الحجاب ان تذهب به فدعوه للخروج فتكدر من هذا الكلام الذي لم يكن يفهمه ولا يعرف معناه واخذ في ان يسب الخوند ويشتمه والحجاب يقولون له في هذه الساعة تموت لان الذي يطيل بلسانه على الاله يميته في الحال وهو غير مكترث بهم . ومن ثم خرج من السماء واجتاز الحديقة ودخل السراي وجاء الاسواق حتى وصل من البوابة لا يعرف يمينه من شماله مندهشاً بما شاهد وبما رأى وكان يود لو انه ضرب الخوند فقتله وقتل بعده في ذلك المكان ويتحسر كيف انه رأى الخوند وهو بصفة رسول وليس بصفة فارس لكان فعل كل ما يريد اذ

ليس على الرسول الا الطاعة . وبوقت قريب وصل من معسكر العرب ودخل الى صيوان اليون شاه فسلم على السلطان والعرب وجلس في مكانه فقال له الامير حمزة كيف لا تعطينا الجواب فاننا بانتظاره ولاي شيء ذهبت الى الخوند قال ذهبت برسالة لكنه ما اعطاني الجواب . فقال و كيف لم تطلب الجواب منه . قال طلبته فاجابني بكلام مبهم والفاظ لا تفوه بها الا المجانين فعرفت انه مجنون لا محالة . قال واي كلام فاه به وبماذا اجاب . قال بعد ان قرأ الكتاب جعل ينظر فيَّ كانه موهوم مني فسألته الجواب فقال : هم . هم . هم . شلوف . شلوف . شلوف ثم جاء الحجاب واخذوني من امامه ولم افهم شيئاً من هذا الكلام . فسكت الامير وباقي العرب لا يعرفون شيئاً من معناه الا ان الوزير بزرجمهر قاضي العرب سأله هل قال لك ذلك بصوت واحد او باصوات مختلفة قال له اندهوق لابل كل كلمة كانت بصوت اعظم من الذي قبله . قال لقد فهمت معناه . فسأله الامير واي معنى في هذا الكلام

فحينئذٍ قال بزرجمهر من المعلوم ان الانسان يدخل هذه الدنيا بثلاثة هموم مقررة لا بد منها تقع على كل فرد من افراد العالم فالهم الاول هو هم الفطام وهذا من اصعب ايام الطفولية واشدها ويكون على الطفل اشد من الموت . والهم الثاني هم التدريس للغلام فانه يقيده عن وقت اللعب والجهل الذي يطلبه ذلك السن الموجود فيه وتبقى نفسه باعظم رغبة تطلب الخلاص من هذا الدرس ليرفع عن ظهره ثقل هذا الهم . الثالث هو هم الزواج بحيث ان الانسان يلتزم ان يقرن لرأيه رأياً اخر ولحياته حياة اخرى ويحمل فوق الاهتمام بنفسه هم اهتمام نسائه والمحاماة عنهن وصونهن وفي صون النساء صعوبة وهم عظيم وهذا يرافقه الى القبر فالخوند اشار بذلك انه قطع هذه الهموم الثلاثة ولم يبق عليه ان يخاف من غيرها وانك لا تقدر ان تكون عليه ثقيلاً با كثر من الهموم المذكورة . واما قوله شلوف ثلاث مرات . فهو ان الجاموس في هذه البلاد يدعوه شلوف . ففي ايام الشتاء تجلد الماء فياتون بالشلوف اولاً ليشرب فيضرب الجليد بقرنيه فيكسره ثم يشتد البرد

فتجلد اكثر فلا يعود الشلوف الاول يقدر عليها فيأتون بالوسط فيكسره ثم تجلد في ايام سقوط الثلوج بما لا يقدر الا الشلوف الكبير القوي العظيم على كسرها فيأتون به لهذه الغاية والخوند يقصد بذلك انه رأى اكبر شلوف عندك ومع ذلك تخلص منه ولم يقدر ان يعمل معه شيئاً فلذا لا يحسب لك حساباً ولا يخاف منك فيما بعد وهذا قصده

فلما سمع اندهوق ذلك صاح قبح الله الخوند فانه جعلني جاموساً وكان يخاف مني ويحسب خلاصه من يدي عن عجز مع اني كنت رسولاً وليس من حق الرسول ان يتعدى على المرسل اليه ولذا اقول كما قلت انه مجنون ومع كل ذلك لو كنت فهمت معنى كلامه وانا هناك لكنت قتلته في الحال ولو قتلت ورحت قطعاً قطعاً . فقال الامير حمزة لقد مضى ما مضى واشكر الله الذي ما فهمت كلامه والا كنا خسرناك لانك داخل البلد ونحن لا نقدر ان نصل اليك لمتانة الاسوار وانت مهما قتلت منهم لا تقدر ان تصل الينا ما زالت الابواب مقفلة وداخل المدينة عساكر بقدر عدد الرمال لا سيما وان عند الخوند مارد عظيم يقدر ان يفعل به كل ما يريد. فقال بزرجمهر لا ريب ان الخوند يخاف ذلك المارد كثيراً وقد ظن ان اسما بري عندنا فلم يستعمله لئلا تقتله ومن اللازم ان لا نظهر امر غيابها

وبقي العرب حول المدينة مدة اشهر وايام لا يرون وسيلة لفتح المدينة ولا يعرفون خلاصاً من تلك الورطة الوبيلة الى ان كان صباح يوم نهضوا وجاءوا الى صيوان اليون شاه حسب العادة واذا بهم راوا ابواب المدينة قد فتحت واخذت العساكر في ان تخرج منها بكثرة وهي كالنمل الزاحف فقال الامير لا بد من ان يكون الخوند قد ضجر من الحالة التي هو فيها فاراد النهاية وطلب الخلاص خوفاً من ان يبقى محصوراً الى الابد وكانت العساكر تخرج وتنصب خيامها وبقيت على ذلك مدة ثلاثة ايام حتى ملأت السهل والجبل والعرب تنتظر النهاية والامير يؤمل ان يبعث اليه الخوند بكتاب اما بالحرب واما بالسلام غير انه في

اليوم الرابع نظروا ان الغبار قد غبر من وراء السبائل ثم كشف الغبار عن عساكر مقبلة يبلغ عددها نحو المائة الف فارس وفي مقدمتهم فارس عظيم وبطل جسيم لم يكن مثله في تلك الاقاليم واسمه مشاهد ابو الخنجر

قال وكان ذاك الفارس من اتباع الخوند وهو من عباده وهو يسكن بعيداً عن مدينة السبائل مقدار عشرة ايام وفي ذات يوم وهو جالس في الديوان واذا باحد قومه قد دخل عليه وقال له الا تعلم ايها السيد العظيم بامر العرب وما فعلوا في السبائل قال لا اعلم شيئاً ولم يصلني قط خبراً ومن يكون هؤلاء العرب . فاعاد عليه امر العرب من اوله الى آخره وقال له والراي عندي ان تذهب الى مساعدة الاله فيكون راض عنك وتنال منه الخيرات والنفع العظيم وتقهر اعداء البلاد والا يعظم الامر ويتفاقم . فلما سمع هذا الكلام طار الشرار من عينيه فقام وقعد وارغى وازبد وقال لا بد من هلاك العرب عن آخرهم وكيف يدعوني قومي بفارس البلاد وحامي السبائل ويأتي الى حرب الاله الاعظم جماعة من علوج العرب فيحاصرونه ويضايقونه ولا احد من قومه وعبيده يساعده . ثم ارسل ذاك الذي اخبره ان يذهب الى السبائل ويتشرف لدى الخوند ويعلمه بوصوله وانه بعد ثلاثة ايام من وصوله يكون في ضواحي المدينة ويقاتل العرب ولا بد من ان يفنيهم عن اخرهم وينزل بهم العذاب الاليم فسار الرجل ودخل على الخوند وسجد له وقبل رجليه واعاد له ما كان سمعه من سيده واخبره انه بعد قليل من الايام يكون عند اسوار السبائل فسر الخوند وامر عساكره بالخروج وكان يعرف شدة باس مشاهد ويعرف مركزه عند الزمان وقد ظن انه يفني العرب عن آخرهم ويدفعهم عن حصار المدينة وفي اليوم الرابع من خروجه وصل مشاهد وامر قومه ان تضرب الخيام وتنزل في الآكام . ثم تقدم من صيوان الخوند فترجل ودخل وهو مطرق الى الارض وركع على ركبتيه وتقدم من رجليه فقبلهما فامر له ان يقف فوقف ثم امر له بالجلوس فجلس ثم ان مشاهداً قال للخوند اكون عبدك وحامي بلادك وتمنع عني اخبار العرب مدة مديدة من الزمان ولم تعلمني بشيء من

هذا على انك لو تنازلت وبعثت فاحضرتني الى خدمتك لافنيت لك هذه الطائفة التي تمردت وعصت وتعدت على عظمتك وجبروتك قال انك تعلم اني طويل الروح كثير الرحمة فلم اقبل في اول الامر ان اهلك العرب وقلت لا بد ان يعرفوا مقدار عظمتي وسلطتي ثم يتركون عبادتهم الباطلة ويرجعون اليّ فاقبلهم واجعلهم من اتباعي ففعلت معهم كثيراً من الرحمة ونصحتهم كثيراً واريتهم من العجائب ما يعجز اللسان عن شرحه فلم يصغوا لي ولا طاعوا بل بقيوا مصرين على عبادتهم عاملين على عنادي فالتزمت ان الهم ذاك الذي اخبرك بامر العرب فوقف على احوالنا وحكاها لك وما ذلك الا بارادتي وعليه فاني اسكب عليك ميازيب بركاتي كي تزيد قوتك اضعاف ما هي فتخرب العرب وتهلكهم عن اخرهم ولا تبقي منهم احداً فلم يبق لي رجاء ولاامل فيهم . قال لا بد من انفاذ امرك يا سيدي وسوف تراني في الغد ابرز الى وسط الميدان واطلب قتال الابطال والفرسان وكل من يبرز اليّ اعدمه الحياة واجعل النار مأواه فمدح الخوند من مشاهد واكرمه مزيد الاكرام وهو يظن انه يقدر على اكثر مما يقول

قال ولما راى العرب وصول هذه العساكر عرفوا ان الذي قوّى الخوند الى الخروج هو هذا الفارس وقومه ويؤمل فيهم الخير والنجاح فتاكدوا انه لابد من الحرب والكفاح ففرحوا فرحاً لا يوصف بعد ان كانوا قد ضجروا من الاقامة حول الاسوار واخذهم الملل وصبروا الى حين ركوب الاعداء في اليوم التالي وجعلوا يتهيأون الى ملاقاة الاهوال في سوق المجال ولما اقبل الظلام بات الفريقان على نية ان يباكروا الى القتال . وعند بزوغ شمس اليوم الاتي نهضت العساكر من مراقدها وتقدمت صفوفاً الى ساحة الحرب وتفرقت فرسان العرب كل الى ناحية وكان يخطر لهم انهم يحملون على الاعداء الا انه قبل ان تم ذلك برز مشاهد الى وسط الساحة وصال وجال ولعب على اربعة اركان القتال وهو غارق بالحديد مدجج بالزرد النضيد وطلب براز الفرسان واذ ذاك اراد بديع الزمان ان يبرز اليه واذ بالامير قاسم قد صاح فيه وقال له ارجع يا ابن الصياد فما انت من رجاله ولا تلقاء

في مجاله فلا بد لي من البراز اليه وإذا سبقتني قتلتك ولحقتك الى وسط الميدان فطار الشرار من عيني بديع الزمان وغاب عنه صوابه ولم يعد يعرف ما امامه ولا من قدامه وكان قد امتلأ من اعمال ابن اخيه حتى لم يعد يسمع فاراد ان يجعل الفاصلة في تلك الساعة فصاح على قاسم وارتمى عليه وقال له لا بد من قتلك وارتاح من شرك والاّ فلا اكون ابن حمزة البهلوان فقد تماديت كثيراً وفعلت كثيراً واعرف اني لو تركتك وبرزت الى مشاهد لا يردك عقلك فتهجم عليّ كالعـدو وتضايقني وربما احدكما يقتلني فالتقاه قاسم وهو يقول لا بد لي من قتلك في هذه الساعة يا ابن الصياد ورأت الفوارس الى ذلك فارتاعت وصاحت بالامير حمزة ان يدرك اولاده فاسرع بعد ان كان تقدم بقصد القتال وحال وصوله رأى بديعاً وقد كاد يفتك بابن اخيه فتكدر ورمى بنفسه في الوسط وصاح على بديع فرجع وقال له لقد فعلت قبيحاً وتاكد لي انك عامل على قتل قاسم وهذا يغضبني وقد خرقت حرمتي ولم تعد تعتبرني وكيف تجسر على مثل هذا العمل

قال لقد وصل الكيل الى حده ولم يبق الا النظر في امر نفسي والا قتلت فاختر لنفسك امرين اما ان يقيم هو في المعسكر واما انا والا فاتركنا ليقتل احدنا الآخر ونرتاح من ذلك ونتخلص من الاهانة والعدوان فتكدر الامير من كلام بديع لما علم انه يقول الجد وقال له ان قاسماً مثلك عندي واشفق عليه اكثر منك وارغب فيه اكراماً لابيه فاذا اردت ان تبقى بيننا فاهلاً وسهلاً والا فارحل حيث اردت فاننـا في غنى عنك فكأنك تتهددني بالرحيل ظاناً اني احتاجك فوقعت هذه الجملة كالصاعقة على راس بديع الزمان . وقال نعم سأرحل ولا بد ان تتذكرني واني اقسم ان لا اعود اليك الا في وقت ضيق الخناق لتنظر ان كنت تحتاجني ام لا

ثم ترك اباه ورجع الى الوراء مغتاظاً وامر قومه بالرجوع والتأخير الى الخيام وان يجمعوا مالهم ويرفعوا خيامهم ويرحلوا وتقـدم الامير قاسم وهو مسرور سروراً عظيماً من غياب بديع وقال لا بد ان ارى جدي فعلي هذا اليوم فلا يعود

يسأل عن عمي ويعرف اني اشد منه في ساحة القتال ولما وصل من مشاهد صاح فيه وحمل عليه فالتقاه ذاك بقلب اشد من الجبـال واخذا في القتال والنزال . وتطاعنا بالرماح الطوال وتقلبا على ظهور الجوادين اخف من طيور الحجال وقد ارتفع فوق رؤوسهما الغبار . حتى حجبهما عن الابصار . وايقن كل منهما بشرب كاس البوار . في اخذ ورد وقرب وبعد وكر وفر وضجر وصبر حتى تنصف النهار وحينئذٍ تمكن قاسم بطعنة من مشاهد فارسل اليه رمحه فخلي منها فوقعت في لبة الجواد فوقع الى الارض ووقع مشاهد من فوقه وحينئذ صاح بختيار بعساكر الخوند ان تدرك سيدها فحملوا وحمل العرب من كل ناحية وقام سوق الحرب . وكثر الطعن والضرب . واختلط كل فريق بفريق ولم يعد يعرف العـدو من الصديق . وفي تلك الساعة رحل بديع الزمان وترك اباه على ذلك الشان غير ملتفت الى ما وراه وسيأتي له كلام ولم يرض ان يأخذ احداً من قومه معه

واما الامير قاسم فانه اشتد ساعده لما رأى فعله بمشاهد وصـار يحمل على الفرسان فيلقي بها على بساط الصحصحان وينادي انا الامير قاسم حفيد الامير حمزة البهلوان ودامت الحرب على مثل ذلك الى ان اقبل الليل الحالك وضربت طبول الانفصال فترك المتقاتلان القتال ورجعا الى الخيام وبعد ان اكل الامير حمزة وجاءوا الى صيوان السلطان اجتمع كذلك الفرسان والسادات ودار فيما بينهم حديث بديع الزمان كيف رحل وحده وترك اباه والمعسكر ولم يلتفت الى الحال الواقعين فيها غير ان اكثرهم كان يعذره ويقول ان قاسماً قد جار عليه وتعدى ولا يزال يهينه ويحط من قدره ان حضر او غاب وهو يحتمل منـه ويداري نفسه ويتحذر من ان يغدر به . وسمع الامير كلام الفرسان فيما بينهم وكان مملوءاً من الغيظ والغضب فالتفت اليهم وقال لهم لا اريد ان اسمع هذه القصة فهي تزيد في غيظي وكدري وهذا مما يتعلق بي ولا بسواي فقال له الامير قاسم ان كان رحل بديع فنحن في غنى عنه وانا اعدك يا جداه اني اذبح لك عدوك وحدي وافصل هذا الامر وتبقى الفرسان تذكرني في كل مكان . ثم قال السلطان سعد اننا

تحتاج بديعاً في كل آن فهو زهرة المعسكر وانت لا تقدر ان تقوم مقامه ولم يكن من حقك ان تتعدى عليه حتى ولم يكن من الواجب على جدي ان يعامله بمثل هذه المعاملة وينسى ما له من الفضل على نجاحنا ووجودنا على مثل هذه الحالة ثانية. فلم يسكت الامير على كلام السلطان بل اجابه ان بديعاً ابني ولا يتعلق باحد امر الكلام في ذلك وما فعلت الا ما اردت فليقتصر كل انسان عند حده. فسكت السلطان لما رأى جده بغيظ عظيم وعرف انه متكدر من بديع لرحيله وهو لم يكن يظن انه يتركه في وسط الحرب ويذهب

فهذا ما كان من العرب واما ما كان بديع الزمان فانه عند ما انسحب من المعسكر كما تقدم بقي سائراً في البراري والاوعار ينتقل من طريق الى آخر حتى وصل من قرية في تلك الناحية فدخلها وطلب ان يلاقي منزلاً فيها فلاقاه اهلها بالاحترام واخذوه الى مسكن ليبيت فيه وقدموا له الضيافة كما هي عادة سكان القرى وقد ذهبوا به الى شيخ القرية وقالوا له رجلاً غريباً اضافنا فقال لهم كل واحد منكم يهتم بان يقدم له ضيافة يوم كما هي عادتكم . وبات بديع تلك الليلة وعند الصباح جاءه الاهالي وقالوا له انت اليوم في ضيافة شيخنا فاجاب وسار امامهم الى ان وصل من بيت الشيخ فترحب به واكرمه واجتمع حواليه الاهالي فرحين به طول ذاك النهار وعند المساء قدم فاكل بديع الزمان وبعد ان شبع وشرب القهوة وشكر من معروف الشيخ واراد الخروج غير انه خجل كيف يخرج من دون ان يجازيه وينعم عليه ولذلك مد يده الى جيبه واخرج خمسين ديناراً ودفعها له وقال هذه لك استعن بها على دهرك فانبهر الشيخ وكاد يطير صوابه وقال لبديع اننا لا ناخذ حق الضيافة فالذي اكلته عندي لا يساوي ديناراً غير اننا لا نرد انعامك ولا آخذه لنفسي بل يكون لعموم اهل القرية فندفعه جزية عنا لان المطلوب في هذه السنة يساوي هذه القيمة ويتعذر ايجاده فسأله بديع لمن تدفعون الجزية فقال الى الامير ضامر وهو غفير هذه البلاد يجمع الغفارة من كل القرى في كل عام وكثيراً ما يحملنا اكثر مما نقدر فنلتزم ان نقدم له البقر

والغنم والماعز والان نحن بحيرة لضيق الوقت في هذه السنة ونحن خائفين منه الى ان دفعت لي هذا فرأيت الخير واملت ان نكون بنعمة في عينيه فيرضى منا ويترك لنا بقرنا وغنمنا ولا يضر بزروعاتنا ومحصولاتنا . فقال وفي اي وقت ياتي اليكم . قال ان الوقت قد قرب وبعد ايام قليلة يكون هنا ولا بد انك تراه وتشاهده فهو بطل صنديد وقرم عنيد لا يوجد افرس منه في هذا الزمان . فقال بديع اني وهبتكم هذا لنفوسكم ولا اريد ان تدفعوه الى الامير ضامر ولكن متى جاء اعلموني به فادفع له كل ما يطلب وازيده ليكون راضياً وتسرون انتم بزيادة . وقال في نفسه لا بد لي من قتل ضامر هذا ولا اتركه يتعدى على هؤلاء القوم الفقراء الذين دخلوا في جواري واضافوني وهم لا يعرفون من انا وقد اكلت وايام الطعام ففرح رجــال القرية عند سماعهم كلامه وشكروا من معروفه وقسموا الدراهم فيما بينهم وقد ظنوا ان بديعاً يدفع ايضاً الى الامير ضامر الجزية وهم يقولون في نفوسهم لابد ان يكون من اولاد الامراء والسادات فهو غنيٌّ كريم

وبقي بديع خمسة عشر يوماً في القرية يضاف من واحد الى آخر الى ان كان اليوم السادس عشر دخل عليهم رسول يحمل كتابة فاعطاها الى الشيخ وقال له احضر الغفارة لسيدي فاجابه ان الغفارة حاضرة ثم سأل بديع انجاز وعده . فاجاب والتفت الى الرسول وقال له اين سيدك قال خارج القرية مع جماعته . قال اذهب اليه وقل له ان غفيرين على البلاد لايمكن ان يكون ولذلك سأخرج اليه في هذه الساعة فليستعد للملاقاة فاذا قتلني يكون هو الغفير والسيد واذا قتلته اكون انا السيد ويحق لي ان اجمع الجزية فصاح الشيخ ما هذا العمل يا سيدي فانه رجــل جبار ونخاف منه فقال واي شيء يعنيكم انتم فالامر بيني وبينه وسوف تشاهدون قتله وتسر قلوبكم ثم صاح بالرسول الا فاسرع الى سيدك واخبره بما سمعت ليكون على حذر مني ولا يقول اخذته غدراً فذهب الرسول وبعد ذهابه قــال بديع لشيخ القرية الا يوجد عندكم سلاح قال كلا ولا يوجد عندنا غير معاول وفوس . فقال اني لا اكلفكم الى حرب ولا قتال بل اريد ان تخرجوا خلف مني

تنظروا عملي وتنهبوا الاموال التي معه وتسلبوا قومـــه الذين اقتلهم بعون الله سبحانه وتعالى ومن ثم ركب بديع الزمان جواده واعتد بسلاحه وامر اهل القرية ان يتبعوه فساروا في اثره

وكان الرسول قد وصل الى الامير ضامر واخبره بما سمع من بديع فاغتاظ غيظاً عظيماً واسودت الدنيا في عينــيه وقال لا بد من قتل هذا الرجل وخراب القرية على رؤوس اهلها الذين جاءوا به وأمر قومه ان يتبعوه وركب على جواده وما تقدم الا القليل حتى ظهر بديع الزمان ومن خلفه رجال القرية فمنهم من يحمل فاساً ومنهم من يحمل معولاً ومنهم من يحمل قضيباً من الحديد او عصا ثخينة برأسها مسامير كثيرة ولما التقيا الفارسان صاحا وحملا بدون كلام ولا سؤال وكل منهما مغتاظ من الاخر يطلب قتله واتسع عليهما المجال وهما في اشد قتال ونزال وطعن بالرماح والطوال وقد همهما وصاحا ودمدما وبقيا على مثل ذاك الشان مقدار ساعتين من الزمان ولم يــكن الامير ضامر ممن يثبت اكثر من هـــذا المقدار امام بديع الزمان الليث المغوار والبطل الـكرار ولذلك وقع به التعب والملال وعرف شجاعة خصمه وبسالته واراد ان يفر من بين يديه غير ان بديع الزمان ضايقه كل المضايقة وانحط عليه انحطاط الاقدار وضربه بحسامه على رأسه اطاره عن جسده فوقع الى الارض يختبط بدمه وهجم بعد ذلك على رجاله وجعـــل يطعن بهم ويلقيهم على بساط الارض فرأى اهل القرية فعله ففرحوا مزيد الفرح وقوموا فؤوسهم وهجموا لمساعدته غير انه كان انهى الحال قبل ان وصلوا وبدد شمل الرجال ثم التفت اليهم وقال هلموا فانهبوا ما هو امامكم واقتسموه بينـكم بالاسواء فجمعوا الاموال والخيول والملابس والعدد ورجعوا امام بديع يدعون له ويصيحون بالفرح والسرور وهم لا يصدقون بذلك ولما وصلوا من القرية خرج النساء بالزراغيط والدفوف ودخل بديع الزمان القرية وجاء بيت الشيخ واجتمع حواليه الرجال والنساء واحضروا كثيراً من الدجاج فذبحوها وعملوا وليمة فاخرة طول النهار والليل وفي اليوم الثاني امر الشيخ ان يفرق الاموال على الجميع ولا

يترك احداً ياخذ زيادة عن الاخر عقالاً فسروا منه وقالوا يظهر انه رجل كريم وابن سادات عظام ولذلك جمع شيخهم الرجال وقال لهم انتم رأيتم فعل هــذا الغريب وكيف خلصكم من ظلم الامير ضامر وعندي ان نقيمه شيخاً على القرية فهو احق مني بذلك فصاح الجميع وقالوا هذا الذي نريده اذا كنت تقبل انت . فقال لهم بديع انتم لا تعرفونني فانا بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان الذي شاع صيته في كل مكان واني ذاهب في طريقي وقد مررت عليكم فاضفتموني فقصدت ان اكافيكم واقمت عندكم هــذه الايام الى ان حضر ضامر فقتلته ومرادي ان اذهب عنكم واسير في طريقي وفي يدي الوف من مثل قريتكم لا بل من مدن وبلاد وعالم بعدد الرمل والحصى ولست محتاجاً ما تقولون فلما سمعوا كلامه وعرفوا انه ابن الامير حمزة الذي يسمعون بصيته اندهشوا وقالوا له انك سيد كريم وابن سيد واننا نحن على الدوام عبيدك . فقال اريد منكم ان تذكروني دائمــاً بالخير واذا جاء عليكم عدو فاظهروا نفوسكم انكم تحت حمايتي ولا اظن ان احداً يقدر ان يقرب منكم واذا تجرأ احد فارسلوا لي رسولاً فاجيء اليكم

ثم انه ودعهم فحزنوا على فراقه وتمنوا ان يكون دائماً عندهم وقد تعشقوه واحبوه الحب الزايد وخرجوا الى وداعه مقدار نصف نهار ومن ثم رجعوا يبكون وبقي بديع الزمان سائراً في بر الله الاقفر لا يعرف نفسه في اي طريق ولا من اي طريق يذهب وهو يجهل تلك الاماكن الى ان كان اليوم الثاني عنــد الظهر نظر رجلاً ينهب الارض ركضاً وهو مقبل الى جهته فوقف لينظر من هذا وقد طرق فكره انه ربما يكون عمر العيار لان الغبار يرتفع الى ما فوق راسه وهو من تحته كانه السهم الطيار والنجم السيار وما وقف الا القليل حتى تبينه اكيداً وثبت عنده انه نفس عمر العيار فتاقت نفسه اليه وتذكر اباه وقومه غير انه لم يقبل ان يظهر على نفسه الى ان وصل عمر منه وعرفه فقال له لقد طفت السهول اولوعور وفتشت في الخراب والعمران عليك حتى وجدتك في هذا لمكان . فقال

ولاي شيء تفتش عليّ وماذا تريدون مني وكان بديع يظن ان عمرًا يقول له ان اباك ارسل يترضاك لخفاء الامر بخلاف ما ظن فقال عمر اننا لا نريد منك شيئاً وجل ما نريده هو عائد الى خيرك ونفعك وهو انه منذ ايام قليلة ورد على ابيك رسالة باسمك من الامير ليث ففتحها ابوك وقراها ثم اعطاني اياها وقال لي فتش في البلاد على بديع واعطه الرسالة فاخذت الرسالة وطفت النواحي عليك . ثم دفع له الرسالة فتناولها منه وقراها واذا بها

من ليث صاحب مدينـــة السنجام الى الامير بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان سيد الابطال والفرسان

اعلم يا سيدي انه بعد رحيلك عنا بمدة غير قليلة وصلت اليّ من السياح اخبار مشؤمة وهو ان بهران ابا العمد قاصـــد مدينتنا لاجل محاربتنا وهلاك فرساننا وخراب بلادنا واخذ كوهين زوجتك وهو ان هذا الفارس كان منذ زمان وهو يطلب كوهين من ابيها فيماطله ويعده المواعيد الفارغة لانهـــا كانت لا ترغب ان تتزوج به فكتب الى ابيها انها كانت لا تتزوج باحد فيكون راض من ذلك ويبقى صابرًا عليها واما اذا كانت تتزوج بغيره فيلتزم الى خراب بلادنا وقتل من يقترن منها وسبيها بقوة السيف الصقيل والسنان . وفي هـــذه الايام وصلت اليه الاخبار بانها تزوجت منك فغضب كثيرًا وجمع ثمانين الف فارس من فرسانه وقصد مدينتنا ولا يلبث ان يفاجئنا ونخاف ان لا نثبت امامه كثيرًا فنلتزم الى الحصار لبينما يأتينا الفرج لانه فارس من الفرسان المشهورين وبطل من الابطال العظام لا يصطلى له بنار فادركنا يا سيدي بسيفك المسنون وادفع عنا هذا الملعون والا هلكنا ووقعنـــا بارتباك وسبيت زوجتك ووقعت في يده وما منا من يقدر على دفاعه والثبات امامه ولا تتهامل عنا ولك الاجر والثواب من رب العباد والسلام

فلما قرأ بديع الزمان هذه الرسالة اسودت الدنيا في عينيه وطار فؤاده وتمنا ان يكون طيرًا ليصل الى مدينة السنجام ويخلص زوجته من بهران وينزل عليه

نوازل العذاب والقلعان ثم التفت الى عمر وقال له ان ابي قد فتح هذه الرسالة وعرف بمسألة بهران فماذا يا ترى قال عنهـا وكيف كانت هيئته عند علمه بسبي زوجتي . قال انه بعد ان قرأها لم يقدر ان يخفي تأثره ولا ريب انه كان يريد ان يذهب هو لو لم يكن مشغلاً بحرب الخوند وبعد التفكر والامعان اعطاني الرسالة وقال لي خذها واعطها الى هذا النذل بديع ودعه يخلص زوجته بيده وفتش عليه في كل مكان . فلما سمع بديع هذا الكلام وقع عليه اشد من ضرب الحسام وتأكد ان اباه حاقد عليه ولذلك قال لعمر اذهب انت الان الى ابي وقل له اني لست نذلاً والنذل الذي يعجز عن خلاص زوجته وسأسير بعونه تعالى الى خلاصها وقتل بهران ومن معه وجل ما اريد منك ان تقبل يديه عني وتهديه جزيل السلام وتعيد عليه ما قلته له من انه سيذكرني عند ازدحام الخيل ولا بد من ان اصل اليه في يوم من اشد الايام وانه لا يغضب عليَّ بل يصحبني برضاه عن بعد واني كنت لافضل الموت على البعد عنه مهما عمل معي غير ان نفسي تابى ان ترى قاسماً ابن اخي ومروتي لا تطيعني على قتله فيخال لي اني اذا بقيت صابراً على ما انا عليـه يغدر بي ويقتلني فرأيت البعد راحة فليعذرني . فوعده عمر بانه يقول ذلك الى حمزة وودعه ورجع من الطريق الذي جاء منه مدة ايام وليال حتى وصل من معسكر العرب ودخل صيوان اليون شاه وسلم على السادات والسلطان فسأله الامير حمزة هل نظرت بديعاً قال نعم واعطيته الرسالة . فقال وماذا قال لك . قال قد طلب اليَّ ان اقول لك انه ليس بنذل والنـذل الذي يعجز عن خلاص زوجته فصاح به الامير وقال ويلك هل قلت له ذلك وما اخفيت كلمة قلتها بنفسي هنا . قال انه سألني فاجبته تماماً لاني لا اكذب ولا سيما على بديع الزمان الذي لم تكن تعرف قيمة طاعته لك وحبه بل تمسكت اخيراً بالمجانين وان يكن قد اخبرته بما قلته عنه لكنه لم يتكدر ولا اغتاظ بل سألني ان اقبل يديك عنه وقال لي ما هو كذا وكذا فسالت دمعت الامير على خده عنـد سماعه كلام ابنه وطاعته وتحركت احشاؤه لاجله وقال لعمر ويلك كيف لم تطلب

اليه ان يأتي الينا وتترضاه من قبلي . قال بعد ان طردته وسمع انك قلت عنه نذلاً لا يعود اليك عن طيبة خاطر على اني لم ارض ان دل احب ان يبقي بعيداً عنك حتى تحتاجه ولا بد انه في ذات يوم يصل اليك عند ما تكون بحاجة اليه

قال فهذا ما كان من الامير عمر واما ما كان من بديع الزمان فانه بقي سائراً مدة ايام بجد واجتهاد لا يقر له قرار حتى وصل من المدينة ونظر فرأى العساكر نازلة في ضواحيها ولم يرَ احداً من اهاليها خارجاً فعلم انهم محاصرون داخل الاسوار خائفون من حرب بهران ولذلك جاء من اطراف العساكر وتقدم من باب المدينة وطرقه وصاح بالحراس وقال لهم افتحوا الباب وبشروا المدينة بوصول بديع الزمان فلما سمعوا صوته وتاكدوه فرحوا الفرح الذي لا يوصف وفتحوا الباب في الحال فدخل وهو راكب على جواده وبقي بديع سائراً الى ان وصل من السرايا وكان قد وصل الخبر الى الامير ليث بوصوله فتقدم الى ملاقاته مع رجال الدولة وارباب الديوان وسلموا عليه وسلم عليهم ودخلوا الديوان وجلسوا في مراكزهم وسألهم عن سبب حضورهم وكيف لم يحاربوا بهران فقالوا له اننا كنا نؤكد ان لا بد ان تدركنا انت بعساكر العرب فتخلصنا فاعتمدنا على الحصار والبقاء داخل المدينة مدة ايام والا لو كنا حاربنا هذا العدو لا ريب انه يقتل كثيراً من عساكرنا ولا قدرة لنا على الثبات امامه فنخسر الرجال والاموال ونلتزم اخيراً على الحصار والان نراك قد جئت الينا وحدك ولم نرَ احداً من رجال العرب ولا جاءنا ابوك . قال ان الامر لا يحتاج لاكثر مني لان العرب على حصار السبائل وفي الغد ترون ما افعل ببهران فاهلاك لكم اياه وابدد عساكره وحدي وعليكم الان ان تخبروا اهل البلد بوصولي ليفرحوا ويجلي عنهم الهم والغم ويتأكدوا الفرج

واخبر المنادي في البلد بوصول بديع ففرحوا جميعاً واملوا الخير والنجاح واجتمع اكثرهم الى السلام عليه وقبلوا يديه وبقي عند المساء واذ ذاك دخل

قصر كوهين فتلقته بالترحيب والاكرام واخذته اليها واظهرت شوقها وما لاقته من بعده ونام عندها تلك الليلة الى الصباح فخرج الى السرايا واذا بالامير ليث قد جمع العساكر من كل الجهات وهيأها للخروج فوركب بديع وخرج في مقدمتهم وامر ليثاً ان يتبعه وان يخرج بالخيام فتنصب عند ابواب البلد وخرج والعساكر من خلفه ونصبت الخيام واقام بديع الزمان طول ذاك النهار الى ان كان صباح اليوم الذي بعده نهض بديع وامر ان تضرب طبول الحرب والكفاح فضربت واجابت عساكر بهران مثل ذلك واعتلى بديع فوق جواده وهو كأنه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وتقدم الى وسط الميدان ومن خلفه العساكر فاصطفت وترتبت وكذلك بهران فانه ركب وتقدم وهو فرحان جداً بخروج اهل البلد بعدان كان تيقن انهم لايقدرون على قتاله وانهم يبقون داخل الاسوار مدة فيلتزم ان يحاصرهم الى ان يموتوا جوعاً وتقدم على جواده وهو كالبرج الحصين وكان كبير الرأس ضخم الجثة يشبه اندهوق بن سعدون في كل تقاطيعه وكبر جسمه وقد دعي ببهران ابي العمد حيث كان يقاتل بعمد ثقيل من الحديد طويل لا يمكن ان يحمله ثلاثة رجال اقوياء . ثم ان بهران توسط الميدان ولعب على ظهر جواده بما تعلمه من فنون الجولان حتى حير العقول وبعد ذلك وقف في الوسط ونادى بعالي صوته الا يا فرسان مدينة السنجام انتم تعرفون اني نادرة الزمان ولم يكن من يقدر ان يلقاني في ساحة الميدان فليبرز اليَّ من شاء من فرسانكم لاذيقه الموت الاحمر وان شئتم فاحملوا عليَّ جميعكم فاني افنيكم عن اخركم ولا بد لي من اخذ كوهين سفاحاً بالرغم على زوجها بديع الزمان وقبل ان ينتهي بهران من كلامه صدمه بديع الزمان صدمة تزعزع الجبال وتدك الرواسي وقال ويلك يا بهران لقد رميت نفسك في بحر ما له قرار وقد جاءك بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان ابن لامير ابراهيم صاحب الشرف الرفيع والمجد الباذخ انا هو زوج كوهين ثم صاحا والتقيا وهجما وبربرا ودمدما وصالا وكرا . وجالا وفرا . واختلف بينهما الطعن والضرب . والتهب نيران الحرب . واشتد عليهما الكرب

وهما بحرب شديد وطعن يفك الزرد النضيد وقد شخصت نحوهما عيون الفرسان . وتعلموا منهما حقيقة الحرب والطعان . لانهما كانا فارسا ذاك الزمان . ويندر وجود مثلهما بين الابطال والشجعان . وقد تعجب كل منهما في قتال الاخر ومعرفته بشدة باسه وساعده ولذلك كانا يظهران كل ما يعرفان ويبديا كلما اعطي لهما من القوة والجلد وشدة الحيل فتارة يلتقيان كجبلين وطوراً يزئران كاسدين واونة يتناطحان كقرنين وقد ضاقت منهما الانفاس ووقعا بالضيق واليأس . وقد رأى بديع الزمان من خصمه بهران ما لم يكن في الحسبان . فعلم انه فارس صنديد وبطل مجيد وانه لم يبارز مثله قبل ذلك الحين ولذلك ابطل المزح وعدم الاكتراث وقاتل قتال المتحذر العارف حقيقة مركز خصمه من الشجاعة والبسالة والاقدام وكذلك بهران فانه كان يفكر بنفسه ان لا احد في الدنيا يقدر ان يثبت امامه حتى رأى من قتال بديع وخفته في وسط الميدان وسرعة ضربه وجريه عند الجولان فتأكد ان الزمان يأتي بالعجائب وان ما على وجه الارض فارس ما زالت النساء تحبل وتلد . وكان الغبار قد تسردق فوق رؤوسهما والخيل قد كلت وتعبت من تحتيهما وسال العرق منهما فصارا كانهما عارقان في بحرين وما برحا على مثل هذا الامر وهما في كر وفر الى قرب العصر . وعند ذلك تمكن بديع من خصمه ولاح له وجه الامل فقوم السنان وطعنه بالرمح فوقع في فخذ بهران فجرحه وتألم من ذلك وعليه فانه طلب ان يفر من امام خصمه خيفة على نفسه من الموت لكنه قبل ان نر رمي بالعمد الذي كان يحمله فوقع على فخذ بديع ايضاً فرض عظامه وتوجع كثيراً وصاح من الالم ولذلك الوي كل واحد من الاثنين عنان جواده مظهراً الجلد يتألم من عظم ما هو فيه ولما وصل بديع الزمان الى عساكره اخذه ليث ودخل به حالاً الى المدينة وجمع عليه الاطباء وقد خاف ان تشتد عليه الحال وعزم ان يبعث بالخبر الى الامير حمزة وبينما هو على مثل هذه النية واذا بعمر العيار قد دخل القصر كالملهوف وسئل عن بديع الزمان فاخبره بما كان بينه وبين بهران فطار صوابه ودخل عليه وهو ضائع عن الوجود وربط مكان

الضربة وجبر له العظم وبقي عنده وهو يقدم له الروائح الزكية ويسقيه من المنعشات وقد رأى وتأكد ان الضربة قوية وعظيمة غير انها لم تكن مميتة الى ان كان اليوم الثاني وحينئذٍ وعي بديع الزمان الى نفسه ورأى امامه عمر العيار فسأله عن سبب وجوده واتيانه اليه في ذاك الوقت

قال ان اباك قد شغل باله من اجلك حيث كان يتأكد انك جئت الى حرب بهران ومعه ثمانون الف فارس وقد سأل عن بهران فاخبره بزرجمهر انه فارس صنديد ليس له نظير في فرسان زمانه وهو شائع الصيت بعيده فخاف من ان تغدر وقد نبهه ضميره الى ذلك فارسلني لانظر له في حالك وارجع واخبره في الحال. قال اني بخير ولا يلزم ان تخبر ابي بما بي قال لا بل يلزم ان اخبره لان عظمك لا يجبر ولا يمكن ان تركب وتحارب قبل شهر فقال ان خصمي مجروح وربما يكون جرحه مميتاً واذا لم يكن مميتاً فلا اظن انه يشفى قبل مني . قال اخاف ان يشفى بوقت قريب ويوقع بك مع كل هذا فسأذهب اليه وانظر حالــه في هذه الساعة وارى ما يكون من امره

ثم ان عمراً العيار ترك بديع الزمان وانسحب الى عساكر بهران بعد ان غير زيه ولبس ملابس الدراويش ولما وصل من صيوان بهران وجد قومه حواليه وهم يهتمون بامر جرحه وهو مظهر الجلد غير مكترث به فدخل عليه ودعا له فاكرمه بهران فسأله ان يريه الجرح فاراه اباه فعرف ان جرحه غير مميت وانه يشفى قبل بديع لانه اقل خطراً منه ثم قبض انعامه وخرج من الصيوان واذ ذاك لاح له ان يرجع الى السبائل ويخبر اخاه الامير حمزة بما رأى من بديع وبهران لياتي حالاً والا اذا شفي وضمد جرحه يمكنه الاستواء على ظهر الجواد قبل ان يقدر بديع على الركوب فيدخل المدينة وربما قتل بديعاً ولذلك خرج من معسكر بهران واطلق ساقيه للريح باسرع من البرق حتى وصل من معسكر العرب ودخل على اخيه وهو محاط بالفرسان والابطال والامير مضطرب الداخل يلوم نفسه على ما وقع منه بحق ولده نادم على كسر خاطره عارف من نفسه ان سرعة غضبه تقيده

على الدوام الى ما لايريده وما لايوافقه واذا به رأى عمراً داخلاً فصاح به اخبرني كيف حال بديع الزمان فقال له هو الآن بخير ولكن فخذه مرضوض من جري ضربة عمد بهران واعاد عليه كل ما كان وما راى هناك من امر الجرحين وكيف ان جرح بديع اعظم من جرح خصمه فانفطر لذلك قلب الامير وصاح من داخل قلبه وقد حركه الحنو الابوي الذي لا يمكن ان يخفى عند وقوع المصيبة وكذلك باقي الفرسان نهضوا على الاقدام وقالوا لا يمكن ان نصبر عن نصرة بديع الزمان وقد غدر به ذاك الخوان فمن سار معنا كان خيراً والا فاننا نسير بنفسنا فقال لهم السلطان لا بد من المسير لكن يسير بعضكم ويبقى البعض الآخر والتفت الى ابيه وسأله اذا كان يريد ان يذهب قال كيف لا وسأذهب بنفسي مع عساكر بديع وعبد الله مهرين وبالكان المطال واندهوق بن سعدون ورجاله وهارون وحده وبعد ان تم الاتفاق على مثل ذلك ركب الامير حمزة وركب معه الفرسان والابطال وبقي الباقون في قبيلة العرب

قال وكان بهران في صيوانه يداوي جرحه وهو يتقدم الى العافية يوماً فيوماً ويؤمل ان يعود الى الحرب ويفاجيء المدينة قبل ان يشفى خصمه وقد وقع في قلبه منه الرعب والخوف لانه راى عظم قتاله وعرف ان ما اصاب بديع هو كان بالصدفة لانه من شدة الالم رمى عن حنق العمد فاصاب فخذه وقد حققت آماله لانه بايام قليلة شفي وامكنه ان يركب الجواد ولذلك استعد مع باقي عساكره الى المساء وقد امر قومه ان لا احد يظهر حركة في النهار خيفة من ان يعرف اهل البلد بشفائه وفي الليل تقدم الى نواحي الابواب وبغتة هجم على الحراس فقتلهم ولم يدعهم يتمكنوا من اقفالها ومن ثم اخذت العساكر في ان تدخل وجعل يصيح وينادي ويهجم على الاهالي ويطعن فيها ذات اليمين وذات اليسار وانتشرت رجاله في كل الاسواق وقام الصياح من كل ناح وخرجت النساء بالنواح وهن يستغثن ويطلبن الامان وايقن الاهالي بالخراب والدمار ووصل الخبر الى بديع الزمان فغاب صوابه وطار وجعه والمه وامر في الحال ان يقدم اليه جواده

واعتد بعدته وركب وهجم على عساكر بهران وجعل ينادي فيهــا لقد جاءكم بديع الزمان ليرسلكم الى عالم الهلاك والقلعان وجعل يطعن في صدورها فيلقي بها الى الارض والدماء تتدفق من لباتهم كالانابيب وما برح حتى التقى ببهران فصاح به وقد تذكر فعله فهجم عليه وقد عرف كل منهما الآخر على بهيق ضوء السماء المنيرة بالكواكب ودار بينهما الضرب واشتد القتال وعظم النزال وتمنى كل واحد منهما ان يوقع بخصمه فاجهد النفس والظلام ينشر عليهما جناحيه فكانا يقاتلان على ذاك البهيق وعلى شرار السيوف المتطاير عند وقوعهــا على الدرق وبقي بينهما الحال على هذا المنوال مدة ثلاثة ساعات تقريباً حتى كاد الصباح ان يبزغ وحينئذٍ تمكن بديع من خصمه فضربه ضربة اصابت كتفه فوقع من عظمها الى الارض غائباً عن الصواب لانهــا كانت قوية جداً فنزل اليه في الحال وشد وثاقه باسرع من ريح الشمال ولم يترك له مجالاً للهرب والانفلال ومن ثم رجع الى ظهر جواده واراد ان يهجم على عساكره ليردعهم عن رجال المدينة وينادي فيهم بموت بهران واذا به سمع صوت ابيه الامير حمزة البهلوان وقدهجم على المدينة ودخلها فلم يهن عليه ذلك وقال هو ذا ابي قد جاءني وانا بضيق الخناق مع اني كنت ارغب في ان اجيئه انا وهو في وقت مثل هذا وظهر اني محتاجه ولم يظهر بانه يحتاجني ولا ريب انه اذا رآني التزم ان اسير معه الى المعسكر

وبعد ذلك خطر لبديع ان يخرج من المدينة ما زال ابوه ملتهٍ بالقتال هو وفرسانه ولذلك دخل على زوجته فوجدهــا تتمخض لتلد وهي بضيق الولادة وعندها القوابل والنساء فاخذ في ان يهيء نفسه للسفر فعرفت بذلك فدعته وطلبت اليه مساعدتها وان لا يتركها في مثل هذا الضيق فقال لها لا بد لي من السفر وقد جاء ابي الامير حمزة وعما قليل يفرغ من قتال الاعداء ويأتي اليك فاطلبي معونته ومن ثم تركها واخذ كل مايحتاج اليه من طعام وزاد للسفر وخرج من قفا المدينة واستلم طريق بر الله الاقفر وسار هائماً على وجهه لايعرف في اي ناحية يسير

فهذا ما كان منه واما ما كان من الامير حمزة البهلوان فانــه كان سار عن

السبائل وتقدم الى ناحية مدينة السنجام كما مرَّ معنا وقد وصل في تلك الساعة ورأى عساكر بهران قد دخلت المدينة فاغتاظ وتكدر وخاف من ان يصلوا الى ابنه وهو في فراشه فصاح وهجم على مؤخرتهم وجعل يطعن فيهم طعن الابطال ويلقي بها على بساط الرمال بعد ان يسقيها كاسات الوبال وهو ينادي ويلكم يا عساكر بهران فقد جاءتكم فوارس العربان وحل بكم البلاء والهوان ووقعتم في مخالب الامير حمزة البهلوان فارس فرسان هذا الزمان وفعل باقي الفرسان كفعله وقد جودوا الطعن والضرب وقاموا بالاعمال العجيبة حتى اجروا الدماء كالانهار واملوا الاسواق من اجسام اولئك الاشرار وكان عمر العيار قد اخترق الصفوف وطاف من جهة الى جهة حتى وصل من القصر الذي كان فيه بديع فلم يجده فسأل عنه فاخبر انه خرج الى القتال فعاد الى ما كان عليه قبلًا واذا به يرى بهران ابا العمد ملقياً على الارض موثوقاً فتقدم منه وقاده الى القصر فسأله عن حاله ومن الذي ربطه فاخبره ان بديع هو الذي اسره فسأله اين هو قال لا اعرف الان . ثم تركه بعد ان وكل به من يثق به من عبيد المدينة وكر راجعاً ينادي في الاسواق بمسك بهران وحينئذ اخذت عساكره في ان تسلم الى العرب سلاحها وخضعت لهم خضوعاً تاماً فانقطع القتال وبطل القيل والقال وتقدم عمر من اخيه الامير حمزة واخبره بان بديعاً اسر بهران قبل ان يصل هو والفرسان . فسأله وهل رايت بديعاً . قال كلا ما رأيته في مكان وطفت كثيراً فلم انظره وان صدقني حذري يكون قد سمع صوتك وصوت العرب فخرج من المدينة في الحال لانه كريم النفس عزيزها ولا يقبل ان تراه ذليلًا وتاتي الى نصرته بعد ان طردته فقال له اسرع بنا الى الديوان واتني ببهران فسار به الى هناك فجلس في مكانه واخذت تجتمع الفرسان من كل ناحية ومكان وبهران مربوط بالحبال وفيما هم على مثل ذلك الشان واذا باحد العبيد قد دخل عليه وقال له ان سيدتي كوهين تدعوك اليها في الحال . فنهض وسار الى قصرها . فوجدها في الفراش وعلى راسها عصابة بيضاء مطرزة بالفضة ومن حولها النساء والقوابل فسألهن الخبر فقلن له ان كوهين قد

ولدت غلاماً ذكراً في هذه الساعة وبعد ان ولدت رفعناه الى فراشها واذ لم يكن زوجها حاضراً طلبت ان تاتي انت اليها فتقدم منها وهناها بالسلامة وقد فرح بالمولود فرحاً عظيماً واخذه اليه وقبله بين عينيه وفي خده وقد رأى فيه هيئة ابنه بديع فسأل زوجته عنه . فقالت له لااعلم في اي طريق ذهب وجل ما اعرفه عنه انه في هذا اليوم بينما كنت ألد جاء اخذ زاداً ومعدات السفر واراد الخروج فدعوته اليّ فقال لي قد جاء ابي الامير حمزة البهلوان فهو بعولك واما انا فاني لا اقدر ان ابقى في هذه المدينة ولا ساعة ثم تركني وخرج

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام عظم عليه الامر وعرف ان ابنه لا يزال مغتاظاً منه وحركته الشفقة والحنية الى رؤيته فبكى بالرغم عليه وسال الدمع على خديه وقال لم يكن عهدي بانه يكون حقوداً الى هذا الحد وقد جئت اليه لاترضاه فلم يدعني اراه بل اختفى عن عيني وذهب سرّاً ولكن اسأل الله ان يوفقه ويرجعه اليّ سالماً وانا اعرف انه لا بد ان يندم فيرجع اليّ من نفسه واني اتسلى مدة غيابه بهذا الطفل الذي يشبهه كثيراً فاكون كانني رايته . ثم ترك كوهين ورجع الى الديوان واخبر الامراء بسفر بديع وانه خرج من المدينة في نفس ذاك اليوم فما منهم الا من تكدر وتمنى ان يراه . وبعد ذلك امر الامير ان يقرب اليه بهران فقدمه عمر الى بين يديه وهومقيد فنظر فيه الامير وتاكد بمجرد النظر الى وجهه انه من الابطال الصناديد الذين يندر وجود مثلهم ذلك الزمان فاخذه يتهدده وقال له لا بد من قتالك يا بهران لانك تعديت علينا وقصدت سبي حريمنا . فصاح بهران العفو يا سيدي الامير فاني لا اكره في الموت ولا اطلب الحياة لاجل نفسي بل لاجل سيدي بديع الزمان ولذلك اسألك ان تمنحني دمي وتبقيني في قيد الحياة فاكون غوثاً لكم وعوناً على طول الزمان وابقى بين العرب الى ان ياذن الله تعالى ولم يعدلي قلب على مبارحة بديع الذي لم ترَ عيني قط افرس منه ولا اشد من ساعده ولااخف من حربه وقت النزال وعليه فقد نويت ان اكرس حياتي لاجل خدمته فلا تحرمني من شيء اريده ويطلبه قلبي ولا تظن اني اسألك

ذلك لاكسب بعض سنين من العمر فاني لست ممن يخاف الموت واعرف انه لابد من زيارته للانسان عاجلًا كان او آجلًا ولولا حبي لبديع لما رضيت بالذل بل فضلت ان اموت من يديك من ان ابقى ذليلًا لكم

فلما سمع الامير كلامه رآه صادرًا عن قلب طيب ونية صادقة ولذلك قال له اننا لا نمنع صديقاً يريد مصاحبتنا ولا نتحذك بيننا الا كواحد منا تجلس في مجلسنا ويكون مقامك كمقامنا رفيعاً وعالياً امام السادات وكلامك مسموعاً ومعمولاً به لكن لا نقدر ان نقبلك الاّ اذا دخلت دين الحق سبحانه وتعالى وعبدت الله الذي خلق السموات والارض وما عليها وحده يحيي ويميت ويقوي ويضعف ويدرب الناس على حسب ما يريد . فقال اكد يا سيدي اني منذ هذه الساعة وانا على عبادة الله لا اميل ولا اكذب ولا احيد عن جادة الايمان وسأكون كما تكونون اذا متم اموت واذا عشتم اعيش واذا حاربتم احارب. فلما سمع الامير كلامه نهض اليه وقبله بين عينيه وحل وثاقه واعتذر اليه فشكره وسلم عليه وعلى باقي الفرسان وسأل عن بديع لانه يرغب ان يكون معه ومن رجاله ولا يفارقه فقال ان بديعاً مغتاظاً عليّ وقد رحل دون ان اراه ولا اعلم في اي طريق ذهب . ثم اعاد عليه القصة التي وقعت بينه وبين ابنه وقال له لا بد ان بديع يرجع الينا بوقت قريب فتكدر بهران وقال ان كان لي حظ اراه فيما بعد واني ما رضيت في الحياة الا لاجله واقام بين الفرسان وبقي الامير حمزة في مدينة السنجام مدة شهر تمام اكراماً لخاطر كوهين اي لبينما تكون قامت من الفراش وهو في كل يوم يزورها ويطمنها ويسليها ويعدها بالخير . وبعد ان قامت من الفراش وتقوت ورجعت الى عادتها السابقة ودعها وودع الامير ليث واوصاه بكوهين وسأله ان يحكم على الدوام بالعدل والانصاف والحكمة وسار من هناك بفرسانه وابطاله وجاء معسكر العرب اي مدينة السبائل واجتمع بمن بقي هناك من الفرسان ودخل على السلطان واخبره بامر بديع الزمان فتكدر الاخر على فراق عمه واما بهران فانه قبل ان وصل الى هناك سأل حمزة عن معسكر بديع فقال

دونك بالمكان المطال وعبد الله مهرين فهما من رجاله واقياله فانضم اليهما واختلط معهما وصارت رجاله ورجال بديع معاً وقد فرح به كل المعسكر الفرح الزائد واحبوه كل الحب . وبقي الامير حزيناً في داخله على فراق ولده لا يعرف اين يقدر ان يجده وقد صبر على حكم الزمان وهو محاصر مدينة السبائل

واما بديع الزمان فانه بعد ان خرج من المدينة جدَّ في المسير يقطع السهول والاوعار والجبال والوديان ينتقل من مكان الى مكان ويدخل في قرى وبلدان يصرف في كل ناحية مدة من الايام وقد عول ان لا يعود الى ابيه الا بقوة عظيمة ومجد اعظم ليرى انه اينما سار يقدر ان يعيش ويكرم ويؤلف جيشاً ويكون سيدًا عظيماً بخلاف قاسم الذي اذا ترك المعسكر يوماً واحدًا يموت من الجوع هو ورجاله ولا يعرف ان يأتي حركة او ينال مطلوباً ولا زال على مثل ذلك الشان حتى دخل مدينة تدعى الغمام وهي لملك عظيم اسمه سندروس وهو يعبد الله العزيز الجبار وكذلك قومه ولما دخل المدينة نزل في فندق مخصوص بالمسافرين فاخذ حجرة فيه ووضع ثيابه وهناك ربط جواده واكل وصبر ريثما استراح من مشاق السفر وبعد ذلك خطر له ان ينزل الى السوق يتفرج عليه وعلى المدينة وابنيتها وينظر الى اهلها فخرج وترك الفندق وجعل يدور في الاسواق من ناحية الى ناحية وهو مسرور جدًا من الاهالي لانه رآهم مهذبين ودعاء يحبون الضيف ويكرمون الغريب فاخذ ما يحتاجه ورجع وهو مصمم النية ان يقيم اياماً طويلة في تلك المدينة التي يعرف اهلها الله سبحانه وتعالى ويعبدونه ولا يرضون بطرد الانسان . ولما وصل من الفندق دخل حجرته واكل وصرف السهرة وحده يفتكر بحاله وبماذا جرى عليه وهو يتأمل في مستقبله وكيف يكون حاله في اسفاره وهل يبقى كل زمانه متنقلاً من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد آخر دون جدوى ولا نفع وصرف اكثر الليل على هذا الفكر واخيراً استغرق بالنوم تاركاً الامر لله سبحانه وتعالى وفي صباح اليوم التالي نهض فصلى فرضه وسأل الله المساعدة ونزل الى جواده فتفقده وقدم له العلف وسقاه الماء ورجع فأكل ونزل

الى ازقة المدينة فطاف فيها كما فعل في اليوم الاول واشترى ما يحتاجه اليه ورجع اليه وقت الظهر تماماً فوجد ضجة وغوغاء عند باب الفندق فاخترق الناس ودخل وهو يتعجب فرأى جماعة من الخدم مع صاحب الفندق يحيطون بجواده وهو يصهل ويضرب بيديه ورجليه وقد قتل احدهم وهم يحاولون التقرب منه فصاح فيهم وقال ويلكم هل تقصدون سرقة الجواد فارجعوا عنه والا انزلت بكم البلاء فما جوادي ممن يسرق فقالوا كلا يا سيدنا فانا لسنا لصوصاً وقد يظهر لنا انك رجل جليل القدر عظيم الشان فنخبرك عن الامر وهو انه قد بلغ ملكنا خبرك وخبر جوادك فارسلنا لكي نأتي به ليتفرج عليه ومن ثم يرجعه . فقال لهم اذهبوا الى ملككم واخبروه ان الجواد لرجل لم ترَ بزمانك قط مثله ولا يمكن قط ان يتخلى عن جواده بسهولة وقد يمكنه ان يخرب البلد قبل ان يخرج الجواد من مكانه

فلما سمع الخدم كلام بديع الزمان لم يتعرضوا له ولا اجابوه بكلمة بل رجعوا الى ملكهم واخبروه بما سمعوا فقال لهم اذهبوا الى الرجل واخبروه ان يحضر الى عندي وعليه امان الله وسلامه واني لا اريد منه شيئاً الا ان اراه وارى جواده ويلاقي مني كل اكرام واعتبار فما نحن ممن يضر بالناس وان الله سبحانه وتعالى اوصى باكرام الغرباء فرجع الى بديع رجال الملك واخبروه وسألوه الحضور اليه ففكر في نفسه هل يمكن ان تكون حيلة وتردد في ذلك لانه رأى من اهل المدينة ما حمله على الاعتقاد بصدق ملكهم وامانته وقال في ذاته لا يمكن ان يغدروا بي لانهم يعبدون الله سبحانه وتعالى ومن يعبد الله لا يسلك طرق الغدر والخيانة ومع ذلك فانهم اذا بادروني بالشر لاقيتهم بمثله واذا بادروني بالخير رأوا مني ما يسرهم . ومن ثم ذهب معهم وعليه سلاحه كانه الاسد الخارج من مربضه حتى وصل من قصر الملك فوجده مزخرفاً ومتقناً بما يدل على عظمة صاحبه وعلو شأنه لكنه لم يكن فيه من الخدم والجنود ما يوجد في قصور غيره فعرف من ذلك ان الملك يصفح لكل احد ان يدخل عليه فلم يضع على ابوابه حجاباً ولا

جنوداً فيقضي مصالح الناس بنفسه فدخل المكان المذكور ورأى الملك سندروس جالساً وحوله رجال مجلسه فوقف ملتفتاً من جهة الى جهة وحال وقوع نظره عليه رآه على جانب من الواداعة لانه وقف له ووقف باقي رجاله وقال له اهلاً وسهلاً برجل زار بلادنا وضاف مدينتنا . فحياه بديع وجلس الى جانب الديوان فامره ان يقترب منه وقال له لا يجب ان تبعد عني فاني اری فيك سمة الشجاعة والاقدام ويظهر لي انك من اولاد السادات والامراء فمن اي قوم انت قال اني عربي الاصل اسمي عبدالله خرجت سائحاً بنفسي في بر الله الواسع ازور البلدان فادخلها واقيم فيها بقدر ما يخطر لي وما الاقي من رقة اهلها ووداعتهم وقد جئت هذه المدينة بعد ان صرفت اشهراً غير قليلة في الطرقات والمرابع والعواصم والقرى حتى وصلت اليكم وقد اعجبتني مدينتكم واهلها فطفت فيها فوجدت ما هو كذا وكذا فقال الملك كان من اللازم ان تزورني اولاً وتضيفني في بيتي ولذلك لما سمعت بخبرك واخبرني البعض بك وبما توسموه فيك من سمة الكرامة اردت ان احضرك الى قصري فتقيم عندي ما دمت راضياً بالقيام بيننا فشكر بديع الزمان من رقة الملك وفي الحال قدموا الشراب فشرب والاكل فأكل . ثم استأذنه في ان يرسل فيأتي بثيابه وجواده من الفندق فخجل من بديع ولم يعترضه وقال له الجواد لا يألف احداً غيري ومن يدنو منه يقتله او يقتل فاجيء به بنفسي . قال حسناً تفعل وهاك محلاً اعينه لك تسكن فيه في قصري ثم اخذه الى محل نزهة وعين له غرفة واسعة متقنة الاثاث والفرش وعين له الخدم والعبيد لتكون في خدمته وتقدم له الاكل وعين له مكاناً لجواده فذهب بديع الزمان وجاء بثيابه وجواده واقام في ذاك المكان مسروراً من حب الملك له ومعاملته بكل لطف ورقة ومثله اعيان البلد وصار يحضر في اكثر الاوقات الى الديوان ويتفرج على ما يجريه الملك من الاحكام فيسر جداً من عدله لانه ما رأى متخاصمين دخلا عليه الا وصرف بينهما المشكل وارجعهما على الحب والسلام فيرضي كل انسان بحقه وكان باقي الاوقات يطوف في الاسواق يتفرج على ما في المدينة وكان يرى

الخيرات عظيمة جدًا في البلد لكن لم يرَ فيها اثمارًا ولا خضرًا فتعجب مع ان المياه غزيرة وكذلك وقت الطعام فلا كان يرى شيئاً من الاثمار فجعل يهدس في مثل هذا الامر ويفتكر به وكان يحب ان يسأل عن ذلك لكنه كان لا يرغب الدخول في ما لا يعنيه وصبر الى ان يرى وسيلة يفتتح للملك فيها مثل هذا الحديث لانه كان كما لا يخفى بضيافة الملك فيظن الملك ان سوءاله عن ذلك كان لاجل اشتهائه الاثمار فيلتزم ان يرسل فيحضر له منها من غير بلدان

قال وفي ذات يوم دخل بديع الى الديوان وجلس الى جانب الملك وقد ترحب به كل اهل الديوان من خاص وعام وفيما هم يتحادثون مع بديع الزمان واذا بدرويش قد دخل من باب الديوان ونظر في الجميع وسلم عليهم ثم تقدم من الملك ودعا له بطول العمر واخرج تفاحتين من عبه وقدمهما له فتناولهما مظهر الفرح وشكر جدًا من الدرويش وامر ان يدفع له مائة دينار جزاء على ذلك فقبض الدرويش الدنانير وذهب وبقي الملك يفكر في التفاحتين ثم التفت الى وزيره وقال خذ انت واحدة واقسمها مع من شئت واما انا فاقسم تفاحتي بيني وبين زوجتي وبين ضيفي العربي فزاد من ذلك عجب بديع الزمان وقال في نفسه لا ريب انهم يشتهون الاثمار في هذه الديار وكيف لا يأتون بها ويزرعون منها في اراضيهم وصبر الى ان خرج الوزير الى خارج الديوان فتأثره وقال له اريد ان اسألك سوءالاً فافدني عنه صحيحاً قال قل مهما شئت فاننا لا نكذب قط في شيء . قال اني رأيت الملك سرَّ جدًّا لهاتين التفاحتين واشتراهما بمائة دينار فهل لا توجد اثمار في بلادكم واذا كانت لا توجد فكيف لم تحضروا شجرًا وتغرسونه في اراضيكم قال ان في اراضينا ثمر كثير من مثل هذه غير اننا لا نقدر ان نصل اليه ولم ننظره ولا ذقناه منذ ست سنوات قال كيف ذلك وماذا يمنعكم . قال ان في ضواحي مدينتنا بستان للملك واسع يمشي به الانسان طولاً مدة ثلاثة ايام ومثله عرضاً وهو مغروس بكامل الاشجار ذات الاثمار الطيبة فكانت كل سكان المدينة تذهب اليه وتأكل من اثماره وترتع في منتزهاته الى ان كان ذات يوم

وذلك من نحو ست سنوات رأوا في البستان المذكور اسداً فجفلوا وهربوا وصاروا كلما قصدوا ذاك المكان بعد ذلك يرونه فيهجم عليهم فيفرون منه ومن وقع في يديه اكله واعدمه الحياة فثبت عندنا ان الاسد اتخذ ذاك البستان وطناً فاقام فيه وهو يأكل تلك الاثمار فمنع الناس من الدخول الى هناك خيفة عليهم وقد هجروا البستان المذكور ولا يزال الاسد فيه حتى الساعة نسمع بعض الاحيان زئيره فنخاف من ان يهجم على المدينة فنقفل الابواب وهذا الذي جعلنا ان نشتاق الى اكل تفاحة او ثمرة او نحوها ولا بد ان الله سبحانه وتعالى يفرجها علينا ويزيل عنا هذا الضيم فيموت الاسد ونرجع الى منتزهنا . فقال بديع الزمان اريد منك يا سيدي ان تدلني على هذا البستان فاخلصكم من هذا الاسد قال وماذا تفعل به قال اقتله واعدمه الحياة واريحكم من شره . قال اهل تقدر على ذلك قال سترى قال فلنسأل في ذلك الملك

ثم ان الوزير دخل على سندروس واخبره بما قال بديع وكيف انه يرغب الذهاب الى البستان لاجل قتل الاسد فاظهر الملك الكدر وقال كان من الواجب ان لا تطلعه على هـــذا الامر فانه غريب ولا اريد ان اخاطر به في وجه الاسد خيفة ان يفترسه وهو يريد ان يخاطر بنفسه من اجلنا . قال اني ما اخبرته من نفسي بل لحق بي وانا ذاهب وسألني فاجبته وهو لا يذهب الا برضاك . وفي اليوم الثاني عند الصباح دخل الملك الديوان واجتمع سائر الاعيان فدخل بديع الزمان وجلس في مكانه وسأل الوزير الجواب فالتفت اليه سندروس وقال يا عبدالله انك في غنى عن هذا الشان فاننا نخاف عليك فان الاسد كاسر ولا اظن انه يتخلى عن البستان فتموت وتفقد الحياة ويحاسبنا الله بدمك في اليوم لاخير فان لاسود اقدر من الرجال بكثير ولا يمكن لجيش عرمرم ان يقف امام واحد منها . قال اعلم يا سيدي اني قتلت قبل الان كثيراً من الاسود ولم احسب لها حساباً ولا بد لي من قتل هذا الاسد فكن براحة من قبلي وسوف اريحكم منه فارسل جماعة من قومك عن بعد يرون فعلي به وقتلي له ان ما يفعله واحد لا يقدر ان يفعله

جيش لا بل ولا جيوش فاجب طلبي وارسل من يدلني على البستان وهذا لا بد منه . ففكر الملك طويلاً ثم قال اننا نتكل على الله سبحانه وتعالى وسأسير انا ايضاً الى قرب البستان فلعل ان العناية قد بعثتك اليَّ لتفرج عن المدينة هذا الهم الواقعين به . وركب في الحال الملك وركب بعض الاعيان وخرجوا من المدينة وفي اوائلهم بديع الزمان ولا زالوا في مسيرهم حتى قربوا من البستان وهناك توقف الملك وقومه وقالوا لبديع الى هذا الحد لا يمكننا ان نصل معك وهاك البستان فاتكل عليه تعالى واسأله ان يكون معك ويخلصك من مخالب الاسد . فسار بديع ووقف الملك وقومه بعيدون لا يرون غير رؤوس الاشجار وعليهـا الاثمار مدلاة وهم يتشوقون ويتحرقون على اكلها واكثرها ناضج . وبقي بديع حتى وصل من باب البستان فدخله وقد اشهر في يده الحسام ومشى على الاقدام ينظر يميناً وشمالاً يفتش على الاسد الا انه ما تقدم غير القليل حتى راه واقفاً امامه لانه كان في اكثر الاحيان يربض عند الباب على امل ان من يدخل من الناس والحيوان الى ذاك المكان يفترسه واذا تعسر عليه ذلك ولم يأته ما يأكله من لحم الانسان او من لحم الحيوان اقتات من اثمار تلك الاشجار

قال ولما وقف احدهما تجاه الاخر زئر الاسد زئيراً عالياً فاجابه بديع الزمان بصوت كالرعد القاصف وقال له ويلك يا قط البرية وكلب السوق اتجسر ان تقف امام بديع الزمان سيد الفرسان ومذل الجبابرة العظام فقد آن اوان موتك وقتلك وفي الحال كشر الاسد على نابه ورفع بيديه على بديع ليجمعه بينهما ويلقي به الى الارض ويجلس فوقه ياكله كما اكل غيره غير ان بديع الزمان سبقه بضربة حسام خرجت من يده باسرع من حلول القضاء والقدر فاصابت راس الاسد فشقته الى نصفين ووقع الى الارض قتيلاً فمد بديع الزمان يده الى احشائه وقال في نفسه من ياكل قلب الاسد يصير كالاسد قلباً فاخرج القلب فأكله وما انتهى من اكله حتى شعر بيد وقعت على وجهه عميت منهـا ابصاره وغاب عن الصواب ثم سمع صوتاً انزع ثيابك في الحال يا بديع الزمان فاطاع صاغراً ونزع عنه الثياب حتى لم

يبق عليه قط ما يستره ومن ثم شعر كأن يداً رفعته عن الارض وقائل يقول له اذهب خذ نصيبك وبعد نحو نصف ساعة من وقوع هذا الحـادث رأى بديع الزمان نفسه على قمة جبل عال وقد غابت عنه تلك الاصوات ولم يعد يرى شيئاً فنظر الى نفسه وهو عريان ليس عليه ما يستر عورته فوقع في الحيرة يفكر في ما يفعل ويتأمل بما حدث له ومن الذي جاء به الى هناك وكيف اخذت ثيابه

واما الملك سندروس وقومه فانهم كانوا واقفين عن بعد كما تقدم وقد سمعوا صوت الاسد والاصوات التي اعقبته فشغلوا من ذلك واحتاروا في امرهم وتربصوا ليروا بديعاً قد خرج فلم يروا احداً خرج فقال الملك ان صدقني حذري يكون الاسد قد افترس عبد الله فقال الوزير ان من الصواب ان ترسل من يكشف لنا الخبر قبل ان يلحق بنا الضرر ولذلك استحضر سندروس باحد قومه وقال له سر بخفة وانظر عن بعد الى الاسد فاذا كان بديع قتل الاسد لا خوف عليك واذا كان الاسد قتله يكون ملتهياً باكله فلا يراك فارجع واخبرنا بما ترى وحينئذ سار الرجل شيئاً فشيئاً يتلصص حتى دنا من الباب فوقف وقلبه يخفق مقدار ربع ساعة الى ان هدأ روعه ثم مد رأسه قليلاً من باب البستان وارسل بنظره الى الداخل فوقع على قطعتي الاسد وهما على الارض فاطمأن باله قليلاً وترجح لديه انه قتيلاً لكنه تقدم خطوتين ونظر بتأكيد على بعد فصح لديه الامر وفي الحال رجع حالاً وهو ينادي ابشر يا سيدي فقد رأيت الاسد مقتولاً فسأله سندروس اهل رأيت عبدالله هناك قال لم اره فقال الوزير ربما يكون توغل في البستان بين الاشجار اما للفرجة واما لاجتناء الاثمار فهلموا خلفه وفي الحال تقدموا من البستان ودخلوه فرحين فرأوا الاسد مقسوماً الى قسمين وملقى الى الارض قطعتين والدم قد ملأ الارض من حواليه فحينئذ انعطفوا بسرور لا مزيد عليـه الى نفس المحل فرأوا ثياب بديع وسلاحه منشورة على الارض كل قطعة الى ناحية فعجب الملك وصاح من الحزن نعم ان عبد الله قتل الاسد ولكن الاسد اكله فواحسرتاه عليك يا ايها الشجاع لقد نفعتنا كثيراً ولكنك لم تعش لنجازيك بالخير ونكافيك على جميلك

ومعروفك وجعل يبكي عليه وفعل مثله جميع رجاله وبكوا كثيرًا وحزنوا حزناً لا يوصف ورجع الملك الى البلد واخبر في المدينة بما كان من امر عبد الله العربي وكيف قتل الاسد والاسد اكله وشاع الخبر في كل جهات المدينة ففرحوا كثيرًا لكنهم حزنوا على عبدالله وجمع الملك اهل المدينة وابدوا حزنهم على ضيفهم واقاموا مناحة كبيرة مقدار ثلاثة ايام والبكاء متواصل. ثم بعد ذلك امر الملك ان يؤتى بثياب بديع فتعلق على باب المدينة مع سلاحه وقال يجب ان تبقى ذكرًا جميلًا له نتذكره ما دمنا احياء كلما دخلنا وخرجنا الى البستان ولا بد ان يكون لهذا الرجل من اهل فربما مرّ احدهم في هذه المدينة فيرى الثياب فيعرفها فنوقفهم على امره وما كان منه ويعرفون انه قتل اسدًا عظيماً. وبعد ذلك صار الملك وقومه في كل يوم يذهبون الى البستان ويقطفون من اثماره ورجعوا الى ما كانوا عليه قبل ذلك بست سنوات

ولنرجع قليلًا الى ذكر بديع الزمان لننزل له عن الجبل خيفة عليه من البرد والعذاب لاننا تركناه عرياناً على اعاليه. فبعد ان وعي الى نفسه جيدًا فكر في النزول الى الحضيض عسى يجد له مأوى يأوي اليه او بيتاً او كوخاً يلتجئ اليه فيحصل على ثياب تستره وعند وصوله الى اسفل الجبل نظر سهلًا متسعاً امامه فقصد ان يستلمه ويسير عليه ليرى ان كان في نهايته عمارًا وسكاناً واذا به سمع صوت كلام فنظر الى ما حواليه فلم يرَ احدًا وكان يسمع الصوت جيدًا وثبت لديه انه صوت آدمي فمال الى الوراء من حيث اتى مقدار عشر خطوات فرأى مغارة في آخر الجبل وسمع الصوت يخرج من داخلها فدخل في بابها وهو يتكل على الله سبحانه وتعالى وما مشى فيها الا القليل حتى وقع نظره على شيخ جالس في وسط المغارة جليل القدر مهاب بشعر ابيض طويل وامامه غلام ابيض الوجه جميل المنظر يئن ويبكي والشيخ يقبله ويستعطفه ويسأله ان يقلل من البكاء ويقول له اصبر يا ولدي على جور الزمان وكيده فلا بد من ان يفرج همك ويرسل الله من يخلص لك حقك من عمك الخبيث الغدار فتعجب بديع عند سماعه هذا

الكلام وكيف ان هذا الرجل وذاك الغلام وحدهما في تلك المغارة واراد ان يظهر نفسه في الاول لكنه وجد نفسه على تلك الحالة عرياناً فستر عورته بيداه وتقدم من الشيخ وحياه فاندهش الرجل من وجوده ومن حالته فأجابه على تحيته وسأله من اين جاء. قال اني من بلاد الغمام وعليها الملك سندروس فهل هي بعيدة عن هذه البلاد فقال الشيخ اني ما سمعت قط زماني بطوله باسم بلاد تدعى الغمام ولا باسم الملك سندروس. قال اذاً في اي البلاد انا وما اسم هذه الاراضي وهل هي خراب ام عمار وهل يسكنها اناس من البشر ام لا. قال نعم هي عامرة بالسكان واسمها بلاد الظلمات. فقال بديع فماذا تفعلان انتما وحدكما في هذه المغارة وكيف معك هذا الغلام اهل هو ابنك او تبنيته. قال لا بل هو ابن سيدي الملك سليم وكنت وزيراً عنده فجار عليه الزمان حتى وصلنا الى هذا المكان فبتنا فيه اثناء مرورنا فسأله والى اين انتم ذاهبون. اجاب اننا ذاهبون الى هرزان الظلماني نشتكي اليه امرنا ونستنجده على مصيبتنا فقال وما هي مصيبتكم اخبرني عنها

فقال اعلم ان بلاد الظلمات تقسم الى ستة اقاليم واسعة جداً وكبيرة يبعد الواحد عن الاخر مقدار خمسة عشر يوماً فابوا هذا الغلام كان يحكم الاقليم الاول منها والاقليم الثاني عليه هرزان الظلماني الذي اخبرتك اننا ذاهبون نطلب نجدته ونقمع عليه والثالث عليه هارون ابو العمد والرابع مردان الماقل ابو الاربعة اياد والخامس بهران ابو السلاسل والسادس يخص اسحق الظلماني. فلما توفي ابو هذا الغلام الذي تراه امامي اقمناه مكان ابيه واقامني الاهالي وصياً عليه ونائباً في الاحكام الى ان يكبر غير ان عم هذا الغلام واسمه اصطلبرخام طمحت عينه الى الملك وحدثه عقله بالاستيلاء على الاقليم فجعل يترقب ابن اخيه ليعدمه الحياة فيستقر الملك عليه واتخذ لنفسه حزباً من الاهالي وكان يظن انه اذا قتله تلتزم كل الاهالي ان تطيعه فلا تأمل في غيره ولما قوي هذا الرأي عنده دخل اليه وهو عند والدته واستل خنجراً وطعنه به فمال عنه فلم يصبه ودخلت امه في الوسط

الخدم وفر الغلام حتى وصل اليّ واخبرني بما فعل عمــه معه ثم اردت الخروج فعرفت ان اصطلبرخام قتل الملكة وانه جلس على الكرسي ونودي باسمه فخفت على الغلام واردت ان اقاومه بالقوة غير اني خفت العاقبة لا على نفسي ولكن على الولد واخيراً خطر لي ان اذهب الى الاقليم الثاني واعرض امر الغــلام على مرزان الظلماني لانه كان صديقاً لسيدي سليم ولا ريب متى عرف بما كان من اصطلبرخام يغتاظ فينجدنا بالعساكر ويخلص الاقليم من المغتصب وعليــه اخذت الولد وخرجت من البلد هارباً قبل ان يدركنا وجئت الى هذه المغارة فاختبئت فيها وقتاً قليلاً لنرتاح ويأخذ الغلام روعه ويهدأ باله ومن ثم نرحل في طريقنا فقال بديع اني اذهب معكما الى حيث ذهبتما غير اني اريد منكما ان تعطياني قليلاً من ثيابكما لاني عريان فقال له الشيخ من اين انت وما سبب عريك فقال اعلم يا سيدي اني من بلاد العرب وقد دخلت مدينة الغمام فصار لي فيها مــا هو كذا وكذا ولم ارَ نفسي الا في هذه الديار فاعطاه الشيخ بعض ما حواه من الثياب واطعمه . ولم يكن حضور بديع الى ذاك المكان الا بارادته تعالى لان له غاية لا بد من انفاذها بالرغم على تقلبات الحوادث والايام وان الذي فعل معه ذاك الفعل ونزع عنه ثيابه واحضره الى ذاك الجبل هو الخضر عليه السلام وسنرجع الى ذكر حديثه في غير هذا المقام ولم يكن يعلم بديع انه بعد عن مدينة الغمام مقدار سنتين على التمام

قال فهذا ما كان من بديع واما ما كان من الامير حمزة البهلوان فاننا تركناه عند مدينة السبائل مع قومه وفرسانه ولكنه كان على الدوام في هم وغيظ وكدر يفتكر في ولده ويريد ان يعرف في اي مكان هو ومضى عليه مدة من الايام الى ان نام ذات ليلة فرأى حلماً مرعباً فنهض من نومه قلقاً مضطرباً وحضر الى الديوان في الحال ودعا بالوزير قاضي العرب وقال له اريد منك ان تفسر لي هذا المنام لانه مرعب جداً واني خائف من عاقبته فقال . ابد لي ماذا رأيت قال اعلم اني رقدت في ليل امس وانا مفتكر في امر ولدي بديع الزمان وفي امر رستم فرتم ولما غرقت

في المنـــام رأيت كاني في برية واسعة مقفرة ملقى على ظهري ليس من حولي من يؤنسني والا انا بطير عظيم المنظر قد انقض عليّ من كبد السماء ووقف على فخذي وضرب منقاره في بطني فشقه وجعل يأكل احشائي فخفت كثيراً وتألمت كثيراً ومراراً عديدة اردت ان امد يدي واقبض على الطير لامنعه من عمله فلم تتحرك يداي قط الى ان وعيت من نومي مرعوباً واستيقظت خائفاً واريد منك ان توضح لي غامض هذا الحلم وقلبي يقول لي ان مصيبة كبيرة تقع عليّ واسألك بالله العظيم إله الخليـــل ابراهيم ان لا تخفي عني حرفاً واحداً . وبعد ان اطرق الوزير مدة دقائق الى الارض رفع رأسه وقال للامير . اعلم ان هذا الحلم المرعب هو رمز عن حادث مكدر سيقع على ابنك بديع فالطير هو عدو عظيم بمخالب حادة يخشى على ابنك منه لان ذاك الطير ما رضي ان يأكل الا احشاءك والاحشاء الولد وهذا يرجح لي والله اعلم فلما سمع الامير كلام الوزير عظم عليه الامر وزادت الحال وكاد يصرخ من الالم الداخلي الذي المّ به فاراد الوزير ان يخفف من الامه فقال له والصواب عندي ان ترسل اخاك عمراً يفتش عليه ولا يرجع الا بعد ان يأخذ لنا اخباره في اي ارض هو لنرسل فنترضاه ونعيده الينا والامور بعد ذلك تجري بتدبيره تعالى فهما شاء فليفعل ولا يمكن للانسان ان يدفع ارادته او يهرب من انفاذ احكامه فهو القدير العظيم القاهر الجبار

فلما سمع الامير رأي الوزير استصوبه فدعا باخيه عمر وقال له انطلق الان في جهات العالم وفي المدن المجاورة الى حكومة الخوند فاينما وجدت ابني بديع فاسأله الرجوع واذا ابى فقل له ان اباك قال لي ان تنتظره في نفس المكان الذي تراه به ومتى وعدك بذلك عد اليّ حالاً واخبرني بمكانه فاجاب عمر امر اخيه وكان هو ايضاً قد اشتاق الى بديع الزمان وتاق الى ان يعرف محل وجوده وعليـه فقد ودع السلطان واخاه وباقي الفرسان وانطلق يجري باسرع من البرق عند اللمعان ينتقل من مكان الى مكان ومن بلد الى اخر يستنشق الاخبار ويسأل في الفنادق ويدور البلد الذي يدخلها بيتاً بيتاً وينظر في الرجال واحداً واحداً وما برح على

مثل هذا الشان مقدار اربعين يوماً على التمام وفي اليوم الحادي والاربعين دخل على مدينة الغمام وهي مدينة الملك سندروس التي كان فيها بديع الزمان وحالما وقف في الباب وقصد الدخول رأى ثياب ابن اخيه بديع الزمان وسلاحه معلقة فوقه فصاح ولطم على خديه وقال هلك والله بديع وهذا لباسه وسلاحه وجعل يبكي ويصيح وينادي واعزيزاه واسيداه لا وصلت منك اللئام يا فارس العصر وبدر التمام فيا ويلكم يا اهالي هذه المدينة ان كنتم مددتم يدكم الى صاحب هذه الثياب فابشروا بالخراب والقلعان والموت الاحمر وستحرق مدينتكم بالنار وتبادون عن اخركم كباراً وصغاراً رجالاً ونساء . وعندما سمع كلامه الحراس الذين على الباب والناس الذين كانوا قريبين من تلك الناحية تقدموا منه واجتمعوا حواليه وقالوا له يا عبد الخير نسألك بالله العظيم هل تعرف صاحب هذه الثياب وابن من هو واين اهله . فقال ويلكم كيف لا اعرفه وهو فارس الفرسان ومذل الجبابرة والشجعان وقاهر الابطال في ساحة الميدان وابوه من ذلت له الاسود في مرابضها وخافته الملوك في مدنها وكراسيها وخضع لقائم سيفه كل جبار عنيد وفارس صنديد من افنى دولة الاكاسرة واذلها وقهر القياصرة وحقرها وانتشر صيته من مشرق الأرض الى مغربها حتى خافه البعيد والقريب وخدمته ملوك الجان وعفاريت السيد سليمان بامر العزيز الرحمان الامير حمزة البهلوان . فلما سمعوا منه ذلك بهتوا وقالوا له هلم بنا الى ملكنا سندروس فهو يخبرك عن هذا الرجل وما صار به لانه قتل الاسد والاسد اكله ونحن بحزن عليه فسار في الحال الى الملك ودخل عليه وقبل ان يباديه بسلام وكلام قال له اسألك ايها الملك عن بديع الزمان فارس الفرسان ونتيجة العصر والاوان ابن الامير حمزة البهلوان الذي هدم تخت كسرى انو شروان واذل الجبابرة والشجعان . فقال اي بديع الزمان تعني فاننا لا نعرف رجلاً بهذا الاسم ولا جاء مدينتنا من يسمي بمثل هذا الاسم قال هو صاحب الثياب والاسلحة المعلقة على باب المدينة فاذا كنتم قتلتموه يا ويلكم فابشروا بخراب الديار وملاقاة البلاء والدمار فلا بد من هلاككم من الكبير الى الصغير . وحرق

مدينتكم بنيران السعير . فاظهر الملك العجب وقال هل صاحب هذه الثياب هو ابن الامير حمزة الذي وصل صيته الينا منـــذ زمان وحاصر مدينة السبائل فاني والله العظيم ما عرفت ذلك الا منك الان على اننا اكرمناه جدًّا واحببناه الحب الزائد وانزلناه منزلة الولد

ثم ان سندروس حكى لعمر العيار كل ما كان من امر بديع الزمان وكيف جاء المدينة وكيف ذهب الى بستان الاثمار الى ان قال له ولما دخل البستان ما عدنا رأيناه لكن سمعنا اصواته واصوات الاسد ثم انقطعت الاصوات فاستطلعنا على الامر فاذا بالاسد مقتولاً وعبدالله مفقودًا وثيابه واسلحته الى الارض فثبت عندنا انه قتل الاسد والاسد اكله فذهب الاثنان معاً فبكيته كثيرًا ولما كنت لا اعرفه من اي قوم هو ولا ابن من وقد اخفى عني اسمه الحقيقي ودعا نفسه عبدالله اردت ان اعلق امتعته على باب المدينة عسى ان يأتي من يعرفها فيوصل الى اهله خبره وهذا الذي جرى عليه ونحن بحزن عظيم الان . فتعجب عمر وقال كيف يمكن ان اصدق مثل هذا الامر فاذا كان قتـــل الاسد فلا يمكن ان يقدر على اكله لانه يكون قد مات . فقال الملك ربما يكون الاسد افترسه قبل ان قتله فعرف عمر من بساطتهم انهم ابرياء وانه لا يمكن ان يكونوا هم الذين قد قتلوه وذهب الى الثياب ثانية وامعن النظر فيها فرآها سالمة من الخرق والتمزيع فقال في نفسه لا بد ان يكون قد وقع على بديع امرًا مجهولاً فان اهل المدينة صادقون في قولهم وهم يجهلون امره والا لو كانوا هم الذين قتلوه لاخفوا ثيابه وسلاحه كي لا يعرف اهله به ولذلك اخذ الثياب واستأذن من سندروس وكر راجعاً الى مدينة السبائل الى معسكر العرب ودخل على صيوان اليون شاه فصــاح وناح ورمي بالثياب الى الارض وقال لاخيه هاك يا مسكين ثياب ولدك بديع فقد وجدتها ولم اجده فلما رأى الامير حمزة ذلك رمى بنفسه من على الكرسي الى الارض وحث التراب عـــلى رأسه ولطم على وجهه ونتف شعره وهو يقول واولداه واعزيزاه واحشيشة كبداه ماذا جرى لك يا كنز الحياة ويا مصدر الامال وروح الرجاء ثم

اغمي عليه فتقدمت الفرسان منه ورشت عليه الماء واصاب السلطان ما اصاب جده من البكاء وقد نزل عن كرسيه وهو ينادي يا ذل العرب من بعدك يا فارسها وحاميها فلا كان يوماً ذهبت به عنا وبارحتنا به . وقام الصياح في الصيوان من كل ناحية وعلت الضجة واجتمع الناس وما منهم الا من بكي وناح وحزن الحزن الشديد حتى مضى عليهم اكثر من ثلاث ساعات والوزير بزرجمهر يلطف من حالة الامير ويهدي من روعه ويطمنه حتى اجاب واستكن مع باقي الرجال وحينئذٍ التفت الى الوزير عمر وقال له اخبرنا كيف وجدت هذه الثياب وفي اي مدينة كانت فاعاد عمر القصة التي سمعها من سندروس وكيف جرى على بديع فاطرق الوزير الى الارض وكذلك باقي السادات وقد تعجبوا من هذه القصة التي ما سمعوا مثلها قط وقال الوزير بزرجمهر كيف يمكن ان يكون قد قتل الاسد والاسد اكله او كيف يمكن ان يأكله الاسد ثم يقتله ولا بد لبديع من امر عجيب واذا صدقني حذري يكون في قيد الحياة وقد اخذ بلا ثياب اما الى اسر واما الى مكان لا يعلم فيه الا الله سبحانه وتعالى وكيف كان الحال فاني اطمنك ايها الامير ان ابنك سيعود اليك ويكون عندك كما كان خفف عنك الحزن واصبر على الايام واعلم ان ما قدره الله لا يمحوه الانسان ولا بد من ان تجري عليك الامور المقدرة وعلي اولادك ومن صبر ظفر وبقي الوزير يعظ الامير والسلطان وباقي السادات حتى صبروا وسلموا الامر لله العظيم القادر مترددين في صحة الخبر وقد انقادوا الى الوزير لانه كان نافذ الكلمة في العرب محبوباً منهم جميعاً لا يقول على الدوام الا الصحيح ولا يتكلم الا بالاصابة والحكمة ولا يمكن ان يكذب قط . وصبروا على مثل هذا الشان منتظرين الوقوف على اخباره ورجوعه اليهم سالماً كما اشار الوزير . وقد اخذ الامير حمزة قماشاً اسود وغطا به كرسي بديع وقال لا احد يجلس على هذا الكرسي بعد ابني وكل من جلس عليها من الابطال والفرسان او من ملوك الزمان يغيظني واكون خصمه فاحفظوا جميعكم هذا الامر ولا تتركوا احداً يجلس على الكرسي بعد صاحبها الى ان نرى ما يكون منه تعالى

قال فهذا ما كان من قومه واما ما كان من بديع الزمان فانه سار كما تقدم معنا وبرفقته الوزير والغلام سليم ابن صاحب الاقليم الاول قاصدين هرزان الظلماني وكان لا يزال بلا سلاح وليس عليه من الثياب الا ما يستره فقط ولا زالوا في مسيرهم حتى وصلوا من السهل المحيط بالمدينة فنظروا الرعاة وقد خرجوا بالغنم والبقر للمرعى وهي بعدد النجوم فتقدم بديع من الرعاة وسألهم لمن هذه الانعام فقالوا هي للملك هرزان صاحب هذه البلاد وحاكمها فقال لهم اننا الان جائعون فاعطونا راساً من الغنم لنذبحه ونأكله فشتموه واهانوه وقالوا له اذهب في طريقك ولا تتعرض للملك فتعدم ونقطع راسك وناخذه له فغاظه هذا الكلام وفي الحال مد يده الى واحد من الخرفان فتناوله وحذفه الى ورائه بالرغم على الرعاة فصاحوا وبربروا وركضوا الى كبيرهم فاخبروه وحكوا له ما كان من امر راس الغنم فاسرع يركض حتى وصل من بديع الزمان ورفع العصى وضربه بها فمال عنها باسرع من ريح الشمال وتمكن منه بضربة من يده على صدره القاه الى الارض على ظهره فوقع غائباً عن الوجود فتقدم منه واخذ خنجراً من وسطه واذا بالرعيان قد تجمعوا من كل ناح وصاحوا وهجموا فالتقاهم بالخنجر المذكور وهو كانه اللواب يدور من مكان الى مكان ويضرب في اولئك الرعيان حتى جرح منهم كثيراً وفر الباقون الى جهة المدينة يخبرون سيدهم ورجع بديع الى الكبش فذبحه واحضر الحطب واشعله وجعل ياكل ويطعم الشيخ والغلام وقد قال له الوزير لما هذا العمل فقد اغضبت علينا هرزان ولا بد من ان يخرج الينا ويقيدنا بالحال ويجازيك على مثل هذه الفعال . مع اننا نقصده مستغيثين نطلب اليه نصرتنا على عدو الغلام فقال هذا الامر لا يعنيكم بل يعنيني واذا جاء هرزان يكون الحق عليّ لا عليكم فاعرف كيف اخلص نفسي وكان قد رأى عظم فعله بالرعاة فاندهش وتعجب وثبت لديه انه من الفرسان الصناديد . فجلسوا على الاكل واما الرعيان فانهم اسرعوا الى سيدهم واخبروه بما لاقوا من الرجل الغريب وكيف طردهم جميعاً واغتصب منهم الكبش فغضب الغضب الزائد ونهض في الحال باسرع

من المبوب وركب جواده ولحق به جماعة من الفرسان وخرجوا من المدينة وجاءوا والرعيان تدلهم الى ان قربوا من المكان المقيم فيه بديع الزمان فقالوا لسيدهم هذا هو الخصم وقد عمد الى اكل الخاروف فصاح هرزان واشهر في يده الحسام وتقدم منهم وعول ان يضرب بديعاً به غير ان بديعاً رجع الى الوراء لان خصمه بكامل سلاحه وفوق جواده وخلفه كثير من قومه مع انه خال من السلاح حتى ومن الثياب ايضاً ورأى من الحكمة التليين والتساهل مع خصمه الى ان يملك غايته وعليه فقد صاح مهلًا ايها الملك العظيم والسيد الكريم فعلى من خرجت بهذا الموكب وهذه الحدة ولما هذه الافعال اهل من اجل واحد من الغنم اكله ضيوف بلادك وهم بحالة جوع وفقر مدقع ولم يكن عهدي بان الملوك تسأل عن كبش لضيف فارجع سيفك لغمدك واسمع قصتي فتعرف يقيناً ان الحق على رعاياك الذين سودوا وجهك وما رضوا بان يطعمون ولا ريب انك متى وقفت على الحقيقة عذرتنا وجازيت رعاتك لاننا ما اخذنا من انعامك الا واحداً لسد الرمق خيفة من الموت جوعاً فنظر الملك هرزان في بديع الزمان واحدق به وفكر في كلامه وقال في نفسه ان هذا الرجل من الكرام دون شك ولا ارتياب غير انه عريان وجرسان فلماذا يا ترى خرجت اليه بهذا الموكب كاني خارج لمحاربة ملك ومع ذلك فلم ياخذ الا كبشاً واني اذبح في يوم الوف وكان من اللازم ان ارسل احد اتباعي لاحضاره ولا اخرج اليه بنفسي ومع ذلك فلا بد من سماع قصته وحالته ولذلك اغمد سيفه وتقدم من بديع وقال له احكِ لي قصتك وما سبب جوعك وعريك حتى اذا وجدتك معذوراً عذرتك وعفوت عنك والاّ جازيتك بالقتل والاعدام

قال فلما سمع بديع الزمان كلامه اغتاظ في داخله وقال في نفسه سأريك من يستحق القتل والاعدام . ثم تقدم منه وقال له اعطني اولا يا مولاي يدك لكي اقبلها علامة على خضوعي وانقيادي فمد له هرزان يده فتناولها بديع باسرع من لمح البصر وجذبه عن ظهر الجواد الى الارض ولم يترك له مجالا للحراك بل

استوى فوق صدره واخذ منه السيف وقال له لا تظن اني اغدر بك يا هرزان ولكن ادافع بذلك عن نفسي لاني عريان وبلا سلاح واكد اني اذا ملكت السلاح وعلوت الجواد جعلت ملوك الظلمات تحت امري ولا تظن اني من اقل الناس او من اضعفهم بل انا اعرفك بنفسي فاني بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان فارس برية الحجاز ومهلك الجبابرة والملوك ولا بد ان يكون وصل خبره الى بلادك لان ما من بلد في الدنيا الا وصلها بعضاً من اخباره ان لم يكن كلها لانه اذل الانس والجان وهدم التخت والايوان واذل كسرى انو شروان فلا تغرنك حالتي وانا عريان فما هذا الا من فعل العزيز الرحمن والان انت بين يدي اذا اردت قتلك اقدر على ذلك وما من احد يقدر ان يمنعني لكن معاذ الله ان اغدر بانسان رجل ما اريد ان تطرد من قلبك العدوان وتعرف قدر فرسان الزمان او انزع منك ثيابك وعدتك وجوادك فآخذها لنفسي وارجع انت فالبس غيرها وعد الي فنقتتل وترى بعينك من يكون الرابح من الخسران وعليه فاختر لنفسك ما يحلو اما خيراً واما شراً وكان هرزان يسمع هذا الكلام وهو تحت بديع الزمان ورأى نفسه في قبضة يده اذا اراد قتله فعل ذلك باسرع من لمح البصر . فصاح الزمام يا ابن الكرام فانت بالحقيقة سيد عظيم وبطل جسيم وابوك قد فاق رجال هذا الزمان وملك اكثر الدنيا باسرها ووصلت اخباره الينا وانه يقاتل في سبيل الله وكثيراً ما تمنينا ان نكون من رجاله لنفني عصابة الكفر والظلم فاتركني واتخذني لك صديقاً وساعداً فأكون على الدوام لك ولا تفعل ما لا يرضى به الله والناس والله على ما اقول شهيد . فلما سمع بديع هذا الكلام نهض عن هرزان وقال له المعذرة يا سيدي فاسمح ولا تلمني على ما فعلت وان كنت لا ارغب في ان امد يدي لرجل اكبر مني سناً غير ان الامر احوجني لاني لا املك سلاحاً ادافع به عن نفسي وقد قصدت قتلي فاتخذني لك ابناً وساعداً واكون عندك الى ان يأذن الله بالعود الى بلادي

فقال له هرزان اهلاً ومرحباً بك يا فارس العرب ومفرج الكرب فانت

عندي اعز من ولدي وكل ما املكه فهو بين يداك ولك فاحكم به ما شئت وها ان عساكري تخدمك وتطيعك وتنفذ امرك مهما كان . ثم تصالحا وتصالحا وشكر كل واحد من الاخر . وبعد ان طاب قلباهما وصفي فؤادهما . قال بديع اعلم يا عمي هرزان اني ما كنت اقصد هذه البلاد ولا اعرف فيها قط غير ان ذلك كان بسماح منه تعالى وهو اني خرجت من معسكر ابي غضباناً وجرى ماهو كذا وكذا الى ان صادفت هذا الغلام سليم والوزير في المغارة واخبراني انهما آتيان اليك بطلب مساعدتك فجئت معهما وانا لا اعرف ماذا يصير لي عندك غير ان الله وفق بيننا والقى حبك في قلبي كما التى حبي في قلبك وما ذلك الا حظ هذا الغلام فقال وابن من هو فأمر بديع الوزير ان يخبر بحاله وما جرى على سيده فتقدم واعاد القصة بتمامها وكيف اصطلبرخام جالس على عرش الاقليم الاول فاظهرالغيظ والتفت الى بديع الزمان وقال له اعلم يا سيد الفرسان اننا صرفنا العمر برمته وما من واحد من اهالي الاقاليم اعتدى على الاخر بل نحن في حب وسلام ووفاق واتفاق نقضي مصالح بلادنا بالخير والامان . وحيث مات ابو هذا الغلام وهو كان احدنا وصديقاً لي وجب علينا مساعدته والمسير الى عمه وطرده من البلاد وارجاع الملك الى هذا الغلام لانه وارث ابيه والوارث لا يحرم من الميراث فهلموا بنا الى المدينة فنجمع عساكرنا ونسير الى الاقليم الاول

ثم ان بديع الزمان رجع وهرزان والوزير والغلام وهم بفرح زائد على هذا الوفاق لا سيا هرزان لانه احب بديعاً كثيراً ولا سيا لانه ابن الامير حمزة البهلوان الذي اخبروا عنه كثيراً ووصلت اليهم قصته واعماله وكذلك الوزير فانه امل بالخير والنجاح والوصول الى ما يريد بواسطة بديع وحسب ان وصوله اليه كان بامر منه تعالى وبعد قليل دخلوا المدينة وحال وصولهم اليها امر هرزان بان يقدم الى ضيفه كل ما يحتاج اليه من الثياب والسلاح فجعل يختار لنفسه ما يريد حتى اكتسى ورجع الى ما كانوا عليه قبل العري ومن ثم عمل وليمة فاخرة اكراماً له وجمع كل قومه واخبرهم به وبابيه فكانوا يتعجبون ويفرحون ويقبلون

يداه ويمدحونه واقام في المدينة مدة عشرة ايام حتى اجتمع العسكر وعدده ثمانون الف فارس بين مدرع ولابس واذ ذاك ركب بديع وركب هرزان وباقي الفرسان وخرجوا من البلد يقصدون الاقليم الاول لينتقموا للغلام من عمه ويعيدوه الى ملكه وقبل ان يصلوا الى ذاك الاقليم عرف بهم اصطلبرخام وعرف ان معهم ابن الامير حمزة البهلوان فتكدر جدًّا وايقن بالهلاك والاعدام ولم ير له وسيلة الا الهرب والالتجاء الى احد الملوك فركب في الحال وخرج من البلد وقصد هارون ابو العمد يستجير به ويطلب اليه النصرة على اعدائه واما بديع فانه حالما قرب من البلد بعث الى اهلها يخبرهم بوصول سيدهم وابن سيدهم سليم وقد جاء لنصرته هرزان صاحب المجد الرفيع وعلو الشأن فسار الرسول واخبر في البلد ففرح اكثرهم وخرجوا افواجاً وساروا رجالاً ونساء الى ان قربوا من هرزان وقومه فتقدموا منهم وسلموا عليهم وترحبوا ببديع الزمان ورجعوا جميعاً الى المدينة ودخلوا سراية الاحكام وكانوا قد اخبروه بما كان من اصطلبرخام وكيف هرب وقصد هارون ابا العمد فقال لهم بديع لا بد ان نتبعه ولو سار الى آخر العالم

ولما استقروا في المدينة اجلسوا الغلام مكان ابيه ونادوا باسمه في كل البلد وزينوا الاسواق وعملوا الولائم وذبحوا الذبائح ودارت الافراح وشكروا الله عز وجل على ما اوصل اليهم من الخير والنعم لانهم كانوا يحبون اباه لعدله وقد كرهوا عمه لظلمه . وبعد ان اقاموا في المدينة مقدار خمسة ايام . قال بديع الزمان ارى من الصواب ان نذهب الى الاقليم الثالث ونطلب من هارون ابي العمد ان يسلمنا اصطلبرخام لننتقم لابن اخيه فاذا سلمنا اياه كان خيرًا فنأخذه ونعود والا فنأخذه جبرًا ومن عادانا انزلنا به الويل والبلاء فاستصوبوا رأيه واخذوا في تدبير امورهم وتهيئة لوازمهم وجمع الجيوش وبعد ذلك ركبوا وساروا وفي مقدمتهم بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان كانه النمر الكاسر او الاسد الزائر وما برحوا في المسير حتى قربوا من ذاك الاقليم وكان اصطلبرخام قد وصل الى هارون فدخل عليه وهو يبكي وينوح وقال له لقد جئتك ايها السيد العظيم

مستجيراً فاجرني ولك الاجر والثواب لاني مظلوم ومطرود عن ملكي ولا بد ان تصل اليّ ايدي اللئام . فقال له لقد اجرتك من كل عدو وخصم فلا يمكن لاحد ان يصل اليك بعد الان لانك دخلت جواري وطلبت الامان لكن من الذي طردك عن ملكك وظلمك وابعدك عن اهلك . قال اعلم ان اخي كان يملك الاقليم الاول كما لا خفاك وقد توفي منذ امد قريب وقد خلف غلاماً لا يزال قاصراً وضعيف الرأي في الاحكام فطلب الاهالي ان اكون انا عليهم لبينما يكبر الغلام ويمكنه ان يسوس البلاد ويحكم في العباد فاجبت طلبهم خيفة من ان وزير اخي ينال بغيته وعليه «ا عدت نظرت لا الوزير ولا الغلام والظاهر انهما هربا ولم اكن اقصد لهما قط شرّاً او ضراً ولا اعلم من ابن التقيا برجل مفسد اسمه بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان فحركهما الى العدوان وحملهما الى طلب الجيرة من هرزان فجاءني هرزان بعساكره ومعه هذا بديع الذي قصد ان يلقي الشقاق والخلاف بين ملوك الاقاليم مع انه لم يقع قط بينهم اختلاف في طول الزمان وعلى هذا جئت اليك مستجيراً لتنظر في امري وتمنع عني ضربات الاعداء وتعيد اليّ ملكي . فقال له كن مطمئن الخاطر فلا بد من افراج همك واصلاح شانك مع ابن اخيك وقتل بديع الذي يقصد الشقاق والعدوان فارتاح باله وتأمل نوال المراد

قال وبعد ذلك بايام قليلة وصل بديع بمن معه من العساكر والفرسان فنزلوا خارج المدينة وضربوا اطنابهم واقاموا باقي ذاك اليوم لا يبدون عملاً وذلك لاجل الراحة من التعب وفي اليوم التالي نهض بديع ودخل الى صيوان هرزان وجاء الوزير والغلام واخذوا في البحث كيف يفعلون وقد عولوا على ارسال تحرير الى هارون واذا برسوله قد دخل عليهم وسلمهم رسالة منه . فاخذ هرزان الرسالة وفتحها وقراها ثم ناولها لبديع وقال له ان اصطلبرخام قد وضع كل الحق علينا حتى وافقه هارون فانظر في هذا الكتاب وما كتب فيه فتناول الرسالة وقرأها واذا به يرى مكتوباً فيها ما يأتي

من هارون ابي العمد الى هرزان الظلماني

اعلم ايها الصديق الحميم اني رأيت عجباً وكدت لا اصدق حضورك الى بلادي بكل هذه العساكر والجيوش مع انه من قديم الزمان والصداقة متواصلة والحب متبادل ولم يقع بيننا اختلاف قط فكيف خدعت من ولد صغير حباً بمناصد وزيره وقبلت ذاك الغريب المفسد الذي جاء بلادنا وقصد ان يلقي بيننا الفتن ويخدعنا فنقع عوض السلام والامان بالحروب والشرور وما قصد بذلك الا خراب بلادنا وتشتيت شملنا وقيامنا على بعضنا البعض مع اننا نكره ذلك وعليه فانصحك ان تعرض عما انت طالب وترجع عن عزمك وتعود الى بلادك وبذلك تكون قد اقفلت باب العداوة ونلت الثناء من الكبير والصغير وابقيت السلامة بيننا على حالها كما كانت منذ زمان لا يعرف اوله وما قلت لك ذلك خيفة منك لانك تعرف باسي وشجاعتي وكثرة عساكري فاحذر لنفسك قبل ان يقع بيننا الحرب والقتال ولا تسمع لهذا الغريب المفسد والسلام

فلما قرأ بديع هذه الرسالة قال لهرزان ارجوك ان تسمح لي ان اكتب اليه الجواب فربما تستحي منه انت لانه صديقك وجار بلادك ولا اريد ان اكون سبباً في القاء الشقاق بينكم كما يزعم هارون ولا ارغب في سفك دماء العباد وانا اريد وحدي ان انتصر لهذا الغلام المظلوم فاذا قدرت على ذلك كان خيراً والا فالموت لا يخيفني وطالما لاقيت من الاهوال . فقال هرزان ما هذا الكلام فاني اعرف الحق من البطل وما نحن بظالمين ولا نقصد عدواناً وانا جل ما اريد ان احصل حق هذا اليتيم من عمه ولو عرف هارون الصحيح لعذرنا وساعدنا على طلبنا غير ان ذاك الخبيث اصتلبرخام اوغر صدره وجعل كل الحق علينا لينال الحظوى ويساعده هارون ولا بد من الحرب والقتال فاكتب كل ما تريد وانا اصادق على الكتابة . وحينئذٍ اخذ بديع فكتب الجواب بكل لطف وادب واحترام ووقار وفي ذيل الكتاب قال له اذا شئت ان تخرج الى حربنا فاننا مستعدون لملاقاتك واذا رغبت في السلام فنحن ارغب منك فيه وجل ما نريد تحصيل

حق المظلوم ولو انك وقفت على الحقيقة لما دعوتني غريباً مفسداً بل كنت شكرت مني وعرفت حق المعرفة ان ما اطلعك عليه اصتلبرخام الخبيث الظالم هو زور وبهتان

ولما قرأ هارون الرسالة عظم عليه الامر وقال كيف ان بديع الزمان اجابني عليه ولم يجبني هرزان وهو يقول لي اذا كنت تخرج لحربنا فاننا مستعدون وما ذاك منه الا وقاحة كبرى ولا بد من قتله واذلال الذين جاءوا معه . وفي الحال جمع اليه العساكر والرجال وفتح ابواب المدينة وخرج بهم الى الخارج وضربوا خيامهم مقابل خيام هرزان وقد اقسم الايمان العظام انه لا يرجع عنهم حتى يفنيهم عن آخرهم

وحينئذ قال بديع الزمان لهرزان اريد منك يا سيدي ان لا تباشر حرباً ولا قتالاً لا انت ولا رجالك ولا احد من قومك بل احب ان اباشر الحرب بنفسي مع هارون فاذا قتلني اكون قد رحت بيومي واذا قتلته او اخذته اسيراً ينصرف المشكل ويطيعنا عساكره ونحفظ بذلك دم العباد فقال له اني قلت لك ان دمي ودم رجالي وقومي تحت امرك وفدية لك فلا نتخلى عنك فاذا رايناك في ضيق ساعدناك وكل ما يريده الله فيكون . وباتوا تلك الليلة الى الصباح فنهضوا من مراقدهم وسمعوا اصوات الطبول تضرب مؤذنة بالحرب والكفاح فركب كل واحد من الفريقين وركب الفرسان والابطال وتقدمت الى ساحة المجال ترى ما يكون في النهار من الاهوال وكان هارون يعتز بنفسه وهو يظن ان لا فارس في الدنيا يقدر ان يقف امامه في ساحة الميدان لانه بالحقيقة كان جباراً عنيداً وفارساً صنديداً لا يصطلى له بنار ولا يعرف لقتاله من قرار تخافه الابطال وتهابه جبابرة الرجال . وعندما ركب واعتلى فوق جواده رأى بديع الزمان قد صار في وسط الميدان وهو فوق جواده كانه فرخ من فروخ الجان فصال وجال ولعب على اربعة اركان المجال حتى حير عقول الشيوخ مع الشبان وبعد ان حمي جواده واخذ مداه اوقفه في الوسط وصاح بصوت عال وقع في اذان الجميع وقال هلم يا هرون سيد

هذا الاقليم ابرز الى قتالي ان كنت تدعي من الابطال فان الحرب تنحصر بيني وبينك فاذا قتلتني او اسرتني عدتم الى الصلح والوفاق واذا قهرتك سمحنا عن دم قومك لانني لا ارغب في هرق الدماء وجل ما ارغب ان احصل على حق هذا المظلوم الضعيف من عمه الغدار وقبل ان ينتهي بديع من كلامه صدمه هارون وصاح به وقال له ويلك يا ابن حمزة لقد تعديت علينا واوصلت شرك الينا والقيت الشقاق بيننا مع اننا بطول عمرنا ما تنازعنا ولا طمع احدنا على الاخر ولا بد من مجازاتك على عملك هذا بالقتل والاعدام ومع انك غريب كان من اللازم ان لا تدخل في ما لا يعنيك فنكرمك ونرفع شأنك ونلاقيك بالاحترام والاعتبار لاننا ممن يحب الضيوف ويكرمهم بشرط ان لا يكونوا مثلك ساعين بالفساد والعناد والشر . فقال بديع اني لم اكن ظالماً لان جارك الذي اجرته تعدى على ابن اخيه وقصد هلاكه وعذابه واخذ منه ملك ابيه وهذا عين الظلم والشر ولا يمكن لذي قلب شريف وحاسة كريمة ان يرضى بمثل هكذا اعمال فلو كنت عملت عن تعقل لقبضت على اصطبرخام وجازيته على فعله بالقتل وحقنت بيننا الدماء وفعلت فعل الرجل الكريم غير انك تماديت وساعدت الظالم وسترى عاقبة الظلم الى اين توصلك . ثم ان بديعاً انحط على خصمه فلاقاه بعزم ثابت وجنان قوي وهو كأنه الجبل الراسي واخذا في الضراب والطعان والضرب والجولان . وهما في وسط ذاك الميدان تنظر اليهما عيون الفرسان وتحدق بهما الابطال والشجعان . وهما تارة يجتمعان كأنهما جبلان وطوراً يفترقان كأنهما مركبان ويوسعان في جوانب الساحة طلباً للتنفس والراحة . ثم باسرع من البرق يعودان فيلتحمان ويتطاعنان ويتضاربان ولم ياخذهما هدو ولا توان وقد عرف كل واحد مقدار خصمه وما اعطي من الشجاعة والاقدام وأخذ لنفسه الحذر خيفة من الفشل والضرر

قال وما برحا على مثل ذلك القتال من الصباح الى الزوال فافترق الاثنان ورجعا الى الخيام ولم ينل الواحد من الثاني متمناه ولا وصل الى مشتهاه وعندما وصل هارون من قومه تلقوه بالترحيب وهنأوه بالخلاص وسألوه عن خصمه وكيف

ابقى عليه في ذلك النهار . فقال لهم اني اقول الحق ولا اخفيه ان بديعاً ابن حمزة من اشد فرسان هذا الزمان ولم تر عيني ولا سمعت اذني بمثله ولكن لا بد لي من قتله او اسره مهما جرى بيني وبينه وكان اصطلبرخام حاضراً فقال له اني اعرف اكيداً انك تقتله وتحط اسمه لانه متعد علينا ولا بد من مجازاة كل متعد ليلاقي قصاصاً على ظلمه واني اطلب من الله العزيز الجبار خالق الليل والنهار ان يرميه بين يديك لتشوي لحمه وتطعمه للكلاب وتنزل بالذين ينتصرون له ميازيب العذاب فوعده هارون بكل خير واما بديع فانه عندما دخل الصيوان واجتمع به الملك هرزان وباقي الفرسان فشكروه على فعله وثباته وسألوه عن خصمه فمدحه لكن قال اني كنت اهتم باسره طول النهار وقد لاح لي ثلاث مرات فرصة الفوز لقتله واعدامه فترجع يدي لاني لا اريد ان اقتله قط وجل ما اريد ان آخذه اسيراً حتى اذا رأى نفسه مغلوباً وقد وقع بايدينا يندم على عنادنا ويطلب صداقتنا فنكسبه ونتخذه عوناً واني لا اريد ان اخسره فيكون قد قتل ظلماً لان ما من عداوة بيننا والذي تزيده عم هذا الغلام لا هارون المنتصر له فمدحه الجميع على حسن طويته وكرم اخلاقه وحبه للفرسان مع انه نادرة ذاك الزمان . وباتوا تلك الليلة الى ان اشرق الصباح فنهضوا من مراقدهم وركبوا خيولهم وتقدموا الى الساحة واصطفوا يميناً وشمالاً يقصدون الفرجة على قتال المتبارزين وقد وضح عندهم انهم لا يتقاتلون ولا يهجمون على بعضهم وان الحرب تنتهي حالما يغلب احدهما

واذ ذاك برز بديع فالتقاه هارون حالاً فالتطا والتحما واصطدما واخذا في البعد والقرب والطعن والضرب كما كانا في اليوم الاول لا ياخذهما فتور ولا توان وبديع مع خصمه يقصد القبض عليه واسره لينهي القتال وقد طمع بمصاحبته وتمنى أن يكون له ويضم عسكره الى عسكره ليرجع الى ابيه بموكب عظيم اعظم من موكبه ويكون له شأن اعظم من شأنه وما برح على مثل هذا الشان الى ان غابت الشمس وانصرف النهار فرجعوا عن الحرب والصدام ودخلا الى الخيام وصرفا تلك الليلة مع قوميهما الى صباح اليوم التالي فبكرا الى القتال والطعان

والنزال وما زالا على مثل هذه الحال مدة عشرة ايام على التام حتى ضجر كل واحد منهما وراى في نفسه العجز وخاف من الفشل وكذلك الفرسان فانهم ملوا وكلوا من الانتظار وما عادوا يعرفون كيف ينتهي الامر بين الاثنين وفي اليوم الحادي عشر بكر بديع فركب جواده وقد نوى كل النية ان يجعل ذاك اليوم يوم الانفصال وانه اذا عجز عن اسر خصمه يجرحه او يقتل جواده لانه رآه عنيدًا وثابتاً كل الثبات وقبل ان يصل الى وسط الساحة سقط اليه خصمه وانقض عليه وصاح به وباقل من لمح البصر اشتد بينهما القتال وعظمت الحال وكثر القيل والقال بين الرجال والابطال لعظم ما شاهدوا من دلائل الاهوال وقد تطاعنا بالرماح مدة ساعات حتى تقصفت فعمدوا الى البيض الصفاح لانها اقرب الى قبض الارواح واخذا في الضرب على الدرق والنار تتطاير كأن جهنم قد فتحت وارسلت بالسنة لهيبها لتغطي المتقاتلين وكان الغبار قد حجبهما عن العيان فصار المتفرجون لا يروهما الا فيما ندر ويرون في وسط ذاك القتام المتكاثف شررًا يتطاير من وقع السيوف ويضيء ليظهر ما تحته وكان القتال عجيباً لم يسبق ان سمع بمثله منذ الازمان وصار كل واحد من الفرسان يدعو لصاحبه بالنصر والتوفيق ولا سيما الوزير فانه التفت الى الغلام سليم وقال له في هذه المرة يكون اما خلاصك واما تعسك فادع الى الله العزيز الجبار ان ينصر بديعاً فيتقرر ملكك ويقتل عمك فرفع ذاك الغلام يديه الى الباري سبحانه وتعالى وارسل دموع الاحتقار والتحسر على خدوده ودعا الله ان يفرج همه ويزيل غمه وينظر اليه بعين الرحمة والالتفات وحاشا لله سبحانه وتعالى ان يتغاضى عن اغاثة المظلوم وفي تلك الساعة سمع من تحت الغبار صياح عظيم ارتجت منه الجبال والوديان وكان ذاك الصياح من بديع لانه انحط على هارون انحطاط القضاء المنزل واجتهد اجتهادًا عظيماً كي لا ينقضي ذاك النهار حتى اتعبه ولاح له فرصة منه اذ ضرب سيفه بسيفه فكسره من عند يده واذ ذاك صاح من شدة الفرح ودنا منه واقتلعه من بحر السرج وضرب به الارض وهو غائب عن الصواب لعظم مااعتراه

وفي الحال نزل اليه واراد ان يشد كتافه ويتوده الى قوم هرزان فقال له مهلًا عليّ يا ابن حمزة فاني هالك فاما انك تقتلني واما انك تتركني وتتخذني صديقاً لك ورفيقاً ولا تذلني باسرك فينحط قدري عند الفرسان فقال له عفواً يا هارون فاني كنت لا ارغب في ان اوصل اليك شرًا ولولا طول القتال لما فعلت هذه الافعال فاعذرني عما اوصلت اليك وتجاسرت به عليك ولم يكن من حقي ان افعل ذلك لاني غريب والغريب لا يكون غير اديب فاسمح لي واتخذني صديقاً وعوناً . فعندما سمع هارون هذا الكلام انجلى عن قلبه الهم والغم وعادت اليه قواه لانه ظن ان بديعاً يقتله ولا يلام على ذلك لانه لو قدر هو عليه لقتله ولذلك قال له اني اعترف لك انك واحد فرسان هذا الزمان ورجل العدل والاحسان وقد جمعت بين البسالة والكرامة فاعطاك الله اكرم الخصال وافضلها وها ان سيفي بين يديك واني رفيقك وعبدك الى آخر الايام

ثم انهما تعانقا وتصافحا وتحابا وتوادا وسامحا بعضهما وجاء بديع الى قومه وهو يصحبه وقد صفا له قلبه واحبه فعلًا وقبل ان يدنيا من المعسكر تقدم هرزان وسلم على هارون ولاقاه بالترحاب فقال له اني اعترف يا هرزان بخطائي وانك المصيب في انضمامك لهذا البطل الذي لا نظير له في هذا الزمان لا بين الانس ولا بين الجان ولذلك تراني قد جاريتك على عملك وصرت من رجاله وعتيق سيفه ومن كان كبديع حقه ان يملك كل بلاد الظلمات . ثم رجعوا جميعاً الى الخيام واحضروا سفرة الطعام بعد ان شربوا الشراب فاكلوا وانقضى كل شيء الى حاله وبعد ذلك تقدم الغلام من هارون وبكى بين يديه وحكى له عما كان من عمه وكيف هرب وهو خائف من القتل والعذاب وحينئذ صدق هارون الغلام وحن اليه وقال له ان عمك غشني ولم انتبه الى غشهِ وما ذلك الا بقضاء منه تعالى ليظهر فضل بديع . واني منذ هذه الساعة انزل الى المدينة واحضر عمك مقيداً واسلمه الى بديع يفعل به ما يشاء ويريد . فما هو على كل حال الا ظالم . ومن ثم نهض من ذاك المكان وجاء الى المدينة وكانت ابوابها مقفلة وعندما سمعوا صوته فتحوا له

فدخل وجاء الديوان وسأل قومه كيف رجعوا الى المدينة دون ان ينتظروه فقالوا ان اصطلبرخام قال لنا ان هاروناً وقع بيد بديع ومن الصواب ان ندخل المدينة كي نحاصر فيها الى ان نرى طريقاً الى خلاصه وعليه فقد نزلنا واقفلنــا الابواب منتظرين الصباح لنرى ما يكون من امرك ومن امر بديع فقال لهم لا بد ان يكون هرب خيفة القتل والعذاب ثم انهُ رجع الى معسكر هرزان واخبر بديعاً يخبر عدوه الذي يطلبه وقال اظن انه ذهب الى مردان ليحتمي بــه ويطلب الجيرة منه وليس لهُ الا ذاك المكان وكان بديعاً يرغب في هذا الامر لكي ينتقل من مكان الى آخر فيملك كل الاقاليم و يجعل الكل من رجاله وابطاله · ومن ثم دعا هارون هرزان وبديعاً وباقي الاعيان ان يدخلوا القصر وكانت الناس تجتمع للفرجة على بديع وما من رجل وقعت عينه عليه الا احبه ومال اليــه وذبحت الذبائح ونورت المدينة وصرف بديع يوماً وليلة في المدينة على الحظ والانشراح والناس تأتي اليه وتسلم عليه وهو مسرور جداً مما يشاهد من ملوك الظلمات ورجالهم وحبهم له وميلهم اليه وبعد ذلك خرج مع هرزان والغلام والوزير وكل من دخل معهم واوصوا هارون ان يجمع العساكر ويخرج اليهم ليسيروا معاً الى الاقليم الرابع فاجاب بالايجاب وقال اني ارغب في ان ابقى بركاب بــديع والى جانبه طول عمري فاينما سار سرت معه واينما نزل نزلت بقربه · ثم اخذ في تهيئة نفسه وجمع ما يحتاج اليه من المؤن والذخائر والملابس مدة خمسة ايام وكان قد جمع نحو ثمانين الف فارس للسفر معه فخرج الى بديع وانضم الى عساكره وساروا عصبة واحدة وفي ثاني يوم ركبوا ورحلوا عن تلك الديار قاصدين الاقليم الرابع ليقبضوا على اصطلبرخام ويجازوه على عمله

قال وكان اصطلبرخام لما رأى بديعاً فاز خاف من ان يدخل المدينة ويقبض عليه في الحال فيقتله فرأى ان من الاصابة الهرب فخرج من المدينة وسار في طريق الاقليم الرابع قاصداً الملك مردان صاحبه ولا زال مجداً في مسيره حتى وصل منه فدخل المدينة وتقرب من الملك وسلم عليه وبكى بين يديه وقال له لا خفاك

أيها الملك العظيم والسيد الكريم اني كنت مرتاحاً في ملكي بعد وفاة اخي وانا احكم بالعدل في العباد منتظرًا ان يرشد ابن اخي لاسلمه الملك فحرك الحسد والطمع وزيره فأخذه وخرج وبالصدفة التقى برجل غريب من بلاد العرب اسمه بديع ابن الامير حمزة وهو فارس صنديد لكنه مفسد خداع دخل الاقليم ليلقي الفساد والشقاق بين اهلها وملكها فساروا ثلاثتهم الى الاقليم الثاني والثالث وتوقعوا على هرزان وهارون واجتمعوا جميعاً ضدي وعزموا على قتلي اكراماً لخاطر ذاك المفسد الغريب الذي دخل بلادنا ففكرت في نفسي ان لا رجاء ولا امل لي الا بك فاسرعت اليك لعلمي انك تغيث المظلوم وتساعد المغلوب وترد الظالم وتجازيه على فعله اياً كان فضلاً عن انك شجاع الاقاليم وفارسها وعليه فاني الان متمسك باذيالك داخل حمايتك اطلب منك الجيرة والامان فتكسب الفضل والرحمة من العزيز الرحمن . فلما سمع مردان هذا الكلام قال كن براحة فما من خوف عليك فقد دخلت في حمايتي وصرت جاري ومن جاء اليك كان جزاؤه الهلاك والموت الاحمر ولا بد من قتل هذا الدخيل المفسد الذي تزعم انه جاء ليلقي الشقاق والنزاع بين الاقاليم واصلاح هارون وهرزان وارجاع السلام الى الاقاليم فاطمأن خاطر اصتلبرخام وصبر على حاله ينتظر ما يكون من امر بديع ومن معه وهو يؤكد انهم لا بد ان يقصدوا تلك الديار للقبض عليه ومجازاته اذا وقع بايديهم .

فهذا ما كان منه ومن مردان واما ما كان من امر بديع ورجاله فانهم جدوا في المسير حتى وصلوا من الاقليم الرابع فنزلوا حول المدينة وضربوا خيامهم في ضواحيها وصبروا الى اليوم الثاني وفي صباح ذاك اليوم نهضوا وجلسوا في الصيوان يتخابرون في بعضهم وقد عزموا على ان يرسلوا تحريراً الى مردان وفيما هم على مثل ذلك واذا برسول مردان قد دخل عليهم وبيده رسالة فتقدم من الملك هارون وناوله اياها ورجع الى الوراء ففض الرسالة وقرأها علناً واذا مكتوب فيها

من الملك مردان حاكم الاقليم الرابع الى هارون وهرزان

لقد وصل اليَّ اصتلبرخام واخبرني ما كان من امر بديع ابن الامير حمزة البهلوان وكيف انه دخل بلادنا والقى الشقاق فيها والجدال مع انه منذ زمان لا يعرف اوله ونحن على الحب والسلام لم نرَ قط بيننا خصاماً ولا نزاعاً ولا وقعت حرباً ولا قتل شخصاً ولا تكدر احدنا من الاخر حتى دخل هذا الغريب فافسد وعات وتعدى وقد واقتحم على مشربه ولم يكن فيكم من يعقل ليردعه ويسعى بالسلام والوفاق ويجازي هذا الدخيل بالقتل والاعدام والان حيث وقفت على كل شيء وثبت لديَّ بوضوح الحق مع اصتلبرخام فاعرض عليكم الصلح على شروط . اولاً بان تترضوه وترجعوه الى ملكه ليبقى وصياً على الغلام سليم الى ان يرشد . ثانياً ان تسلموني بديع لاقتله واعدمه الحياة واقاصصه على عمله فيعرف غيره ان اهل الاقاليم لا يغشون ولا يدخل بينهم الفساد . ثالثاً ان تقبضوا على الوزير الذي استجار به وعلق امله بمساعدته وتسجنوه موءبداً الى ان يموت واذ ذاك لايكون فيما بعد نزاع ولا خصام ويرجع كل واحد الى بلاده آمناً مرتاحاً والا فانكم تعرفون سطوتي واقدامي فاسحقكم تحت قوة عساكري ومن ثم تندمون حيث لا يعود ينفع الندم والسلام

ولما فرغ هارون من قراءة الرسالة اراد بديعاً ان يتكلم فسبقه وقال للرسول ان سيدك مجنون لا يعقل وقد زعم اننا نحن الذين اجرنا الظالم مع انه هو الذي ساعد الظالم وقد يتهددنا بان نسلم اليه بديعاً ليقتله مع اننا لو تركناه وحده لزحف على الاقليم وقتل سيدك وخرب بلاده فقل له ان يرسل الينا اصتلبرخام فنرجع بسلام والا فلا نرجع ابداً فليخرج بعساكره وابطاله لنأخذه رغماً بقوة السيف والسنان وغير هذا لا جواب ولا كلام الا ضرب الحسام . ولما انتهى هارون من كلامه رجع الرسول الى سيده واخبره بكل ما سمع من هارون وانه مصرٌّ على الحرب والقتال الا اذا سلمهم اصتلبرخام فيأخذونه ويرجعون فغضب من ذلك وقال لا ريب انهم جنوا الجنون الكامل ولا بد من ان يعرفوا الى اين يوصلهم

عنادهم وقد فضلوا الغريب على القريب. وفي الحال دعا بعساكره ورجاله وخرج فيهم من المدينة وضرب المضارب تجــاه اعدائه وانتظر الى اليوم الثاني ليباشر الحرب ويهجم عليهم ورأى بديع ذلك فالتفت الى هارون وهرزان ومن حضر في ذلك المكان وقال لهم اريد منكم ان تبقوا على الحيادة ولا تباشروا حرباً ولا قتالاً وجل ما اريد ان احصر الحرب بيني وبينه فمتى اسرته انقضى الامر ويحصل لي معه ماحصل لي معكم ولا ارغب في ان تهرق الادمية بسبب اصتلبرخام ولكن اذا رأيتم عساكر الاقليم الرابع قد حملت عليَّ فاحملوا اذاً ويكونوا هم المعتدون علينا فاجابه الجميع الى طلبه ورضوا بذلك وقد رأوه عين الصواب وهم يعرفون ان بديعاً يقدر على كبح خصمه وبذلك ينال المجد والفخار ويعرف مردان انهم مصيبون بملاصقته واتخاذه مقداماً عليهم ولا يعود فيا بعد يلومهم وربما انضم اليهم وصار كواحد منهم

وفي الصباح التالي نهض مردان وامر بضرب طبول الحرب والكفاح وركوب العساكر والابطال فركب الجميع وفعل قوم بديع الزمان وكذلك قد ضربت طبولهم ورفعت راياتهم وركب هو في اولهم وتقدم الى الساحــة كانه الليث الكاسر وباقل من ساعة اصطف الصفان وترتب الفريقان وفي الحال برز مردان ابو الاربع ايدي الى الوسط وصال وجال ولعب بايديه بما حير عقول الجميع ولا سيا بديع فانه رآه يدير بيديه الاربع وهو يحمل بالاولى السيف وبالثانية الطارقة وبالثالثة الدبوس وبالرابعة الرمح ويلاعب الجميع ويديرها سواء وبعد ان استوى في وسط المجال طلب البراز وان لا يبرز اليه الا بديع الزمان وما اتم كلامه حتى صار امامه وصدمه صدمة جبار عنيد وقد اتخذ لنفسه كل الحذر وعول على استعمال كل خفته وعياقته ليتحمل من مردان وحمل الاثنــان على بعضهما حملة الاسود والتقيا التقاء كواسر الفهود وصاحا صياحاً يفتت الصخر الجلمود ودارت ايادي مردان كما يدور اللولب عند اشتداد الدوران فكان يقترب ليستتر من الضرب ويضرب ضرباً سريعاً ويبتعد ليتسع عليه المجال حتى اندهش منه خصمه وثبت

لديه انه افرس فرسان ذاك الزمان غير انه كان يرجح الفوز لنفسه متكلًا على اياديه متوهماً انه لا بد من ان يلحق ببديع التعب والملال ولم يعلم ان بديع قطع من جبل لا يمكن ان يمل او يكل وبقي القتال عاقدًا بين الاثنين والضرب متواصلًا من الطرفين والفرسان من كلا الجهتين محدقة بالقتال صاغية الى انفصال الحال الى ان قرب الزوال ولم ياخذ احدهما من الاخر لاحقاً ولا وصل اليه من باب وحينئذٍ رجعا الى الخيام والتقى كل واحد بقومه وهنأوه بالسلامة وناموا تلك الليلة الى الصباح فعادت الفرسان وتجمعت في ساحة الحرب والكفاح وبرز مردان والتقاه بديع الزمان وعادوا الى العمل كما في اليوم الاول فكرا وفرا واقتربا وابتعدا والتجيا وهمهما ودمدما طول ذاك اليوم الى المساء فافترقا على سلام وفي اليوم الثالث عادا الى النزال مقدار عشرين يوم على التمام حتى عجز كل من الاثنين وايقن الواحد انه لا يقدر على الاخر في ساحة الميدان وكذلك ملوك الاقاليم فانهم تعجبوا من هذا القتال الذي لم يسمع بمثله بين فارسين منذ قديم الاجيال

قال وكان بديع قد وقع في اليأس ورجع حزيناً على عدم نجاحه مع خصمه وبعد ان تناول الطعام دخل في الحال الى صيوانه ونزل في فراشه وهو قلق الافكار مضطرب جدًا وخطر في باله انه ربما يرى ملوك الاقاليم الى تطوله مع مردان بعين الاحتقار فيختلفون عليه ويرجعون الى بعضهم ويبقى منفردًا لوحده غريباً فيوقعون به وهو وحيد لا يقدر على مقاومتهم ولا يمكنه ان يبعد عنهم وعظمت عليه هذه الاحوال فتارة كان يقول في نفسه لا يمكن لاهل الاقاليم ان يفعلوا ذلك ويتركوني بعد ان عاهدوني على الوفاء وحفظ الزمام ونذروا نفوسهم ليكونوا في خدمتي وتحت امري وطورًا يقول فلربما وسوس لهم الشيطان واختاروا اخف الويلين ورأوا ان من اللازم ان يحافظوا على السلامة والراحة فيصالحون ويتفقون على طرده او قتله واخيرًا قال في نفسه ان من الصواب ان اكيد مردان فاذا فعلت ذلك زادت الرعبة في قلوبهم وخافوني جدًا فاكون امينًا مما افكر ولكن كيف ياترى اقدر ان اقهر مردان وهو فارس صنديد ورجل عنيد ولو كان يقاتل

باليد الواحدة لكنت نلت منه مرادي منذ زمان ولو كان من اعظم شياطين الحرب والطعان لكنه يقاتل بوقت واحد في ثلاث الات القتال فيضرب بالسيف ويطعن بالرمح وينزل عليّ بالدبوس الحديد فالتزم ان اتحرس من ذلك ولو كان غيري لكان قتل من زمان وعلى هذا لا يمكن ان يقع في يدي ما زلت لا اصل اليه لاضربه ضربة قوية تكون القاضية عليه ولكن كيف العمل وكيف اقدر ان اقاتله وجعل يرسم في فكره كيف يقاتله واذا به انفتح له باب للفرج فنهض وجلس في فراشه وقال لا ريب ان الله سبحانه وتعالى يلهمني الى ما خطر لي وبه ارى النجاح ولذلك فاني في الغد عندما يشتد بيني وبينه اصبر عليه الى ان يضربني بالاته الثلاث فاقفز عن ظهر جوادي بخفة سريعة الى الارض ثم احاول لانط عن الارض الى خلف ظهره واقبل عليه من خلف وارميه الى الارض فاذا لم اتوفق الى ذلك لا انال منه المقصود وادار في فكره دائرة القتال وصار مترجحاً عنده انه اذا تمكن من القبض عليه من الوراء ياخذه اسيراً ويقوده ذليلاً حقيراً وتنتهي الحرب وينال ما هو طالب

وبعد ذلك نام مرتاحاً مطمئن الخاطر طيب البال ينتظر الصباح ليبكر الى الحرب والقتال وكان بديع قد انبدأ في ما ظنه بملوك الاقاليم فانهم كانوا يودونه ولم يخطر لهم قط ان يتركوه ويبعدوا عنه بل كان بفكرهم ان يحملوا جميعاً حملة واحدة في الصباح ليريحوا بديعاً من القتال في ذاك النهار وقد رأوا حالة بديع وكدره وتاثروا من ذلك وفي صباح اليوم الثاني جاءوا اليه وسألوه ان لا ينزل الى مردان وانهم يحملون جميعاً فقال لهم هذا لا يمكن قط واني اعدكم اني في هذا النهار آخذه اسيراً واقوده ذليلاً حقيراً وهذه غايتي منذ الاول ولو اردت قتله لكنت فعلت ذلك من اول يوم ولا بد لي من ان اجعله صديقاً لي ويكون مثلكم محباً لخيري طائعاً لارادتي وسترون مايكون بيننا في هذا اليوم. ثم ركب جواده وتقدم الى ساحة المدينة فرأى مردان قد تقدم وسبقه الى الجولان فصدمه صدمة جبار عنيد واوسع معه في المجال وصار يلاعبه ليتمكن من غايته الى ان تنصف

النهار وحينئذ صاح بصوت كالرعد القاصف وانقض على خصمه وطوحه بضربة حسام فالتقاها بالترس واضاعها بمعرفته بعد ان تعتعته وهدت جانباً من قوته لكنه اظهر الصبر والجلد وطوحه عوضاً عن ضربته بثلاث ضربات من يديه فالتقاها بديع وقد سقط الى الارض باسرع من لمح البصر فاطلق مردان لجواده العنان واراد ان يدور وقد ظن انه يبطش به فرآه قد دخل من تحت جواده الى ان صار خلفه وضرب رجليه بالارض وارتفع حتى سقط خلف منه وارمى السيف من يديه ولفها على ايديه وجمعهما الى بعضهما فأراد مردان ان يتخلص منه فلم يقدر فوقع الاثنان الى الارض وبديع قابض على خصمه لا يتركه خيفة ان يفلت من يديه فيعدمه الحياة لانه اصبح بغير سلاح وقد رأى عساكر مردان ما كان من بديع وسيدهم فصاحوا وحملوا وفعل كذلك هرزان وهارون والوزير وقبل ان يلتقي العسكران صاح مردان برجاله ان ترجع وسلم نفسه الى بديع وقال له هانذا انا بين يديك فافعل بي ما شئت وبالحقيقة انك فارس صنديد وبطل مجيد ومثلك من يفاخر به وينتسب اليه. وحينئذ صاح بديع بالرجال ان ترجع ايضاً فرجع كلا العسكرين ونهض عن مردان وقال له العفو ايها السيد الكريم فاني كنت لا اريد ان افعل ما فعلت لولا ضرورة الاحوال وتعبي معك في القتال وانت تعلم اني لا احب ان تهرق ادمية الرجال بسبب هذا الخبيث اصتلبر خام وقد انقضى الامر فاذا شئت ان تكون لي صديقاً وصاحباً فاني اكون كذلك ويعقد بيننا الحب والوفاء والا فارجع الى قومك ولاتعود فيما بعد الى حرب ولا طراد وجل ما اريد هو ان تطرد هذا الخبيث الذي ظلم ابن اخيه وقصد قتله وطمع بملكه ولم يكفه ذلك حتى غش ملوك الاقاليم وجعل ينتقل من عند واحد الى الاخر يحملهم على الحرب والقتال والطعن والنزال حتى صار ما صار

قال فلما سمع مردان كلام بديع ورآه قد قام عنه واطلق له الحرية ولم يقبل ان يضربه ولا خاف منه ولا حسب له حساباً قال في نفسه والله انه رجل كريم فلم يصل بي اذى بعد ان وقعت تحت سلطته وكان في وسعه ان يقتلني ويعدمني

اهلي ولذلك قال له معاذ الله ان اسير الى قومي قبل ان اسير الى خيامك واعترف بفضلك علي امام الخاص والعــام فيعرف الجميع اني دخلت في جيشك وساويت غيري من ملوك الظلمات وهذا لا بد منــه ثم انه مشى امام بديع فتبعه بديع ورجعت العساكر الى الخيام وقد رأوا ما كان من الخصمين فثبت عندهم انهما اصطلحا واصطحبا ولما دخل بديع الصيوان وامامه مردان دخل هرزان وهارون وباقي السادات وجلس الجميع على كراسيهم واذ ذاك نهض مردان وقال اشهدوا عليّ ايها الابطال والفرسان اني عتيق سيف بديع الزمان وله علي الفضل والامتنان لانه قدر عليّ وعفى عني ولم يلحق بي ضرراً وترك لي دمي ومن كان مثل هذا السيد العظيم لا يرخص به بل يخدم على الرأس ثم العين ولذلك تروني قد ساويتكم على اعمالكم وجاريتكم على افعالكم ودخلت في مصافكم وصرت لا افارق بديعاً لا في الليل ولا في النهار فايما سار سرت في ركابه الى ان يأذن الله تعالى بالفراق . فلما سمع بديع هذا الكلام امتلأ قلبه سروراً ونهض والقى بنفسه على مردان وجعل يقبله علامة الشكر والحب فصافحه ذاك وفعل كفعله .

﴿ انتهى الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع ﴾